القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت

دراسة عمرانية ومعمارية

د. امبارك بوعصب





د. امبارك بوعصب



القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت

دراسة عمرانية ومعمارية

منشورات



- فــاس -



الكتاب: **القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت**
دراسة عمرانية ومعمارية

المؤلف: امبارك بوعصب

النـاشـر: منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية

الإيداع القانوني : 2017MO5177

ردمك : 978 - 9954 - 9714 - 4 - 4

الطبعـة الأولـى : 2017

الحمد لله وحده
والصلاة على من لانبي بعده

يسعد المركز "**المغربي للدراسات التاريخية**" أن يضع بين يدي القارئ هذا الكتاب للزميل "**الدكتور امبارك بوعصب**"، والذي أعطاه عنوانا يعبر بصدق عن محتواه الشامل لقضايا تاريخية وعمرانية ومعمارية تهم مجالا جغرافيا يعتبر بحق من أهم المجالات الواحية احتضانا للقصور والقصبات، فكان طموحه طموحا كبيرا ومؤسِّسا، بل واستشرافيا لتغطية موضوع أضحى في أمس الحاجة لمجهودات باحثين من آفاق علمية ومنهجية ذات مقاربات متعددة، تتقاطع فيها حقول معرفية متباينة، بين ماهو فني- معماري، واجتماعي - عمراني، فضلا عما هو تاريخي - كرونولوجي.

فدراسة القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت تعد من المواضيع الجادة التي بدأت تستقطب اهتمام الباحثين في شتى العلوم، لأن وجود هذه المنشآت العمرانية لم يكن بمحض الصدفة، وإنما هي نتاج خبرة غنية وطويلة لمجتمعات عرفت كيف تتعايش وتتأقلم مع الظروف البيئية، وتجد الحلول العمرانية والمعمارية التي مكنها من الاستقرار والبناء والزراعة والتجارة.

وكما سيتبين للقراء فإن الأبواب الثلاثة التي انتظمت عبرها المادة العلمية الرصينة والمتنوعة هي حصيلة بحث ببليوغرافي وميداني امتد لسنوات طويلة، حاول من خلالها الباحث تناول ظاهرة القصور من كافة الجوانب بهدف تقديمها ضمن إطارها المتكامل لتعالج إشكالية مركبة، ركزت على استحضار جوانب متعددة من تاريخ القصور الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، خصوصا ما يرتبط بأهالي القصور ومعاشهم وتدبير حياتهم اليومية واستعراض الخصائص العمرانية والمعمارية للقصور والقصبات، وذلك من خلال الوقوف على تخطيطها ومكوناتها المعمارية، وعرض الأسس التي قام عليها هذا التخطيط، وتحديد المرجعيات التي ساهمت في تشكيل عمارتها، وأثر ذلك في أسلوب تخطيط مبانيها بنوعياتها المختلفة.

وباختصار، فإن المؤلف تجشم العناء كل العناء ليقدم لنا مشكورا زخما من المعطيات والبيانات الثمينة والمعلومات المهمة الموجهة لجمهور الباحثين والمهتمين حول مجتمعات احترفت التناغم البيئي وإيجاد الحلول العمرانية والمعمارية عبر تاريخ طويل من الاستقرار والبناء والزراعة والتجارة، وذلك انطلاقا من خبرته الطويلة، وتجربته الوازنة أكاديميا من خلال تناول هذا الموضوع في رسالته لنيل الدكتوراه، وميدانيا من خلال أبحاثه الميدانية أو تأطيره لمجموعة من الزيارات لفرق بحث من جامعات مختلفة، باعتباره أحد الوجوه البارزة التي تنحدر من منطقة تافيلالت والتي تساهم في التعريف بهذا التراث بهدف اتخاذ التدابير الكفيلة بحمايته، انطلاقا من الدور الذي يضطلع به في الحفاظ على الهوية وحفظ الذاكرة وأهمية القيم التي يحملها، إضافة إلى الرهان عليه في تحقيق التنمية.

وعليه، فإن الأمل معقود في أن يكون هذا الكتاب إضافة نوعية إلى المكتبة الوطنية، لاسيما جناحها المختص بالتراث المعماري، وأن يكون حافزا للباحثين على تقديم مزيد من الأبحاث سواء حول تافيلالت أو باقي واحات بلاد المغرب، والقيام بالدراسات المقارنة لهذا التراث لاتخاذها منطلقا لإعداد مشاريع ترتيب وتسجيل وتصنيف القصور ضمن قائمة التراث الوطني.

"المركز المغربي للدراسات التاريخية"
فاس في: 24 نونبر2017

مــــقدمـــــة

تعرف واحات بلاد المغرب انتشارا واسعا للقصور والقصبات ذات القيمة التاريخية والأثرية والعمرانية، والتي تمتد على محور يكاد يشكل حزاما فاصلا بين المناطق الجنوبية حيث تكثر الكثبان الرملية وبين المناطق الشمالية ذات الأراضي الزراعية الخصبة. ويمثل هذا التراث العمراني أحد الشواهد المادية الأساسية لفهم حضارات الأمم وثقافات الشعوب، ورمزا لتطورها على مدى التاريخ، فضلا عن كونها خير شاهد على الروابط الوثيقة بين الإنسان وبيئته، وحرصه على الاستفادة القصوى من الموارد المحدودة والتأقلم مع المخاطر ومواجهة التحديات، كما تعد فضاء معماريا حضاريا، لأنه استطاع أن يستوعب مختلف الأنماط الثقافية الوافدة عليه وأن يواكب التغيرات الطارئة حوله، دون أن يفقد خصائصه ووظائفه الأساسية.

وقد كان لمنطقة تافيلالت نصيب كبير من هذا التراث، فهي تعد من أهم المجالات الواحية احتضانا للقصور والقصبات والمواقع الأثرية والتاريخية، التي تميزت بتراثها وأبنيتها الفريدة من حيث التصميم والتنفيذ والتفاصيل، والتي تعكس هوية وحضارة المنطقة، والرابط بين ماضيها وحاضرها، والدليل الواضح على عراقتها وأصالتها، والذي أعطى للمنطقة أهميتها منذ قرون. ولو تأملنا بدقة المظهر العام لعمارة القصور وهندسة بنائها ومكوناتها المعمارية وعناصرها الزخرفية، فإننا حتما سنجد أنفسنا أمام نتاج معماري فريد، يتجلى في الإبداع والأصالة والإتقان والبراعة في التخطيط وأساليب التزيين والزخرفة، فضلا عن القدرة على المزج بين هذه العناصر وتحقيق الانسجام التام فيما بينها.

وقد اضطلع القصر في هذا الربوع قديما بوظائف عديدة وامتزج بشتى مستويات الحياة، حتى إنه ما من سبيل لفهم المجال الواحي في المغرب والإحاطة بماضيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعمراني إلا بتمثل ما كان للقصور من أدوار، ووضعها في سياقها الحضاري والإحاطة بمختلف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية والثقافية.

وظل الطراز العمراني لقصور وقصبات تافيلالت بخصائصه الفنية صامدا لفترة طويلة، رغم تغير الظروف والأحوال، لكن عمارة القصور تواجه اليوم مجموعة من الأخطار الحقيقية التي حولت بعضها إلى ركام طيني، يمكن إيعاز أسبابها للعوامل الطبيعية والبشرية، وإلى غياب الوعي بأهمية التراث العمراني والسعي وراء التطور الاجتماعي والاقتصادي، تحت مسوغات التحضر والتطور والبحث عن المتانة، دون إدراك ما يترتب عن ذلك من إضعاف وإهمال للموروث المعماري التقليدي، الأمر الذي يستدعي توثيقه، والحفاظ عليه وتأهيله ليتلاءم مع ظروف العصر والتحولات الحضارية المستمرة، بطرق علمية مدروسة من حيث استعمال مواد وطرق البناء التقليدية والمحافظة على الطابع الأصيل لهذا المعمار دون تشويه لمميزاته، حفاظا على الذاكرة والهوية من جهة، وتثبيتا لخصوصياته الثقافية والاجتماعية والحضارية من جهة أخرى، لجعلها رافدا للتنمية المحلية.

وقد كان للقصور بمنطقة تافيلالت أهمية كبرى، كمراكز عمرانية عايشت مدينة سجلماسة، وورثت عنها دورها الاقتصادي والسياسي والديني والفكري. كما كان لتباين مراحل تأسيسها أيضا والأدوار التي اختصت بها أثناء أو بعد انهيار سجلماسة، أثر على اختلاف هذا النمط المعماري الذي يبدو متشابها في ظاهره، لكن البحث في تفاصيله يؤكد أن هناك اختلافا وتنوعا في أصوله وتكويناته وطابعه ووظائفه.

وبالرغم من هذه الأهمية؛ لم يحظ موضوع عمارة القصور والقصبات بهذه المنطقة بالعناية الكافية وظلت رهينة الجهل أسيرة النسيان، حتى استهوت العلماء المستشرقين أوائل القرن العشرين، وإليهم يرجع فضل السبق في البحث في عمارة القصور التي توسم بصورة من الصور في نظر بعضهم بالهامشية. فقد أشار "هنري تيراس" (Henri TERRASSE)[1] ضمن أولى الأعمال التي أفردت لهذا النمط من العمارة إلى أن ما دفعه للقيام بدراسة ما سماه: "بالعمارة البربرية الهامشية" هو التعريف بها في ضوء شح إشارات المصادر التاريخية إليها، وتغاضي الدارسين المحدثين عن البحث فيها. لكن الوضع تغير نسبيا وحظي موضوع القصور بمزيد من الأبحاث بعدما نبه الباحث

[1]-Terrasse(Henri), Kasbas berbères, de l'atlas et des oasis: les grandes architectures du Sud marocain, Paris, édition. Horizons de France, 1938.p 7.

"تيودور مونو" (Théodore MONOD)[2] منذ سنة 1948 إلى ضرورة اهتمام الباحثين بالتراث المعماري للقصور.

ومنذ هذا التاريخ تزايد الاهتمام بدراسة القصور والقصبات[3] من طرف الباحثين الأجانب في تاريخ العمارة، لكنه انحصر في إطار الدراسة الوصفية وتحليل النواحي المعمارية والفنية مع تقديم وصف لمواد وتقنيات البناء، وبقيت قاصرة عن استثمار ما تتيحه النصوص المحلية من معطيات تاريخية تتعلق بالعمارة التقليدية لهذه القصور. كما أن بعضها لم يرتكز على دراسات ميدانية مباشرة، مما أوقع بعضهم في مزالق وأخطاء أبعدتهم عن فهم تلك الآثار واستقراء خصائصها الصحيحة.

ولئن كان إسهام المؤرخين والأثاريين المغاربة في دراسة التراث المعماري لهذه القصور بدا غائبا، إلا أنه ابتداء من العقدين الأخيرين من القرن العشرين، بدأ الاهتمام يتزايد خصوصا من طرف الباحثين بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية بالرباط، والمعهد الوطني للتهيئة والتعمير[4]. وتطرقت بعض الدراسات لعمارة القصور في شكل مقالات[5]، أو مباحث ضمن أعمال ارتبط

---

[2]- Monod (Théodore), «Sur quelques constructions anciennes du Sahara occidental» Extrait de Bulletin de la Société de Géographie et d'archéologie d'Oran, Tome,71. p 30.

[3] - من هذه الأبحاث نذكر:

-Jacques-Meunié (Djinn), Le Maroc saharien des origines à 1970, Paris, édition, c. klincksieck, 1982.

- «sur l'architecture du Tafilalet et Sijilmassa (Maroc saharien)» ,Comptes Rendues de l'Académie des Inscriptions des Belles Lettres, Avril-Décembre 1962 , Paris, Librairie c. Klincksieck, Décembre 1963, p 132-146.

- Jacques- Meunié (Djinn) et Meunié (Jacques), «Abbar, cité royale du Tafilalet ». Hespéris. Tome, XLVI, 1et 2 trimestre, 1959, p 7-72.

3- Hensens (J), «Habitat rural traditionnel des oasis présahariennes. Le qsar : problèmes de rénovation », Bulletin Economique et Sociale du Maroc, N 114, Juillet- septembre, 1969, p 83-104.

- Margat, (Jean) , « Données sur l'habitat au Tafilalet», Notes Marocaines, N 11-12/1959, p 49-55.

[4] - من أبرز هذه الأعمال:

- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992.

- Aba (Sadki), Urbanisme et conservation du patrimoine culturel présaharien cas des ksours du Tafilalet, mémoire de troisième cycle, Institut National d'Aménagement et d'urbanisme, Rabat, 2003.

[5] - نذكر منها:

موضوعها بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لسجلماسة، أو الجنوب الشرقي بصفة عامة[6]. لكن تبقى أهم دراسة أنجزت في الموضوع، تلك التي قام بها الباحث "عبد القادر شلخون"[7] حول الكتابات المنقوشة، وهو أول عمل أكاديمي ارتبط مباشرة بعمارة زيز الأسفل، حيث قدم جردا للنقوش الكتابية بهذه المعالم، معتمدا في ذلك على منهجية تصنيفية حسب المقاطعات والمعالم وطبيعة الموضوع المكتوب ومادة الكتابة ونوعية الخط، إضافة إلى تحليل مضمون هذه النقوش.

وفي إطار الكشف عن عمران سجلماسة قدّم الباحث "لحسن تاوشيخت"[8] أطروحة يروم من خلالها الكشف عن عمران المدينة من خلال الكتابات التاريخية والبحث الأثري، في الفترة الممتدة من تأسيس سجلماسة إلى سقوطها، معتمدا في ذلك على الأبحاث الأثرية التي أجريت بالمدينة في العقود الأخيرة، وقد قدم في الفصل الخامس[9] من عمله معلومات مهمة عن قصور تافيلالت، خصوصا في الفترة العلوية، أراد من خلالها فهم عمران سجلماسة، وقد كانت استفادتنا منها كبيرة خصوصا الدراسة المعمارية التي خص بها بعض القصور.

هكذا يتبين أنه على الرغم من أن ظاهرة القصور قد أثارت اهتمام الباحثين المغاربة والأجانب على اختلاف تخصصاتهم، إلا أن هذه الدراسات لم تتعد الوصف المعماري لبعض النماذج، كما أنها لم تركز على الجوانب التاريخية للقصر، أو دراسة التأثيرات

- لحسن تاوشيخت، "المنجزات العمرانية للسلطان مولاي إسماعيل بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، دجنبر 1990، دارالمناهل للطباعة والنشر، 1991، صص187-190.

- "المنجزات العمرانية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة، دجنبر 1991، الرباط مطابع الأمنية، صص 393-419.

- "المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الخامسة، دجنبر 1993، الرباط، دار المناهل للطباعة والنشر،1996، صص 200-224.

- "القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت"، ندوة السلطان مولاي إسماعيل، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، مارس 1995، مطبعة فضالة المحمدية، صص 109-141.

[6] - حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997، صص 113-129.

[7] - Chalkhoun (Abdelkader), Épigraphie monumentale des oratoires et palais de sud –Est Marocain XV – XVIII siècles, Thèse de doctorat en Histoire de L'art, III Tomes, Toulouse , 1995.

[8]- لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008، جزءان.

[9]- المرجع نفسه، صص447-597.

المتبادلة بينه وبين محيطه، كما أنها شملت عددا ضئيلا من تلك المنشآت العمرانية مقارنة بالعدد الهائل الذي تزخر به المنطقة. ولم تقدم إحصاء وتصنيفا وتوصيفا شاملا لجميع القصور التي ظهرت في الواحة، كما أنها لم تطرح إشكالية المقارنة بينها، ولم تقف عند التطورات العمرانية التي عرفتها ولم تشخص وضعها الحالي أو تقترح آليات وطرق حفظ هذا التراث.

بناء على ذلك، فإن منطقة تافيلالت لا تزال أرضا بكرا ومجالا خصبا للباحثين؛ فالقصور والقصبات تعد أحد أهم مظاهر التراث المادي الذي تزخر به المنطقة، فهو نتاج لتفاعل مدخلات عديدة لذلك يجب أن ندركه في سياقه التاريخي، وقراءته وفق طبيعة المنظومة الفكرية التي أنتجته، وانطلاقا من الخصوصيات البيئية من مناخ وتضاريس وتربة وغطاء نباتي، ومظاهر اعتماده عليها وتفاعله معها، والعلاقات السياسية السائدة، وطبيعة العلاقة بين الفئات الاجتماعية، ومظاهر الانفتاح على الآخر، بالإضافة إلى الجانب الوظيفي للقصور والقيم الثقافية والمضامين الدينية ومدى تأثيرها على شكل وأسلوب المنشآت وعلى معمار القصور.

ومن هذا المنطلق، فإن هذا الكتاب يعد مدخلا لوضع القصور في سياقها الحضاري والإحاطة بمختلف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية والثقافية، كما يهدف إلى ترسيخ الوعي بأهمية التراث العمراني للقصور والقصبات؛ لما له من بعد إنساني وثقافي وحضاري، وإلى التنبيه لضرورة وأهمية دراسته بمنهج علمي وتوثيقه*، والحفاظ عليه وإعادة تأهيله ليتلاءم مع ظروف العصر والتحولات الحضارية المستمرة، ومعالجة الإشكاليات العلمية المرتبطة به والتي مازالت عالقة، انطلاقا من جرد المنشآت المعمارية التراثية للمنطقة، والتعرف على مكوناتها المعمارية واستعراض خصائصها العمرانية والمعمارية، وتحليل العوامل البيئية والمناخية التي ساهمت في تشكيل نسيجها العمراني، للتعرف على حيثياتها ومكنوناتها والمساهمة في تأصيل قيمها الحضارية والثقافية والعمرانية وما يرتبط بذلك من عناصر عمرانية ومعمارية ولمسات فنية وزخرفية،

*- عملية التوثيق المعماري: هي إحدى عمليات البحث العلمي من حيث إنه عملية تسجيل الحقائق والمعلومات عن طريق وصف كل عنصر من العناصر التي يتكون منها المبنى ورفعها وتصويرها، بهدف الرجوع إليها عند إجراء عملية الترميم، وعلى قدر دقة البيانات يتوقف مستوى دقة المحافظة على المباني التراثية.

تهدف إلى فهم هذا النمط العمراني* المتمثل في القصور والقصبات وإبراز أوجه الشبه والاختلاف بينها، بهدف استخراج المعايير الواضحة لتصنيفها، وتبيان الدور الوظيفي لها، وذلك من خلال ربطها بالمعطيات الطبيعية والبشرية والاقتصادية والسياسية.

كما تهدف هذه الدراسة أيضًا إلى إلقاء الضوء على البعد المقارن بين تخطيط هذه النماذج وتخطيط مثيلاتها في واحات بلاد المغرب؛ لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف فيما بينها، ومحاولة تفسير هذه الجوانب، ولاسيما أنها تخضع لنفس العوامل والمؤثرات البيئية والمناخية.

تأسيسا على ماسبق، نشير إلى أننا سنعرض للجوانب العمرانية والمعمارية لقصور وقصبات منطقة تافيلالت في إطار زمني محدد بفترة انهيار سجلماسة أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، إلى نهاية القرن العشرين الميلادي.

واختيارنا لهذه المرحلة يرتبط أساسا بما عرفته القصور من تغيرات على المستوى العمراني والمعماري في ارتباط مع الظروف السياسية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة؛ إذ ان المرحلة الأولى تزامنت مع انهيار سجلماسة[10]، بعدما عرفت تراجعا اقتصاديا وسياسيا قبل هذه الفترة وانتقال سكانها إلى القصور التي شيدوها، حاملين معهم أدوات عملهم ومهاراتهم في الصناعة والحرف. وبذلك فهي مرحلة انعطاف في عمران المنطقة، من هيمنة السكن الحضري إلى هيمنة السكن القصوري (نسبة للقصر) الملتف حول مدينة سجلماسة المندرسة، وبذلك فإن حلول نمط القصور الصحراوية بهذا المجال محل التقاليد الحضرية المرتبطة بالاستقرار التجاري شكل - من وجهة نظرنا - تراجعا واضحا في مستوى التحضر الذي بلغته مدينة سجلماسة، وإن كنا ندرك أن انتشار نمط القصور على مدى واسع ببلاد المغرب ابتداء من القرنين 5هـ/11م و6هـ/12م كان قد

* - النمط العمراني: هو مجموعة من الخصائص البيئية والاجتماعية والاقتصادية التي تتفاعل فيما بينها فينتج عنها النمط أو الطابع العمراني الذي يتنوع بتنوع تلك الخصائص.

[10] - حول تاريخ وعوامل اندراس سجلماسة راجع:

- سعيد واحيحي، سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور 796هـ/ 1393م إلى أواخر القرن 11هـ/17م (دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس 2005-2006، صص 14-38.

- حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، مرجع سابق، صص 438-444.

أملته ظروف استثنائية ترتبط بعدم استتباب الأمن، جراء زحف قبائل بني هلال إلى بلاد المغرب.

ومن الواضح أن العديد من القصور بمنطقة تافيلالت تتنزل في ذات السياق التاريخي، كما أن اندثار سجلماسة جعل بعض القصور تستفيد من الإرث الحضري الذي كان التجار قد أرسوه بسجلماسة، وأن تفرض نفسها على باقي التجمعات السكنية، بل شكل بعضها صورة مصغرة للمدينة قادت الأحداث التاريخية في تافيلالت. هذا التحديد الزمني لا يمنع من العودة إلى المراحل السابقة للقرن الرابع عشر الميلادي، لكون المجال قد احتضن إلى جانب المدينة قصورا اشتهرت بأهميتها وعلاقتها بالمدينة.

أما الفترة الأخيرة، أي نهاية القرن العشرين، فشهدت خلالها المنطقة توقفا لعملية بناء القصور*، وظهر إلى جانبها النمط المعماري الحديث، ودخلت القصور في مسلسل متسارع من التدهور، إثر تفكك هياكلها والنظم التي كانت تسيرها وتضمن استمراريتها. وهي الفترة التي بدأ فيها الاهتمام بالتراث المعماري للمنطقة وعرفت عمليات التدخل لترميم القصور.

أما الإطار المجالي فقد تم حصره في منطقة تافيلالت، أي الواحة الموجودة في أقصى الجنوب الشرقي، والتي تكونت بالقرب من مجرى وادي زيز وغريس، والتي احتضنت في الماضي مركز سجلماسة، وتمتد من قصر أولاد الزهراء شمالا إلى جبل بومعيز جنوبا، ومن واد امربوح شرقا إلى وادي غريس غربا. وهو بذلك يخالف مصطلح تافيلالت بمفهومها الواسع، والذي يطلق على مجموع الواحات التي تنتشر على ضفاف نهري زيز وغريس وتحمل كل واحدة اسما خاصا (مدغرة، الرتب، تيزيمي، الجرف)، أو على إقليم سجلماسة عموما.

أمام هذا التباين المجالي وشساعة المنطقة بمفهومها الثاني وتناثر القصور فيها وصعوبة حصر حدودها، اقتنعنا بضرورة الاقتصار على المجال المحيط بمدينة سجلماسة، حتى يتسنى لنا القيام بالدراسة الميدانية والعمل الوصفي التوثيقي، والتعمق في تحليل العناصر المعمارية للقصور، كما أن هذا المجال هو الأكثر احتضانا للقصور

* - تجدر الإشارة إلى أن القصور التي بنيت منذ النصف الثاني من القرن العشرين تختلف من الناحية العمرانية عن قصور المنطقة، إذ إن غالبيتها عبارة عن تجمعات من منازل بسيطة لا يحيط بها سور.

ذات العمق التاريخي والاقتصادي والسياسي والديني، فقصور هذه المنطقة تأثرت بمجريات الأحداث الخارجية والصراعات الداخلية، واستفادت من الأدوار التي كانت تقوم بها سجلماسة، بل هي نموذج مصغر لها، وهو ما سيمكننا من تتبع آثار ذلك على عمرانها.

لذلك، فدراستنا للتراث المعماري للقصور والتي أردناها محدودة في الزمان والمكان ستركز على معالجة إشكالية مركبة: يرتكز شقها الأول على استحضار جوانب متعددة من تاريخ القصور الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي، بما يمكننا من توضيح مختلف أبعاد هذا التراث المعماري وفهمه على الوجه الصحيح، ولذلك فإن دراسة السياق التاريخي الذي اكتنف ظهور القصور وازدهارها وتراجعها يستوجب التساؤل عن الأصول التاريخية لهذا النمط المعماري والأسباب والعوامل التي كانت وراء ذلك، فهل بني خصيصا لحماية منتجات القبائل أو لحماية أنفسهم، ثم تطور مع مرور الزمن حتى أصبح تجمعا عمرانيا قائما بذاته؟ أم أنه شيد ليكون محطة للقوافل التجارية؟ وما هي التطورات التي عرفها؟ وما طبيعة البنية البشرية المنتظمة داخل القصور، وأسس التنظيمات الاجتماعية والسياسية التي تبنتها ساكنة القصور؟ وما هي مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية بها؟ وما علاقة قصور تافيلالت بالأحداث السياسية التي عرفتها المنطقة؟

أما الشق الثاني، فيركز على استعراض الخصائص العمرانية والمعمارية للقصور والقصبات، وذلك من خلال الوقوف على تخطيطها ومكوناتها المعمارية، وعرض الأسس التي قام عليها هذا التخطيط، وتحديد المرجعيات التي ساهمت في تشكيل عمارتها، وأثر ذلك في أسلوب تخطيط مبانيها بنوعياتها المختلفة (دينية ودفاعية ومدنية)، وإبراز أهمية العامل الجغرافي في تكوين هذه العمارة؟ ودوره في تهيئة العوامل الأخرى التي أثرت فيها، مثل العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية؟ من خلال ربط الجانب النظري الفكري، بالجانب التطبيقي الميداني من واقع ما هو قائم في القصور الفيلالية؟

إن رصد الجوانب العمرانية والمعمارية لقصور تافيلالت، من شأنه أن يفضي بنا إلى إبراز أوجه الشبه والاختلاف بينها، وبالتالي سنقف عند إشكالية تنميط القصور الفيلالية

وتصنيفها إلى مجموعات، حسب العناصر والخصائص المشتركة، وإن كنا ندرك صعوبة هذه العملية من الناحية المنهجية، فمثل هذا العمل يتطلب دراسة إحصائية شاملة لقصور تافيلالت بجميع أشكالها ومكوناتها، كما يتطلب الإلمام بجميع عناصرها ومن كافة الجوانب، وهو ما نفتقده في الوقت الحالي*، لذلك فالمحاولة التي سنقوم بها ستركز أساسا على الوظيفة والتخطيط العام والمكونات العمرانية للقصر.

إن تحقيق أهداف هذا البحث تطلب منا اعتماد مقاربة متعددة التخصصات تزاوج بين التاريخ والانتروبولوجيا، ولاتخفى أهمية توظيف هذه المقاربات لدراسة ماضي هذه القصور والقصبات، ففهم التراث العمراني للقصور لا يتأتى إلا بالرجوع إلى التاريخ، بما يساعد على استبيان مختلف أبعاد هذا الإرث، وفهم السياق التاريخي الذي اكتنف إنتاجه ورصد ما لحق به من مؤثرات، فضلا عن المزاوجة بين فن العمارة وتاريخ الفن لدراسة تراثها المعماري.

ولمعالجة هذه الإشكالية المركبة اعتمدنا المنهج الاستقرائي عبر استنباط معلوماتنا من مصادر متنوعة مخطوطة ومطبوعة، إضافة إلى الرواية الشفوية والتحريات الميدانية واستثمار إفادتها في التفسير والبيان، فغالبا ما كنا نصادف ثلاث حالات تحيلنا إلى إشكالية التكامل أو التناقض بين المصدر الأثري والمصدر المكتوب، ففي أحسن الحالات كنا نحصل على معلومات ميدانية وأخرى مصدرية تهم نفس البناية، وفي حالات كثيرة نواجه ذكرا لمعالم لا أثر لها في الميدان، وفي حالة ثالثة نواجه معلومات مصدرية مناقضة للواقع. كما اعتمدنا المنهج المقارن وذلك لمراعاة معاصرة المؤلف للأحداث وزيارته للمنطقة والمصادر التي استقى منها معلوماته، ومقارنة ذلك بالأدلة الميدانية، والرواية الشفوية.

إن دراسة القصور تطرح إشكالات متعددة تستدعي اعتماد أنواع متنوعة من المصادر، كما أن طبيعة الموضوع والخاصية المحلية للمجال تتطلب استخراج كل

* - تتطلب الدراسة التنميطية للقصور التركيز على العناصر التالية:
- الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشأتها.
- الإلمام بالمعلومات التاريخية المتعلقة بها والمستمدة من المصادر التاريخية والرواية الشفوية مع التدقيق فيها.
- الدراسة العمرانية والمعمارية الدقيقة لكل القصور التي يشتمل عليها المجال المدروس.
- دراسة اشتقاق أسماء القصور -microtoponymie-لمعرفة العمق التاريخي للمكان.

العناصر التي ضمتها هذه المصادر والمنتمية لحقل البناء والعمران، علما بأن التكوينات المعمارية هي تجسيد وامتداد لأبعاد حركة المجتمع برمته.

وتعد الوثائق المخزنية مصدرا بالغ الأهمية بالنسبة لموضوعنا على الرغم من الصعوبة التي تطرحها قراءتها وفهم مضامينها، أحيانا بسبب لغتها العامية أو رداءة الخط الذي كتبت به، أو لتعرض أجزاء منها للبتر، أو لكونها ردا على رسالة سابقة لم نهتد إليها، مما يجعلها تفتقد جزءا من فائدتها، ومع ذلك، فقد سجل لنا بعضها معطيات مهمة حول سير أعمال البناء ببعض القصور، وصوائرها، وتقارير أمناء البناء التي كانت ترفع إلى السلطان عن تفاصيل البناء بالقصور المخزنية، وأسباب تدهورها وعمليات الترميم والإصلاحات المنجزة، كما أفادتنا في التعرف على مواد البناء واليد العاملة المساهمة في إنجازه.

على أن أهم إفادة في هذا الصنف مفادها أن عملية بناء بعض القصور المخزنية كانت تخضع لتصميم مسبق، كما تكشف بعض الوثائق النقاب عن التعديلات التي تلحق بالنسيج العمراني للقصر. ومن أنواع هذه الوثائق التي أمكننا الحصول عليها بالخزانة الحسنية ومركز الدراسات والبحوث العلوية نذكر:

- رسائل تضمنت أجوبة عن رسائل إخبارية توصل بها السلطان عن سير أعمال البناء أوحاجياته، وصوائره، أو التعرضات التي تعيق سيره والأضرار التي قد تلحق به والترميمات التي ينبغي القيام بها.
- رسائل عبارة عن أوامر يجب تنفيذها طبقا لإرادة السلطان أو خليفته.
- رسائل إلى شيوخ الزوايا حول التوقير والاحترام والهدايا.
- وثائق تطلع السلطان عن أخبار تافيلالت لاسيما ما يتعلق بالقبائل وأحوال البلاد عامة[11].

إضافة إلى الوثائق استقينا معلومات مهمة من مخطوطين أساسيين أولهما: مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء لمولاي الزكي بن هاشم العلوي، وكانت إفادتنا منه فيما يرتبط بذكر القصور التي استوطنها الشرفاء العلويين، وقد عد كثيرا منها، بعضها اندثر

[11]- راجع الملحق الخاص بالوثائق.

وبعضها لايزال، كما قربنا من جملة المضايقات التي تعرضت لها الأسر الشريفة ودفعتها للانتقال إلى واحة مدغرة. وأيضا عن الوضع السياسي والاجتماعي في المنطقة مع مطلع القرن السابع عشر الميلادي.

أما المخطوط الثاني فهو شبيه بالمخطوط السابق، فهو يستعرض أسماء أبناء وحفدة المولى علي الشريف والقصور والقصبات التي سكنوها، وأسماء بعض صلحاء المنطقة، لكن الملاحظ أن هذه الإشارات تخلو من التحديدات المجالية والتاريخية[12].

وقد شكلت كتب الجغرافيا والرحلات والمصادر الإخبارية أهم المصادر المدونة لتاريخ هذه القصور والقصبات، فمن المعلوم أن التاريخ المنوغرافي لا يجد مادته الغزيرة إلا في مثل هذا الصنف من المصادر، ويأتي في مقدمتها "المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل بن الشريف" لابن زيدان[13]، و"الاستقصا" للناصري[14]، و"وصف إفريقيا" للوزان[15]. و"إفريقيا" لمارمول[16].

إن هذه المصادر أفادتنا بما أورده أصحابها من معلومات عن قصور تافيلالت، والمرتبطة بذكر تلك التي شيدها السلاطين، أو تلك التي هدمت أو حوصرت لسبب من الأسباب، أو ذات الأهمية أثناء زيارتهم أو كتابتهم عن المنطقة، رغم إغفالهم للوصف المعماري للقصور[17].

[12]- مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة احمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن احمد العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999، ج1، ص 84.

[13]- عبد الرحمان ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة اديال، ط1، 1993.

[14]- أبو العباس احمد خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء دار الكتاب، 1956، الأجزاء، 4 -6-7-8.

[15]- محمد بن الحسن الفاسي الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق وترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط الشركة المغربية لدور النشر المتحدة، 1982، جزءان.

[16]- مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، احمد التوفيق، احمد بن جلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، مطابع المعرفة الجديدة، الرباط، 1988-1989، ج3.

[17]- يرى ناصر الرباط أن الإهمال النسبي للعمارة في الكتابات التاريخية عائد إلى شروط تعليم وتدريب هؤلاء المؤرخين أنفسهم الذين انتموا جلهم لمجموعات العلماء والأدباء والكتاب، راجع: ناصر الرباط، "مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية في القرون الوسطى" عالم الفكر، المجلد 34 ابريل، يونيو، 2006، ص 11.

وبما أننا ندرس تاريخ القصور بمنطقة تافيلالت فقد أولينا اهتماما لكتب التاريخ العام رغم عدم اعتنائها الكبير بالمنطقة مقارنة بالمناطق الشمالية والوسطى للبلاد، ومن هذا الصنف نذكر كتابات كل من الصغير الإفراني، ودييكو دي طوريس.

وتبقى الرواية الشفوية من اهم المصادر التي اعتمدناها، رغم ما يثار حولها من تحفظات وما تطرحه من صعوبات منهجية، إذ يتطلب التعامل معها التحلي باليقظة والحذر، لذلك اتبعنا إزاءها منهجا يقوم على تكرار نفس السؤال مع كل زيارة ميدانية، وكذا طرح السؤال على أكثر من فرد، وكان تركيزنا على الأشخاص المسنين الذين غالبا ما نجدهم عند أبواب القصور، ولعل أكثر المعلومات التي يحتفظ بها هؤلاء ترتبط بالفيضانات وتهديم السواقي والقصور، والمعارف والمهارات المرتبطة بالبناء، وكذا أسماء القصور والأضرحة التي عثرنا على أطلالها ولم تسعفنا المصادر في التعرف عليها.

وشكل العمل الميداني ركيزة أساسية في موضوعنا، إذ سمحت لنا زياراتنا المتكررة للقصور من التعرف عن كثب على هذه المنشآت العمرانية ومشاهدة كل المعالم التي تحدثت عنها المصادر، للوقوف على إمكانية التكامل أو التناقض بين المصدر المكتوب والأثري، كما أن بعض المعالم - وهي كثيرة - ذكرتها المصادر لكن لم نعاين لها أثرا. واقتضت طبيعة الموضوع أخذ الصور الشمسية والقيام برفوعات ومقارنة تصاميم القصور واتجاه مداخلها وشبكة أزقتها، ووحداتها السكنية وزخارفها، وتشخيص حالة المباني بها.

إلى جانب الدراسات ذات الارتباط بموضوعنا، اطلعنا على تلك التي أنجزت حول الواحات المجاورة لمنطقة تافيلالت[18]، رغم اهتمامها بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، نظرا لاعتمادها على الوثائق المحلية في دراسة مجتمعات يسكن أغلبهم

[18] - نذكر من هذه الدراسات:
- احمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996، جزءان.
- احمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17، مطلع القرن20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطية، 1994.
- احمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، 1988.
- محمد أعفيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 70، الطبعة الأولى، 2014.

القصور، وقد استعنا بهذه الأعمال في إطار الدراسة المقارنة، وتبقى أهمها دراسة "العربي مزين"[19]، الذي اعتمد على وثائق محلية، فقدم أطروحته التي وضح فيها التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مجتمع القصور، وذلك من خلال ثلاثة اعرف لزاوية أسول، وعرف قصر الكارة، وهي أول مساهمة اهتمت بمجتمع القصور بالمجال الواحي، ورغم أن مجال دراسته غير الذي نبحث فيه، إلا أن الاستفادة منها كانت كبيرة لتغطية النقص في الوثائق المحلية المرتبطة بمجال دراستنا. ولانجاز هذه الدراسة فقد تم تقسيم البحث إلى مايلي:

مقدمة عرفنا من خلالها بأهمية الموضوع وإشكاليته، ومنهجية العمل. يليها الباب الأول لتحديد الإطار الجغرافي والسياق التاريخي لتشكل وتطور القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت، وفي الفصل الأول منه وقفنا عند بعض المحددات لضبط مصطلح القصر والإشكاليات المرتبطة بدراسته، وفي الفصل الثاني قمنا بتسليط الضوء على العوامل المؤثرة في نشأة وتطور عمارة القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت، من منطلق أن هذا التراث المعماري هو نتاج لتفاعل مدخلات عديدة، وأن فهمه يستدعي في المقام الأول استحضار الإطار الطبيعي الذي نشأ وتطور فيه، وفهم المرجعيات التي ساهمت في تشكيل هذه العمارة والعوامل المتحكمة في تخطيطها وتحديد مكوناتها المعمارية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على جوانب متعددة من تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي والتجاري بما يمكننا من استبيان مختلف أبعاد هذا التراث، وفهمه على الوجه الصحيح. لذلك وجب علينا أن ندركه في سياقه التاريخي، وقراءته وفق طبيعة المنظومة الفكرية التي أنتجته، وانطلاقا من الخصوصيات البيئية من مناخ وتضاريس وتربة وغطاء نباتي، ومظاهر اعتماد عليها وتفاعله معها، والعلاقات السياسية السائدة، ونوعية الفئات المكونة للمجتمع، بالإضافة إلى الجانب الوظيفي للقصور والقيم الثقافية والمضامين الدينية ومدى تأثيرها على شكل وأسلوب المنشآت وعلى معمار القصور والقصبات.

[19] -Mezzine (labri), le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles, publication de la facultés des lettres et des sciences Humaines, Rabat, série thèse N,13, 1987.

أما الفصـــل الثالث فأولينا فيه أهمية للأصول التاريخية للقصور ونشأتها ومراحل تطورها بالمنطقة، ميزنا من خلالها بين القصور المعاصرة لسجلماسة وتلك التي بقيت أوظهرت بعدها، مستندا في ذلك على ما أمكنني جمعه من نصوص متفرقة والزيارات الميدانية.

أما الفصـــل الرابع فاهتم بالأحداث التاريخية التي عاشتها قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى النصف الأول من القرن العشرين، ركزنا فيها على الهجرات العربية وأثرها على وضعية القصور، وموقف المنطقة من الصراع الوطاسي السعدي وما رافقه من ثورات، وموقفها من الصراع السملالي العلوي، إضافة إلى تأثير سيطرة قبائل آيت عطا وآيت يفلمان على قصور المنطقة، وأخيرا علاقة هذه القصور بخلفاء سلاطين الدولة العلوية بالمنطقة.

وتمحور البـــاب الثانـــي بفصوله الثلاثة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ودورها في رخاء بعض القصور، فوقفنا عند مقومات اقتصاد القصور، والأسس التنظيمية لمجتمع القصر ودورها في تدبير الحياة اليومية بالقصر سواء تعلق الأمر بتدبير شؤونه العمرانية أو تدبير الاختلاف بين ساكنته أو محيطه، وتحديد مراكز التدريس وإسهامها في تنشيط الحركة الثقافية بالمنطقة أو خارجها.

أما الباب الأخير فانصب بفصوله الأربعة حول الجوانب العمرانية والمعمارية للقصر. فقد تطرقنا في الفصل الأول لتخطيط قصور تافيلالت ومكوناتها العمرانية والمعمارية، والأسس التي قام عليها هذا التخطيط، وأثر العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في ذلك. بينما خصصنا الفصل الثاني للمنشآت العامة بقصور تافيلالت، ميزنا فيها بين العمارة الدينية والدفاعية والمدنية، وركزنا على الوحدات السكنية من خلال دراسة تصاميمها ومكوناتها وإبراز خصوصياتها المعمارية وعناصرها الزخرفية، اقتناعا منا أن المسكن هو الوعاء الذي يعكس كثيرا من مظاهر حياة سكان القصور، وتفاعل المؤثرات الدينية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية، وطرق البناء المحلية، ومواد البناء المتوفرة، وتعدد أساليبها، تبعا لحالة مالكها الاقتصادية والاجتماعية.

أما الفصـــــــــل الثالث، فتناولنا فيه مواد البناء والزخرفة وكيفية استعمالها، بالإضافة لعرض وتحليل السجل الزخرفي المرتبط بهذه العمارة خصوصا الكتابات المنقوشة على مختلف الحوامل وبمختلف مضامينها. أما الفصل الرابع فيمكن اعتباره حصيلة الفصلين السابقين قمنا فيه بتصنيف القصور بالمنطقة انطلاقا مما توصلنا إليه من أوجه للتشابه أو الاختلاف بينها، على مستوى الوظيفة أو المكونات أو الخصائص المعمارية، وأهمية القصور ومكانتها، وكان هدفنا يتوخى رصد التباينات الكبيرة الموجودة بين القصور، من أجل اعتمادها كمعايير تنبني عليها محاولة التصنيف، فقدمنا هذه الأصناف من قصور الواحة، مبرزين في ذلك دوافع تأسيسها ووظائفها وتصميمها المعماري، وأرفقنا ذلك بجرد شامل للقصور المنتمية لكل صنف بناء على ما توصلنا إليه من المعايير التي وضعناها سلفا، وقد عززنا ذلك بخرائط وصور وتصاميم، أفضت بنا إلى توطين مجالي لقصور كل صنف. كما تضمن الكتاب خلاصة شملت أهم الاستنتاجات المتوصل إليها.

الباب الأول

الإطار الجغرافي والسياق التاريخي لتشكل وتطور القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت

الفصل الأول

القصر: المفهوم وإشكالية الدراسة والتنميط

تعد دراسة القصور والقصبات من المواضيع الجادة التي أصبحت تثير اهتمام الباحثين في مختلف التخصصات العلمية (التاريخ، والآثار والهندسة، وعلم الاجتماع، وغيرها...)، لذلك نرى أنه من الضروري في مستهل هذا العمل أن نخصص الفصل الأول لضبط المصطلح الأساس الذي يرتكز حوله موضوع الكتاب، وتتبع أراء المختصين في تحديد مفهوم القصر والمحددات التي اعتمدوا عليها، بالإضافة إلى الوقوف عند مختلف الإشكاليات التي تعيق البحث في هذا الموضوع، بهدف فتح مزيد من آفاق البحث للمهتمين، ولمراكمة مزيد من المعطيات التاريخية والمعمارية لهذه المعالم، وشدّ الإنتباه إلى المخاطر التي تهددها وإلى ضرورة إنقاذها ورد الاعتبار لها، والتعرف عليها في أوساط الباحثين ليس فقط كمباني وتراث معماري، ولكن كمؤسسات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فكل قصر أو قصبة يتطلب دراسة مفصلة، تروم تحديد أهميته التاريخية والمعمارية، فضلا عن التفكير في سبل حمايته ورد الاعتبار إليه وإدماجه في التنمية.

I - مصطلح القصر ومفهومه

إذا كان الباحثون لم يتوصلوا بعد إلى تعريف شامل لكلمة "مدينة" لاختلاف المعايير التي يستخدمونها، ولاختلاف المدن في حد ذاتها في الزمن والمكان، تبعا لاختلاف أنشطتها وحجمها، فإن الأمر نفسه نواجهه في تعريف القصر، فقد أظهر الدارسون الذين حاولوا تعريفه نوعا من الاختلاف حسب الزاوية التي ينظر منها كل باحث إليه، وقد تأثرت هذه التعاريف بمجموعة من المحددات الرئيسية، كالموقع (السهل أو الجبل) أو الشكل(مربع أو مستطيل...) أو الوظيفة (الأمنية أو الدينية أوالاقتصادية...) أو مواد البناء، كما تباينت وتنوعت دلالة الكلمة في المصادر العربية، بدءا من القواميس الجامعة للغة العربية إلى المصادر والمراجع التاريخية التي تناولت مجال انتشار القصور، فلم تقدم تعريفا موحدا، بل جاءت مختلفة حسب الزاوية التي ينظر منها كل باحث لهذه التجمعات العمرانية.

ونتيجة لذلك، وحتى نلم بالخصائص العامة للقصر، نرى أنه من الضروري تقديم عينة من هذه التعاريف؛ كما أوردها باحثون من تخصصات مختلفة وفي مجالات واحية متنوعة، لاستخلاص الملامح العامة والمحددات الأساسية للقصور الصحراوية بصفة عامة والفيلالية بصفة خاصة.

فالقصر لغة يعني البيت الفخم الواسع، وهو مقصور على ساكن واحد وأسرة واحدة، وقيل كل بيت من حجر قرشية، سمي بذلك لأنه تـقصر فيه الحرم أي تحبس وجمعه قصور[20]، ومنه قصر الملك، قيل سمي القصر قصرا لقصور الناس عن الارتقاء إليه أو عامة الناس عن بناء مثله، أو لاقتصاره على بقعة من الأرض بخلاف بيوت الشعر والعمد، أي لثباته في مكان يقتصر عليه ولا ينتقل كالخيام[21].

أما في القرآن الكريم فقد ورد ذكر القصر في عدة آيات: **"تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا"**[22]، وفي آية أخرى **"واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا"**[23]، وهي تعني ما شيد من المباني وعلا، وبعبارة أخرى كل بناية فخمة واسعة[24]. كما ورد إيضاح الفخامة في وصف القصر في موضع آخر من القرآن الكريم في قوله تعالى**"وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ"**[25]، حيث تدل مشيد على الفخامة والمغالاة في الزخرفة[26].

ويقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول في المصادر التاريخية حيث يقصد بالقصر مقر الخليفة أو الحاكم أو أفراد عائلته[27]، أو كل بيت فخم أو بناية فخمة واسعة يتخذها الأثرياء وأصحاب السلطة عادة، كما كان يطلق عليه في بداية العصر الإسلامي

---

[20] - ابن منظور، لسان العرب، مج 11، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، ص 186.

[21] - بطرس البستاني المعلم، محيط المحيـط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 738.

[22] - سورة الفرقان، الآية 10.

[23] - سورة الأعراف، الآية 73.

[24] - المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق بيروت، 1986، ط،21، ص 633.

[25] - سورة الحج، الآية 45.

[26] - يحيى وزيري، العمران والبنيان في منظور الإسلام، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2008، ص 62.

[27]- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،1963، ص 125.

كلمة بلاط[28]، حين اعتبر القصر آنذاك المكان المميز للطبقة الحاكمة. وهذا يختلف عن مفهومه في المناطق الصحراوية؛ فنطق كلمة القصر يكون بتفخيم القاف وسكون الصاد المهملة وراء مهملة أيضا، (**Gasr/Gsour**)، ومثل هذا النطق يبعده عن القصر المرادف للبلاط، بينما استعمل في مصادر أخرى للدلالة على النمط السكني الأكثر انتشارا ببلاد المغرب خلال فترة محددة من العصر الوسيط[29]، إلا أن الإشارات المقتضبة الواردة ضمن بعض هذه المصادر حول مفهوم القصر لاتمكن من صياغة تعريف دقيق وجامع لهذا المصطلح، فقد أشار الإدريسي[30] إلى إحدى القرى المغربية بقوله: "قرية صغيرة ذات قصور متفرقة". كما وصف ابن خلدون[31] توات وتكرارين وورجلان بقصور صحراء المغرب.

في ظل ضبابية هذا المصطلح، قدم مجموعة من الباحثين المهتمين بالدراسات الواحية تعريفات للقصر، لكن التعاريف التي وضعوها اختلفت حسب الزاوية التي ينظر منها كل باحث إليه، نظرا لتعدد نوعيات هذه المنشآت والمستقرات السكنية الصحراوية التي أطلق عليها اسم قصر، واختلافها من حيث الوظيفة والتخطيط العمراني والمعماري، فهناك قصور عبارة عن مستقرات سكنية محصنة، تنوعت مابين قصور للعامة وأخرى للخاصة. وقد انعكست هذه الجوانب وغيرها على هذه التعاريف.

فالقصر حسب ما استخلصه كل من"مونطاني"(Montagne)" ومونيي"(Meunié)[32] في تعريفهما وتحديدهما لقصور الواحات هو تجمع سكاني كبير، يخضع لتنظيم اجتماعي محكم (تاقبيلت)، ونمط بناء محلي تقليدي ذو بنية معمارية تكاد تكون واحدة، حيث الدور متلاصقة بعضها ببعض وفق ما فرضته ضرورات المناخ والمجال والتاريخ من أجل الاستقرار، ثم الدفاع والمواجهة والزراعة والتجارة، يحيط به سور قد

---

[28] - علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 16.

[29] - محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، الجزء الأول، منشورات جامعة تونس الأولى، 1999، ص 66.

[30] - الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق، روما -نابولي،1971، ص 109.

[31] - عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر، بيروت 1978، ج7، ص 98-99.

[32]- Montagne,(Robert), Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, Paris, 1930 . Et D. Jacques-Meunie, Architectures et habitat du Dades, Paris, 1962.

يكون مزدوجا، ويتوفر على باب رئيسي، والكل يسكن بداخله دون تمييز، وقد يكون الاختلاف داخل الأزقة أو التوزيع حسب الفخدات (إغصان).

واعتبر "غوتيه" (Gautier) القصر مدينة صحراوية، وذكر أن القصر لا يمكن اعتباره قرية بل مدينة مبنية بالطوب[33]، كما وظف الدارسون مفاهيم ومصطلحات شتى للتعبير عن هذه المنشآت، مثل: المدن الصحراوية، والمدن القديمة ومدن القوافل[34]. ونادرا ما وظفوا مصطلح قصر في عناوين أعمالهم الأكاديمية، وإن كان هذا المصطلح لايغيب عن الاستخدام في متنها. والحقيقة أنها لا ترقى إلى مستوى المدينة وتعقيداتها، لا من حيث الأهمية العمرانية أو الوظائف، فبقدر ما هناك أوجه تشابه بينهما، هناك أيضا أوجها للاختلاف[35]. بينما اعتبر "روبير كابوراي" (Capot-Rey)[36] القصر في الصحراء بأنه عبارة عن قرية محصنة، أو بالأحرى عبارة عن تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة.

وعرف أحد المهتمين[37] القصر بأنه الهيكل العمراني لمجموعة من الناس في موقع وموضع يتوفران على متطلبات تلك الفئة البشرية المتجانسة المترابطة في الدم والعقيدة والثقافة، حيث اجتمعت حول موارد أساسية، للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس ليس بالضرورة أن يكونوا من نفس طينتهم، ولكن لتوسيع الأمر النفعي الشامل لحياة كلا الطرفين، وهو الأمر الذي يفسر استعمال مصطلح قصر دون غيره من التسميات للتعبير عن اقتصار هذا النوع من التجمعات على أناس دون سواهم.

وعرفه أيوب عبد الرحمان، بأنه "الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا، والذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي، وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والطقوسية

---

[33]- Gautier (E.F). Le Sahara, Paris, Payot - collection "bibliothèque scientifique", 1928, 1923.p 174.

[34]- احمد مولود ولد ايدة، الصحراء الكبرى مدن وقصور، ج1، 2009، الجزائر، ص 155.

[35]- حول علاقة القصر بالمدينة وأوجه الشبه والاختلاف بينهما راجع، حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، م س، ص 32 – 39.

[36] - Capot-Rey (R). "Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara, le cas de Gourara", TIRS T14, Paris 1956, p 151.

[37] - محمد الطيب عقاب، مساكن قصر القنادسة الأثرية-دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، طبع في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 19-20.

والاجتماعية والتجارية، ووقت الحرب للاحتماء به عند هجوم العدو"[38]. فهو على هذا الأساس عبارة عن قرية محصنة، أو بالأحرى عبارة عن تكتلات سكنية متراصة ومتلاحمة فيما بينها تسكنها مجموعات بشرية مختلفة الأصول والأعراق، وأيضا طبقات اجتماعية متباينة، يشغل أحيانا مساحات صغيرة وأخرى كبيرة وتكون محصنة، أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة، بالإضافة إلى قربها من الأودية والواحات.

أما علي حملاوي[39] فحدد المميزات الأساسية التي تتجلى بالقصور الصحراوية والمتمثلة في وقوعها فوق قمم الجبال أو على سفوحها أو على هضاب صخرية صلبة، تسهل عملية الدفاع عنها وتمكن من استغلال عنصر الماء وتوزيعه بطريقة مضبوطة ومحكمة، كما تتميز بارتباطها الوثيق بالمجال الفلاحي، فهي تقع بالقرب من المجاري المائية والأراضي الصالحة للزراعة.

وهذا ما جعل أحد الدارسين يميز بين صنفين من القصور ببلاد المغرب انطلاقا من محدد يتعلق بمواقع القصور بالسهول أو الجبال، واعتبر أن الموضع الأمثل أن تقوم القصور على تل أو جبل منفرد أو في مرتفعات منزوية أو وسط سهول منبسطة، ويكون التل أو الجبل في تلك الحالة عاملا مساعدا على تحصين القصر ومراقبة الخطر الوافد إليه، من خلال رصد الحملات الغازية التي كانت تستهدف تلك القصور خلال فترات الاضطراب الأمني بما يسهل الدفاع عنها وتحصين الأنفس والممتلكات في الوقت[40]، ولعل أهم ما يميز قصور الجبل عن نظيرتها في السهل، اعتمادها على الموقع الوعر في عملية بحثها عن الخاصية الدفاعية، وعن مخزن آمن أيضا، وفيما عدا ذلك فلا يلاحظ أي اختلاف جوهري بين الصنفين[41].

فاعتبار القصر لايؤدي إلا الوظيفة الدفاعية، ليس سوى عدم فهم للوظائف العديدة والمعقدة التي يمكن أن يؤديها القصر، بل وجهل لتاريخه وتنظيمه الاجتماعي. نعم لقد أدت الظروف التاريخية التي اكتنفت ظهور القصور خلال العصر الوسيط إلى طغيان

[38]- عبد الرحمان أيوب، من قصور الجنوب التونسي، القصر القديم، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988، ص 131.
[39]- حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، م س، ص 18-19.
[40] - محمد حسن، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، الجزء الأول، م س، 1999، ص 66-67.
[41] - احمد مولود ولد ايدة، الصحراء الكبرى مدن وقصور، الجزء الأول، 2009 الجزائر، ص 157.

الوظيفة الدفاعية على هذه التجمعات نتيجة لعدم استتباب الأمن، وهو ما جعل القصر يحيل إلى المكان المحصن ويرتبط بالوظيفة الدفاعية، فأثرت هذه الوظيفة على شكله.

ويرى في هذا السياق "هنري تراس" (Henri Terrasse)[42] أن الحروب والغارات كانت ترغم بعض القبائل الأمازيغية جنوب المغرب الأقصى على بناء مساكنها على هيئة تحصينات مشيدة بالحجارة، وفي الغالب لايكون لهذه المساكن إلا مدخل واحد.

بينما ذكر "حافظي" أن كلمة قصر التي تقابلها كلمة الدوار والدشر في باقي مناطق المغرب الأقصى تستعمل للدلالة على السكن القروي في واحات وادي زيز ووادي غريس ودرعة. كما تستعمل بعض الكلمات الأخرى كمرادف لها، "كالقصبة" وكذلك كلمة "قصيبة" "وڭصيرة" التي هي تصغير للقصبة والقصر[43]. واشتق اسم القصر من معنى الحصانة والمناعة، ويقصد بها كل بناء مشيد عال مشرف، وهو نوعان: نوع يخصص للسكن ونوع لخزن المدخرات، كما يرد بلفظ التصغير على صيغتي المذكر والمؤنث، أي القصير والقصيرة، قلبت العجمة قافه جيما مصرية فصار ينطق على النحو الآتي: الڭصر والڭصير والڭصيرة، وله مرادفات لغوية منها القصبة، وتصغيرها بصيغة التأنيث القصيبة، وإغرم وتغرمت، ولا ترد كل هذه التسميات -في الغالب الأعم-إلا مضافة لإسم علم من المشاهير أو اسم جماعة من الناس[44].

كما عرف على أنه قرية محصنة بواحات الجنوب الشرقي المغربي، وقد جاء نتيجة تكييف السكان بصفة رئيسية مع ظروف البيئة غير المواتية للمنطقة، ومع قلة الإمكانيات الاقتصادية وعلاقات التوتر الاجتماعي الناتجة عن ذلك[45]. وهو مرآة تعكس علاقة الإنسان بمجاله الجغرافي ومعالم حياته في يسره وعسره، وهو صنف من السكن الذي تشتهر به الواحات الجنوبية الممتدة بين الأطلس وتخوم الصحراء بدأ بواد درعة الأسفل والأوسط ومرورا بتافيلالت حتى فڭيك، بل إن هذا النمط من السكن يجد استمرارا له

---

[42] -Terrasse (Henri) , Kasbas berbères de l'atlas et des oasis, op, cit. p 35-36.

[43]-حسن حافظي علوي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 114.

[44]- حسن حافظي علوي، واحات بلاد المغرب من ق 10/4م إلى القرن 8هـ/ 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 2005، ص912.

[45]- العربي مزين، "تافيلالت مهد الدولة العلوية" ضمن مذكرات من التراث مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي، ص 17.

على هوامش الصحراء الكبرى في كل من الجزائر وتونس وليبيا، ويمثل القصر نمطا معماريا فريدا من نوعه سواء من حيث الشكل أو المضمون[46].

ومن منظور الباحث "مزيان"[47]، فالقصر عبارة عن وحدة سياسية واجتماعية تنتظم داخله حياة جميع الأفراد والمجموعات، وهو بذلك جسم مستقل في الواحة يدير شؤونه الخاصة بمعزل عن أي تأثير خارجي. فيما أوضح "بنعبد الله"[48]، أن القصر قرية محصنة تتسم ببيئة منتظمة على وثيرة واحدة تندرج ضمن حصن له أبواب ضخمة، واستحكامات ركينة قائمة في زواياه.

وبناء على وظيفته عرفه "البوزيدي" بأنه مؤسسة للاستقرار تقوم بأدوار سياسية واجتماعية واقتصادية متداخلة[49]. وعرف بأنه تجمع سكاني مشيد من مواد صلبة ومحاط بسور تتمثل وظيفته الأساسية في الدفاع[50].

كما أن وجود أغلب القصور بالمناطق الصحراوية جعل الباحث "عبد اللوي" يربط هذا النموذج المعماري بالمجال الصحراوي، فاعتبره قرية ومسكنا يمتد في الصحراء على طول مجاري وينابيع المياه الجوفية، وأن المصطلح استعمل للدلالة على السكن القروي في واحات زيز ووادي غريس وكذلك وادي دادس ودرعة[51]، بينما ميز باحث آخر[52] بين نموذجين من السكن بمناطق الواحات الجنوبية فأشار إلى القلاع المحصنة (تغمرت) وإلى القرى المحصنة (القصور).

فالقصبة يرادفها اللفظ الأمازيغي "تغرمت" وجمعها قصبات أو "تغرماتين"، وهي تصغير لكلمة "إغرم" أو القصر، وهذا يعني أنها جزء من القصر، وهي سكن عائلي

46-محمد أيت حمزة، مادة القصر، معلمة المغرب، الجزء 19، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2000، ص 6638.

[47]- أحمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي، م س، ص 277.

[48]- عبد العزيز بنعبد الله، "القصبات والقلاع الإسماعيلية"، دعوة الحق، عدد خاص، مارس 1988، ص 112.

[49]- احمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17، مطلع القرن20 م س، ص 201.

[50]- Menesson (E), « Ksour de Tafilalet», *Revue de géographie du Maroc*, n°8, Rabat, 1965, p87.

[51]- احمد عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996، ج1، ص 212.

[52]-Pascon (Paul) , « Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc », in Revue de géographie du Maroc, n° 13, 1968 p 91.

محصن، ينتشر في عدد من مدن المغرب، تقطنها عائلة أو مجموعة من العائلات، قد تتخذ شكل مستطيل أو شكل مربع، تحاط بها أربعة أبراج، ويمتد إليها البناء مما يؤدي إلى امتداد المباني معها، وعادة ما تتوفر القصبة على مدخل واحد[53]. كما تطلق القصبة على الدار الكبيرة المبنية بالحجر، ذات الأبراج الأربعة في أركانها، وتتميز بموقعها حيث تكون تل عال أو هضبة تشرف على حوض مائي أو على واد، أو ممر تجاري.

ومصطلح إغرم مصطلح أمازيغي واسع الانتشار إذ نجد استعماله في مجال جغرافي يشمل مناطق تمتد جنوب الأطلس الكبير والجنوب الشرقي إلى الريف، كما أن استعماله عند بعض القبائل يتخذ صيغة المؤنث "تغرمت" للدلالة على المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة المتكون أحيانا من عدة طوابق، المخصص بعضها لخزن المواد الغذائية. أما صيغة المذكر إغرم فيحيط معناه الشاسع بالقرية المحصنة التي يطلق عليها اسم القصر المنتشرة خاصة على طول أودية درعة، تودغة، غريس، دادس وتافيلالت وغيرها. تمتاز هذه التجمعات ببنيانها المتراص والمحصن بسور أو سورين لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيس.

والجدير بالذكر أن مفهوم القصر قد يطلق على القصبة، مما يعني أن مصطلح القصر مرادف للقصبة، والعكس صحيح، هذه الازدواجية مردها إلى أن القصبة هي النواة الأولى للعمارة؛ بمعنى أن الأهالي سكنوا القصبة في بداية الأمر، ولما تزايد عددهم صار لزاما عليهم الانتقال من تجمع أقل إلى تجمع بشري أكبر[54].

إن المتمعن في التعاريف يدرك الصعوبة التي تواجه الباحث في تحديد وتدقيق المصطلح، كما أن التعريفات اعتمدت على دراسة حالة، ولم تشمل كل القصور المنتشرة في شمال إفريقيا لتقدم لنا تعريفا شاملا وتوحد المفاهيم، الأمر الذي نتج عنه تعدد وتضارب في وجهات النظر. جعلتنا نركز فيها على مجموعة من المحددات أولهما يتعلق بموقعها في السهل أو الجبل، وثانيهما مرتبط بالوظيفة الأساسية والتي انعكست على شكلها.

[53]- شمشير (فيصل)، مميزات عمارة القصبات وتكنولوجيا البناء في المغرب، مجلة تقنية البناء، العدد 18، وزارة الشؤون البلدية والقروية، الرياض، ص 7.

[54]- نور الدين بن عبد الله، العمارة التقليدية لمنطقتي توات والقورارة، القاهرة، 2013، ط1، ص 87.

كما وقفنا على جوانب من هذا التضارب في إطار مقارنة المصطلحات التي وظفتها المصادر التاريخية وتلك التي اعتمدتها المراجع الحديثة؛ فهناك من يرى أن القصر هو القصبة والرباط فيما تعني جميعها تحصين، لكن الحقيقة أن التسمية الأصلية لهذه التجمعات العمرانية بلسان البربر هو إغرم وقصر حتى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، بدليل ما ذكره البكري في حديثه عن ورقلة، وكذا ما ذهب إليه الشيخ أبو العباس، مع أننا نجد القصور ذات الغالبية الأمازيغية تحتفظ بتسمية إغرم أو أغرم مثلما هو الحال بالمغرب الأقصى وتوات وبعض القرى المندثرة في مزاب مثل أغرم نتلزضيت[55].

خلاصة القول، لم يكن في وسع أي باحث أن يضع تعريفا متكاملا للقصر، وأمام هذه التعريفات الجزئية يتحتم تحديد هذه المباني من خلال مرجعيتها التاريخية والأهداف والوظائف التي أنشـأت من أجلها، ومن خلال أشكالها ومواد بنائها ومواقعها، فالقصر له دلالته الجغرافية كما له دلالة اجتماعية واقتصادية، وهو بذلك ثمرة نظام سوسيو اقتصادي موجود في الواحات تتكامل فيه الجوانب الاجتماعية والاقتصادية بالجوانب العمرانية، ومن الصعب فصل جانب منها عن الآخر، حيث إن الجوانب الثلاثة هي المكونة للقصر، وإذا كانت النظرية التخطيطية في هذه الحالة تتعرض للنواحي العمرانية فليس ذلك إلا نتيجة لتفاعل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية وإفرازها للصورة العمرانية للقصر.

كتتويج لمناقشة التعاريف السابقة نقول: بأن القصر هو الوحدة السكنية الأساسية بالمجال الصحراوي، تسكنه مجموعات بشرية مختلفة الأصول والأعراق، وأيضا طبقات اجتماعية متباينة، تشترك في نظام الحكم السائد بداخلها أو بما جاورها، يشغل أحيانا مساحات صغيرة وأخرى كبيرة تمتد أفقيا وتكون محصنة، وذات علاقة مباشرة بواحة. يمكن أن نميز فيه بين صنفين رئيسيين قصور في السهل أغلبها محاط بأسوار، وقصور في الجبل تتميز بموقعها الوعر. وتتوفر في القصر بصنفيه خصائص متعددة؛ إذ كان من

---

[55]- محمد جودي، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص علم الآثار والمحيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2013-2014، ص 71.

اللازم أن يستجيب لحاجيات مجموعة من السكان تربط بينهم مصالح مشتركة، استجابة تتجسد في قيامه بمجموعة من الوظائف تتمثل في ضمان السكن للأسر وما تمتلكه من ماشية، وتخزين محاصيلها الزراعية، والدفاع عنهم وعن ممتلكاتهم، وتنظيم الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وكل هذا يستدعي هيكل عمراني محصن ومتوافق مع حياة وحاجيات السكان ومكان تواجده سواء في السهل أو الجبل لذلك اختلفت أشكاله وأحجامه ومواقعه، بل كانت محددا للتسميات التي تلحق بالقصور ، فهي بين "قصور جبلية" وأخرى "صحراوية"[56].

وقد أطلق على القصور تسميات مختلفة ارتبطت بعدة معاني ودلالات، وهذه الحقائق واضحة بشكل جلي بمجال دراستنا، فوجد القصر الذي ينسب إلى ولي صالح، باعتباره مؤسس القصر، أو يرجع له الفضل في لم شمل سكانه، (كزاوية الغازي)، كما يمكن أن تنتسب التسمية إلى الاتجاهات الجغرافية، (كقصبة الحدب الشرقية والغربية)، أو إلى القبيلة أو الفئة الاجتماعية التي تقطن فيه، (كقصر بني ميمون الأحرار)، أو (بني ميمون الشرفاء). كما ترتبط بقدمه أو حداثته أو بحجمه كبيرا كان أم صغيرا، (كقصر الجديد)، أو إلى صفة دالة على موقعه، (قصر الجبيل)، (القصر الفوقاني) أو نسبة إلى مادة بنائه (كقصر الجير).

II - القصر وإشكالية الدراسة والتنميط

تعرف واحات بلاد المغرب انتشارا واسعا للقصور والقصبات ذات القيمة التاريخية والأثرية والعمرانية، تكاد تشكل حزاما فاصلا بين المناطق الجنوبية حيث تكثر الكثبان الرملية وبين المناطق الشمالية ذات الأراضي الزراعية الخصبة، وكان لهذا التعدد والثراء والتنوع في أشكال هذه المنشآت أثره البالغ على الباحثين، خاصة المستشرقين منهم، وهو ما جعلهم يولون اهتماما كبيرا لدراسة القصور منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، باعتبارها حسب رأيهم، صورة لإبداع البربر الهندسي ونماذج حية للجغرافية

[56] - للمزيد من المعلومات حول محددات تعريف القصور الصحراوية راجع، احمد مولود ولد ايدة الهلال، مدن موريتانيا العتيقة، قصور ولاتة وودان وتيشيت وشنقيط، منشورات مركز الدراسات الصحراوية، 2014، ص 34-40.

البشرية والعمرانية البربرية[57]. وازداد الاهتمام بها خلال السبعينيات بنشر دراسات تميزت بالدقة والتركيز على جوانب مختلفة من القصر، مثل دراسة تاريخه منذ القديم والحياة اليومية التي تسود به، أو دراسة الجانب العمراني والمعماري له، وكذا محاولة تأريخه عن طريق النصوص التاريخية أو الدراسة النمطية المقارنة[58]. غير أن ما يلاحظ على هذه الدراسات هو أنها شملت عددا ضئيلا من تلك المنشآت العمرانية مقارنة بالعدد الهائل الذي يزخر به شمال إفريقيا، بينما لايزال الكثير من القصور بواحات بلاد المغرب، ينتظر من ينفض عنها الغبار، ليعاد لها الاعتبار وتحتل بذلك المكانة اللائقة بها، كما أن دراسات هؤلاء الغربيين لم يكن الغرض منها خدمة تاريخ وعمران هذه المنشآت، بقدر ما كانت ترمي إلى خدمة المستعمر من خلال معرفة أسرار وخبايا تلك المجتمعات.

وعلى هذا الأساس، سنتوقف عند أهم الإشكاليات التي تعيق البحث في موضوع القصور، بهدف فتح مزيد من آفاق البحث لتجميع المعطيات التاريخية والمعمارية لهذه المعالم، وإثارة الانتباه إلى المخاطر التي تهددها وإلى ضرورة إنقاذها ورد الاعتبار لها، والتعرف عليها في أوساط الباحثين، ليس فقط كمباني وتراث معماري، ولكن كمؤسسات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فكل قصر أو قصبة أو زاوية يتطلب دراسة مفصلة، تروم فضلا عن تحديد أهميته التاريخية والمعمارية، التفكير في سبل حمايته ورد الاعتبار إليه، وإدماجه في التنمية.

ومن الإشكاليات التي يجب التركيز عليها:

- إشكالية البحث في الجانب التاريخي والعمراني للقصور والقصبات بواحات بلاد المغرب.
- إشكالية التراث المعماري للقصور والقصبات وربطه بالتنمية.
- إشكالية التدبير التقني والقانوني لهذا التراث المعماري.
- إشكالية تنميط القصور والقصبات.

[57] - عبد الرحمان أيوب، من قصور الجنوب التونسي، م س، ص 130.

[58] - من هذه الدراسات التي تناولت بعض القصور نذكر:

-Montagne (Robert). Villages et kasbas berbères. Tableau de la vie sociale des Berbères sédentaires dans le Sud du Maroc Paris 1930.

-Jacques-Meunié (Djinn). et Meunié (Jacques). « Abbar cité royale du Tafilalt (Maroc présaharien)» , Hespéris, nº XLVI - 1-2e. ttre 1959, p 7-72

- Menesson (E), « Ksour de Tafilalet», *Revue de géographie du Maroc*, n°8, Rabat, 1965

1- إشكالية الدراسة

1-1. الجانب التاريخي

يتعلق الأمر بتحديد المراحل التاريخية التي شيدت خلالها القصور، والقبائل التي سكنتها، مع استحضار صعوبة الحصول على هذه المعطيات في المصادر التاريخية، وحتى إن وجدت فهي قليلة وتهم قصورا دون أخرى، فيما تكاد تكون منعدمة بالنسبة لأغلب القصور. فالمصادر التاريخية لاتمدنا بالكثير من المعلومات عن عمارة القصور، ما عدا بعض الحالات التي لفتت فيها هذه الأبنية نظر المؤرخين بعظمتها، أو بكبر مساحتها أوعدد سكانها أو أبنيتها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإفراني: أن قصر تابوعصامت حصن منيع من حصون سجلماسة[59]، أو ما أشار إليه الوزان من أن قصر "المأمون [قصر] كبير حصين كثير السكان"[60].

وبالرغم من هذه الإشارات المتفرقة، لم تتمكن مختلف الدراسات والبحوث المنجزة لحد الآن من تحديد تاريخ مضبوط لأصل هذه القصور والقصبات سواء باعتبارها مؤسسات قبلية قائمة الذات، أو نماذج معمارية فريدة. فالموضوع لايزال يثير أكثر من إشكالية، وحتى مجهودات وكتابات المستكشفين الأوربيين من جغرافيين واثنوغرافيين وغيرهم الذين حاولوا النبش في بعض الإشكاليات المرتبطة بالقصور والقصبات لم تقدم إجابات مقنعة، بحكم اهتمامهم بهذه المؤسسات ضمن حملات استكشافية منظمة، ركزت على الإطار الجغرافي الذي توجد به هذه المعالم المعمارية[61]، رغم أن البعض حاول البحث في أصول وأسباب ظهور هذه القصور والقصبات[62]، لكن غياب أدوات التحليل الكافية أحيانا؛ خصوصا ما يرتبط بتنوع مصادر المعلومات والتمكن من فهم كل المعطيات الثقافية والتاريخية والجغرافية للمنطقة، حال دون تحقيق الأهداف العلمية المنتظرة. وعلى الرغم من ذلك يبقى لهم السبق في الكشف عن جوانب كثيرة من تاريخ هذه المؤسسات

---

[59]-الصغير الافراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998، ص 234.

[60]- الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج 2، ص 126.

[61]-Jacques-Meunie (Dj), «Les greniers collectifs au Maroc», éd, Arts et Métiers Graphiques », 2 Volumes, 1952.p 190.

[62]-Montagne (Robert) «Un magasin collectif de l'Anti-Atlas. L'Agadir des Ikounka», Hespéris, 1929, p 145-266.

والتعريف بها. لكن يبقى باب البحث التاريخي والأثري مُشْرعا أمام الباحثين للمزيد من التعمق في كل ما له ارتباط بتاريخ هذه المؤسسات.

أمام هذا الوضع، فإن الرجوع إلى الوثائق المادية يبقى أمرا مهما، فهي تشكل مادة أساسية لدراسة الجوانب السوسيو - انتربولوجية في القصر في إطار دراسة تحولات البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني أو الاهتمام بمجتمع القصور من خلال دراسة خصائصه الاجتماعية والعمرانية والثقافية.

وتبقى الرواية الشفوية من بين المصادر التي يعد الرجوع إليها امرا حتميا رغم افتقارها إلى الدقة أحيانا أو تناقضها أحيانا أخرى، وهو ما لا يطمئن له الباحث كثيرا. كما أن العمق التاريخي لبعض القصور يجعل الباحث لا يعير اهتماما كبيرا للرواية الشفوية، وبذلك تبقى العديد من الأسئلة صعبة الإجابة وخصوصا المرتبطة بتاريخ ودوافع تشييد بعض القصور والأدوار التي كان تقوم بها.

2-1. الجانب العمراني

تحظى الإشكالية العمرانية بنفس أهمية الإشكالية التاريخية، ويقصد بها معرفة مراحل البناء التي مر بها القصر، فهل بني كتلة واحدة أم عرف امتدادا عمرانيا مع توالي الزمن وزيادة الساكنة، أو تطور مع وفود مجموعات بشرية عبر فترات زمنية مختلفة. وما هي الأجزاء الأصيلة من الأجزاء المضافة، ناهيك عما تعرضت له القصور من هدم وإعادة بناء بسبب العوامل الطبيعية والبشرية، إذ يواجه الباحث في القصور الصحراوية قصورا تحمل نفس الإسم مع إضافة كلمات من قبيل: "جديد" أو "قديم" - "فوقاني" أو "تحتاني" - "صغير" أو "كبير"، وهو ما يضع الباحث في حيرة، هل هو في إطار الدراسة الوصفية للمعلمة التي تحدثت عنها المصادر التاريخية أم لبناية شيدت مكانها في فترة متأخرة وتحمل نفس الاسم؛ خصوصا أن هذه المصادر لم تتجاوز أحيانا كثيرة حدود الانبهار بالعمارة أو بكلفة بنائها ولم تبدي رأيها فيها، أو إثارة النقاش في أمور تدخل في صميم الوصف المعماري والفني والتذوق الجمالي. فاستعملوا عند كتابتهم عن العمارة لغة يمكن

وصفها باللغة الوظيفية والوصفية وربما القيمية، ولكنهم نادرا ما استخدموا ما اصطلح على وصفه أحد الباحثين باللغة الجمالية أو اللغة المعمارية[63].

أضف إلى ذلك ما خلفته بعض الدراسات الأجنبية من أحكام متناقضة أحيانا، مما يعيق إمكانية القيام بدراسة مقارنة لقصور الواحات الصحراوية؛ فبالرغم من أن "هنري طيراس"[64] قد ميز بين مدارس معمارية وفنية مختلفة، وذكر "مدرسة درعة" و"مدرسة تافيلالت" على أساس فروق هندسية وخصوصيات تقنية وفنية ووظيفية في الفن المعماري للمنطقتين، إلا أن هناك من الباحثين من يرى عكس ذلك؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر لا يرى المبعوث الفرنسي "شارل دوفوكو" أي اختلاف يمكن أن يميز معمار قصور درعة عن معمار قصور تافيلالت، بل يؤكد على التشابه الواضح بينهما والذي يبلغ حد التطابق بين المعالم المعمارية والفنية لدرعة وتافيلالت وتودغة وفركلة وغريس وزيز، باستثناء ما أشار إليه من تفرد الفن المعماري لواحة غريس بالطابع الدفاعي الواضح والارتفاع البارز لأبواب القصور وأبراجها[65].

3-1. التراث المعماري للقصور وربطه بالتنمية

أصبح التراث المعماري في المجال الواحي يحظى بدراسات مهمة، متعددة المناحي والاتجاهات؛ لكونه تراث غني ومتنوع وفريد من نوعه، ولارتباطه الوثيق بالمجتمع والاقتصاد المحلي، وهي أسس مفهوم التنمية المستدامة، إلا أن السمة الغالبة لمعظم هذه المبادرات التنموية كونها تنطلق من مرجعيات مختلفة عن هموم الإنسان المحلي وحاجاته الأساسية، وتعتمد تصورات ومناهج عمل يغلب عليها الطابع التقني والبيروقراطي[66].

---

[63] - ناصر الرباط، مفهوم العمارة في الكتابة الإسلامية في القرون الوسطى، م س، ص 9.

[64] -Terrasse (Henri) , Kasbas berbères de l'atlas et des oasis, éd. Horizons, de France, 1938.

[65] - ينظر كتاب شارل دوفوكو"Reconnaissance au Maroc" ، طبعة Challamel، 1888، الفصل السابع، من الصفحة 218 إلى 238.

[66] - أبا صادقي، "إشكالية التدبير التقني والقانوني للتراث المعماري بمنطقة محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي (نموذج القصور)"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم 37، 2013، ص 196.

أما الدراسات الميدانية فيطغى عليها الطابع الأكاديمي التي تنتهي نتائجها إلى الركون في رفوف الجامعات ومراكز البحث، كما يغلب عليها الاقتباس والتكرار والأسلوب الوصفي، مع إغفال الأبعاد السوسيولوجية والرهانات الاقتصادية والسياسية لعلاقة المعمار بالمجال. هذه العيوب جعلت إشكالية مقاربة المعمار في الواحات عرضة لتفسيرات وتأويلات تفتقر إلى الدقة والعمق الكافيين لمقاربة أزمة الهوية التي تزداد حدتها في المجتمع الواحي[67]. فغالبية الأدبيات المتوفرة حول القصور والقصبات - خصوصا الأبحاث الجامعية - محدودة العمق وسطحية التحليل وقاصرة عن الإلمام بالرهانات الاقتصادية والسياسية والتنموية التي تحيط بأزمة الهوية الثقافية والمجالية، وتفتقر للمنظور النقدي والتحليلي وتغفل بسبب ذلك أبعادا كثيرة للمشكلات المعقدة التي تتصل بتدبير التراث المعماري[68].

وإذا كان من المؤكد أن التراث العمراني للقصور والقصبات أصبح ركيزة أساسية في التنمية، وجب التسريع بوضع استراتيجيات بهدف المحافظة عليه، لكن ما يؤسف له، أن الجهات المعنية ورغم شعورها بأهمية المحافظة على هذا التراث، وعملها على سن التشريعات التي تضمن الحفاظ عليه، إلا أن ذلك يسير بوتيرة بطيئة تجعله يعاني مزيدا من الضياع، ولم تضع آليات وطرق حفظه وتسييره لتحقيق التنمية.

نعم إن سؤال التنمية في المجال الواحي يتميز بالتركيب والتعقيد ويستوجب عدة مداخل ومقاربات لمعالجته، من بين هذه المداخل هي تثمينه والتعريف به وتجاوز المظاهر الثقافية المترسخة في المخيال الشعبي، والتي تعيق التنمية المحلية، وتغيير مقاربة استثمار التراث المعماري من خلال تبني المقاربة ذات البعد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، ووضع خطة مضبوطة ومتكاملة تبدأ من إعداد الدراسات العلمية حوله، مرورا بتسجيليه وتصنيفه وترميمه وفق المعايير المعتمدة، إضافة إلى تذليل كل الصعوبات القانونية والإدارية والعقارية التي تحول دون تنفيذ المشاريع المعمارية وإعادة التأهيل. لأن استثمار التراث الثقافي بواحات تافيلالت للغايات التنموية أصبح مسألة ملحة؛ خاصة ونحن بصدد مجتمع تتأسس معالمه الكبرى في مجملها على المرتكزات الثقافية، كما أن

[67] - المرجع نفسه، ص 196.

[68] - المرجع نفسه، ص 196.

تراثه الثقافي في شقيه المادي والشفهي، يزخر بالكثير من النماذج التي يمكن أن تكون دعامة أساسية للنهوض بالمنطقة وتنميتها تنمية مستدامة إن أحسن استثمارها كالقصور والخطارات والتراث الشفوي والمهرجانات...

إن هذا الإجراءات وغيرها التي تهدف إلى إبراز أهمية التراث الثقافي للواحات، وضرورة الارتقاء به من وضعية التراث الذي نقاربه من زاوية المحافظة إلى مقاربة التثمين وإدراجه في التنمية المحلية، تتطلب التفكير في طريقة يتسنى من خلالها الحفاظ عليه بصفة مستدامة ووضع استراتيجيات علمية مدروسة.

4-1. التراث المعماري للقصور ومشاريع الإنقاذ

رغم العناية التي حظيت بها قصور تافيلالت في السنوات الأخيرة، ومشاريع الترميم والتأهيل التي عرفتها، إلا أن تشخيص الوضع الحالي للقصور يجعلنا أمام حقيقة التدهور السريع الذي تتعرض له عشرات القصور[69]، نتيجة مجموعة من العوامل والأخطار التي تكاد تحولها إلى ركام طيني، رغم اختلاف حدته من قصر لآخر، نظرا لغياب استراتيجية وطنية خاصة بحماية القصور، ونظرا للارتجالية في الانتقاء والتي لم ترتكز على أسس مدروسة[70]، ورغم اهتمام الدولة المغربية بالتراث المبني، وصدور النصوص القانونية المتعلقة بالمحافظة على التراث الثقافي منذ السنوات الأولى من الحقبة الاستعمارية (ظهير 26 نونبر 1912)[71]، وظهير13 فبراير 1914 والتي على أساسها بني القانون الوطني 22 - 80 الجاري به العمل اليوم.

لاغرابة والحالة هذه أن تظل التبعية قائمة للمدرسة الفرنسية ولأدواتها المعرفية والتقنية في حماية التراث الثقافي ومعالجة إشكالاته، هذه التبعية في حد ذاتها تطرح إشكالا كبيرا يتعلق بافتقار المغرب لحد الآن لتصور واضح ومنهجية مستقلة نابعة من الحاجات الحقيقية للمجتمع المغربي حول استثمار الرأسمال الأثري والمعماري الوطني وإيجاد أجوبة خاصة لإشكاليات تدبيره وإنقاذه.

[69]- حول هذا الموضوع راجع، امبارك بوعصب، التراث المعماري بمنطقة تافيلالت الحالة الراهنة آليات الحفاظ وآفاق التنمية ورد الاعتبار، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، 2017.

[70]- أصبحنا أمام ضرورة انجاز دراسات خاصة لمشاريع أعمال ترميم قصور المنطقة.

[71]- ظهير 16 ذي الحجة 1330هـ/26 نونبر 1912، الجريدة الرسمية، عدد 5، بتاريخ 29 نونبر، 1912.

وهذا ما يجعل عملية التدخل للحفاظ على التراث المعماري - الذي يدخل ضمن اهتمامات مديرية التراث - يواجه عدة صعوبات وتحديات؛ فإذا كانت عملية المحافظة على المباني المسجلة تجري طبقا لمقتضيات القانون 22-80، فإن الحفاظ على المعالم الأخرى، خصوصا القصور التي في ملك الخواص، يطرح صعوبة المحافظة عليها من طرف الإدارة لعدم تسجيلها في عداد الآثار.

كما أن ربط قوانين التراث بقوانين ووثائق التعمير، وكذا ضوابط التصنيف عقّد من مساطر المحافظة على التراث المعماري لمناطق انتشار القصور، فرغم وجود البند 42 من قانون 80/22 المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات، والمتضمن أو المتعلق بتنفيذه ظهير رقم 341-80-1 بتاريخ 25 دجنبر 1980[72]، كما وافق عليه مجلس النواب في 11 يونيو 1980 المرتكز على ظهير 21 يوليوز 1945، والذي بموجبه سجلت* كل الواحات الصحراوية كمواقع تاريخية في الفترة ما بين 1943 و1953، إلا أن اعتبار القصر كتجمع سكاني ذو ملكية خاصة يعرقل إمكانية ومساطر الترتيب**. بالإضافة إلى ذلك، فوجود أغلب القصور خارج المجال الحضري يجعلها غير مدرجة في وثائق التعمير وحتى تلك المتواجدة فتم تحديدها كنطاقات محمية.

إن التفاتة الدولة الأخيرة ومشاريع الترميم والتأهيل التي حظيت بها بعض القصور، (أولاد عبد الحليم - الفيضة - أبوعام - تابوعصامت - قصبة الزياني – أخنوس - وغيرها) لا يدخل في إطار إستراتيجية وطنية خاصة لحماية القصور وتثمينها، مما يجعل هذه العمليات ارتجالية وانتقائية مادامت لا ترتكز على أسس مدروسة، وعليه فمن الضروري إعداد دراسة

72- الجريدة الرسمية، عدد 3564 بتاريخ 18 فبراير 1981.

*- عملية التسجيل (Inscription) فيتم بطلب يقدم إلى السلطات المكلفة بالشؤون الثقافية يوضح موقع المعلمة أو الموقع أو التحفة الفنية مع وصف دقيق لها، كما يتضمن نبذة تاريخية عنها والوضعية القانونية التي تتمتع بها. وعند المصادقة عليه لا يجوز تغيير طبيعتها أو إدخال تغيير عليها، أو...كما يمكن لمالكي الموقع والمعالم أن يستفيدوا من إعانات مادية عند الترميم ويمكن للإدارة أن تتكفل بذلك.

**- بالنسبة لعملية الترتيب (Classement) تتم وفق النصوص التنظيمية المعمول بها حيث "يجرى بحث بشأن المعلمة وذلك خلال مدة سنة تبدأ من التاريخ الذي ينشر فيه بالجريدة الرسمية المقرر الإداري الصادر بإجراء البحث المذكور مع وجوب إبداء المجلس الجماعي التابع له موقع القرار رأيه في مشروع الترتيب خلال مدة البحث، وعند المصادقة على ترتيب عقار ما لا يجوز هدمه ولو جزئيا ولا ترميمه أو تغييره أو إحداث بناء جديد فيه دون حصول على رخصة إدارية.

استراتيجية متعلقة بالتثمين المستدام للقصور والقصبات، ضمانا لترميم يراعي المعايير المتفق عليها في هذا المجال ووفق الأولويات؛ للتقليل أو الحد من خطر اندثار هذا التراث وللحفاظ على قيمه التاريخية والمعمارية والثقافية، وقبلها لابد من توفير الإطار القانوني لتأطير التدخل في هذه الأنسجة العتيقة.

وما يزيد الأمر تعقيدا هو تداخل اختصاصات وأهداف المؤسسات المتدخلة في مجال الترميم، (وزارة الثقافة – مؤسسة العمران) فمنهم من يركز على الجانب الاجتماعي من خلال إعطاء الأولوية للقصور المأهولة بالسكان، ومنهم من يعطي الأهمية للمباني التاريخية باعتبارها إرثا تاريخيا يجب الحفاظ عليه.

2 - إشكالية تنميط القصور

إن تنميط القصور وتصنيفها إلى مجموعات حسب العناصر والخصائص المشتركة تكتنفه صعوبة كبيرة من الناحية المنهجية؛ فمثل هذا العمل يتطلب دراسة إحصائية وزيارات متكررة لكل قصور المجال المراد دراسته، والإلمام بجميع عناصرها ومن كافة الجوانب وهو ما ينقص أغلب الدراسات في الوقت الحالي[73].

وبالرغم من ذلك؛ هناك محاولات سابقة لتنميط القصور الصحراوية، وخلالها قام مجموعة من الباحثين بتصنيف القصور إلى عدة أنماط، دون التمكن من وضع سلم زمني مضبوط وموحد يساعد الدارسين في هذا الحقل على إرجاع كل نمط إلى فترة زمنية معينة، وقد أدى هذا الاختلاف في الرؤى إلى تعدد الأنماط، ففريق اعتمد في تنميطه على الشكل الخارجي للسور، وفريق آخر يرى أن التخطيط الداخلي للقصر كفيل بتحديد نمطه، أما الفريق الثالث فيعتقد أن تنميط القصور يعتمد بالدرجة الأولى على وجود القصبة بالقصر من عدمها، في حين ينتقد الطرف الرابع التقسيمات السابقة ويرى ضرورة أخذ المعايير السابقة مع إضافة الأدلة الأثرية[74].

[73]- تتطلب الدراسة التنميطية للقصور التركيز على العناصر التالية:
- الأسباب والعوامل التي أدت إلى نشأتها.
- الإلمام بالمعلومات التاريخية المتعلقة بها والمستمدة من المصادر التاريخية والرواية الشفوية مع التدقيق فيها.
- الدراسة العمرانية والمعمارية الدقيقة لكل القصور التي يشتمل عليها المجال المدروس.
- دراسة اشتقاق أسماء القصور -microtoponymie- لمعرفة العمق التاريخي للمكان.

[74]- حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، م س، ص 46.

أ - **أنماط القصور حسب مارتان:** فالمؤرخ "مارتان" (A. G. P Martin) الذي يعد من أقدم من صنف القصور القديمة بالصحراء، وتحديدا بكل من توات وقورارة والتديكلت، وذلك بالاعتماد على الشكل العام للقصر مع استحضار النصوص التاريخية المتوفرة وإغفال الجانب التقني للمبنى، وقد توصل إلى تحديد ثلاثة أنماط رئيسية: *النوع الأول سماه "الجيتولي" والذي أرخه من ما قبل التاريخ إلى سنة 100م. أما *الصنف الثاني فقد سماه "اليهودي" والذي أرخه من 100م إلى 600م، ويتكون من سور شبه دائري بني من حجارة مسطحة مرتبطة بشكل أفقي جد منظم. أما *الصنف الثالث: فإنه يشمل القصور التي شيدت بعد القرن السابع الميلادي[75].

ب - **أنماط القصور حسب "كونار" (Quenard)**[76]: سلك في تصنيفه للقصور الصحراوية نفس المعيار، مع إضافة تقنية تتعلق بكل نمط؛ وعلى هذا الأساس جاء تقسيمه للقصور الصحراوية إلى ثلاثة أنماط:

النمط الأول: يضم مجموعة الحصون التي تقع فوق قمم الجبال وتتخذ في تخطيطها شكلا مستطيلا تحيط بها أبراج من الحجر، أما بالنسبة للفترة الزمنية فإنها غير محددة لديه.

النمط الثاني: يشمل هذا الصنف المباني ذات الشكل المستدير التي تحتوي بداخلها على برج للمراقبة ويحيط بها سور مرتفع يتقدمه خندق ومبنية بالحجارة الموضوعة بشكل أفقي.

النمط الثالث: يضم هذا النمط مجموعة المباني المشيدة من الآجر غير المشوي وتحتوي على أضرحة تعلوها قباب دائرية الشكل.

ج - **أنماط القصور حسب أيوب عبد الرحمان:** اعتمد في تصنيفه للقصور على الشكل الخارجي وحددها في ثلاثة أصناف مثل سابقيه. مع اختلاف من حيث التسميات، فذكر النمط المستطيل "البربري" وهو يتشكل من مجموعة من الغرف تتخذ شكلا مستطيلا تجاور الواحدة الأخرى. والنمط المربع "الروماني" شبهه في تخطيطه بالحصون البيزنطية

[75]-Martin (A.G.P), A la frontière du Maroc, les oasis sahariennes (Gourara, Touat, Tidikelt), vol. 1, Alger, Imprimerie Algérienne, 1908. P 25-59

[76]- Quenard (colonel), "Recherches historiques dans le Touat Gourara", B.L.S N° :02, 1955, p 19-29

والرباطات الإسلامية المبكرة. والنمط الدائري "العربي" وهو نمط متطور بالنسبة للأمثلة السابقة الذكر، وحدد تاريخ ظهوره بأواخر القرن 5هـ/11م[77].

د - أنماط القصور حسب ك.راي "Capot Rey"[78]: اعتمد بدوره في تصنيف القصور على التوزيع الداخلي، وحددها في نمطين رئيسيين، يشمل النمط الأول القصور ذات الأزقة الضيقة والملتوية، ويؤرخ هذا الصنف بحوالي القرن 5هـ/11م. أما النمط الثاني فتمثله القصور ذات الشوارع المستقيمة والتي تتقاطع مع بعضها البعض مكونة زوايا قائمة، ويؤرخ هذا الصنف ببداية القرن 10هـ/16م.

لكن معظم هذه التنميطات تعرضت للنقد من طرف "إيشالييه" (Echalier)[79] بعد قيامه بدراسة ميدانية لثلاثمائة وثلاثة وثلاثين قصرا بالجنوب الغربي الجزائري، سمحت له بتنميطها إلى ستة أنماط وأغلب الأنماط مقسمة إلى نوعين، ويرى بأن الشكل الدائري هو الأقدم. مستندا في ذلك على عدة معطيات منها إمكانية أي بناء مهما كانت قلة مهارته بناء المخطط الدائري لأن الجدار ينغلق على نفسه دون عناء كما أن الشكل الدائري ذي السور المنحني وجد في معظم المجموعات البربرية القديمة بشمال إفريقيا حيث يبدو تطورها بشكل طبيعي، وليس من المستحيل أن تتطور. إن هذا التطور بدأ من مباني أولية تحولت إلى مجموعات قائمة الزوايا أصبحت فيما بعد على شكل منتشر ذي مخطط دائري لتعود مع مرور الزمن إلى المخطط القائم.

ويعد التقسيم الذي ذهب إليه "إيشالي" في نظر أحد المتخصصين[80] أكثر منهجية من الناحية العلمية، رغم اقتصاره على مناطق محدودة من الجنوب الجزائري، كما أن الملاحظ للدراسات التنميطية السابقة يتبين له أنها اعتمدت على المعطيات التاريخية والشكل العام للقصور وتوزيعها الداخلي، مع العلم أن شكل القصر وتنظيمه الداخلي يفرضه الموقع الجغرافي أكثر من أية ظروف أخرى.

---

[77] - عبد الرحمان أيوب، من قصور الجنوب التونسي، م س، ص 131.

[78]-Capot-Rey (R)."Greniers domestiques et greniers fortifiés au Sahara, le cas de Gourara", op.cit, p 139-158.

[79]-Échallier (Jean-Claude), Villages désertes et structures agraires anciennes du Touat, Gourara (Sahara algérien), A.M.G, Paris 1972, p 27-87.

[80] - حملاوي، نماذج من قصور، م س، ص 60.

الملاحظة الأساسية على المحاولات السابقة تتمثل في مدى صعوبة الفصل بين هذه الأصناف اعتمادا على المعايير السابقة (الشكل الخارجي، ومواد وتقنيات البناء المستعملة) وفي كون هذا الاختلاف في تنميط القصور يتبعه الاختلاف في تحديد أي الأشكال التي وردت في التنميط أسبق إلى الظهور؛ هل الشكل المربع أو المستطيل أو الدائري[81].

إن محاولة القيام بتنميط القصور بمنطقة تافيلالت[82]، يستوجب معرفة تخطيطها الأولي وشكلها، ثم التغيرات التي طرأت عليها في محاولة لإدراجها ضمن الأنماط التي توصل إليها الباحثون في هذا المجال، ومثل هذا العمل يتطلب تظافر جهود الباحثين المتخصصين لمراكمة أبحاث رصينة حول المنطقة.

خاتمة:

حاولنا في هذا الفصل بيان الصعوبة التي يكتسيها ضبط مصطلح القصر، والوقوف عند بعض المحددات التي يمكن الاعتماد عليها في ضبط تعريفه، خصوصا أن الإشارات الواردة ضمن المصادر حول مفهومه لاتمكن من صياغة تعريف جامع لهذا المصطلح.

وإذا كانت معظم التعاريف التي قدمها الباحثون في المجالات الواحية تساعد في تلمس المعنى اجمالا كونها ركزت على محدد أو أكثر في تعريفها، لكنها لاتفي بالغرض، كما أنها لم توفق في التمييز بين القصر والقصبات والمخازن الجماعية.

ولعل هذا ما دفعنا إلى تجميع أكبر عدد من هذه التعاريف لرصد المحددات التي يمكن أن نعتمد عليها لتعريف القصر في الجبل أو في السهل، والتميز بين أشكاله ووظائفه سواء على مستوى الواحة الوحدة أو واحات بلاد المغرب.

ومن خلال إثارة بعض الإشكاليات المرتبطة بدراسة القصور والقصبات بواحات بلاد المغرب، نستنتج أن الباحث في قضايا القصور والقصبات سواء من الناحية التاريخية أوالمعمارية أو موضوع الإنقاذ والتنمية، يواجه إشكاليات صعبة الإجابة؛ إما بسبب قلة

---

[81] - لمزيد من التفاصيل حول تنميط القصور راجع، يمينة بن صغير حاضري، "القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، 2011، ص 142-144.
وأيضا: حملاوي، نماذج من قصور، مرجع سابق، ص 46-57.

[82] - راجع المحاولة التي قمنا بها حول قصور تافيلالت، امبارك بوعصب، "إشكالية البحث في التراث العمراني لواحات بلاد المغرب دراسة نموذجية للقصور والقصبات بمنطقة تافيلالت" ضمن مجلة سجلماسة العالمة، العدد الأول، 2017، ص 363-398.

المعطيات التاريخية، أو نتيجة التحولات التي عرفتها القصور من الناحية المعمارية، مما يستدعي مزيدا من البحث والتنقيب، والاستعانة بنتائج الأبحاث حول المنطقة في المجال التاريخي والجغرافي والاثنوغرافي والأثري وغيرها، وضرورة تكاثف جهود الباحثين في إطار فرق بحث قادرة على الإمساك بخيوط الإشكالية من كل الجوانب كما تتطلبه الدراسة التنميطية.

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في نشأة وتطور عمارة القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت

يكتسي هذا الفصل أهمية خاصة في التعرف على الظروف التي تأسست فيها وتأثرت بها عمارة القصور، ولفهم ما تضمنه هذا التراث العمراني من حلول ومعالجات توافقت مع معطيات البيئة الطبيعية والعوامل الاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

وعليه، سنركز على دراسة الإطار الطبيعي والإطار التاريخي باعتبارهما الخلفية الأساسية والمحددان الأساسيان لكل المنتجات الحضارية، ولا مراء أن تكون الناحية العمرانية والمعمارية أكثر الجوانب تأثرا بذلك، إذ على ضوء هذه المعطيات يمكن تحديد مميزات العمارة والعمران بالمنطقة؛ فدراسة هذه العوامل تعد من الجوانب الأساسية الممهدة لدراسة القصور والقصبات. وسيتم تناول الظروف الطبيعية لمنطقة تافيلالت ودورها الفاعل في صياغة وتشكيل معالم قصور وقصبات المنطقة، من خلال الموقع الجغرافي، والتكوين الجيولوجي وعناصر المناخ، والغطاء النباتي، وذلك بناء على قاعدة أن مواد البناء والتصميم العمراني للقصور والقصبات يتأثر إلى حد كبير بعوامل البيئة الطبيعية. فالتراث العمراني يعد شاهدا حيا على أصالة وعراقة العمران وارتباطه الوثيق بالبيئة المحلية والعادات والتقاليد، كما يعبر بصدق عن الموروث الاجتماعي والحضاري.

I - خصائص البيئة الطبيعية لمنطقة تافيلالت وأثرها على تشكيل عمارة القصور

1- الموقع

يطلق اسم تافيلالت على مجموع المناطق الواقعة على ضفاف مجرى وادي زيز وغريس وتدغة وجزءا من مناطق وادي كير؛ أي الإقليم الممتد جنوب جبل صاغرو وسبخة بومعيز وما إليها[83]. وهذا ما أدى ببعض الباحثين إلى المطابقة والمرادفة بين مصطلحي تافيلالت وسجلماسة[84]، إلا أن الملاحظ أن هناك مستويين في تحديد مجال تافيلالت.

[83]- محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق مولاي هاشم العلوي القاسمي، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، 1983. هامش2، ص99.

[84] - مارمول، افريقيا، م س، ج 3، ص157.

المستوى الأول: ويتماشى مع الحدود الواسعة لتافيلالت، ويرتبط بالأهمية والإشعاع الذي مارسته المنطقة، إذ أصبحت في وقت من الأوقات تسمى بتافيلالت الكبرى، وتطلق على مجموع الأودية الرئيسة في الجنوب الشرقي، وبعض الواحات المتفرقة الأخرى التي تمتد داخل إقليم الرشيدية[85]، أي أن تافيلالت تحد شرقا بحمادة كير، وغربا بالأطلس الصغير، وجنوبا بحمادة كم كم، وشمالا بالأطلس الكبير الشرقي[86].

المستوى الثاني: وينطبق على الحدود الضيقة لمنطقة تافيلالت، التي تركز عليها دراستنا، والتي تطلق في الوقت الحالي على الواحة الموجودة باقتراب مجرى وادي زيز ووادي غريس، والتي احتضنت في الماضي مركز سجلماسة التجاري والسياسي المشهور[87]. (الخريطة1)

تمتد هذه الواحة على مساحة 160 كلمتر مربع[88]، تحدها غابة أولاد الزهراء ومركز أرفود شمالا إلى قدم جبل بومعيز جنوبا، ووادي امربوح شرقا إلى الضفة اليسرى لوادي غريس غربا. أما من حيث الإحداثيات الجغرافية فتقع في عروض17درجة و37 دقيقة شمالا و16 درجة و4 دقائق شرق خط غرينتش على علو يقدر ب 765 متر فوق سطح البحر[89].

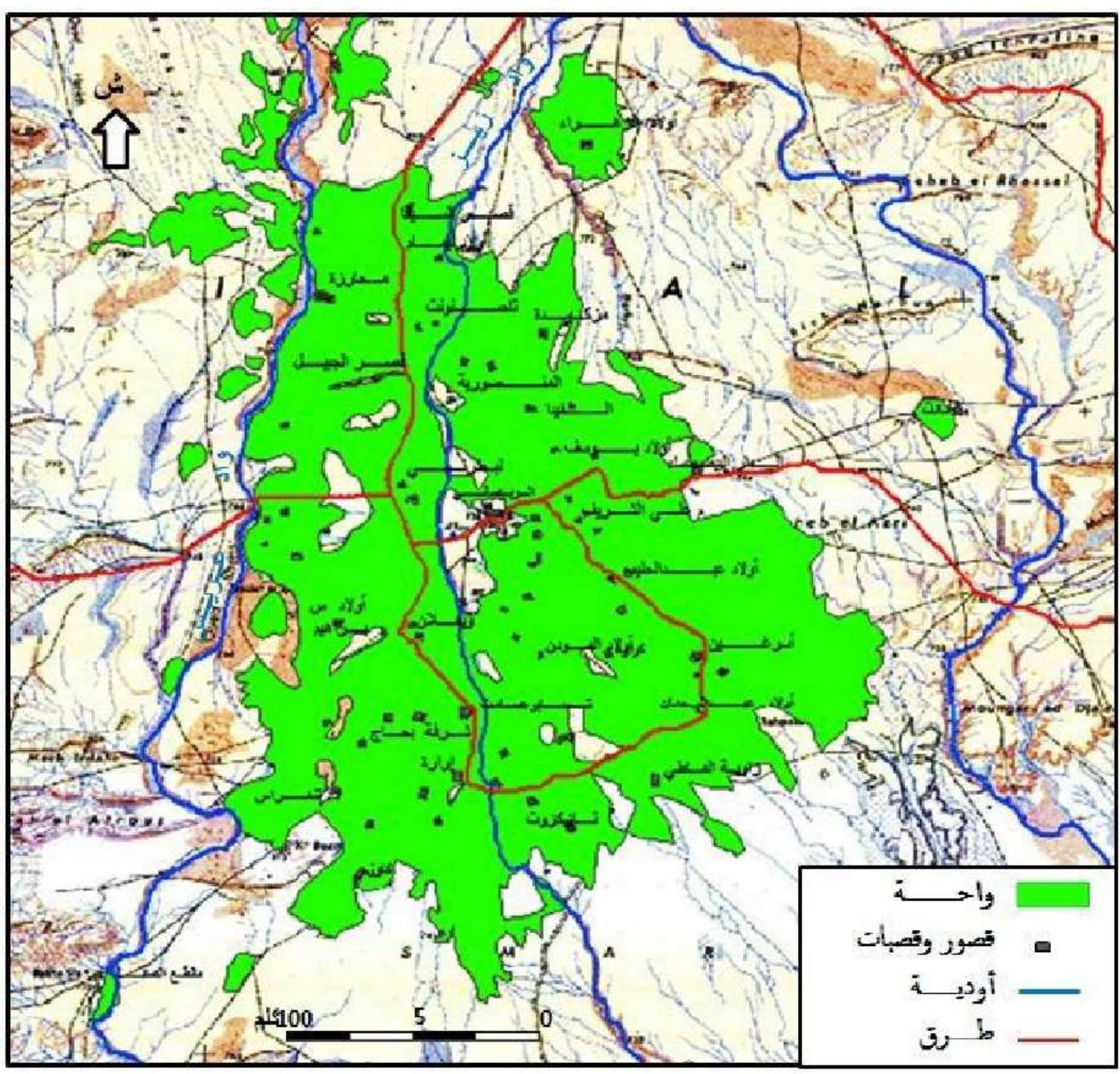
[85]- جرير محمد، "بعض المظاهر من تحولات العالم القروي بواحات تافيلالت الكبرى"، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم:6، 1993، ص 51.

[86]-Toutain (G.F), Développement Hydrologique Agricole au Sahara, Rabat, 1979, p 1.

[87]- مزين العربي، مذكرات من التراث المغربي، مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي، المجلد الرابع، ص 4.

[88]-Miller(James), «la viabilité de l'environnement dans les oasis du Tafilalet de l'ancienne Sijilmassa au Tafilalet d'aujourd'hui », l'Afrique du Nord face aux menaces écologiques, Casablanca, publication Faculté des lettres et sciences Humaines Université Mohamed 5 Rabat, V50 ,1995,p 6.

[89]- لحسن تاوشيخت، "واحة تافيلالت بين الأمس واليوم"، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم:6، 1993، ص 8.



خريطة رقم (1): موقع منطقة تافيلالت

المصدر: الخلفية الكارطوغرافية للخريطة الطبوغرافية لارفود 1/100000

وإذا كان موقع تافيلالت لا يطرح أي صعوبة في تحديده الآن، لكونه صار في المخيال الجماعي لسكانها واضحا[90]، إلا أنه على مستوى المصادر يطرح إشكالية الخلط بينه وبين مفهوم سجلماسة من ناحية الامتداد المجالي والأسبقية التاريخية لتافيلالت عن سجلماسة[91]. فقد ذهب جاك مونيي إلى أن تسمية تافيلالت وليدة العصور

[90]- عبد الله استيتيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2013، ص27.

[91] - حول هذه الإشكالية ينظر:

- سعيد واحيحي، سجلماسة / تافيلالت، م س، ص 39-45.

الحديثة، واستدل على ذلك بكون "الوزان" الذي ألف كتابه وصف إفريقيا في النصف الأول من القرن 10هـ/16م، لم يستعمل لفظ تافيلالت على الإطلاق، وإنما ذكر اسم تلك المناطق باسم عاصمتها القديمة سجلماسة[92]، لكن بالعودة إلى كتاب العبر نجد "ابن خلدون" قد استعملها غير ما مرة في معرض حديثه عن أولاد حسين وأولاد أبي الحسين من عرب المعقل[93].

ولتافيلالت، مجال دراستنا، موقع استراتيجي هام كمجال سهلي احتضن في القديم مدينة سجلماسة الأثرية التي شكلت محطة رئيسية للقوافل التجارية، المنطلقة منها أوالتي تعبرها في اتجاه بلاد السودان، وهو ما جعل منها سوقا تجارية تقصده القبائل المجاورة من رحل ومستقرين، وشجع على قيام حركة عمرانية مهمة بها، وتشييد مراكز دينية وثقافية استقطبت العلماء والصلحاء، منهم من أسس زوايا لتدريس العلم، وقد ساعدت هذه الأهمية الثقافية والاقتصادية على ازدهار عمران المنطقة والإكثار من بناء القصور بها.

ومعلوم أن المجال الترابي لمنطقة تافيلالت كان قبل مرحلة الحماية مقسما إلى مجموعة من المشيخات[94]، تتفاوت مساحتها وعدد قصورها، وتختلف الوظائف التي تقوم بها، بالإضافة إلى وزنها الاجتماعي والسياسي، فجاء التقسيم كالآتي: (الجدول رقم1)

- استيتيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، م س، ص 43 – 48.

[92] - DJ. Meunié, Abbar, op.cit, p 10.

[93]- عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981ج6، ص. 77/78 و87 و89.

[94] - نسبة إلى كلمة شيخ الذي يشرف على تسييرها وتمثيلها والدفاع عن مصالحها وحل المشاكل الداخلية لمجموع القصور المنتمية إليها، وإلزامهم باحترام الأعراف والمواثيق والعادات، وكان اختياره يخضع لموازين القوى الاجتماعية داخل القصر ونعني بذلك الوزن الاجتماعي لفروع، وأفخاذ شجرة الأنساب أي العظام حسب لسان المعنى المحلي للكلمة.

جدول رقم (1): جدول تركيبي لأسماء ومواقع مشيخات تافيلالت وعدد قصورها وسكانها

اسم وموقع المشيخة	عدد قصورها	عدد سكانها
مشيخة السيفا: تقع في شمال الواحة، وتستمد تسميتها من المجال الذي توجد به.	**22**	**7800**
مشيخة بني أمحمد: تقع في الشمال الغربي نسبة إلى قبيلة بني أمحمد.	**18**	**6000**
مشيخة واد افلي: في الوسط الشرقي، أخذ هذا الموقع تسميته من نبات فليو الذي كان منتشرا بكثرة في هذا المكان، أما مدلول هذه الكلمة عند قبائل التوارك فيعني الخطارة، ويحتل واد ايفلي موقعا متميزا وسط سهل تافيلالت[95].	**38**	**8000**
مشيخة السفالات: تقع في الجنوب الغربي نسبة إلى موقعها في سافلة الوادي.	**40**	**8200**
مشيخة الغرفة: تقع في الجنوب الشرقي للواحة، وتستمد تسميتها من فعل غرف أي أخد الماء بيده، كما يمكن أن تعني الملعقة لأن المحليين يسمونها "المغرفة" أو تعني البيت الذي يقع في الطابق العلوي للمسكن بتافيلالت[96].	**21**	**6733**
مشيخة تانيجيوت: في الشمال الشرقي نسبة إلى أهم قصر بها.	**16**	**5761**

المصدر: Margat (Jean) ,« Données sur l'habitat au Tafilalet », op,cit,p.5

إن أهم ما نلاحظه على التوزيع الحالي للقصور أنها تشترك في نقطة أساسية أهمها: أنها تقع بالقرب من المجاري المائية، والتي تعد من أهم عوامل استقرار الإنسان بهذه المنطقة، بالإضافة إلى عوامل الجذب الاستيطاني الأخرى المتمثلة في توفر التربة الطموية في بطون الأودية وعلى جوانب المجاري لمزاولة النشاط الزراعي، وتوفر المرعى والوقود والأخشاب اللازمة للبناء.

[95] - محمد أمين العلوي، "زيارة تافيلالت للمؤرخ ابن زيدان"، تقديم وتخريج، الرحلات المغربية الداخلية 1912-1956، منشورات النادي الجراري، رقم 31، ط1 الرباط 2005، ص. 222، هامش 46.

[96] - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 125.

2- التضاريس

من المعلوم أن للتضاريس والتربة والموارد المائية دورها البارز في نشأة المستوطنات، فالأراضي المنبسطة التي تقع عليها قصور تافيلالت لا يمكن إنكار أثرها في ظهور هذه الأشكال الاستيطانية، حيث ارتبط العمران منذ القدم ببعض المواضع التي لها ميزة خاصة من حيث التركيب الجيولوجي. والمنخفض الرسوبي لتافيلالت عبارة عن سهل ينتمي إلى الأخدود الجنوب أطلسي ما قبل الإفريقي المكون من طبقات رسوبية قديمة[97]، تتأثر كثيرا بالحركات التكتونية التي أدت إلى تكوين جبال الأطلس، وهو ما جعل المنطقة يغلب عليها طابع التكوين الكلسي في السهل وصخور المارمل اللين داخل المجرى النهري[98].

وعموما تتكون تضاريس واحة تافيلالت من وحدتين أساسيتين:

* **مجال السهل:** ويشغل الحيز الأهم في المنطقة، وتحديدا عند اقتراب مجرى وادي زيز من مجرى وادي غريس، يتميز بتربته الغرينية ذات اللون البني الغنية بالصلصال، نتيجة الترسبات الطينية والرملية الناتجة عن مياه الفيض والسقي، والتي يصل سمكها في بعض الأماكن إلى ستة أمتار[99]، وارتبط عمران المنطقة بالمجال السهلي، نظرا لكون المجال المجاور عبارة عن هضبة صحراوية لا تساعد على الاستقرار البشري وإقامة الأنشطة الفلاحية، وبفضل هذا السهل الموجود في حافتي واد زيز وغريس اشتهرت تافيلالت بمنتوجاتها الزراعية الوفيرة خصوصا في الفترة الوسيطية مثل القمح والتمور، وهي مواد كانت مطلوبة في مختلف جهات المغرب، الأمر الذي جعل تافيلالت تشتهر بأسواقها التي كانت تقام في مختلف القصور، كما أن المعالم العمرانية باختلاف أنواعها دليل على أن هذا الموقع شكل عامل جذب للاستقرار.

*مجال المرتفعات:** أهمها الواقعة بمنطقة "الجبيل" والذي يبلغ ارتفاعه حوالي 787م، وتمثل حاجزا طبيعيا تحت أرضي للمياه الجوفية التي كانت تنبع منه على شكل

---

97 - عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج1، ص.42.

98 - مصطفى تليوا، "مقاربة انثربولوجية لساكنة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ"، مجلة واحة تافيلالت، ع2 ص .12

99-Office Régional de la mise en valeur Agricole du Tafilalt, étude de la Salure des sols. Juin, 1980.p 2.

عيون مكونة من فرشة مائية مهمة تتغذى منها الواحة، والتي تم طمرها بفعل التعرية النهرية وتدخل الإنسان، وتظهر هذه العيون على طول خط يمتد من الشرق إلى الغرب، أما المرتفع الثاني فيمثله جبل بومعيز في جنوب الواحة ويرجع أصله إلى الزمن الجيولوجي الثالث[100]، لكن وجود هذه المرتفعات لا يعيق الاستقرار البشري، بل على العكس كانت من أهم وأقدم مواقع القصور بالمنطقة، كما وفرت مادة الحجر الأساسية لبناء أساسات المعمار المحلي.

أما بخصوص التربة، فما وصلنا من معلومات عنها في كتب الجغرافيا القديمة يؤكد أنها أرض سبخة[101] يقول البكري: "ومدينة سجلماسة مدينة سهلية أرضها سبخة"[102]. أما الوزان فذكر أن مجموع الأراضي الواقعة جنوب الأطلس وضمنها منطقة تافيلالت بأنها بلاد تكاد تكون كلها رملية[103]، بينما أكدت الدراسات الحديثة أن التربة بإقليم سجلماسة تتميز بالتنوع وقد ساهم في تشكيلها توضعات وادي زيز وغريس أثناء فيضانهما حيث تتكون توضعات وادي زيز من الطمي الرمادي الممزوج بقليل من الصلصال، أما توضعات وادي غريس فتتكون من الطمي الأحمر الذي تغلب عليه مادة الصلصال والرمل[104]، وهذا ناتج عن اختلاف التكوينات الصخرية التي يمر منها كل من وادي زيز وغريس. وانطلاقا من التحاليل التي قامت بها المدرسة الوطنية للفلاحة بمكناس سنة 1999 حول عينات من التربة بواحة الريصاني، تبين أن بنيتها تتركب من 16,33% من الرمل، و1,46% من الطمي، و74,23% من الصلصال. أما من حيث أنواع الأتربة المتواجدة بتافيلالت، فإننا نلاحظ سيادة الطمي- الرملي في واحة الريصاني[105].

إن نوعية التربة التي وفرها مجال تافيلالت وما يزخر به من مياه جوفية، والتي زاد من جودتها الطمي الذي تحمله مياه الفيضانات، هيأ مجالا لمزاولة الأنشطة الزراعية التي اعتمد عليها سكان القصور في معيشتهم، كما وفرت مصدرا جيدا لصناعة مواد

[100] - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج1، ص 45.
[101] - السبخة كلمة عربية تجمع على سباخ وهي الأرض التي ترتفع فيها نسبة الملوحة، حافظي، واحات بلاد المغرب، م س، ص 368.
[102] - أبو عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص. 148.
[103] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج1، ص 58.
[104]- Fartin, La nappe phréatique salée de Tafilalet, RHTE, n 7.Rabat, 1973 .p 112 .
[105]- CMV Merzouga, 2006, « Monographie de la zone d'action de cmv 716 de Merzouga »

البناء التي شاع استخدامها في بناء القصور. فشكلت هذه العوامل وغيرها مميزات ساعدت على الاستقرار البشري وانتعاش الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

3- الظروف المناخية والموارد المائية

3-1. الظروف المناخية

يعد المناخ من أهم العناصر البيئية تأثيرا في تشكيل البيئة العمرانية وتطورها وتنوع أنماطها، وبدون معرفه الخصائص المناخية لمجال دراستنا لايمكن فهم العوامل التي تحكمت في تخطيط القصور، وأثر العوامل المناخية في تشكيل عمارتها، والمعالجات المعمارية للتخفيف من وطأة المناخ.

والمناخ بمنطقة تافيلالت يتميز بطابعه القاري الصحراوي، الحار والجاف صيفا والبارد شتاء، ويرجع ذلك إلى انفتاح المنطقة على الصحراء الكبرى وتعرضها للمؤثرات الصحراوية الجافة. تلك هي صفة المناخ الذي تحدثت عنه المصادر التاريخية والتي تناقلته فيما بينها دون أن تحدد مصادر نقلها، فالبكري خلال ق5هـ/11م، وصف مناخ هذا المجال بأنه مفرط الحر شديد القيظ[106]، كما أشار القلقشندي نقلا عن العمري خلال القرن 9هـ/15م إلى شدة حرارة المناطق الجنوبية وضمنها تافيلالت، قال: "وهي بلدة شديدة الحر"[107]. ولم يختلف وصف الوزان الذي زار المنطقة خلال ق10هـ/16م، عن سابقيه وذكر أن الحرارة بها تشتد في فصل الصيف[108].

ويتضح من خلال المعطيات المتعلقة بمحطة الرصد الهيدرومناخية لأرفود أن منطقة تافيلالت تعرف تناقضات واضحة فيما يخص درجة الحرارة؛ حيث تتميز بشتاء شديد البرودة، خصوصا خلال شهري دجنبر ويناير، إذ تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر، فمثلا وصل متوسط الحرارة الدنيا بين سنتي 1983/1982و2009/2008 إلى -1,1 درجة، بل تصل إلى أقل من ذلك كما وقع سنة 1985/1984 حيث سجل 4,5 درجة خلال شهر يناير. وعلى العكس من ذلك تسجل درجات حرارة جد مرتفعة خلال فصل

[106] - البكري، م س، ص 151.

[107] - أبو العباس احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المؤسسة المصرية القاهرة، 1915، ج5، ص126.

[108] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج 2، ص 126.

الصيف، حيث يصل متوسط الحرارة القصوى إلى أكثر من 43 درجة خلال شهر يوليوز بمحطة أرفود، وقد تصل دراجة الحرارة القصوى إلى 50 درجة بالريصاني[109].

إن هذه الوضعية لها انعكاسات سلبية على النشاط الزراعي وعلى عقلية السكان ونمط سكناهم أيضا، الأمر الذي دفعهم إلى بناء نموذج سكني خاص ومميز للمنطقة، وجعل السكان يبتكرون الحلول والمعالجات للحد من تأثير الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء. كما أن موقع المنطقة الجيومناخي ونسبة التبخر المرتفعة بها والتي تصل حسب "Margat" إلى 1159 ملم في السنة[110]، جعل التساقطات ضعيفة وغير منتظمة، وهي الملاحظة التي تجمع عليها المصادر التي وصفت مناخ المنطقة، فابن الخطيب وصفها بقوله: "هي أم البلدان المجاورة لحدود السودان والجفاف بها شامل، والجو يسفر على الوجه القطوب، والمطر معدود من الخطوب لبناء جدرانها بالطوب"[111].

وجاء في الروض المعطار أنها بلد مفرط الحر شديد القيظ، وأن المطر بها قليل[112]، وتؤكد محطات الرصد صحة ما ورد في المصادر القديمة، إذ لا تتجاوز التساقطات 80 ملم بمحطة ارفود[113]، المجال المجاور لمجال دراستنا، ويبقى فصل الخريف أغنى الفصول من حيث التساقطات وهي المعول عليها في العملية الزراعية، وهذا ما أشار إليه الوزان حين ربط بين أمطار أكتوبر والحصاد نهاية السنة[114]، لكن قلة المطر هذه لا تعني أن المنطقة ظلت عرضة للجفاف وما يرافقه من صراعات ومجاعات وأوبئة وتحركات بشرية وغيرها، فقد كانت تجتاح المنطقة بين الفينة والأخرى تساقطات مهمة تسقي بما فيه الكفاية حوض زيز وغريس[115]، بل تسبب بعضها في حدوث فيضانات مهولة.

---

[109] - Office Régional de Mise en Valeur Agricole du Tafilalet .2005.

[110]-Margat(Jean), «Note sur la morphologie du site de Sijilmassa», Hespéris. Tome:XLVII, 3 et 4 ème trimestre 1959, p 256.

[111]- لسان الدين محمد السليماني ابن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة فضالة المحمدية، 1976، ص181.

[112] - ابن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت، 1984، ص.306.

[113]- Plan Directeur de la mise en valeur agricole du Tafilalt analyse de la situation actuelle rapport, Octobre, 1981, p. 9

[114]- الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج1، ص65.

[115]- الوزان، وصف إفريقيا، م.س. ج1، ص65.

ونظرا لمحدودية معدل كمية المطر السنوية التي تسقط على المنطقة، فإن السكان لم يعولوا عليها كثيرا في زراعتهم، بل اعتمدوا على الفرشة المائية الباطنية فحفر الآبار لري مزروعاتهم وسد حاجياتهم في غير موعد سقوط المطر. وقد أكدت الدراسات التي أنجزت حول هيدرولوجية تافيلالت[116] أنها تمييز بوجود فرشتين مائيتين مختلفتين:

- الفرشة الرباعية: القريبة من السطح، وتتغذى من مياه الإمتطاحات.
- فرشة الزمن الجيولوجي الأول: وهي عميقة جدا، وتتوفر تافيلالت على احتياطي مهم من مياهها، نظرا لكونها تتغذى بواسطة مجاري جوفية تأتيها من منطقة الحمادات.

وتهب على منطقة تافيلالت رياح هوجاء تكون في جل الأحيان محملة بالرمال، وهو الأمر الذي أشارت إليه الكتابات التاريخية بشكل لافت، حيث إن الإدريسي أشار إلى أن الرمال تتصل بالواحات الخارجة فتعدو عليها وتغير ما بها من آثار[117]. وتكررت مثل هذه الإشارات عن الرياح وما تلحقه من أضرار بالإنسان، إذ أشار ابن الخطيب أثناء حديثه عن سجلماسة "أنها معركة غبار...والقرع برؤوس أهلها عابث والعمش في جفونهم لابث"[118]. ولاحظ الوزان أيضا شيوع هذه الأمراض بين سكان قصور تافيلالت أثناء إقامته بها، حيث قال: "تشتد الحرارة في فصل الصيف وكذلك الغبار إلى حد أنه فيما أظن تسبب التهاب أعين الناس"[119].

والرياح التي تهب على منطقة تافيلالت نوعان: رياح ساخنة ورياح الزوابع الرملية[120]، ويعتبر النوع الثاني الذي يهب في فصل الخريف[121]، الأخطر له من آثار سلبية على الحياة بالمنطقة، ولما يلحقه من أضرار بالمزروعات والإنسان والعمران؛ كطمر الآبار والسواقي ومصاريف الري.

---

116 - Joly(Fernand), Études sur le relief du Sud-Est marocain, Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Rabat, 1962.

117 - الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957، ص 28.

118 - ابن الخطيب، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، م س، ص181.

119 - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 126.

120- Agronomie Saharien, hydrologie agricole du Sahara p.2.

121-Joly(Fernand), Études sur le relief du Sud-Est marocain, Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Rabat, 1962. P 336.

2-3. الموارد المائية

الماء هو المحدد الرئيسي لجميع الأنشطة بالمناطق الواحية والصحراوية، وحوله نشأت كل التجمعات السكنية، بل كان له دور أساسي في تحديد مواقعها وتخطيطها وخريطة توزيعها؛ فأغلب القصور بمنطقة تافيلالت تتوزع على طول المجاري المائية، ولذلك دلالة في تاريخ القصور من الناحية الاقتصادية، فالانفراد بمياه إحدى السواقي يضمن لساكنته موردا مائيا مستقلا لسقي بساتينه التي أنشأت على ضفاف هذه السواقي. فإذا تأملنا خريطة القصور القائمة والمندرسة بالواحة نجد أن توزيعها يتحكم فيه وجود الماء بالدرجة الأولى، فهو من الموارد الحيوية التي لا يمكن الاستغناء عنها، ووجود القصور مرتبط بوجوده، إذ عليه مدار حياة السكان التي تقوم على الاستقرار وفلاحة الأرض، إلا أن قلته نتيجة تذبذب صبيب مصادره الرئيسة[122]، (مياه فيض وينابيع وخطارات وآبار)، وقوة التبخر الناتجة عن ارتفاع درجة الحرارة جعلت ساكنة القصور يبتكرون تقنيات جديدة لرفعه من باطن الأرض وتطوير أساليب استغلاله.

وبالرغم من هذه المجهودات ظلت حاجة السكان إلى الماء في تزايد مستمر خصوصا عندما ينخفض منسوبه في مجرى وادي زيز وغريس، وتنضب المياه الجوفية التي غالبا ما تتزامن مع الفصل الحار. هذا ما جعل ملكية الماء بمنطقة تافيلالت لا تقل أهمية عن ملكية الأرض، بل كانت محددا لسعرها[123]، وعاملا من عوامل استقرار المجموعات البشرية بقصور المنطقة، ذلك أن ملكيته كانت ملكية جماعية لكل الفئات المتساكنة داخل القصور تخضع لكل الإجراءات الشرعية والقانونية التي تخضع لها الممتلكات الجماعية.

إن أهمية الماء في منطقة تافيلالت أدى إلى نشوب صراعات وتوترات اجتماعية عنيفة[124]، تزداد شدة وخطورة مع البوادر الأولى لنهاية فصل الأمطار. وتفاديا لكل ما من

[122] - عن مصادر المياه بمنطقة تافيلالت ينظر:
- حافظي، سجلماسة، م س، ص 57-71.
- عبد اللوي، مدغرة، م س، ج1 ص 77-89.
- تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ص 50-57.

[123] - عبد اللوي، مدغرة، ج 2، م س، ص41.

[124]- Mezzine, le Tafilalet, op, cit,1987. P 266-267.

شأنه أن يزج بالمجتمع المحلي في الصراعات والاضطرابات الاجتماعية، وما ينتج عن ذلك من تحالفات وتحالفات مضادة، فقد كانت الأعراف المحلية تنظم مسألة تقسيم مياه الفيض وغيره وفق شروط وقوانين متفق عليها[125]. لكن ذلك لم يمنع من حدوث تجاوزات كان لها انعكاس سيئ على المنشآت المعمارية المائية خارج القصر وعلى المحصول الزراعي، وما رافق ذلك من أزمات اقتصادية وديموغرافية، فقد أشار الوزان إلى أن القبائل المتضررة كانت تقوم بعملية هدم السواقي عندما تنشب بين هؤلاء شقاقات وخصومات فيتلفون قنوات السقي المجلوبة من النهر ويقطعون النخل من أسفل..."[126]. ولم تكن مشكلة قلة الماء تخص المستقرين لوحدهم، بل كان المشكل يطال حتى الرحل الذين لم يكونوا يترددون في الهجوم على الواحات للتزود بالمعاش والاستيلاء على قصور المستقرين.

هكذا يتبين أن منطقة تافيلالت تتميز بتنوع خصائصها البيئية والمناخية، فضلا عن الموقع الجغرافي بتكوينه الجيولوجي وطبوغرافية المكان وطبيعته النباتية، فكيف سيساهم ذلك في تحديد سمات المجتمع ونشاط السكان وتحديد أشكال البناء والمواد المستخدمة فيه، وتوزيع خريطة القصور وتخطيطها؟

3-3. الغطاء النباتي والتربة

تخضع المنتوجات الزراعية بواحة تافيلالت لمؤثرات طبيعية (دورات الجفاف، الحرارة، ملوحة التربة...) كما تعاني من مشاكل مرتبطة أساسا بنظام الري والملكية، وعلى الرغم من هذه المشاكل التي كانت تعرقل السير العادي للإنتاج، إلا أن الواحة كانت مشهورة بمنتوجاتها الفلاحية منذ العصر الوسيط[127]، مستفيدة من السهل الرسوبي الخصب الذي يشكله تقارب مجرى وادي زيز ومجرى وادي غريس، وكذا المجهودات التي يقوم بها الفلاح الفيلالي[128] والمتعلقة بالبحث عن الماء وتخصيب الأرض.

[125] - سن السكان منذ القدم أنظمة محلية محكمة تخص ملكية الماء وطرق انتقالها بالإرث أو البيع والشراء أو الهبة كما أن توزيع الماء كان يخضع حقوق العالية على السافلة والانتماء الإثني وتدخل الدولة لتغيير القاعدة الطبيعية.

[126] - الوزان، م س، ج2، ص 126.

[127] - عن أهمية النشاط الزراعي بالمنطقة خلال العصر الوسيط راجع، حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 292-332.

[128] - يطلق اللفظ على أهل تافيلالت عموما وعلى الأشراف العلويين باعتبارهم ينحدرون من المنطقة، راجع، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، العدد السابع، ص 6559.

لكن تراجع دور المنطقة السياسي واضطراب أوضاعها الاجتماعية أديا إلى تراجع إنتاجها الزراعي خصوصا إنتاج الحبوب، ودليل ذلك؛ ما نص عليه مارمول بقوله: "مهما كان محصول القمح في السنة كثيرا فإنه لا يكفي لأكثر من ستة أشهر، بينما تمكن وفرة التمر من مبادلته مع بلاد البربر والحصول منها على الكمية المرغوب فيها من القمح والشعير"[129].

ولما كان المناخ والتربة مؤثرين في النباتات بالمنطقة فقد استطاعت كل من شجرة النخيل والأثل أن تتأقلما مع هذه البيئة لقدرتهما على البحث عن الماء بالطبقات الجوفية وحاجتهما القليلة إليه[130]، كما أن توفرهما جعل السكان يتجهون إلى استغلالهما استغلالا واسعا في عملية البناء، خصوصا شجرة النخيل التي استخدمت بكفاءة بالغة في أجزاء المسكن وبخاصة كدعائم في الأسقف[131]، وبذلك اعتبرت الشجرة الأكثر أهمية في منطقة تافيلالت، وهو ما دفع "مونيي" إلى اعتبار الحياة في المنطقة شبه مستحيلة بدونها.

كما أن شجرة الأثل بدورها شكلت مصدرا أساسيا لمواد البناء بقصور تافيلالت إلى جانب استغلال منتوجاتها في الدباغة والتدفئة وصناعة بعض الأدوات المنزلية وإطارات الأبواب والنوافذ.

هكذا يتضح من وصف معطيات البيئة الطبيعية لمجال الدراسة أن المجال الصحراوي بخصائصه المتنوعة شكل الخلفية الأساسية لعمارة القصور، مما أدى إلى تشابه العمارة بالمنطقة في المضمون مع اختلافات بسيطة في الشكل، وربما غياب أي تطور في سماتها، وكأن البناء اللاحق يستعيد البناء الذي قبله، مع بعض الإضافات البسيطة هنا وهناك، وهي ما يمكن أن ننعته بالثبات التاريخي لعمارة القصور.

ومن خلال الزيارات الميدانية للمنطقة، لوحظ التأثير الواضح لعناصر البيئة الطبيعية في تشكل التراث العمراني للمنطقة، وذلك من حيث مواد البناء المحلية التي استخدمت في بناء القصور، والمتمثلة أساسا في التراب وخشب النخيل، ولاحظنا أيضا تأثير عناصر

[129] - مارمول، م س، ص 45.

[130]-Mezzine, le Tafilalet, op.cit.p 266.

[131]- سنعرض للأشكال الهندسية لخشب النخيل وطرق توظيفها في الفصل المتعلق بمواد البناء.

المناخ على تخطيط معالم القصبات والقصور؛ فالمناخ الصحراوي القاسي فرض على سكان القصر تصميما خاصا، وضرورة معالجة مشكل الحرارة المرتفعة؛ من خلال الحلول المعمارية الناجحة؛ كاستخدام الجدران السميكة للحصول على العزل الحراري. ولتجنب أضرار الرياح اعتمد النسيج العمراني المندمج مشتملا على شبكة من الدروب والأزقة الضيقة والمتعرجة للحد من سرعة الرياح وتخفيف أضرارها.

أما الأمطار، ورغم قلتها، فقد تنبه المعماري المحلي لما يمكن أن تلحقه من أضرار بمنشآت القصر، فوضع حلولا معمارية مناسبة لتفادي أضرارها، وذلك برفع مستوى المباني السكنية وخصوصا مداخلها عن أرضية الأزقة، لمنع دخول السيول إليها، مع الحرص على إيجاد الانحدار المناسب للأزقة نحو خارج القصر لتصريف المياه التي تسيل من المباني السكنية.

II - التركيبة الاجتماعية وانعكاساتها على تخطيط وعمارة القصر

سكنت وتسكن قصور تافيلالت قبائل وأجناس تتميز بتنوع أصولها، ففيها تتعايش تقريبا كل العناصر البشرية الموجودة بشمال إفريقيا، فقد جمعتها ظروف الحياة ووحدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة. كما يخضع مجتمع القصر في منطقة تافيلالت لتراتب اجتماعي داخلي يجعل الأشراف ومن في زمرتهم في قمة الهرم الاجتماعي متبوعين بالأحرار، بينما تحتل فئة الحراطين والعبيد واليهود قاعدته[132]. وتستند تراتبية هذه الفئات الاجتماعية إلى خصوصيات متصلة بمجموعة من العوامل التي يتداخل فيها العرقي بالاقتصادي بالثقافي، والتي كانت تخفي نوعا من التمايز والتفاضل بين ساكنة القصر الواحد. لكن رغم هذه التباينات فقد اكسب الاستقرار القديم بقصور واحة تافيلالت وإمكانياتها الاقتصادية فئاتها المتعايشة طمأنينة وهدوءا انعكس على سلوكها وتضامنها.

إن مسألة الهرمية والتراتب الذي طبع مجتمع القصور كانت له انعكاسات على مستوى تخطيط القصر وتوزيع نطاقاته، وسكن الفئات الاجتماعية داخله، وهذا مادفع

132- تختلف المصطلحات المستعملة في تسمية هذه الفئات من واحة لاخرى بين مفردات عربية وأخرى أمازيغية، وقد لاحظ جاك مونيي أن هذه المفردات تختلف شكلا غير أنها تتفق مضمونا بين درعة وتافيلالت.راجع:
- Meunié.(Jacques), « Hiérarchie sociale au Maroc présaharien», Hespéris, 1958, 3e-4e trim. p 239-269.

بأحد الباحثين إلى اعتبار القصر بمثابة شجرة نسبية يتحكم في بنائه وتوزيع السكن داخله نظام يحاول الحفاظ على الرابطة الدموية للمجموعات التي تتعايش داخله[133]، وتحافظ من خلاله على الخصائص الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لساكنته، والمتمثلة في علاقة القرابة والتماسك الاجتماعي والشعور بالانتماء وسيادة العرف، نظرا للارتباط الوثيق بين هذه الجماعات.

▪ **الشرفـــــاء**

تجمع أغلب المصادر[134] التي أرخت لقدوم الشرفاء العلويين إلى منطقة تافيلالت، أن ذلك كان في النصف الثاني من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، قادمين إليها من الحجاز. كما اختلف المؤرخون أيضا في سبب استجلاب أهل سجلماسة لجد الأشراف العلويين الحسن المعروف بالداخل، من قرية بني إبراهيم بالينبوع إلى بلدهم، ففي رواية قيل أن سجلماسة كانت خالية من الأشراف وقتئذ، فعقد أهلها العزم على طلب الذهب من معدنه، واستقدموا مولاي الحسن بن القاسم من الحجاز يتبركوا بسكناه بين ظهرانيهم[135]. وفي رواية أخرى أنهم أتوا به ليحيى بمقدمه ما فقد من نخيلهم وتصلح ثمارهم[136]. وقد استقر الشريف مولاي الحسن بن القاسم بعد قدومه بمكان يسمى المصلح[137]، وتنافس سكان المنطقة على مصاهرته، فاختار أولاد المزاري لمروءتهم وديانتهم ووسطيتهم في عشائرهم[138]. ومنذ هذا التاريخ ظل الشرفاء يتكاثرون ويتناسلون

133 - Pascon (Paul), «Types d'habitats et problème d'Aménagement du territoire du Maroc», in R.G.M, N°13, 1960, p 85.

134- أحمد بن عبد العزيز العلوي المدغري، الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1972، ص 26.

- مولاي إدريس بن أحمد العلوي الفضيلي، الدرر البهية والجواهر النبوية، ج1، م س، ص 84.

- محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء، مخ-خ-ح، الرباط، رقم 1433 د، ص 196.

135- ابن السباك، نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام، مخ خ ع، رقم ت 383، ص 42-43.

136 - احمد بن محمد العلوي، الأنوار الحسنية، ص.27/ الفضيلي، الدرر، ج1، ص 88.

137- يطلق على اسم مكان قرب قصر السيفة.

138- الفضيلي، الدرر البهية، م س، ج1، ص 111-112. وقيل تزوج ابنة السيد أبو إبراهيم، راجع الافراني، نزهة الحادي، ص 414.

بقصور تافيلالت حتى أصبحوا يشكلون طبقة اجتماعية معتبرة تشارك الحياة اليومية للسكان، تؤثر فيها وتتأثر بها، مبتعدين عن الخوض في أمور السياسة[139].

وتنبني مكانة هذه الفئة وموقعها الاجتماعي المتميز والاحترام الواجب في حقهم، على الأهمية التقديرية التي يضفيها عليهم النسب الشريف، أو بفضل المعرفة الدينية أوالصوفية التي يمتلكونها أو هما معا، فقد جعل منهم الشريحة التي لا يتأتى لكل فئات المجتمع بمنطقة تافيلالت الالتحاق بها[140]، ولا يمكن تفسير أهمية الشرفاء إلا بعمق محبة الرسول وآل البيت في المعتقد الشعبي والديني سواء لدى السلطة الحاكمة أو لدى الطبقات الاجتماعية ومن ضمنها المتصوفة[141]، بالإضافة إلى أهمية الشرفاء في المجال الديني والعلمي، من خلال تصدرهم للعلم والفتوى والخطابة والإمامة، فقد تمتعوا بالوقار والاحترام من مختلف المجموعات البشرية الأخرى داخل القصور. ويظهر ذلك من خلال استدعاء بعض الأشراف للتحكيم في النزاعات الاجتماعية بين قبائل القصور، ومساهمتهم في تسييج مجموعة من الأزمات التي كانت تنتاب مجتمعات القصور، وتدبير الاختلاف بينهم من جهة وبينهم وبين قبائل الرحل من جهة ثانية.

كما تمتع الشرفاء بإعفاءات ضريبية ومن الخدمات والتكاليف المخزنية، هذا ما نستشفه من وثيقة التوقير والاحترام الموجهة لأهل زاوية سيدي إبراهيم بن هلال من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله "...إننا أسبلنا عليهم أردية التوقير والاحترام... فلا يطالبون في ذلك كله بما يطالب به غيرهم من أهل تافيلالت من التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية، فهم خارجون من رسم كل تكليف قوي أو ضعيف..."[142].

ولم يكن الشرفاء معفيين فقط من التكاليف المخزنية، بل كانت تصلهم هدايا السلاطين. فقد دعا أبو العباس أحمد المريني شرفاء سجلماسة عام 763هـ/1363م، من

[139]- محمد القبلي، "مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين"، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 3-4، 1978، ص 35.
[140]- محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، م س، ص 77.
[141]- القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، م س، ص 17.
[142]- استيتيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات، م س، الوثيقة1 بالملحق، ص445.

أجل الحضور إلى فاس الجديد ليأخذوا عطاياهم وهباتهم التي ألفوا أخذها من السلاطين المرينيين وهذه الدعوة موجهة إلى شرفاء قصور صوصو وأخنوس والسيفة[143].

كما تطلعنا المصادر عن امتيازات أخرى لهذه الفئة الاجتماعية، فالضعيف يشير إلى أن السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله، عند زيارته لتافيلالت في13جمادى الأولى عام 1201هـ، "فرق على الشرفاء أموالا كثيرة من الذهب والفضة، وعم عطاؤه قبائل الشرفاء من الخنق إلى آخر تافيلالت، وزوج كل من هو أرمل أو عازب، وأعطى كل واحد منهم خمسين مثقالا ذهبا"[144]، كما أن ابنه المولى سليمان "رتب للأشراف بتافيلالت في كل سنة مائة ألف مثقال من غير ما يعطيهم في أيام السنة متفرقا"[145].

إن الوضعية المتميزة لهذه الشريحة التي اصطلح عليها احد الدارسين "عامة الشرفاء"[146]، جعلتها تتولى في أغلب الأوقات رئاسة المشيخات ومسؤولية الإشراف على تسيير شؤون القصور، فهم أهل الحل والعقد وأصحاب القرار السياسي، سواء على مستوى القصر الواحد أو مجموعة من القصور المتحالفة، وهو ما انعكس على وضعية الأشراف اجتماعيا وماديا، سواء تعلق الأمر باتخاذ القرارات أو التقدير الاعتباري والوظائف الاجتماعية العامة والسياسية، أو حتى على مستوى السكن داخل القصر، فالأسر الشريفة كانت تسكن بأغلب قصور وقصبات تافيلالت وبأماكن متميزة داخلها، فيما انفردت بعض الأسر الشريفة بقصور خاصة[147]، كقصر بني ميمون الشرفاء.

يجتمع الشرفاء في سلالات صغرى يعيش أغلبها في قصور خاصة بهم؛ وقصور الشرفاء يوجد معظمها في المقاطعة الوسطى لتافيلالت، المعروفة اليوم "بواد يفلي" على طول الساقية المعروفة بواد الشرفاء، ويحتل واد يفلي هذا موقعا متميزا وسط سهل

[143] - مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحه متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، مخطوطة خ ع رقم 723، ص 115-116.

[144] - امحمد بن عبد السلام بن أحمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف الرباطي تاريخ الدولة السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043/1633-1238/1822، تحقيق احمد العماري، الرباط، 1986، ط1، ص.191.

[145]- أبو القاسم الزياني، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، بدون تاريخ الطبع، ص 482.

[146]- أعفيف، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، م س، ص 141.

[147]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19627 / الوثيقة رقم 10بالملحق.

تافيلالت، بالقرب من مجرى وادي زيز في الجهة الشرقية لموضع سجلماسة ويضم 44 قصرا يسكنها الشرفاء[148]، أقدمها يعود إلى الفترة المرينية كقصري: "صوصو"، و"اخنوس"[149]. وينحدر الشرفاء من أبناء مولاي علي الشريف[150]، وهم فروع كثيرة نذكر منها: الشرفاء المحمديون الذين ينحدرون من مولاي امحمد بن مولاي علي الشريف، والشرفاء اليوسفيون: ينحدرون من السيد أبي الجمال يوسف ثاني أبناء مولاي علي الشريف، وكانت مواطنهم الأولى - قبل أن ينتقل معظمهم إلى منطقة مدغرة - بوادي ايفلي بقصور: حمو داود – تعرمت - وقصر بوحامد[151]. وقد أحصى صاحب الدرر هذه الفروع والقصور التي يسكنونها بمنطقة تافيلالت، فذكر قصبة الفيضة وقصبة الدار البيضاء وقصر بني ميمون وغيرها[152].

■ **الأحرار**

ينضوي تحت هذه الفئة أخلاط من الناس ذو بشرة بيضاء، ترجع أصولهم إلى مناطق مختلفة انحدر منها أجدادهم فرادى أو جماعات في أوقات مختلفة، خصوصا القبائل الصنهاجية والزناتية (الأحرار-الأمازيغ) وعرب المعقل (الأحرار-العرب)، وتشكل هذه الفئة القاعدة العريضة داخل القصور الفيلالية وعنوان نشاطها ومصدر اضطرابها وحيويتها، وكانت فئة الأحرار تشغل قصورا برمتها[153]، ويقوم بتسييرها ذوو النفوذ والجاه المستمدين من الثروة بالأساس، والتي تقرن أحيانا بعلم أو خبرة في التجارة، وتعتبر قصور مشيخة بني أمحمد أكثر القصور احتضانا لهذه الشريحة، التي اشتغلت بالفلاحة والتجارة، وكانت تترفع عن مزاولة الحرف كالحدادة والسكافة وغيرها، لأنها تعتبرها مهنا وضيعة من اختصاص الفئات الدنيا مثل العبيد والحراطين، أما مساكنهم فكانت تحتل مكانا وسطا بين الأحياء والحومات الخاصة بالشرفاء وحومات الحراطين، وهذا ما جعل

---

[148]- Meunié, Le Maroc saharien, op.cit p 455

[149]- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود انكحه متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، حرر في قعدة عام 1336هـ، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم، 723د، ص 115-116.

[150]- استقر مولاي علي الشريف في تافيلالت وأخذ يعمل على تكوين نظام اجتماعي يعتمد على اقتصاد التجارة والزراعة في سجلماسة، فأخذ يستصلح الأراضي ويبني المنشآت العمرانية التي توافق النظام العمراني السجلماسي الفيلالي.راجع: مولاي هاشم العلوي القاسمي، "مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية 762-847/1360-1443"، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2013، ص 135.

[151] - إدريس الفضيلي، الدرر البهية، م س، ج1، ص 231.

[152] - المصدر نفسه، ص 237-240.

[153] - من هذه القصور بني ميمون لحرار.

باسكون "Pascon" يعتبر القصر بمثابة شجرة نسبية تتحكم في بناء وتوزيع السكن داخله، وفق نظام يحاول الحفاظ على الرابطة الدموية للمجموعات التي تتعايش داخله[154]، أما في القصور الخاصة بهم، كما هو الشأن بالنسبة للحراطين، فإنهم ينتظمون داخلها تبعا لأوضاعهم المادية ومكانتهم الاجتماعية أو انتماءاتهم القبلية.

- **الحراطين**

يطلق لفظ الحراطين[155] على ذوي البشرة السوداء من سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية من غير العبيد. كما أطلق على هذه الفئة إضافة إلى لفظ الحراطين مصطلح "قبالة" مفردها "قبلي"، وهذه الكلمة تعني سكان بلاد القبلة التي تستعمل في المصادر للدلالة على مجالات الجنوب المغربي بما فيها درعة وسجلماسة. وقيل إنها ذات معنى جغرافي محلي تدل على السود الذين ليسوا عبيدا[156]، واختلف في أصل هذه الكلمة فقيل هي تحريف للحراثين أي الذين يحرثون الأرض، وقيل أصلها الحر الثاني أي الذي كان عبدا وأعتقت رقبته[157].

ويطرح أصل الحراطين إشكالا تاريخيا واثنوغرافيا، إذ تعددت الآراء حول أصولهم الممكنة والمحتملة، سواء تلك التي رجحت الأصل الزنجي على أساس أنهم استقدموا كعبيد في عصور تاريخية مختلفة للقيام بأعمال الزراعة، ثم تحولوا تدريجيا إلى وضع وسط بين الاستعباد والحرية. وهناك من حاول تفسير السمات البشرية للحراطين بأنه نتيجة تمازج وتلاقح بين البربر والزنوج، وهو التمازج الذي أعطى هذا الوضع الوسط، أما الرأي الثالث فيرى أن حراطين الواحات الواقعة جنوب جبال الأطلس يشكلون عنصرا بشريا موحدا كان مستقرا في الواحات قبل توافد الهجرات الأمازيغية[158].

[154]-Pascon(Paul), «Types d'habitats et problème d'Aménagement du territoire du Maroc», .op.cit. p 90.

[155] - حاول صاحب الاستقصا مقاربة مفهوم الحرطاني بقوله: اعلم انه وقع في هذه الأخبار لفظ الحرطاني، ومعناه في عرف أهل المغرب: العتيق، واصله الحر الثاني، كان الحر الأول هو حر أول وهذا العتيق حر ثاني، ثم كثر استعماله على الألسنة فقيل الحرطاني على ضرب من التخفيف.
- الاستقصا، م س، ج7، ص 58.
- حول مفهوم الحراطين وأصلهم بمنطقة تافيلالت، راجع:
- استيتيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر م س، صص 80-90.
- حافظي، واحات بلاد المغرب، م س، ص 957-961

[156]- Meunié, Le Maroc saharien, op.cit, p. 245

[157] - عبد الكبير باهني، الحراطين، معلمة المغرب، مطابع سلا، 1998، ج:10، ص 3353.

[158] - اعفيف، توات، م س، ص 82.

إختصت هذه الفئة في البلاد الواحية بالزراعة وغالبا مايكون عملهم لصالح العناصر العربية والأمازيغية والشرفاء وهذا ما دفع بالباحث "البوزيدي"إلى القول بأن: "الحراطين يشكلون الفئة المنتجة والقاعدة البشرية التي يقوم عليها اقتصاد مجتمع الواحات بالجنوب المغربي"[159].

انطلاقا من المهام التي تقوم بها هذه الشريحة الاجتماعية يمكننا تحديد مجالات انتشارهم بمنطقة تافيلالت، إذ سكن أغلبهم بقصور خاصة، شكلت خزانا بشريا مكلفا بالخدمات المخزنية وذلك في المحيط القريب من القصور المخزنية، لحاجة الأشراف لخدمة هذا العنصر في الأرض والبيوتات[160]، كما استوطنوا بنسبة أقل في المجال الذي يتعاطى غالبية سكانه للزراعة، خاصة في مشيخة بني امحمد، وقد حصر "Delbrrel" عدد هذه القصور التي يسكنها الحراطين أثناء زيارته للمنطقة أواخر القرن التاسع عشر، ما بين 20 و30 قصرا[161].

إن وضعية الحراطين، كفئة اجتماعية ترتبط بعائلة من الشرفاء أو الأحرار لم تكن تمنعهم من حق ملكية الأرض أو الماء أو السكن إلى جانب الفئات الاجتماعية الأخرى بقصور تافيلالت، لكن ذلك كان يتطلب موافقة الأشراف على توطينهم واستضافتهم[162]. وهي وضعية متميزة إذا ما قارناها مع وضعية حراطين فكّيك الذين لم يسمح لهم إلا بالسكن في أحياء خاصة في أطراف القصر[163].

- **العبيد**

كان العبيد سلعة رائجة لدى تجار القوافل وكان تداولهم بتافيلالت أمرا شائعا بدليل أهمية سوق أبو عام في تجارتهم[164]، وسكنهم بقصور أبناء السلاطين والتجار والعائلات الميسورة، إذ هي في حاجة إلى سواعدهم للاستعانة بها في الزراعة وتربية الماشية

---

[159]- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 141.

[160]- عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج1، ص 273.

[161]- Delbrel (Gabriel), «Notes sur le Tafilalet», Bulletin de la Société de Géographie, Paris, Tome XV, 7eme série ,3eme trimestre, 1895, p. 210.

[162] - محمد لمراني، "التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر اخنوس من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة"، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 7، مارس، 1998.

[163]- امزيان، فكيك، م س، ص 265.

[164] -Caillé (René), Voyage à Tombouctou, Edité par François Maspero / La Découverte, Paris ,1979, p 345.

والأشغال المنزلية. والظاهر حسب ما تمدنا به المراسلات السلطانية أنه كانت تبنى لهم أماكن خاصة للسكن في أطراف القصور المخزنية أو قصبات مجاورة[165]، ويتكلف السلطان بمؤونتهم مقابل الخدمات التي يقومون بها[166]. وقد سميت القصبات بأسماء هؤلاء العبيد كأخنوس وصوصو وغيرها. وقد بلغ عدد العبيد الساكنين بقصبة السيفة خمسة آلاف خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[167].

كانت كثرة العبيد بالقصور المخزنية، على وجه الخصوص، تؤدي إلى سرقتهم من طرف قبائل الرحل لإعادة بيعهم، هذا ما نستشفه من إحدى المراسلات السلطانية:

"... وذكرت أن الشرفاء وأهل الغرفة هم سبب الفتن وجلب هذه المحن حتى ان الشرفاء يدلون المفسدين على اختلاس وُصفائنا هناك وبيعهم مبالغة في الفساد، وطلبت الرحيل من وسطهم إن لم ينصب لهم من يحكمهم ويحسن سياستهم..."[168]، وتحديدا أثناء اضطراب الأوضاع السياسية، وبقي هؤلاء العبيد حتى بعد تحريرهم مرتبطين بروابط الولاء لأسيادهم يساعدونهم في جميع الأشغال الشاقة، بل كانت تسند لهم أحقر الأعمال التي لا يرضى القيام بها غيرهم من سكان القصر.

- **اليهود**

تواجد اليهود بالمناطق الواحية والصحراوية بالمغرب الأقصى منذ عصور ضاربة في القدم؛ لكن تاريخ دخولهم رافقته افتراضات لاتستند إلى أدلة علمية. فقد أشار "ناحوم سلوش"(N. Sloush) إلى أن مدينة سجلماسة كانت من أهم المناطق التي تواجد بها اليهود منذ عهود قديمة، وأنه كان بها جماعتان يهوديتان تعرف واحدة منها باسم تافيلا "Tafilat"[169]، وتعزز حضورهم بها بعد تأسيس حاضرتها التاريخية سجلماسة وما ضمته من مغريات للعنصر اليهودي.

[165]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 21356.
[166]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 21405/ وثيقة رقم 3 بالملحق.
[167] - الضعيف، م س، ج1، ص 346.
[168] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 18333/ وثيقة رقم 5 بالملحق.
[169]-Sloush (Name), «Etudes sur l' histoire des juifs au Maroc», Archives Marocaines Volume, N4, 1906, p 23.

وذكر البكري في معرض حديثه عن يهود سجلماسة: "والبناؤون عندهم يهود لايتجاوزن بهم هذه الصناعة"[170]. وأضاف صاحب الاستبصار "أن أهل سجلماسة سخروا اليهود في حرفة الكنافة"[171]، وأن من دخل في الكنافين من أصناف الناس سموهم المجرمين لاجترامهم على حرفة موقوفة على اليهود وقصروا البناء عليهم[172]. وفسر سبب اشتغال اليهود بهذين الحرفتين بقوله: "والسبب في تسخير أهل سجلماسة لليهود في هاتين الحرفتين الرذيلتين كونهم محبين في سكنى بلدهم للاكتساب، لما علموا أن التبر بها أمكن من غيرها من بلدان المغرب، لأنها بابا لمعدنه، فهم يعاملون التجار به ليخدعونهم بأنواع الخداع"[173]. ولئن كان من السهولة بمكان أن نسلم بقدم استقرار العناصر اليهودية بالمناطق الواحية والصحراوية ببلاد المغرب، فإن القول بتأثيرهم العميق في الحضارة المغربية، يفتقر حتى الآن إلى الحجة والدليل[174].

وفي مقالها حول التراتب الاجتماعي بالجنوب المغربي اعتمدت الباحثة "مونيي" على المعلومات التي جمعتها أثناء إقامتها بمناطق الجنوب طيلة سنوات: 1945و1946و1949م، وعلى تحريات ميدانية شملت باني، وثنية درعة، ودرعة الأوسط، وتازارين، وإمغران، ودادس، وتدغة، وفركلة، وغريس، وزيز، وكير. فخلصت إلى أن اليهود من العناصر المكونة للمجتمعات الواحية في الجنوب الشرقي وجعلتهم في أعلى الهرم الاجتماعي لساكنة هذه المجالات مبررة ذلك بأهمية تراثهم وغناهم الواضحين[175].

وبالرغم من تراجع حاضرة سجلماسة في القرن الرابع عشر الميلادي الثامن الهجري، فإن التعايش الذي طبع علاقة اليهود بالمسلمين بالمنطقة، سمح لهذه الفئة بالعيش مع سكان القصور وممارسة أنشطتهم التجارية والحرفية، بل إن العناصر اليهودية مكنت لنفسها في العديد من القصور الفيلالية مثل، قصر تابوعصامت والمأمون والقصر الفوقاني والقصبة السجلماسية وغيرها، فقد ذكر الوزان في معرض حديثه عن قصر

[170] - البكري، المسالك، م س، ص 863

[171] - مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص201-202.

[172] - المصدر نفسه، ص201.

[173]- المصدر نفسه، ص 201.

[174] - حسن حافظي علوي، واحات بلاد المغرب من ق 4/10م إلى القرن 8هـ/ 14م، م س، ص 1005.

[175]-Meunié.(Jacques), « Hiérarchie sociale au Maroc présaharien», op.cit, p.259.

تابوعصامت أن به عددا كبير من اليهود المشتغلين بالصناعة والتجارة، كذلك الشأن بقصر المامون الذي كان زمان هذا المؤلف كبيرا وحصينا كثير السكان خصوصا منهم التجار اليهود[176].

إن وجود اليهود بهذين القصرين لا يعني أن إمكانية سكنهم بكل القصور كانت متاحة، بل اقتصر وجودهم على بعضها فقط[177]، خصوصا تلك التي لا يوجد بها الشرفاء، كما أن أغلبهم كانوا يتمركزون في الملاح الكائن بقصر حياطين، وقد قدر "Linares" عددهم أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ب 250 أسرة[178]، بينما أوضح "Delrrel Gabriel" قبله بثلاث سنوات أن عددهم يتراوح بين 300 و400 فرد[179].

ومن أبرز بقايا اليهود بمنطقة تافيلالت بعض الأزقة التي تحمل اسم درب اليهودي وكذا المقابر اليهودية في سجلماسة على الضفة اليسرى لوادي زيز قرب مدينة الريصاني، ومقبرة تابوعصامت، وكذا ملاح قصر حياتين ببيعته التي مازالت شاهدة على سكنهم بهذا القصر.

لكن الملفت للانتباه، هو انقراض العنصر اليهودي من قصور تافيلالت بسبب هجرتهم نحو المدن الداخلية والدول الأوروبية وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك اندثر أحد المكونات الأساسية للبنية الاجتماعية بقصور تافيلالت.

لم يكن رصدنا لمكونات مجتمع القصور وتراتبيته يهدف إلى معرفة أسباب هذا التمايز وأصوله، أو إبراز التعارض بين مستويات المعيشة بينها، أو التلميح إلى صراع فئوي، بقدر ما كان هدفنا الوقوف على انعكاس تنوع الفئات الاجتماعية وتراتبيتها على توزيع النطاقات داخل القصر، والتي خلصنا من خلالها إلى أن السكن بقصور تافيلالت كان مطبوعا بنوع من التمايز بين الفئات الاجتماعية داخل القصر، وارتباط ذلك بالنفوذ المادي والمعنوي لكل مجموعة بشرية.

176- الوزان، وصف افريقيا، م س، ج 2، ص 126.

177- من القصور التي تمركز بها اليهود. بوزملة، مزكيدة، قصور الغرفة...

178- Linares (Fernand) , «Voyage au Tafilalet avec SM le sultan Moulay Hassan en 1893», Bulletin de l'institut d'Hygiène du Maroc, Rabat, publication de la direction de la santé et de l'Hygiène publiques. Juillet- Septembre 1932. Tome III, p 8.

179 -Gabriel (Delrrel), « Notes sur le Tafilalt», B.S.G, 1894, p 210.

فقصور وقصبات المنطقة لاتأوي الفئات الخمس المشار إليها، فالشائع أن نجد في كل قصر فئتين أو ثلاثة على أكثر تقدير، وفي حالات محدودة نجد الفئات الخمس ممثلة في قصر واحد، أو نجد قصرا تعيش فيه فئة واحدة. وفي كل الحالات كانت هذه الفئات مقننة بأعراف متداولة كتابيا أو شفويا لتدبير اختلافاتها؛ إذ بحسب مقتضيات كل عرف تعرف كل فئة حدودها وواجباتها تجاه الفئات الأخرى وتتصرف وفقا لذلك في علاقتها الاقتصادية وتعاملها اليومي.

خاتمة:

ركزنا في هذا الفصل على دراسة الظروف الجغرافية والتاريخية لفهم الدور الكبير الذي لعبته في تشكيل وتحديد مميزات العمارة والعمران بمنطقة تافيلالت، ونكون نظرة شاملة عن الوسط الذي وجدت به القصور والقصبات، ونتمكن من معرفة الأسباب والعوامل المؤدية إلى نشأتها وظهورها بهذا المجال.

فإذا كانت المنطقة لاتتمتع بامتيازات مناخية كبيرة، إلا أن ظهور هذه القصور لم يكن عفويا، بقدر ما كان مستمدا من ظروف طبيعية بحتة توفر الشروط الضرورية للحياة، ممثلة في الموراد المائية والنباتية والأراضي الصالحة للزراعة التي وفرت العيش لسكانها، فالموارد المائية كانت مصادرها بين وادي زيز وغريس والمياه الجوفية، بالإضافة إلى وجود سهل فسيح، ساهمت في تخصيبه توضعات الأنهار، كما أن المنطقة امتازت بوجود ممرات سالكة للقوافل التجارية. ولذلك فإن خصائص منطقة تافيلالت الطبيعية كان لها دور في نشأة القصور، وهي بذلك تشترك في كثير من تلك التي تتم مراعاتها عند إنشاء المدن، كما تستجيب لأغلب ثوابتها، لكن بقي عمرانها بدويا حسب التعبير الخلدوني[180].

وعرفت قصور تافيلالت استقرار مجموعة من الأجناس البشرية على مرحلتين، فالقصور التي شيدت قبل أواخر القرن الثالث عشر الميلادي سكنتها عناصر سوداء ويهود وعرب وأمازيغ ممثلين في القبائل الصنهاجية والزناتية، بينما تسكن في القصور التي أسست بعد القرن الثالث عشر الميلادي، إضافة إلى الأجناس السابقة قبائل عرب المعقل والشرفاء. وأن التمايز الاجتماعي الذي كان قائما على الانتماء النسبي انعكس على عمران القصور وتوزيع نطاقاته.

[180] - ابن خلدون، العبر، م س، المجلد الأول، 1973، ص617.

الفصل الثالث

السياق التاريخي لتشكل وازدهار وتراجع القصور بمنطقة تافيلالت

تعتبر منطقة تافيلالت من المناطق التي شهدت الاستقرار البشري منذ القدم، وذلك ما تشهد عليه النقوش الصخرية التي لاتزال بقيد الجود؛ وقد عرف هذا الاستقرار تطورا كبيرا بعد أن اهتدى الإنسان إلى بناء تجمعات سكانية عرفت باسم القصور، والتي تشكل في الحقيقة صورة للتطورات التاريخية التي عرفتها المنطقة، فالآثار العمرانية شاهد إثبات على التطور التاريخي والبشري، ويمكن أن نميز في منطقة تافيلالت بين قصور تنتمي لمراحل زمنية مختلفة، وكل منها يعكس التطور التاريخي الذي عرفته المنطقة، مما يدل على أن تافيلالت كانت من جملة المناطق التي استوطنها الإنسان منذ العهود القديمة وأنشأ بها أماكن استقرار وظيفية وبيئية بامتياز تتكيف مع المناخ، واستحدث نظاما للتبادل وحقق انسجاما في الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التي تضمن له التعايش والتأقلم مع محيطه، لكن الجذور التاريخية لعمارة القصور الفيلالية يبقى مجهولا. لتظل الإشكالية المرتبطة بتحديد الفترة التي عرفت فيها واحة تافيلالت الاستقرار الأول ومزاولة النشاط الزراعي وتشييد القصور الأولى من الإشكاليات التي لم تجد جوابا شافيا لحد الآن. ومرد ذلك، إلى شح الإشارات الصدرية، مما دفع بعض الدارسين إلى طرح افتراضات تتعلق بالجذور البعيدة لهذه العمارة انطلاقا من مقارنة أشكالها وتقنياتها بأنماط معمارية معروفة في مجالات أخرى، ليرجعوا أصلها إليها.

وعليه، سنتتبع روايات تأسيس هذه القصور لفهم جذورها، ومعرفة مراحل تطورها، وجرد القائم منها والمندرس، انطلاقا من الإشارات المصدرية ونتائج المعاينة الميدانية.

I- الجذور التاريخية لعمارة القصور بمنطقة تافيلالت

يواجه الدارس لتاريخ عمارة القصور صعوبة كبيرة في تحديد جذورها في ظل انعدام الإشارات المصدرية وقلة العناصر والأدلة الميدانية التي يمكن الإعتماد عليها، كما أن الروايات الشفوية المحلية تفتقد إلى الحجج العلمية أو تتناقض أحيانا، بيد أن احتمال ربط جذورها بالسكان الأصليين غير واضح تماما، باعتبار أن سوادهم الأعظم كانوا من البدو الرحل[181]. وأمام هذا الغموض يبقى تحديد الجذور التاريخية للقصور عبارة عن تخمينات واجتهادات من طرف الباحثين المتخصصين.

[181]- احمد مولود ولد ايدة الهلال، مدن موريتانيا العتيقة، م س، ص 315.

فإذا كان من المؤكد أن سكان المناطق الصحراوية سكنوا في القصور منذ أزمنة ضاربة في القدم، فقد كشفت الأدلة الأثرية عن قدم الاستيطان البشري في منطقة تافيلالت، وأهم أثر خلفته لنا العهود القديمة يتمثل في وجود مواقع أثرية بتحصيناتها ومقابرها الجنائزية والصخرية[182]، التي ينسبها أحد المهتمين إلى القبائل الأمازيغية التي كانت تقطن قديما بالمناطق الجنوبية، مستندا في رأيه على الكتابات الأمازيغية المنقوشة في الصخور إلى جانب الرسوم المكونة من العربات الخفيفة والحيوانات[183].

ولعل نتائج هذه المعاينة الميدانية دفعت المهتمين بالبحث الأثري خلال القرن الماضي إلى القيام بمجموعة من التنقيبات الأثرية في مناطق مختلفة من مجال تافيلالت[184]، بهدف الكشف عن المبهم من تاريخ المنطقة وعمارتها. وركزت هذه التنقيبات على المعالم الجنائزية، وعلى موقع سجلماسة الأثري[185]. وبناء على ما توفر لديهم من أدلة اركيولوجية أو معمارية، قدموا مجموعة من الاجتهادات. فكانت النتيجة الأولية لهذه الأبحاث التأكيد على أن مجال سجلماسة كان مأهولا على الأقل منذ العصر الحجري الحديث، بدليل وجود عدد من المواقع الأثرية التي تأخذ شكل تحصينات وتتضمن منازل ونقوش صخرية[186]، خصوصا بالموقع القريب من "الطّاوْس" والتي يرجع تاريخها إلى الفترة الممهدة للتاريخ، وتحديدا المرحلة النهائية من العصر البرونزي وبداية العصر الحديدي المبكر[187].

ومن أهم البقايا الأثرية بمنطقة تافيلالت الكراكير والمدافن ذات البنايات المعبدية[188]، هذه المدافن التي استمرت منذ ظهورها وبدون انقطاع حتى مجيء الإسلام،

[182]- تم العثور في بداية النصف الثاني من القرن الماضي على نقوش لعربات تجرها الخيول وخطوط من تيفناغ بالقرب من الطاوس جنوب سجلماسة كما اكتشفت بنفس المكان بقايا ثلاث قرى تعود للفترة الليبية البربرية.
- Belouin (Colonel), « Notes sur la Grotte de Tazougert» Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques, 1925, p 67.

[183] - عبد السلام مقداد، "تاريخ ومصدر البيانات المدفنية بمنطقة تافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الأولى، دجنبر 1989، ص 340.

[184] يعود أول بحث أثري بالمنطقة إلى سنة 1925 للكولونيل بلوان
- Belouin (Colonel), « Notes sur la Grotte de Tazougert, op.cit, p 67.

[185]- للاطلاع على مجموع هذه التنقيبات التي أجريت في الفترة الممتدة من 1925 إلى 1998 وعلى نتائجها ينظر،
- تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج 1، ص 182-287.

[186] - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج 1، ص 182.

[187] - المرجع نفسه، ج 1، ص 186.

[188] - المرجع نفسه، ج 1، ص 186.

والتي ينسبها جل الباحثين إلى القبائل الليبية - الأمازيغية التي كانت تقطن بالمناطق الجنوبية في القدم، وما يدعم هذا الطرح وجود كتابات ليبية منقوشة على الصخور، بجانب العربات الخفيفة والحيوانات[189].

عموما إن هذه البقايا الأثرية توجد إلى جانبها بقايا بنايات تؤكد أن بداية التشييد الأولى تعود إلى ما قبل التاريخ، وإن ظل الجهل قائما بنمط البناء الذي ساد خلال هذه المرحلة، ما يجعلنا نتساءل عن العلاقة بين مدينة سجلماسة والقصور، وأي منهما الأسبق؟

فإذا كانت الأبحاث الاركيولوجية دلت على قدم الاستقرار بهذه المنطقة، ووجود مبان بها، وهذا ما أكده ابن خلدون حين أشار بدوره إلى الآثار المعمارية التي كانت للبربر في الصحراء وما شيدوه من آطام بفكَّيك وسجلماسة وتوات وغيرها[190]، غير أنه ليس لدينا ما يساعد على التأريخ لهذه القصور، لأن المصادر القديمة لا تشير إليها، كما أن عامل الزمن والسيرورة التاريخية لعبا دورهما في طمس المعالم العمرانية ذات الدلالة التاريخية على التطور العمراني الذي عرفته المنطقة.

وبناء على هذه المعطيات وغيرها تعددت الروايات والاجتهادات حول التاريخ المفترض لبداية تشييد القصور بالمناطق الصحراوية ومن ضمنها تافيلالت، فطرح بعض الباحثين افتراضات تتعلق بالجذور التاريخية البعيدة لهذه العمارة، انطلاقا من مقارنة بعض أشكالها وتقنياتها بأنماط معمارية معروفة، ليرجعوا أصلها إليها، ويبدو أنه في غياب إشارات مصدرية دقيقة وأمام تواضع حصيلة الأبحاث الأثرية، فإن مثل هذه الاجتهادات تحتاج إلى تأن وتبصر ودقة في البحث وتروّ في الاستنتاج، وإن كنا نتفق على أن المؤثرات الفنية الوافدة تركت بصماتها في المناطق التي وصلت إليها.

ومن بين ذلك ما أشار إليه هنري تيراس[191] من كونه رصد في التخوم الشمالية عدة تأثيرات على العمارة البربرية بالمغرب الصحراوي، من بينها تأثير فرعوني، فضلا عن

[189] - مقداد، "تاريخ ومصدر البنايات المدفنية بمنطقة تافيلالت"، م س، ص 340.
[190] - ابن خلدون، كتاب العبر، ج6، ص 34.
[191]-Terrasse (Henri), Kasbas berbères de l'atlas et des oasis, éd. Horizons, de France, 1938.p70-74

تأثير روما البيزنطية، وذلك قبل أن تصل التأثيرات الإسلامية إلى هذه المنطقة شبه المعزولة.

ويرى عبد العزيز بنعبد الله[192] في هذا السياق أن نظرية هنري تيراس السالفة حول المؤثرات الفرعونية على العمارة البربرية بالمغرب الصحراوي، لا تتنافى مع ما كان قد لاحظه نفس الباحث من تأثير جوانب من العمارة اليمنية على هذه المنطقة[193].

ونتيجة لذلك، يرى أحد الدارسين[194] أن احتمال وجود قرابة بالعمارة اليمنية قد تبدو مستساغة وإن لم توجد براهين على وجودها، ذلك أن ربط بعض قبائل صنهاجة الصحراوية بقبيلة حمير اليمنية قد يمثل خيطا يحيل لوجود علاقة محتملة بين النمطين المعماريين.

وأشار هنسنس (Hensens) إلى أن تاريخ السكن بالواحات يمكن إرجاع أشكاله إلى تأثيرات مشرقية ومتوسطية قبل العهد النيوليتيكي، وذلك من خلال النقوش الصخرية والبنايات الحجرية فوق القبور، وقد وصلت هذه التأثيرات إلى المنطقة عن طريق الهجرات، إلا أنها لم تكن لتظهر وتتطور إلا بوجود سكان مستقرين أو في طريق الاستقرار، مستدلا على ذلك بوجود المنازل ذات الصحون والأشكال المربعة والزوايا القائمة والتحصين والتنظيم البسيط ومتانة بناء الأسوار، ووجود النخيل والجمال[195]. ويرى كوتييه (Gautier) أن أصل هذا النمط المعماري يعود إلى القبائل الزناتية وميز بين معمار البتر الذي هو فن قبائل زناته، وفن معمار البرانس؛ أي الفن الصنهاجي الخاص "بالقبايل" التي تسكن جبال الأوراس بالمغرب الأوسط، وذكر أن المنزل الزناتي يتكون من عدة طوابق، في حين أن المنزل القبائلي يتكون من سكن ارضي فقط[196]، وإلى نفس

---

[192]- عبد العزيز بنعبد الله، الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية، (مادة الفن الصحراوي)، معلمة المغرب، م س، ص 133. (مادة الفن الصحراوي).

[193]- Terrasse, Kasbas berbères de l'atlas et des oasis, op.cit, p 70

[194]- احمد مولود ولد ايدة الهلال، مدن موريتانيا العتيقة، قصور ولاته ودان وتيشيت وشنقيط، منشورات مركز الدراسات الصحراوية،2014، ص 318.

[195]-Hensens (Jean) , «Habitat rural traditionnel des oasis présahariennes de Ksar problèmes de rénovation » BESM , Vol .14, Juillet- Septembre, 1969, p 83.

[196]-Gautier (Ernest F), Le passé de l'Afrique du Nord ,édition payot, Paris, 1964,p 228-229.

الأصل يرجع "لويكي" هذا النمط السكني، إذ يرى أن قبائل زناته هي التي أنشأت أغلب واحات المناطق الصحراوية كواحة سوف وادي ريغ وركلة وتيدكلت وتوات[197].

ويرى "تيراس"بدوره أن الهندسة المعمارية للواحات ترجع لتقليد قديم جدا تم اغناؤه وتعزيزه وترسيخه في العصور الإسلامية الأولى، كما أن هندسة الواحات تشكلت على أقصى تقدير في القرون الأولى الإسلامية[198].

وكان ابن خلدون قد ذكر أن "القبائل الزناتية تركت قصورها جنوب جبال درن لعرب المعقل بعد أن تكونت لهم دول ببلاد المغرب، بني مرين بفاس وبني زيان بتلمسان"[199]. ومن المعلوم أن عرب المعقل بعد دخولهم مجال سجلماسة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي قد وجدوا القصور قائمة بتلك الناحية، فقبيلة مكناسة التي أسست مدينة سجلماسة في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي تنتمي للجماعة الزناتية وكانت لها دراية بالهندسة المعمارية للقصور وظفتها في بناء المدينة[200]. وقد عرف بناء القصور اتساعا وتطورا ملحوظا مع دخول عرب المعقل إلى المنطقة، لأن هؤلاء أنفسهم نقلوا معهم مقومات هذا النمط السكني من مناطق استقرارهم الأولى التي كانت مجالا لسكنى قبائل زناته فيما سبق[201].

ولا يستبعد "محمود إسماعيل" أن يكون عرب المعقل نقلوا هذا النمط المعماري من بلادهم الأصلية، وأن هندسة القصور الفيلالية تأثرت في نفس الوقت بمؤثرات أندلسية ومشرقية[202].

أمام تضارب أراء الباحثين حول أصل هذا النمط المعماري والحضارت التي تأثر بها، والجذور الافتراضية التي ارجع إليها الدارسون أصل عمارة القصور وفي غياب

[197]-Lewiki (Tadensz), « Sur le titre libyco-berbère» étude maghrébines et soudanaises, édition scientifique de Pologne, Publication de l'Académie Polonise des Sciences, Comité des études Orientales, 1976, p 44.

[198]-Terrasse (Henri), Kasbas berbère de l'Atlas et des Oasis, les grandes architectures du sud marocain, Paris, édition Horizons de France, sans date, p 113.

[199] - ابن خلدون، م س، ج7، ص77.

[200]- حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 117.

[201]- المرجع نفسه، ص 117.

[202]- عبد الرزاق محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1985، ص 300.

دلائل مصدرية وأركيولوجية قاطعة، فإن صعوبة تحديد أصل القصر تظل قائمة وتطرح إشكالا تاريخيا لايمكن فكه بسهولة، نظرا لحجم الحلقات المفقودة من تاريخ الواحات الصحراوية عموما وواحة تافيلالت خصوصا. لكن المؤكد أن المنطقة عرفت ظاهرة انتشار القصور قبل المرحلة التي أمدتنا المصادر بذكر أسماء بعضها، ليظل ما هو معروف لدينا من القصور يعود إلى الفترة المعاصرة لمدينة سجلماسة.

II - المحطات التاريخية الكبرى لقصور تافيلالت

1- القصور المعاصرة لسجلماسة

بالرجوع إلى المادة المصدرية يتأكد أن المجال القروي لمدينة سجلماسة لم يكن خاليا من السكن، بل وُجدت إلى جانب مدينة سجلماسة مجموعة من القصور كانت تمثل في مرحلة ازدهار المدينة مجالا قرويا واسعا تربطها بالمدينة علاقات نتيجة حاجة هذه الأخيرة لمواد التموين من المنتوجات الفلاحية[203]، لتوفر هذه القصور على العديد من البساتين والمزارع[204]، الأمر الذي يعني أن سجلماسة المدينة كانت عبارة عن المركز السياسي لتوفرها على دار الإمارة وقصبة للجند إلى جانب بعض المرافق الدينية والأسواق وفنادق التجارة[205].

ذكر أبو حامد الأندلسي أن سجلماسة محاطة بمساكن محصنة[206]. وقال الحميري "هي قصور وديار وعمارات متصلة"[207]. ويستنتج من هذين النصين أن المجال القروي لسجلماسة كان عبارة عن سلسلة من القصور على ضفاف الأودية. يعود أقدم ما هو معروف منها إلى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، في حين لا تشير المصادر إلى القصور التي كانت نشيطة في القرن السادس الهجري، الأمر الذي لا يعني غيابها بل يعكس النقص الواضح في المعلومات المتعلقة بها في المصادر، في حين

203 - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص113.
204 - احمد ابن أبي محلي، تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم:12163، ص3.
205 - المصدر نفسه، ص 2.
206- حافظي، سجلماسة، ص 114.
207- الحميري، م س، ص 305.

أشار ابن الزيات الى أحد القصور التي كان لها إشعاع في القرن السابع الهجري، أما المرحلة المرينية فتعد فترة ازدهار المعمار ببادية سجلماسة.

ومن خلال ما استطعنا جمعه من مادة وثائقية، مصدرية كانت أو مرجعية، يمكن حصر القصور المعاصرة لسجلماسة في المجموعة التالية.

- **قصر الجبيل:** حسب "R Faure"[208] هو أقدم قصور سجلماسة لأن تاريخه يرجع إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، ويقع هذا القصر على مرتفع جبلي بمشيخة بني امحمد على بعد خمسة كلمترات إلى الشمال من موقع مدينة سجلماسة، وتتكون ساكنته اليوم من العناصر العربية والأحرار وبعض الأسر من آيت أزدك.

- **قصر آبار المخزن:** يقع على الضفة اليسرى لوادي زيز بمقاطعة وادي ايفلي، وتعتقد "Meunié"[209]، أن تأسيس هذا القصر يعود إلى القرن الخامس الهجري 11م، بل إن موقعه المشجع على الاستقرار يؤهله ليكون أقدم من ذلك.

- **قصر انبدور**[210]: يقع شمال المدينة الأثرية سجلماسة على بعد خمس كلمترات، وهو اسم للمجال الذي يوجد به القصر ويدعى رابطة انبدور، يحده قصر لبطرني في الجنوب الشرقي وقصر لوجارشة غربا وتاحسنونت شمالا.

إن رصد المعطيات والتفاصيل الخاصة بأهل انبدور ابتداء من تاريخ بناء قصورها، وكذلك التطور الذي حصل لهم عبر التاريخ، أمر صعب التحقيق في غياب المادة المصدرية، ومع ذلك يمكن تسليط الضوء على بعض الحقائق، فقد أشار ابن الزيات إلى اسم هذا القصر الذي كان له إشعاع ديني في ضواحي سجلماسة في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وذلك أثناء حديثه عن أبي العباس التوزري أحد رجالات التصوف الذي أقام بسجلماسة ثم توجه إلى المشرق فمات هناك في حدود سنة 610هـ/1214م، قائلا: سمعت أبا عبد الله محمد بن أبي القاسم يقول: حدثني أبو زكرياء يحيى بن ميمون

[208]- Faure (Roger), Le Tafilalet, étude d'un secteur traditionnel d'irrigation, Paris, 1969, p .167.

[209]- Meunié, Abbar, op.cit, p 63.

[210] -انبدور تعني العتبة كما تعني الحكاية أو الملحمة، راجع:

- حافظي، واحات بلاد المغرب، م س، ص917.

قال: "اعتكف عندي أبو العباس التوزري برابطة انبدور خارج سجلماسة، فدخلت عليه بين العشائين فدفع لي جاما فيه خبز ولحم وما رأيت أطيب منها"[211].

وقد تعرض هذا القصر للهدم بعد هجرة ساكنته نتيجة الغارات التي تعرض لها من طرف قبائل بني امحمد بتحالف مع آيت عطا خلال القرن الثامن عشر الميلادي[212].

- **القصر الجديد بالغرفة:** يقع إلى الجهة الجنوبية الشرقية من موقع سجلماسة الأثري، يعود تأسيسه إلى مرحلة مبكرة من التاريخ الوسيط، أو على الأقل أنه شيد على أنقاض قصر سابق له، بدليل تسميته بالجديد، إلا أن أول إشارة وصلتنا عنه ترجع إلى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي اعتمادا على ما ذكره ابن السباك في كتابه: "نصح ملوك الإسلام" أن أحد أبناء سيدي أبى علي بن حسون الشريف الذي يوجد ضريحه بالغرفة من القصر الجديد وهو حفيد الولي الصالح سيدي أحمد الشريف الحسني المومناني دفين غرناطة، انتقل من الأندلس إلى سبته أيام حكم العزفي أبا زرهون عبد العزيز والسيد محمد ثم ولد سيدي محمد المذكور السيد أبا علي حسون الذي توفي بفاس ونقل ميتا إلى القصر الجديد بالغرفة وتوارثه أعقابه، إلى أن قامت دولة الوطاسين فانتقل أحفاده من سجلماسة إلى فاس الجديد[213].

- **قصر صوصو:** سمي باسم الوصيف الذي كان عليه[214]، يقع شرق موقع مدينة سجلماسة ضمن مشيخة وادي ايفلي، ورد اسم هذا القصر في كتاب مجموع مؤلف من ظهائر شريفة[215]، في إطار الدعوة التي وجهها أبو العباسي احمد المريني إلى شرفاء سجلماسة عام 763هـ/1363م يطالبهم فيها بالحضور إلى المدينة البيضاء "فاس الجديد" ليأخذوا عطاياهم وهباتهم التي ألفوا أخذها من السلاطين المرينيين، انطلاقا من هذه الإشارة يتضح أن هذا القصر كان معاصرا لمدينة سجلماسة.

[211] - يوسف بن يحيى التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف تحقيق أحمد التوفيق، الرباط، 1984، ص412.

[212] - حسب رواية أحد ساكنة قصر الجبيل الحاج محمد العايدي.

[213] -ابن السكاك، نصح ملوك الإسلام، م س، ص 59- 60.

[214] - محمد الزكي بن هاشم العلوي، مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء في ذرية بني الزهراء، مخ، خ، ع، الرباط، رقم 1433 د.ص 293.

[215]- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحه متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، مخ، خ، ع رقم د: 723، صص 115-116.

- **قصر أخنوس:** يقع غرب ضريح المولى علي الشريف على بعد 150 متر، يقول عبد الكريم الفيلالي في تحقيقه لكتاب الأنوار الحسنية بأنه سمي بهذا الاسم نسبة لمملوك المولى علي الشريف والمسمى خنوس بالأمازيغية، ومعناه الغلام أو الخادم[216]، وهو من قصور واد ايفلي، وجه إلى أهله أيضا السلطان المريني أبو العباس احمد رسالة في سنة 763هـ/1363م، يدعوهم فيها للقدوم إلى فاس الجديد ليأخذوا هباتهم التي ألفوا أخذها هناك، وهذا نص أبي العباس أحمد المريني: "الحمد لله تقييد من كتاب بعض من ملوك بني مرين وهو أبو العباس احمد المريني رحمه الله على سبيل الاختصار وهو يخاطب فيه أولاد الشيخ الوالي أبا علي حسون الحسني وأولاد مولاي عبد الله بن أبي البركات الحسني، أهل السيفة وأولاد السيد أحمد بن محمد بن علي الشريف الحسني أهل صوصو، وأولاد مولاي محمد بن علي بن يوسف الشريف الحسني أهل خنوس، بالقدوم إلى حضرته من المدينة البيضاء لما جاء من الغنائم وهي ستون ألف من النصري وعشرون ألف قنطار من الريال الرومي، وغنائم كثيرة ليأخذوا ما هي عادتهم من الخراج وإن لم يحضروا لا لوم علي من جانبه"[217].

- **قصر تابوعصامت:** يقع في مشيخة السفالات على بعد سبع كلمترات جنوب مركز سجلماسة الأثري، عرف في الوثائق القديمة "بآيت بوعصامت" ويستفاد من رسالة وجهها السلطان أبو عنان فارس المريني لشرفاء هذا القصر: أن آيت بوعصامت كانوا على خلاف مع أحد شرفاء سجلماسة وهو مولاي علي الشريف بن محمد الحسني السجلماسي، ويعد السلطان أبو عنان فارس في هذه الرسالة الشريف المذكور بإعانته عليهم، وهذا نص الرسالة: "الحمد لله وبما في براءة السلطان أبي عنان المريني رحمه الله ما نصه: أنه يأمر فيه الشرفاء الأخيار أهل سبتة سيدي أحمد بن طاهر الشريف الحسني الصقلي، وسيدي أبي زرهون عبد العزيز بن عبد الرحمان الشريف الموناني أن تقبضوا أخاهم ليلا يقطع للجزيرة الخضراء إلى أن يأتي صاحبنا به إلى فاس وهو سيدي مولاي علي الشريف بن لحسن بن محمد الحسني وهو مغير مع أهل سجلماسة بآيت بوعصامت، وأن بوصوله يأخذ أثره إن

---

216 - أحمد بن عبد العزيز العلوي المدغري، الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1972، ص 59.

217- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة، م س، ص 116.

شاء الله فلا يكفي مالهم على رقابهم وكتب في أول شوال (كذا)"[218]، ويرى "مونيي" أن تأسيس القصر يعود إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي ما بين 1390 و1400م وهي الفترة التي تهدمت فيها سجلماسة[219].

يعد هذا القصر الأكثر أهمية في المنطقة لشهرته التي فاقت حدودها، فازدهرت التجارة به[220]، وكان مركزا لاستراحة القوافل التجارية القادمة من درعة والسودان[221]، كما ازدهرت فيه الصنائع والحرف[222]، مما أهله أن يكون أكثر القصور أهمية في الإقليم[223]. ولشهرته فقد كان مهبطا لركب الحجيج[224]، كما أطلق عليه اسم مدينة تافيلالت[225]، أو عاصمة تافيلالت[226].

- **قصر أولاد عبد الحليم**: يقع على بعد ثلاثة كلمترات إلى الجهة الشرقية من سجلماسة، يحده شرقا قصر بني ميمون الأحرار، وغربا قصر أولاد عائشة، وشمالا قصر عمارة، وجنوبا قصر أبحار، وهو من بناء السلطان المريني المستقل بسجلماسة في سنتي 762-763 هـ/1361-1362م[227]، يحتفظ هذا القصر في مدخله على زخرفة تعبر عن الفن الرائع الذي ساد بالمغرب خلال الفترة المرينية[228]، كما يضم خلف أسواره ساحة داخلية ذات شكل مستطيل يوجد بداخلها بستان كان بدون شك منتزها للأمير المريني المؤسس له[229].

[218]- المرجع نفسه ص 115-116.

[219]- Meunié, Le Maroc saharien, op.cit, p 297.

[220] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 125.

[221]- Gendre(P .F), «Tafilalet», RGM , 3-4eme trim- Mai-août, 1942 p 54.

[222] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 125.

[223]- Meunié, Le Maroc saharien, , op.cit, p 336.

[224] - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي، الرحلة الحجازية الكبرى، مخ-خ-ع، الرباط، رقم 5658، ص27.

[225]-Meunié, Le Maroc saharien, op.cit, p 455 .

[226]-Gendre, «Tafilalet», op.cit, p 54.

[227] -حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 122.

[228] - تجدر الإشارة أن هذا المدخل رمم سنة 2011

[229]- Gendre, «Tafilalet», op, cit, p 55.

2- قصور ما بعد سجلماسة

إن اندراس مدينة سجلماسة[230]، لا يعني أن الواحة هجرت من طرف ساكنتها، فقد "انتقل أهلها منها وتفرقوا بين أرجائها فعمروها بالقرى والحصون والقصور الكبار والصغار"[231]، كما أن أهميتها التاريخية وإشعاعها الحضاري وأنشطتها الاقتصادية انتقلت إلى القصور المجاورة التي شيدها السكان بعد خرابها. هذا ما أكده إبراهيم بن هلال السجلماسي في إحدى نوازله "أن بلاد القبلة كلها عبارة عن قصور متصلة"[232]، رغم أنه لم يشر إلى عددها بتافيلالت التي تندرج ضمن بلاد القبلة.

إن انتشار نمط القصور بشكل واسع يجعلنا نتساءل عن العوامل المفسرة له، هل أملته فقط ظروف اندثار سجلماسة، أم تحكمت فيه عوامل أخرى؟، وهل يمكن اعتبار حلول نمط القصور بهذا المجال محل التقاليد الحضرية المرتبطة بالاستقرار التجاري شكل انتكاسة لمستوى التحضر الذي بلغته سجلماسة؟ أم هناك عوامل أخرى تقف وراءه؟

اعتمادا على رواية الوزان، فإن معظم القصور بتافيلالت برزت مباشرة بعد اندثار مدينة سجلماسة لما خربها سكانها وهدموا سورها، وشيدوا في الضواحي قصورا خاصة بهم، وكان عدد هذه القصور في بداية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حوالي ثلاثمائة قصر بين كبير وصغير[233]. ولا نستبعد أن يكون هؤلاء المهاجرون من المدينة إلى القصور المجاورة، قد تركزوا في البداية بمقاطعتي واد يفلي لاحتلالها موقعا متميزا وسط سهل تافيلالت بالقرب من مجرى وادي زيز في الجهة الشرقية لموضع سجلماسة.

[230] - اندراس حاضرة سجلماسة لم يكن إلا نتيجة تظافر عوامل بيئية –ايكولوجية واجتماعية واقتصادية وسياسية، راجع: واحيحي، سجلماسة/تافيلالت، م س، ص 14-34.
- لحسن تاوشيخت، "سجلماسة، من المدينة إلى القصور"، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، أكتوبر 2014، ص ص 142-162.

[231]- أحمد بن أبي محلي، اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 100، ص 20.

[232]- إبراهيم بن هلال السجلماسي، نوازل ابن هلال، م س، ص 41.

[233] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج 2، ص125

لكن هذا العدد من القصور سيتراجع، انطلاقا مما أشار إليه ابن أبي محلي - في مرحلة لاحقة - إلى أن عدد قصور المنطقة بلغ 100 قصر أو مايزيد عن ذلك بقليل[234]، مما يعني أن الفترة الفاصلة بين القرن 10هـ/ 16م و11هـ/ 17م قد شهدت اندراس ما يناهز 200 قصر، هذا مع ضرورة الاحتياط للدلالة المجالية لتافيلالت عند كل من الوزان وابن أبي محلي، هل هي نفسها أم لا. ولانستبعد أن يكون عمران المنطقة عرف تراجعا بسبب الكوارث الطبيعية والأزمات السياسية والاجتماعية والصراعات بين القصور إذ "هم في عراك دائم بينهم، يسيء بعضهم إلى بعض ما استطاع"[235].

تحدث "الوزان" ومن بعده "مارمول"، عن ثلاثة قصور كان لها دور رائد بمنطقة تافيلالت أثناء زيارته لها[236]، أولها يسمى تانجيوت، والثاني تابوعصامت والثالث يدعى المامون، كان كل واحد منها "يدبر شؤونه، ولكل قصر من هذه القصور أمير خاص هو رئيس فريقه...وتضرب في هذه القصور سكة فضة وذهب...ويوجد بعض النبلاء الأغنياء يذهب الكثير منهم إلى بلاد السودان، يحملون إليها بضائع البربر ويستبدلونها بالذهب والعبيد"[237]، وتركيز الوزان على هذه القصور لم يأت من باب الصدفة، بل لكونها كانت خاضعة للعصبية المعقلية التي كانت تفرض سيطرتها على مجالات إقليم سجلماسة[238].
إلا أن هذا لا يعني أنها الوحيدة بالمنطقة التي عرفت خلال هذه المرحلة، بل هناك قصور عديدة كان لها إشعاع زمن ازدهار المدينة نفسها، خصوصا مع دخول الأشراف العلويين إلى تافيلالت واستقرارهم بمشيخة واد ايفلي، ومساهمتهم الفعالة في النهضة العمرانية التي عرفتها المنطقة من خلال ما أسسوه من قصور خاصة في عهد مولاي علي الشريف، الذي عمل على استخدام نفوذه في تشييد المنشآت بسجلماسة وواحاتها وفي بناء قصور السكن في الواحة الفيلالية، حيث ركز على إنشاء قصور حول مقره المحبب إليه "تغمرت"، وقد بنى بها مقر سكناه وزاويته التي يجتمع له فيها الأصحاب والأتباع

234- أحمد ابن أبي محلي، اصليت الخريت، م س، ص 221.
235- الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 126.
236 - زار الوزان سجلماسة سنة 916هـ/1511م ومكث في قصر المأمون سبعة أشهر.
- الوزان، وصف إفريقيا، ج2، م س، ص. 128.
237 - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 125-126.
238 - واحيحي، سجلماسة/تافيلالت، م س، ص 50.

والمريدون[239]، وقد ابتغى من وراء هذه المنشآت تأسيس كيان خاص به يجمع أحبابه وأقاربه وأصهاره من العمريين المدراريين والأنصاريين وذوي الاعتبار من خؤولة وعمومة[240].

كما عرفت المنطقة نهضة عمرانية كبيرة خصوصا في عهد السلطان المولى إسماعيل، وسيدي محمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان بن هشام الذين أولوا للمنطقة عناية خاصة، سواء من خلال إقامة القصور لأنفسهم أو لإقامة أبنائهم، وهي أعمال تندرج في إطار تحقيق مجموعة من الأهداف منها ما هو اقتصادي وما هو ثقافي واستراتيجي[241].

فالسلطان مولاي إسماعيل، شيد حسب ما أورده "الناصري" ما يناهز مائة وخمسة قصور[242]، "وبنى لأولاده قصورا ليسكوا فيها، وأعطى لكل على حدة نخيلا وأرضا للحراثة والغراسة ومن يقوم به من المماليك، كل على حسب رتبته ومكانته لديه"[243]، "فتناسلت أولاده، ونمت فروعه، وفّر الله جمعهم وحفظ نظامهم، وكان رحمه الله سديد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناسة إلى تافيلالت مع بني عمهم من الأشراف ليتدربوا على معيشتها التي تقوم لهم، فكان ذلك صونا لهم من نكبات الدهر وفضيحة الخصاصة بعد موته"[244].

وساهم في تطور عمران المنطقة في هذه المرحلة، تلك المشاركة التي أتاحها السلاطين لعامة الناس، في تعمير بعض القصور، ودعمهم ماديا لبناء الدور وإصلاح أسوار القصور وغيرها، ومثال ذلك ماقدمه السلطان المولى سليمان من مساعدة مالية لأحد سكان قصبة سيدي ملوك، والمدعو مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك لإصلاح داره وسور بلدته، وقد تسلم هذه المساعدة التي قدرت بمائة مثقال على يد الأمين عبد القادر التازي كما ورد في الوثيقة السلطانة: "... فقد وصل كتابك معلما بأن صاحبك مولاي المأمون بن الهاشمي بن ملوك اسقط له ما قابل داره من سور بلدتهم بالوادي كما

[239]- مولاي هاشم العلوي، مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية، م س، ص 132.
[240] - المرجع نفسه.
[241] - حول هذه القصور ينظر الباب الخاص بأصناف القصور بمنطقة تافيلالت من هذا الكتاب.
[242] - الاستقصا، م س، ج4، ص 102.
[243] - عبد الرحمان بن زيدان، تقييد في تاريخ سجلماسة، مخ-خ-ح، الرباط، رقم 12224. ص5.
[244] - الاستقصا، م س، ج4، ص 102.

سقط به البعض من داره وبقي باديا للصادر والوارد ولابد له من بناء ذلك سترا لعرضه وأنه تشوف لجنابنا الشريف بما يستعين به على ذلك، أما الدافع فقد دفع الله به ما كان أعظم وقد أنعمنا عليه بمائة مثقال ونفذناها له على يد الأمين عبد القادر التازي"[245].

وفي إطار هذا التشجيع وتأكيده دعم السلطان بناء المساكن الخاصة للفئات التي لا تستطيع فعل ذلك، أمر السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام بدفع مبلغ مالي قدر بـ: 1000 مثقال لجماعة البلاغمة القادمين من فاس وعددهم 271 فردا، كمساعدة على بناء مساكنهم بقصر الشقارنة جاء في إحدى الوثائق السلطانية: "...وقد أخبر ولد عمنا سيدي الأمين بن الطاهر بوصول جماعة البلاغمة ونزولهم بالشقارنة وأنهم لم يجدوا فيها مساكن مع ضعفهم وفوات إبان الحرث وأن قدومهم لهناك أفضل من محلة، فبوصول كتابنا هذا وجد لهم على يدك ألف مثقال واحد يقسمه عليهم ليستعينوا به على بناء مساكنهم..."[246].

3- جرد للقصور القديمة المندرسة

إن المصادر سواء تعلق الأمر بكتب الجغرافية والرحلات وكتب الأخبار والحوليات لا تشير بنوع من الإسهاب إلى القصور المندرسة الموجودة بمنطقة تافيلالت ولا إلى عوامل تدهورها. وكل ما نعثر عليه عبارة عن إشارات قليلة لأسماء قصور كانت مقرا لسكن الأشراف، أو ذات أهمية سياسية وإستراتيجية، لكن دون تحديد موقعها ولا جوارها ولا تاريخ اندراسها. ورغم ذلك حاولنا الربط بين الإشارات المصدرية على قلتها وغموضها-والذاكرة الشعبية المحلية وكذا الآثار الميدانية لوضع لائحة للقصور المندرسة بالمنطقة، وكذا تحديد أسباب انهيارها، مع ما يكتنف هذه العملية من صعوبة، وقد اعتمدنا في عملية استخراجها على:

- رصد أسماء كل القصور التي تحدثت عنها المصادر التاريخية[247]، أو التي لازالت ماثلة للحصول على لائحة إجمالية للقصور التي عرفتها المنطقة بكل أصنافها.

---

[245] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 28290/ وثيقة رقم 11 بالملحق.

[246] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 20055/ وثيقة رقم 9 بالملحق.

[247] - نشير هنا أن أغلبية المعلومات استقيناها من مخطوط مطالع الزهراء وكتاب الاستقصا، والمنزع اللطيف.

- استخراج لائحة بأسماء القصور التي تحدثت المصادر عن اندراسها لسبب من الأسباب.

- استخراج القصور التي سبق جردها ولا يوجد اسمها ضمن لائحة القصور الموجودة حاليا في المجال، مع الأخذ بعين الاعتبار أن بعض القصور أخذت الأسماء القديمة للقصور المندرسة، وربما شيدت فوق القصر القديم أو بجانبه.

ولا ندعي أن اللائحة التي توصلنا إليها شاملة أو أنها تحدد سبب اندراس بعض القصور، لتقصير في اطلاعنا على المادة المصدرية، أو غياب أطلال في المجال بحكم طبيعة مواد البناء، أو عدم دقة معلومة الرواية الشفوية.

جدول رقم (02): القصور المندرسة بمنطقة تافيلالت

سبب اندراسها	أسماء القصور
فيضان الوادي	قصبة الغابة، قصبة الجار، أولاد عيشة الصغيرة، أولاد ليمام القديمة، أبدو، زاوية حارة الشريف، مدرسة الحرمل، زاوية تغمرت، امعافيت، أكناو، أبي رقاصة، أطرطار، قصبة منديل، الفيضة السفلى، قصبة مولاي إسماعيل، تغدوين، زاوية لمراني القديم، قصبة مولاي الشيخ، قصبة مولاي رشيد، قصبة مولاي عبد المالك، تخلفين، المامون، تانيجيوت، انبدور.
الصراعات بين القبائل	تامدرارت، انبدور، تاحسنونت الكبيرة، أجارتي، الفيضا العليا، مولاي الوليد، قصبة احملني، أولاد مرميدة، أولاد منصور، أولاد امحمد، تامخلوفت، السمونات.
الهجرة	الحماردة، المصلح، أولاد ركان، الجبيل الكبيرة، زاوية سيدي قاسم، زاوية برج الحمام، رباط الحجر، قصر جنان الحاج علي، زاوية الرمل، بحاير الانصار، طراشة.
بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله	قصبة السيفة[248]، أولاد يحيى[249]، المحارزة[250].
التخريب	لمراني القديم[251]، اخنوس الصغير[252].

لقد تضافرت مجموعة من العوامل بعضها طبيعي وبعضها بشري في خراب القصور بمنطقة تافيلالت، والتي يتواجد أغلبها بمنطقة واد يفلي، ويبقى للكوارث الطبيعية وفي مقدمتها الفيضان النهري الدور الفعال في اندراس مجموعة من القصور. وبهذا الخصوص نشير إلى أنه رغم سيادة الجفاف في أغلب فصول السنة بمنطقة

248 - الضعيف، م س، ج 1، ص 347.

249 - المصدر نفسه، ص 347.

250 - المصدر نفسه، ص 347.

251 - خرب على عهد السعديين، راجع، الاستقصا، ج6، ص 16.

252 - من طرف مولاي رشيد، راجع، محمد المختار السوسي، المعسول، مطبعة النجاح الدار البيضاء، 1961، ج16، ص 352.

تافيلالت، إلا أن المنطقة كانت تعرف فيضانات محدودة في الزمن، لكنها قوية وتتسبب في إلحاق أضرار بالغة وكبيرة بالعمارة الترابية.

فالمصادر تشير إلى الأمطار العاصفية التي كانت تعرفها المنطقة والتي تنزل على شكل زخات عنيفة خلال فصل الصيف وفي فترات متباعدة، وهي بقدر ما تكون مبعث أمل في النفوس، بقدر ما تكون مصدر أضرار فادحة على الوسط الطبيعي والمنشآت المعمارية، ذلك أن هذه الفيضانات الهائلة كانت تجعل النهر يخرج عن مستواه المعهود، الأمر الذي كان ينتج عنه انجراف للأراضي الزراعية وانهيار للقصور.

حاولنا أن نواكب ونتتبع الفيضانات التي عرفتها منطقة تافيلالت من خلال المصادر والمراجع التي أمكننا الاطلاع عليها، لكنها لم تسعفنا إلا بالقليل. ففي ربيع 1048هـ/1639م، داهمت السيول مراكش وتافيلالت مخلفة خسائر مادية وبشرية فادحة للغاية، ففي تافيلالت تهدم حوالي مائتي دار من دور الفقراء ومات عدد من الناس[253]. كما تشير مجموعة من الوثائق السلطانية إلى الأضرار التي كان يلحقها الوادي بالقصور، والتي تأرجحت بين الهدم والتضعضع وانفلات الجدران، ففي سنة 1305هـ/ 1886م فاض الوادي وغمر العديد من القصور، وجرف المقابر والأسوار والحصون والدور[254] "ولم تبق بقعة إلا غرقت ولا ساكنة إلا تحركت" إذ تهدمت قصبة تغمرت، والدار البيضاء وسقط أيضا سور قصر مولاي المأمون[255].

وكانت المنطقة قبل ذلك بثلاث سنوات قد تعرضت لأمطار طوفانية كان لها الأثر الكبير على تدهور المنشآت السكنية خصوصا بقصر كحايك وقصبة تغمرت[256]، ولم تنحصر الآثار السلبية للفيضانات على المنشات السكنية، بل لحق الضرر بالأسواق والمقابر[257] والسواقي والمزروعات أيضا[258].

[253]-VAJDA (George), «Recueil des texte Judéo – Marocain », Hespéris 3e 4eme, 1949, p.316-317.

[254] - الملكة المغربية، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم12 بالملحق. بدون رقم.

[255] - الملكة المغربية، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 28290/ وثيقة رقم 11 بالملحق.

[256] - الملكة المغربية، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19627/ وثيقة رقم 10 بالملحق.

[257] - الملكة المغربية، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 23035.

[258]-Meunié, Le Maroc saharien, op.cit, p 150.

وفي ظل تكرار هذه الفيضانات كانت بعض القصور تتعرض للهدم كلما أعيد بناؤها، فقصر تغمرت الذي كان متواجدا قرب ضريح مولاي علي الشريف، كان قد تعرض للهدم قبل أن يشتريه السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، الذي بناه ففاض عليه السيل من جديد فهدمه، ثم جدده ولده سيدي محمد فهدمه السيل أيضا، ثم بناه السلطان مولاي الحسن وجعل فيه خمسة ديار بكل ما تحتاجه، ومسجدا جامعا بمنار كبير للأذان، وذلك لأجل سكنى أولاده هناك وجلب إليه المعلمين والصناع من أنحاء المغرب وحواضره[259].

تجدر الإشارة أن بعض هذه الفيضانات كانت متبوعة بأزمات أخرى، كما حدث سنة 1886م/ 1305هـ، إذ أعقب الفيضان موجة من الجراد لم يعرف لها نظير، ولم تترك للناس مزروعا ولا مغروسا إلا قضمته، فقلت المحاصيل وجاع الناس ووبئوا[260]. مما جعل كثيرا من الفئات المتضررة تثور ضد مولاي رشيد مطالبة المخزن بإعادة بناء قصورها وترميم أسوارها وحصونها. وتوفير ما يلزم من المؤن والحبوب والتمور، فكادت الفتنة تقوم لولا أن السلطان مولاي الحسن طمأن أهالي تافيلالت أنه سيزورهم في القريب العاجل[261]، كما أعطى أوامره لخليفته مولاي رشيد بالعمل على البدء في ترميم ما دمر وإصلاح ما خرب[262]. وأثناء زيارة السلطان إلى تافيلالت تعاطى مع قضاياهم وشؤونهم، وذلك من خلال العطايا والهبات التي قدمها لهم، والتي بلغت قيمتها مبالغ مهمة جريا على عادة السلاطين العلويين، ناهيك عن اهتمامه بترميم القصبات، إذ وصل مجموع نفقات المولى الحسن أثناء زيارته هاته عام 1893م/ 1312هـ، إلى 15000 مثقال[263].

---

259 - الرحلات المغربية الداخلية، م س، ص 202.

260 - العربي اكنينح، آثار التدخل الأجنبي على علاقة المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر نموذج قبيلة بني مطير.ط1 فاس، 2004، ص353.

261 - رسالة من السلطان الحسن الأول إلى خليفته في تافيلالت مولاي رشيد مؤرخة بتاريخ 4 ربيع الأول عام 1302هـ، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19627/ وثيقة رقم 10 بالملحق.

262 - نفس الوثيقة.

263 - محمد حمام، "قراءة في كتاب السفر إلى تافيلالت معية صاحب الجلالة مولاي الحسن سنة 1893"، لمؤلفه الدكتور فرناند ليناريس، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، دجنبر 1997 ص 141.

واستنادا لتقرير مديرية هندسة المياه بالرشيدية فإن فيضانات 5 نونبر من 1965 خلف خسائر كبيرة حيث أتلفت حوالي 2000 هكتار من المزروعات، و70 ألف من الأشجار، وماتت 3000 رأس من الحيوان، وتهدم 4500 منزل، ولا يستبعد أن تكون سافلة الوادي حيث تتركز القصور أكثر تضررا.

بناء على هذه المعطيات يلاحظ أن القصور التي تعرضت للفيضانات إما ترمم أويعاد بناؤها في مكان أعلى، بحيث يحتفظ القصر باسمه ولا يحتفظ بمكانه؛ وأمام هذه الثنائية (الخراب والتجدد) نجد أن القصر الذي أعيد بناؤه تضاف إليه كلمة جديد أوصغير أو كبير، أو فقاني، تحتاني...).

إن خطر الفيضانات لم يكن العامل الوحيد المؤثر على المنشآت السكنية، بل عانت المنطقة وفي فترات متعددة من الجفاف وما يرافقه من مجاعات وأوبئة جعلت الساكنة تشعر بالخوف على نفسها وأهلها مما جعلهم يغادرون قصورهم ويتركونها عرضة للتدهور.

فالمصادر التاريخية تشير إلى جفاف ومجاعة سنتي (948-947هـ/1541-1540م)[264]، وكذا في سنتي (978هـ/1579م)، و(1015-1011هـ/1606-1603)[265]، وفي (1074ـ1071هـ/1663-1660)[266]، إلى غير ذلك من كوارث الجفاف وما رافقها من نزاعات حول الواحات ومنابع المياه ومجاعات وطاعون... فلا غرو إذا لاحظ المرء أن فترات الهدوء والاضطرابات الاجتماعية والتنقلات هي تلك الفترة التي تميزت بعدم وقوع كوارث طبيعية خلالها، أو أنها كانت قليلة، وذلك على عكس فترات الاضطرابات التي كان وقوعها يتزامن مع ظهور الكوارث الطبيعية المختلفة.

وبالرجوع إلى فترة الدراسة نجد أن منطقة تافيلالت كباقي المناطق المغربية مرت بفترات ضيق وشدة نتج كثير منها عن عوامل طبيعية كالجفاف الذي يعقبه قحط ومجاعة وما يترتب عنها من أمراض وانهيار ديمغرافي، ومن أمثلة ذلك؛ الأزمة التي عرفها المغرب سنة

---

264 - محمد استيتو، الكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب القرن 16، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس،1987-1988، ص ص95.

265 - المرجع نفسه، ص 97.

266 - عبد الله بن عمر العياشي، الأحياء والانتعاش، ج2 ورقة131.

925هـ/ 1520م، والتي بدأت بوقوع جفاف عام تقريبا فتلا ذلك غلاء كبير[267]، فانتشرت المجاعة مما جعل الناس يبحثون عن نباتات للأكل[268]. ولم تسلم منطقة تافيلالت من الأوبئة التي اجتاحت المغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فالطاعون الذي ضرب المغرب ما بين1747و1751، انطلاقا من الشمال وصل إلى مراكش وتافيلالت سنة 1748م[269].

وفي صيف 1884م، ظهر مرض الكوليرا بتافيلالت ودرعة وفتك بعدد كبير من سكان الواحات وصل إلى الثلث، وإن اختلفت المصادر في تحديد سبب هذا الوباء إلا أن الوثائق المغربية صنفته ضمن الأوبئة ذات الطبيعة الغامضة، لأنه مس كل الفئات الاجتماعية على اختلاف مراتبهم بما فيهم الأمراء. فقد جاء في رسالة وجهها السلطان مولاي الحسن إلى عمه المولى سليمان وأخيه مولاي رشيد بتاريخ 27 شعبان 1301هـ/ 22 يونيو 1884م: "وصل كتابكما بما تحرك في تلك البلاد من الأمراض والأوجاع وشاع في سكانها وداع، وكثر بسببه الموت في الخلق، وعن من مات من أقاربنا وفّر الله جمعهم كولد الصنو مولاي العباس واختنا للا أمينة والأخت للا أسماء تغمدهم الله برحمته...". ومن المعلوم أن ذلك الوباء الفاسد كثيرا ما يتولد بعد القحط من أبخرة العفونات الناشئة عن كثرة الأموات من آدميين وحيوانات[270]. واجتاحت المنطقة أسراب جراد خطيرة لم تعرف نظيرا لها، أتت على الأخضر واليابس وقبل ذلك بست سنوات كان وباء قد ضرب مدينة فاس حيث غادرها السكان المنحدرين من تافيلالت ظنا منهم أنهم سيجدون في البعد الجغرافي حصانة ضد الوباء وسط الرمال، وقد قضى الوباء على قصور تافيلالت تباعا مخلفا فيها وفيات مرتفعة، ومن القصور التي تضررت أكثر؛ قصر حياتن حيث يوجد ملاح من 250 أسرة، قدّم من خلالها اليهود ضريبة فادحة بلغت 165 ضحية[271]، كما داهم الوباء في شهر شتنبر من نفس السنة المنطقة، وكان فتكه بها كبيرا في بداية ظهوره، إذ قضى على أسر بكاملها، وأخلت بسببه كثير من الأسر دورها[272].

[267] - الاستقصا، م س، ج4، ص137.

[268] - محمد استيتو، الكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب القرن 16، م س، ص 140.

[269] - أمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 18، 1992، ص 57.

[270] - البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، م س، ص 269 هامش 119.

[271] - المرجع نفسه، ص 268-269.

[272] - المرجع نفسه، ص 269.

وأدت قلة التساقطات وعدم انتظامها إلى انتقال مجموعات بشرية نحو جهات أخرى تتوفر على الماء والعشب، وأهم انتقال عرفته المنطقة تمثل في انتقال بعض الأسر الشريفة من تافيلالت إلى مناطق مختلفة من المغرب، خصوصا منطقة توات ودرعة ومدغرة[273]. فالمصادر التي تناولت انتقال بعض شرفاء سجلماسة لم تكلف نفسها عناء ذكر المراحل التاريخية التي تم فيها هذا الانتقال وأسبابه، لكن الظاهر أن هذا الانتقال جاء خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، نتيجة صراع مجموعة آيت عطا مع قبائل عرب بني معقل داخل إقليم سجلماسة وتافيلالت، وهنا تعرضت الأسرة الحسنية للانقسام، مما أدى إلى طرد مجموعة منهم من سجلماسة وتوطينهم بمدغرة[274]، وقد أرجع صاحب فتح القدوس سبب انتقال هؤلاء الشرفاء إلى مدغرة إلى أنواع المضايقات التي مارسها ابن أبي محلي على سكان تافيلالت، بما في ذلك الأشراف، ومن جهة أخرى إلى فتنة وقعت بين الأشراف أنفسهم[275]. كما كان لتوالي الكوارث والأوبئة والمجاعات على المغرب خلال القرن التاسع عشر أثره في نزوح أهل تافيلالت إلى فاس ومكناس[276].

ولايخفى علينا ما تسببه مثل هذه الهجرات من إخلاء للقصور وتدهور لعمارتها، فصاحب الدرر[277] يذكر، أن الهجرة كانت السبب المباشر في إخلاء قصر "أبو حاميد" و"أبي رقاصة" بعد ما كانت تقطنهما الأسر الشريفة "...ومن عقب السيد الشريف بن إسماعيل بقصر احملني بالغرفة جماعة من الأشراف ولازالوا بصفة الحياة به إلى الآن، ومن عقب السيد أبي النصر بن إسماعيل سكان قصر بوحاميد الشريف البركة الأجل السيد عمر بن الشريف وولداه الشريفان الأمجدان السيد الشريف والسيد المصطفى، أما السيد الشريف فارتحل لفاس وسكن بقصبة النوار منها ولازال بقيد الحياة، وأما السيد المصطفى سكن بنجاج (كذا) سجلماسة ولازال بقيد الحياة إلى الآن، وسبب ذلك خلاء القصر المذكور (أي بوحاميد) ولم يعمر إلى الآن، ومن عقب السيد عبد الله بن إسماعيل أهل قصر أبي رقاصة ارتحل من القصر المذكور وسكن مع إخوانه بقصر مولاي الشريف بخلاء قصره المذكور.

[273] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 21405/ وثيقة رقم 3 بالملحق.
[274] - الفضيلي، م س، ج1، ص 23.
[275] - مولاي علي بن المصطفى، فتح القدوس، م س، ص 3-4.
[276] - البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات، م س، ص 185.
[277] - القادري، التقاط الدرر، م س، ص87

وفي عهد السلطان المولى سليمان شهدت تافيلالت أزمة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي تمثلت في الهجرة البشرية المكثفة نحو شمال المغرب ومدنه الكبرى مثل فاس، مكناسة الزيتون، تازة، مراكش، الرباط وغيرها، مما أثر بشكل سلبي على الحياة العامة لتافيلالت ولسكانها.

إن فترات الجفاف والكوارث الطبيعية كانت أخطر وأعنف مما خلفته الأزمات السياسية والاجتماعية؛ لأنها كانت تؤثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والفكرية، وما يتبعها من تحركات بشرية وإفراغ للقصور من سكانها، وهو ما ينعكس مباشرة على تدهور عمرانها، فقوة تأثير هذه الكوارث تجلت في خراب القصور بسبب تنقل سكانها بحثا عن الغذاء وهروبا من الوباء.

وأدت الصراعات بين القصور بدورها إلى تدهور العمران بمنطقة تافيلالت، فالكتابات التاريخية والوثائق المحلية تقدم إشارات متعددة تتعلق بهذه الصراعات، سواء تلك التي تندلع بين القبائل، أوتلك التي تشنها الحركات المخزنية ضد القبائل المشاغبة، ذلك أن انفتاح المنطقة وضعف تضاريسها كان يغري قبائل الرحل على أن تجوب بقطعانها منطقة تافيلالت والزحف على الوادي كلما داهمتها فترات القحط، أواستشعرت بعض الفراغ السلطوي بالواحات، وهو ما جعل أحد الباحثين في تاريخ القبائل يلاحظ أن قبائل الرحل سواء في المرحلة المعقلية أو العطاوية كانت تشكل مصدر تعب ومشقة لأهل الاستقرار وعنصر قلق على سلطة المخزن[278].

وتطلعنا الوثائق المحلية الخاصة بمنطقة تافيلالت عن جملة من التوترات الاجتماعية والصراعات التي كانت تنشب بين القصور، أو بين سكان القصر الواحد، دون الإشارة إلى سبب ذلك. ولتقريب هذا الواقع نقف عند بعض تلك الإشارات التي تؤرخ لهذه النزاعات، فقد ذكرت إحدى المراسلات إلى الصراع الذي دار بين الفرق(الأضداد) المكونة لقصر اخنوس[279]، خصوصا أولاد سيدي بلغيت وأولاد سيدي محرز وأولاد سيدي أحمد وأولاد سيدي علي حيث تحالف الكل على أولاد سيدي بلغيت[280].

[278] - التقي العلوي، اتحادية ايت عطا، مجلة البحث العلمي، ع 23، 1974، ص 118.

[279] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 23266/ وثيقة رقم 18 بالملحق.

[280] - نفس الوثيقة.

وما أن يستتب الأمر داخل القصر الواحد حتى يدخل في صراع مع القصور المجاورة، ففي إشارة أخرى تحالفت مجموعة من القصور على قصر اخنوس جاء في الوثيقة: "ووصلت أيدي الظلم رقابنا ومحارمنا ورمانا أهل الحاج هارون واكحايك وزاوية سيدي بوزكري وقصبة مولاي علي وأولاد سيدي محرز وسيدي علي وقصبة مولاي عبد الكريم عن قوس واحد من قدام ويمين وشمال، واشتعلت نيران الحرب وكادت عقول نسائنا وصبياننا وضعفائنا تطيش من شدة الهول وصواعق البارود ولا حول ولا قوة إلا بالله"[281].

وعموما يمكن تصنيف هذه الاضطرابات إلى قسمين:

- **داخليـــــــة:** بين القصور بعضها ضد البعض أو داخل القصر الواحد، بأن تتألب قبيلة على أخرى، لأسباب مختلفة: كأن يقع الاختلاف على مكان السوق، أو يحتكر سكان قصر دون القصور الأخرى حق المعاملة التجارية مع قافلة تجارية من خارج تافيلالت، مما يولد لدى القصور الأخرى عداء تجاه القصر المحتكر، أو يقع الصراع على تقسيم الماء وبناء السدود التلية، خصوصا إذا أحس طرف بغبن في حقه.

- **خارجيـــــــة:** بأن تغير إحدى القبائل البدوية التي تعيش في المنطقة أو خارجها على قصر من القصور، خصوصا عندما تقل الأمطار وتقسو الحياة، الأمر الذي يؤدي إلى تحول العلاقات التكاملية إلى تجاذب وتدافع واصطدام.

لقد كان للحروب الدموية التي تنشب بين قصور تافيلالت، أو بين سكان القصور وقبائل الرحل الأثر البالغ على تدهور بعض المنشآت المعمارية. تقول إحدى المراسلات في هذا الصدد: "فشرعوا [أي ذوي منيع] يخربون الفيضة وينزعون خشبها [فـ]عملوا به الزرايب وأفسدوها بهدم أبراجها ونزع سقفها فلم تبق بها خشبة"[282]، ويذكر اليوسي أن لصوص آيت عطا كانوا "يأتون بالستين والسبعين كلهم رماة، يقفزون في الهواء ويتضاعفون بالرعب فينهبون كل ليلة دوارا"[283].

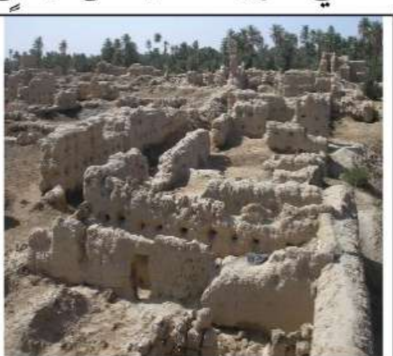
[281] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 23266/ وثيقة رقم 18 بالملحق.

[282] - نفس الوثيقة.

[283] - اليوسي، رسائل اليوسي، م س، ج1، ص 212.

إلا أن مثل هذا الاعتداء الأخير كان يفرض على قصور المنطقة التحالف وتجاوز خلافاتها الداخلية من أجل مجابهة الخطر الخارجي، وهو ما اتضح بصورة جلية أثناء الزحف العطاوي الذي وصل إلى حد الاستيلاء على القصور وتعذيب سكانها. ففي سنة 1231هـ/1815م، بلغ السلطان المولى سليمان أن بعض قبائل الصحراء كعرب الصباح وآيت عطا "اشتغلوا بالفساد وعظم ضررهم واستولوا على قصور المخزن التي كانت هناك من عهد المولى إسماعيل، فعقد لابنه المولى إبراهيم على جيش كثيف ووجهه إليهم، فسار ونزل أولا بقصور العرب ونصب عليهم آلة الحرب، فبددهم ثم زاد إلى قصور آيت عطا فنصب عليهم الآلة كذلك وضيق عليهم إلى أن طلبوا الأمان فأمنهم، فطلبوا أن يخرج بالجيش عنهم قليلا حتى يخرجوا بعيالهم خوفا من معرة الجيش، فأشفق لهم وأفرج عنهم"[284].

إن مثل هذه النزاعات التي تحصل بين القصور سواء منها التي أدت إلى تدمير بعض القصور، أو التي أدت إلى ضم بعضها للبعض، أو التي لم تصل إلى ذلك المستوى فبقيت فيها صراعات روتينية دائمة، كان دافعها الرئيسي السيطرة على المجال الطبيعي بما فيه من منابع للمياه، فأغلب القصور المهدمة استولى مهاجموها على ما كان في حوزة سكانها من أراضٍ ومياه.



قصر تيغمرت



قصر بحاير الأنصار



قصر الفيضة

صورة رقم (1): بقايا أطلال قصور بمنطقة تافيلالت

المصدر: تصوير الباحث 2008

[284] - الاستقصا، م. س. ج7، ص 168.

4- القصور والقصبات القائمة

إن القصور التي لاتزال قائمة بالمنطقة ترجع لفترات زمنية متباينة، فبعضها عاصر حاضرة سجلماسة وبعضها شيد في مراحل لاحقة، لكن أغلبها يعود إلى فترة حكم سلاطين الدولة العلوية وتحديدا فترة حكم المولى إسماعيل.

لقد حاولنا تتبع ورصد القصور القائمة في واحة تافيلالت من خلال معرفتنا الدقيقة للمجال، ومن خلال زياراتنا الميدانية المتكررة له، واستطعنا أن نحصر أسماء القصور في الجدول (رقم: 3).

(المصدر)

Travail coordonné par A. FAKKAK, F.POUGET, A. LAYEC, M. BOUCHARA, M. BOUASSAB, ET A. JMILI. Stage de terrain des étudiants de la LUPSIG de la Rochelle (France) et de la LPGA d'El-Jadida en Janvier – Mars 2012

الإحصاء العام للسكان والسكنى 2004،1994

جدول رقم (3): أسماء وموقع قصور تافيلالت

الرقم	اسم القصر	عدد الأسر سنة 1994	عدد السكان سنة 1994	عدد الأسر سنة 2004	عدد السكان سنة 2004	الموقع حسب خطوط الطول	الموقع حسب خطوط العرض
1	امسيفي	152	1098	102	700	31.24	-4.21
2	قصر اسرغين	187	1418	133	873	31.25	-4.22
3	قصيرة اسرغين	51	393	50	351	31.27	-4.20
4	بني فرح	28	294	29	256	31.31	-4.30
5	بني يطي	////	////	////	////	31.24	-4.21
6	الشبيلي	72	629	59	466	31.29	-4.25
7	القصبة الذهبية	77	694	82	633	31.31	-4.27
8	الشقارنة	63	518	47	320	31.30	-4.26
9	الفيضة	24	227	30	247	31.30	-4.250
10	العنبري	////	////	////	////	31.24	-4.217
11	المنصورية	22	255	26	252	31.30	-4.27
12	حمو داود	51	445	49	371	31.27	-4.25
13	احمني	////	////	////	////	31.24	-4.21
14	الجبيل	57	430	47	316	31.31	-4.29
15	الجديد	171	1284	106	623	31.25	-4.22
16	قصر الجير	111	991	103	808	31.33	-4.27
17	قصبة الحاج الهاشمي	25	190	18	121	31.24	-4.22
18	لبطرني	85	700	78	597	31.29	-4.28
19	لوجارشة	52	564	47	454	31.31	-4.30
20	مانوكة	64	592	54	557	31.27	-4.25
21	مرزوكة	13	118	21	160	31.33	-4.28
22	مولاي عبد الله الدقاق	76	700	75	606	31.28	-4.285
23	مولاي عبد الكريم		450			31.28	-4.25
24	مولاي علي الشريف	////	////	////	////	31.27	-4.25
25	أولاد عبد الحليم	18	142	15	100	31.27	-4.24

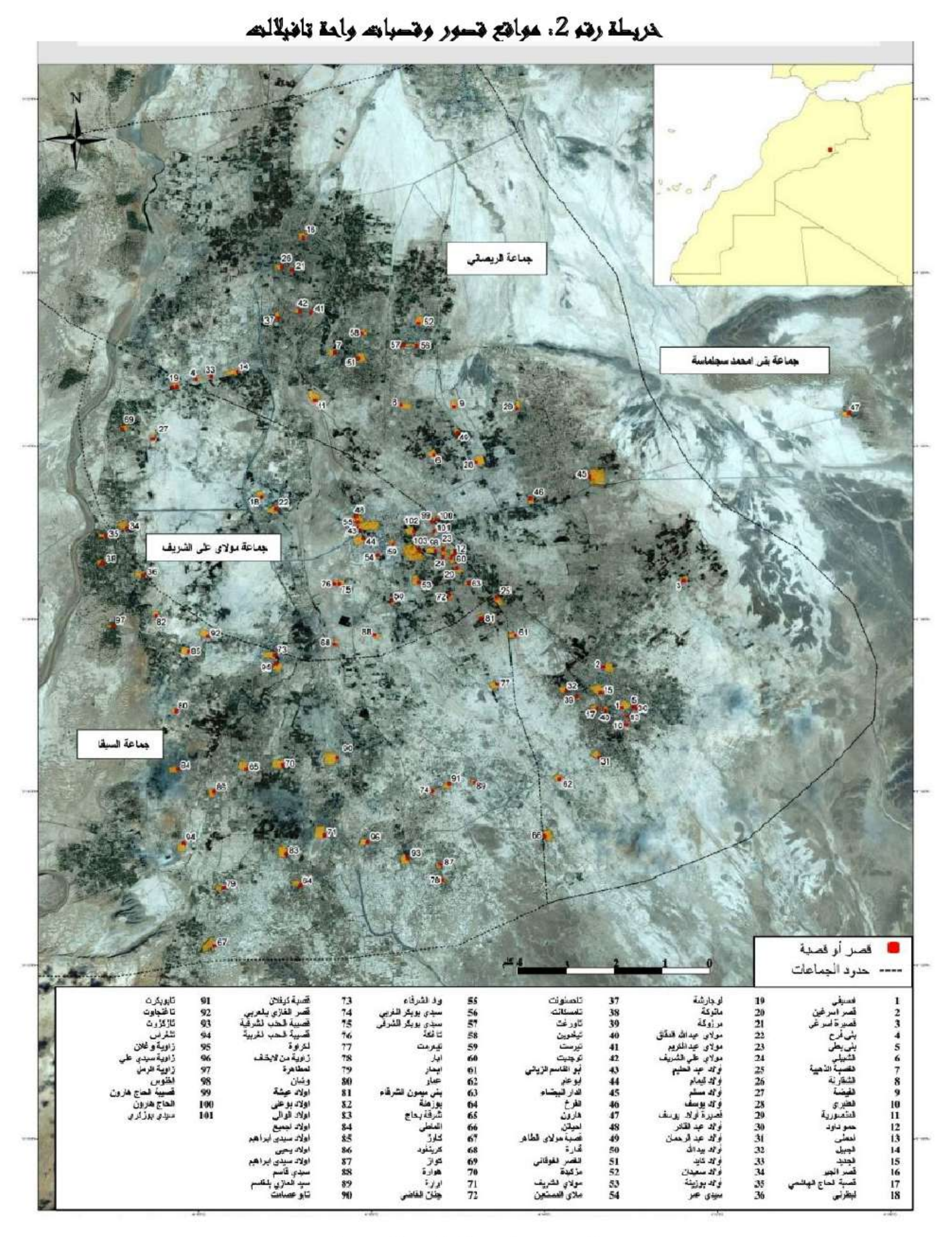
26	أولاد ليمام	82	725	72	504	31.33	-4.28
27	أولاد مسلم	6	69	7	72	31.30	-4.30
28	أولاد يوسف	167	1087	129	775	31.29	-4.24
29	قصيرة أولاد يوسف	69	581	56	370	31.30	-4.23
30	أولاد عبد القادر	////	////	////	////	31.24	-4.21
31	أولاد عبد الرحمان	54	415	33	192	31.24	-4.22
32	أولاد بيد الله	26	220	22	152	31.25	-4.22
33	أولاد كايد	22	152	23	168	31.31	-4.29
34	أولاد سعيدان	106	830	93	652	31.28	-4.31
35	أولاد بوزينة	13	89	9	51	31.28	-4.31
36	سيدي عمر	42	322	24	176	31.27	-4.317
37	تاحسنونت	52	507	50	343	31.32	-4.28
38	تامسكانت	20	252	18	131	31.27	-4.31
39	تاورغت	////	////	////	////	31.25	-4.22
40	تيغدوين	////	////	////	////	31.24	-4.22
41	تيرست	////	////	////	////	31.32	-4.27
42	توجديت	26	213	18	129	31.32	-4.28
43	أبو القاسم الزياني	////	////	////	////	31.28	-4.26
44	ابوعام	////	2250	////	////	31.28	-4.26
45	الدار البيضاء	69	606	59	473	31.29	-4.22
46	الفرخ	51	491	48	362	31.28	-4.23
47	هارون	137	1049	186	1236	31.30	-4.17
48	احياتن	////	500	////	////	31.28	-4.26
49	قصبة مولاي الطاهر	22	134	20	140	31.30	-4.25
50	قدارة	10	100	12	94	31.27	-4.26
51	القصر الفوقاني	134	1201	103	838	31.31	-4.26
52	مزكيدة	165	1210	195	1396	31.32	-4.25
53	مولاي الشريف	////	300	////	////	31.27	-4.25
54	مولاي المستعين	////	700	////	////	31.27	-4.26

55	واد الشرفاء	////	500	////	////	31.28	-4.2
56	سيدي بوبكر الغربي	51	376	40	308	31.31	-4.25
57	سيدي بوبكر الشرقي	26	191	28	190	31.31	-4.26
58	تاغكة	42	363	29	242	31.32	-4.26
59	تعرمت	////	600	////	////	31.28	-4.26
60	أبار	13	87	17	102	31.27	-4.25
61	أبحار	8	92	3	31	31.26	-4.23
62	عمار	12	130	6	45	31.23	-4.23
63	بني ميمون الشرفاء	21	240	17	115	31.27	-4.24
64	بوزملة	46	442	41	268	31.21	-4.28
65	شرفة بحاج	175	1356	176	1164	31.23	-4.29
66	الماطي	72	759	56	474	31.22	-4.23
67	كاوز	84	740	61	577	31.20	-4.29
68	كرينفود	////	700	////	////	31.26	-4.27
69	كواز	37	485	40	456	31.30	-4.31
70	هوارة	133	1371	114	1090	31.23	-4.28
71	ارارة	183	1447	144	1077	31.22	-4.27
72	جنان القاضي	8	62	7	47	31.27	-4.25
73	قصبة كيغلان	169	1402	161	1060	31.25	-4.28
74	قصر الغازي بالعربي	14	104	9	68	31.23	-4.25
75	قصيبة الحدب الشرقية	////	650	////	////	31.27	-4.27
76	قصيبة الحدب الغربية	////	500	////	////	31.27	-4.27
77	لكراوة	70	575	56	426	31.25	-4.24
78	زاوية من لايخاف	15	86	4	29	31.21	-4.25
79	لمطاهرة	24	212	14	94	31.21	-4.29
80	وشان	31	266	34	265	31.24	-4.30
81	أولاد عيشة	23	191	18	122	31.26	-4.24
82	أولاد بوعلي	72	648	71	465	31.26	-4.30
83	أولاد الوالي	142	1147	144	1077	31.22	-4.28

84	أولاد اجميع	84	757	65	517	31.23	-4.30
85	أولاد سيدي إبراهيم	88	640	64	372	31.26	-4.30
86	أولاد يحيى	96	923	92	668	31.23	-4.29
87	أولاد سيدي إبراهيم	31	292	23	175	31.21	-4.25
88	سيدي قاسم	////	300	////	////	31.26	-4.26
89	سيد العازي بلقاسم	15	205	15	145	31.23	-4.24
90	تابوعصامت	258	2254	218	1524	31.23	-4.27
91	تابوبكرت	10	125	6	63	31.23	-4.25
92	تاغنجاوت	71	673	52	320	31.26	-4.29
93	تازكزوت	57	411	23	130	31.22	-4.25
94	تنغراس	191	1611	183	1431	31.22	-4.30
95	زاوية وغلان	124	1106	135	1111	31.25	-4.28
96	زاوية سيدي علي	55	437	37	226	31.22	-4.26
97	زاوية الرمل	18	110	5	30	31.26	-4.31
98	اخنوس	////	650	////	////	31.27	-4.25
99	قصيبة الحاج هارون	////	85	////	////	31.28	-4.25
100	الحاج هارون	137	1049	186	1236	31.28	-4.20
101	سيدي بوزكري	////	50	////	////	31.28	-4.25
102	سيدي ملوك	////	800	////	////	31.28	-4.25
103	صوصو	////	700	////	////	31.27	-4.25
104	الزيادة	20	152	15	110	////	////
105	أولاد امحمد الشرفة	33	233	25	164	////	////
106	اولاد رحو	35	363	31	216	////	////
107	قصر مولاي امبارك	26	215	31	290	////	////
108	أولاد المودن	17	139	16	110	////	////
109	قصبة حمودة	13	132	10	95	////	////
110	ابحيحير	3	24	4	21	////	////
111	أولاد عدو	9	110	10	112	////	////
112	دار مولاي الطالب	18	217	22	179	////	////

113	قصر لمراني	14	108	15	109	////	////
114	أبار المخزن	12	95	12	79	////	////
115	اعمارة	7	55	7	48	////	////
116	بني ميمون لحرار	30	276	31	259	////	////
117	قصبة سيدي المهدي	34	237	31	167	////	////
118	احدب جحام	7	58	5	28	////	////
119	قصر مقطع الصفا	21	144	14	109	////	////
120	سيدي احمد بن المداني	11	95	9	74	////	////
121	بومعيز	14	97	2	20	////	////
122	قصر اوطارا	15	144	14	130	////	////
123	تابحت الخير	15	142	16	177	////	////
124	تكرومت	20	193	23	226	////	////
125	تافروخت الفوقانية	31	313	36	334	////	////
126	تامرنا	6	119	6	56	////	////
127	تامرنا	4	41	26	302	////	////
128	تافروخت التحتانية	14	167	20	184	////	////
129	درقاوة	4	12	12	96	////	////
130	تيسردمين	16	82	14	130	////	////
131	ميزران	////	////	35	282	////	////
132	مرزان الكريان	////	////	36	229	////	////
133	ابدو	59	547	30	253	////	////
134	حاسي البيض	////	////	26	200	////	////
135	حاسي البيض	////	////	237	1435	////	////
136	مرزوكة	////	////	225	1517	////	////
137	تنموست	////	////	25	165	////	////
138	قصر اكحايك	////	110	////	////	////	////
139	قصبة مولاي سليمان	////	100	////	////	////	////
140	أولاد رحو	////	////	////	////	////	////
141	أولاد المودن	////	////	////	////	////	////

خريطة رقم 2: مواقع قصور وقصبات واحة تافيلالت



المصدر: **Google heart** بتصرف.

خاتمة:

لم يكن الموقع وخصائص البيئة الطبيعية العاملين الحاسمين في نشأة وتشكيل القصور، بل كان للأحداث التاريخية أثرها الفعال في تدعيم الاستقرار وتشييد القصور والقصبات، فالمنطقة عرفت تعميرا يرجع إلى مراحل زمنية قديمة، هذا ما أكدته مختلف الأبحاث الأركيولوجية التي أنجزت بالمنطقة، وقد رافق هذا التعمير تشييد القصور الأولى في المنطقة قبل تأسيس مدينة سجلماسة، لكن الحسم في تاريخها أو القبائل التي اختطتها لايزال غامضا، باعتبار أن المصادر المتاحة لاتقدم معلومات كافية لحل هذه الإشكالية.

وانطلاقا من تأثير المعطيات الطبيعية والتاريخية ارتبط انتشار القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت بمرحلتين أساسيتين، الفترة الأولى يمكن أن نسميها الجيل الأول من القصور وهي التي عاصرت سجلماسة أو ورثت عنها الأنشطة التي كانت من اختصاصها. أما المرحلة الثانية فقد تميزت بسيادة ظاهرة القصور وتراجع التقاليد الحضرية المرتبطة بالاستقرار التجاري، وهو ما شكل انتكاسة لمستوى التحضر الذي بلغته سجلماسة.

وقد حاولنا تتبع تاريخ القصور بمنطقة تافيلالت وخلصنا إلى جرد للقصور المفترض أنها عايشت مدينة سجلماسة، والتي كانت تربطها بها علاقة المدينة بريفها. ووضحنا كيف انتشرت ساكنة المدينة بعد اندراسها في المجال مشيدة عددا من القصور قامت بالاختصاصات التي كانت تقوم بها المدينة، لتأتي بعد ذلك مرحلة سيهتم فيها سلاطين الدولة العلوية ببناء القصور والقصبات لأهداف متعددة.

الفصل الرابع

جوانب من تاريخ قصور وقصبات

منطقة تافيلالت

من العوامل التي تؤثر على نمط المعمار والبناء، الأحوال السياسية والأمنية وتوجس الناس وإحساسهم بالخوف من غارات المغيرين أو من السلب والنهب، وقد عايشت قصور تافيلالت أحداثا مهمة تتصل اتصالا مباشرا بعمارتها، جاءت كلها في خضم الأزمة التي عرفها المغرب منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، إذ عرفت المنطقة بدورها عددا من الثوار والمعارضين للحكم السعدي، وتنافست عليها قوى من خارجها وأخرى من داخلها. فبالإضافة إلى الضغوط المتوالية التي مارستها قبائل الرحل من قبائل بني معقل وآيت عطا، كانت المنطقة محط أطماع كل من الدلائيين في الشمال والسملاليين في الجنوب، وقد ازدادت أهمية تافيلالت بالنسبة إليهم مع انتعاش الخط التجاري الذي يمر بها بعد اضطراب الخطوط التجارية الداخلية الأخرى[285]، وكان لمثل هذه الأحداث السياسية أثر واضح على الوضع الاقتصادي والاجتماعي وما لذلك من انعكاس على الأحوال العمرانية.

I- تافيلالت من انهيار سجلماسة إلى وفاة احمد المنصور

1- الهجرات العربية إلى منطقة تافيلالت وأثرها على وضعية القصور

منذ مطلع القرن 7 الهجري/13م انتقلت قبائل بني معقل[286] من الصحاري الشرقية نحو الواحات، فاستولت على واحات تافيلالت واستبدت بقصورها قال: ابن خلدون: "لما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن، قام هؤلاء وتفردوا في البيداء... وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر"[287]، وقد كانت القبائل المعقلية تتشكل من ثلاثة بطون كبرى، كان موطن العمارنة والمنبات* المشكل لحلف ذوي منصور* بمجالات تافيلالت[288].

[285]- Mezzine, le Tafilalet, op.cit, p 295.

[286]- حول دخول بن معقل إلى المغرب والبطون المشكلة لهم ومجالات انتشارهم ينظر:
- حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص150-162.
- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 49-53.

[287] - ابن خلدون، م س، ج6، ص78.

*- عرفوا باسم الأحلاف وأيضا المنابهة، كانت مواطنهم في زمن ابن خلدون مجاورة لموطن أولاد حسين من ناحية الشرق، ومجالاتهم بالقفر صحراء تافيلالت، راجع ابن خلدون، العبر، ج6، ص89. وأيضا حافظي، واحات بلاد المغرب، م س، ص. 989-990.

* - هو أحد بطون المعقل الثلاثة الكبرى، ولهم بطون ينتسبون إلى أجدادهم، لأن منصور بن محمد جدهم الأعلى ولد حسن وأبوالحسن وعمران وشب يقال لهم جميعا ذوي منصور، راجع ابن خلدون، العبر، ج6، ص79.

كما كانت هذه القبائل خلال النصف الثاني من القرن 8 الهجري/14م، تستغل ظروف تراجع نفوذ الدولة المرينية بهذه المنطقة لتنطلق في عمليات غزو واسعة لاغتصاب القصور من المستقرين، والاستيلاء على أراضيهم الزراعية[289]، فظهرت على إثر ذلك مجموعة من القصور العربية متجاورة مع قصور بقايا القبائل الزناتية والصنهاجية، بل كانت بعض القصور خاضعة لتسيير أمراء الأعراب كقصر تنجيوت وتابوعصامت والمامون[290]، كما أن سكان القصور قد تخلوا عن اتحادياتهم الكبرى المبنية على الأنساب وتحولوا إلى قبائل قصور لا يجمع بين عناصرها إلا المصالح المشتركة كالدفاع عن القصر والماء والأرض.

ووجدت إلى جانب القبائل المعقلية بعض العناصر الهلالية وأيضا الشرفاء الحسنيين الذين دخلوا المنطقة أواخر القرن 7 الهجري/13م[291]، وقد لخص الفضيلي ظروف وصولهم إلى تافيلالت، وذكر في هذا الشأن: "قال الشيخ العلامة الولي الصالح سيدي إبراهيم بن هلال في مناسكه.... أجداد شرفاء بلدنا سجلماسة الذين نزلوا أوائل الدولة المرينية، قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر وذلك سنة أربع وستين وستمائة[292]: واستقر الشريف مولاي الحسن بن قاسم جد الشرفاء السجلماسيين بعد قدومه إلى سجلماسة بمكان يسمى المصلح وهناك توفي"[293]، واستقر الشرفاء بعد وفاة مولاي الحسن بواد ايفلي واتخذوا به قصورا عديدة.

2- قصور تافيلالت والموقف من الصراع الوطاسي - السعدي

حاول الوطاسيون في إطار الحصار المفروض عليهم خلق متنفس لهم في الجنوب الشرقي وخاصة في تافيلالت، فعملوا على تقريب شرفاء سجلماسة إليهم بمنحهم ظهائر التوقير والاحترام[294]، وتمكن محمد الشيخ الوطاسي من تعيين قائد على المنطقة يدعى

---

288 - المصدر نفسه، ج6، ص 89.

289 - المصدر نفسه، ج6، ص 88.

290 - الوزان، م س، ج2، ص 126.

291 - حول الظروف العامة التي تم فيها استقدام الحسن الداخل إلى سجلماسة. راجع:

- عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ص307-330.

292 - الفضيلي، م س، ج1، ص 53.

293 - الناصري، م س، ج7، ص 6.

294 - مجموع مؤلف من ظهائر شريفة، م س، ص 108.

مولاي عمر[295]، الأمر الذي مكنهم من فرض الوصاية عليها والاستفادة مما تتوفر عليه من مواد ضرورية للصباغة[296]، لكن هذا الواقع لم يدم طويلا فسرعان ما ثار الأهالي ضد العامل الوطاسي مولاي عمر عام 1526م[297]، فحاول العاهل الوطاسي إخماد هذه الثورة بإرسال قائدين مصحوبين بثلاثة آلاف مقاتل[298]، وقد تحقق لهم المراد ورجعت المنطقة إلى طاعتهم حتى داهمتهم القوات السعدية عام 1537[299]م.

وخلال هذه المرحلة هاجم السعديون قصر تابوعصامت الذي يسمى: "بمدينة تافيلالت" بقوات عديدة وحاصروه بالمدفعية[300]، ورغم ذلك لم يتمكن السعديون من السيطرة على المدينة حتى استسلم لهم والي "مدينة تافيلالت"ويدعى الشيخ "أمان"، بعد عجزه عن الدفاع عنها، في غياب الدعم الخارجي، حينها قرر تسليمها بشرط أن يحصل على مكان يستطيع العيش فيه مع أسرته[301]. وبذلك يكون أحمد الأعرج قد استولى على تافيلالت بصفة نهائية[302]، وانجلت سلطة بني وطاس عليها، ونظرا لأهمية المنطقة الإستراتيجية فقد عين أحمد الأعرج أحد أبنائه المسمى "مولاي الناصر" عليها[303].

وفي محاولة من السعديين لكسب نوع من التأييد بتافيلالت عملوا على التقرب إلى فئة الأشراف زعماء واد ايفلي، فمنحوهم ظهائر التوقير والاحترام، والعديد من الامتيازات التي كانت متاحة لهم منذ العهد الوطاسي[304]، لكن ذلك لم يمنع الشرفاء من تزعم المعارضة ضد الوجود السعدي بتافيلالت. فبمجرد وفاة أحمد المنصور الذهبي عام

---

[295]- Meunié, Le Maroc saharien, op cite, p.455, note.46.

[296] - أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء أسفي وأزور، دار الثقافة، البيضاء، الطبعة الأولى، 1984، ص 32.

[297] - محمد فاتحي، "أضواء جديدة على بداية السعديين"، ضمن مجلة تاريخ المغرب، العدد4، السنة 4، غشت 1984، ص 34.

[298] - المرجع نفسه، ص 31.

[299]-Roger (leTourneau), les débuts de la dynastie Saadienne jusqu' à la mort du sultan M'hamed Ech-cheikh(1557) Institut d'etudes supérieures islamique d'Alger ,1956, p 42.

[300] - مارمول، افريقا، ج1، م س، ص 459.

[301] - دييكو دي طريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع سلا، 1988م، ص 72.

[302] - فاتحي، أضواء جديدة على بداية السعديين، م س، ص 35.

[303] - المرجع نفسه، ص35.

[304] - مجموع مؤلف من ظهائر شريفة، م س، ص117-118.

1603م، دخلت تافيلالت في غليان سياسي تزعمه شرفاء واد ايفلي، وأسرتي آل القاضي وبنو الزبير بمقاطعة السفالات وعاصمتهم تابوعصامت[305].

II- تافيلالت من مطلع القرن السابع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين

1- ثورة ابن محلي وسيطرته على تافيلالت

إثر تسليم مدينة العرائش إلى اسبانيا من لدن محمد الشيخ المامون[306]، مقابل مساعدتهم له في استرجاع سلطته بفاس عام 1019هـ/1660م[307]، قاد أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي[308] الثورة ضد السلطان زيدان صاحب مراكش، مظهرا الغضب لدينه وداعيا الناس للجهاد[309]. وفي سنة 1019هـ/ 1610م أعلن الثورة على السعديين بالجنوب، فشكل قوة صغيرة من البربر وشراقة[310]، فاقتحم بها واحة تافيلالت واستولى على سجلماسة مقر العامل السعدي[311]، بعد هزيمته للقائد المير عامل السلطان السعدي على تافيلالت، فكان لهذا الانتصار صدى عميق في نفوس قبائل الرحل التي كانت تعيش في هوامش واحة تافيلالت، فتسابقت إلى الانضمام لحركته، وبعد دخوله المنطقة أظهر العدل وغير المناكر فتواردت عليه الوفود من كل الجهات بالتهنئة[312].

---

305 - واحيحي، سجلماسة، م س، ص77.

306- الافراني، نزهة الحادي بأخبار لملوك القرن الحادي، م س، ص 197-207.

307 - مجهول اريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مطبعة دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى 1994، ص104.

308 - ولد بسجلماسة سنة 967هـ/1559م، بها بدا تعليمه ثم انتقل إلى فاس واخذ عن شيوخها، ثم نزل زاوية محمد بن مبارك الزعري فأخذ عنه التصوف، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج وطلب العلم، واستقر أخيرا بوادي الساورة، ادعى المهدوية وزحف إلى مراكش، واحتلها وبها توفي قتيلا سنة 1022هـ، في اصطدامه بجيش الشيخ يحيى بن سعيد الحاحي، انظر:

- الصغير الافراني، م س. ص 295-299.
- الاستقصا، ج6، ص 26.
- السوسي، المعسول، م س، ص 269.

309 - الافراني، نزهة الحادي، م س، ص 303.

310- يطلق لفظ شراقة على خليط من العناصر البشرية التي دخلت إلى المغرب من الجزائر.

311- الافراني، نزهة الحادي، م س، ص 207.

312- الناصري، م س، ج6، ص 30.

- الافراني، نزهة الحادي، م س، ص 206-207.

لقد كان لدخول ابن أبي محلي إلى سجلماسة أثره في نفسيته وفي نفسية أتباعه، فازدادت شعبيته، فتحرك بذلك ناموس عظيم[313] وهو يحقق طموحه الذي راوده منذ الصغر بعدم رضاه أن يكون تابعا بل متبوعا[314].

وما أن استتبت له الأمور بسجلماسة حتى بدأ يشعر بنشوة السلطنة، فانبثقت له فكرة تحقيق مشروعه في إقامة خلافة إسلامية[315]، بديلة عن حكم السعديين، ولم يكن توجهه إلى سجلماسة من باب الصدف فهي بالنسبة له بلدته الأصلية[316]، وأرض جده القاضي محمد بن عبد الله[317]، وموطن أخواله الذين يعرفون في المنطقة بأولاد رحو، وهم شرفاء[318] قبل انتقاله الاضطراري إلى الساورة[319]. وبذلك يكون ابن أبي محلي قد توجه إلى تافيلالت بدافع الثأر لأبيه من ظلم السلطان السعدي الأسبق واسترجاع أملاك والده التي ستشكل الأساس المادي في تحركاته.

أدى دخول ابن أبي محلي تافيلالت عام 1019هـ/1611م[320] إلى انقسام أهلها بين مؤيدين ومعارضين لثورته، فبعض المصادر تشير إلى أنه وبمجرد دخول ابن أبي محلي سجلماسة، أظهر العدل وغير المنكر وأحبه العامة[321]، وهو عكس ما أشار إليه صاحب مطالع الزهراء حين قال: "إن ابن محلي لم يكن عادلا ولا مغيرا للمنكر ولا رحيما بأهل

---

313 - الافراني، نزهة الحادي، م س، ص 303.

314 - احمد بن أبي محلي، اصليت الخريت، م س، ص116.

315 - عبد المجيد القدوري، أبو محلي نموذج الفقيه ورحلته الاصليت الخريت، منشورات عكاظ، 1991م، ص 63.

316 - تتفق المصادر التي أرخت لحركة ابن أبي محلي عن ولادته بسجلماسة حتى أنها تسميه بالسجلماسي، وأحيانا بالفيلالي، كما يشير إلى ذلك هو بنفسه في كتابه الاصليت، حيث يقول انه ولد عام 967هـ/1559-1560م زمن السلطان السعدي أبي محمد عبد الله بن محمد الشيخ السعدي، وبها تلقى تعليمه الأولي في زاوية أبيه المعروفة بزاوية أل القاضي قبل انتقاله إلى فاس للتعلم حتى رجع ثم غادرها رفقة عائلته لأسباب تتعلق باقتسام الإرث.
- احمد بن أبي محلي، م س، ص207.

317 - تعرف عائلة ابن أبي محلي بتافيلالت بأسرة "أل القاضي" المشهورة" بزاوية القاضي" وبامتهانها للقضاء التي تعتبر من المهن المربحة ماديا ومعنويا لارتباطها بالسلطة من جهة، وبمصالح الناس من جهة ثانية، ومن بين قيمة هذه المهنة هو النزاع الذي حصل بين "أولاد القاضي" مع عائلة "التميمي بن عاقلة"حتى تدخل المخزن المريني لصالح "أولاد القاضي". كما اشتهرت هذه الأسرة بالرياسة العلمية التي تعتبر أيضا من أسباب الترقية الاجتماعية، ونظرا لهذه المكانة التي تميزت بها هذه الأسرة عدة مركزا سياسيا وفكريا.
- عبد المجيد القدوري، اصليت الخريت، م س، ص54-55.

318 - احمد بن أبي محلي، م س، ص 215-216.

319 - المرجع نفسه، ص214.
- القدوري، م س، ص 272.

320-Fagnan(E), Extraits inédits relatifs au Maghreb (géographie et histoire) / traduits de l'arabe et annotés, Alger, 1924, p 455.

321 - الصغير الافراني، م س، ص 303.

سجلماسة[322]، بل إن مضايقته للأشراف أرغمتهم على إخلاء بعض قصورهم والتوجه إلى منطقة مدغرة عبر مرحلتين[323]، وفرض عليهم إتاوات وصلت إلى ست صرر من تبر الذهب، فأساء السير فيهم، وحرض عليهم يهود سجلماسة بإذايتهم ورجمهم"[324].

ولما استشعر السعديون قوة هذه الحركة وكثرة الموالين لها، قام السلطان مولاي زيدان السعدي بنقل قواته إلى المناطق المجاورة لتافيلالت، بل وأصرّ على تجميد كل نشاطه التجاري والدبلوماسي ريثما يتم القضاء على هذه الثورة[325].

2- الصراع السملالي العلوي على تافيلالت

نتيجة تدهور الحكم المركزي السعدي مطلع القرن السابع عشر الميلادي، وتصدع وحدة البلاد واستقلال الثوار ببعض جهاتها. عرفت تافيلالت بدورها عددا من الثوار والمعارضين للحكم السعدي، وتنافست على المنطقة قوى من خارجها وأخرى من داخلها. فبالإضافة إلى الضغوط المتوالية التي مارستها قبائل الرحل من بني معقل وآيت عطا كانت المنطقة محط أطماع الدلائيين في الشمال والسملالين في الجنوب، وداخل تافيلالت احتد الصراع بين بني الزبير بقصر تابوعصامت[326] بمنطقة السفالات ممر القوافل الرابط بين فاس والسودان وبين الأشراف العلويين بمنطقة واد افلي، وكان دور العلويين السياسي قد بدأ يتضح بمنطقة تافيلالت عند بداية القرن السابع عشر، وتوج ببيعة مولاي الشريف سنة 1631م، وهو ما يعتبر بداية لظهور العلويين ككيان سياسي.

وفي سنة 1043هـ/1633م وقعت مماحكة بين الأشراف وأولاد بني الزبير فاستنجد الأشراف بحليفهم السملالي الذي وجدها فرصة سانحة فانطلق بجيشه من دادس في اتجاه واحات تافيلالت، إلا أنه فوجئ بالجيش الدلائي الذي هب صاحبه لنصرة

[322] - الزكي العلوي، م س، ص 233.

[323] - للإطلاع على تفاصيل هذا الانتقال ومواطن استقرار الشرفاء بمدغرة، ينظر:

- عبد اللوي، م س، ص 331-339.

[324] - مطالع الزهراء، م س، ص 26.

[325] - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ص 455.

[326] - أحد قصور تافيلالت الكبرى يقع على الضفة اليمنى لواد زيز تقام به الصلاة الجامعة، وتعد أسرة آل الزبير العربية المعقلية أبرز أسرة وأقواها، وقد وقفوا معارضين لحركة مولاي الشريف الذي ظهر داعيا إلى الوحدة الوطنية وطالب السلطة والملك، وقد وصف الوزان هذا القصر في القرن السادس عشر الميلادي بأنه ثاني القصور الكبرى في تافيلالت، يبعد عن مدينة سجلماسة بحوالي 13 كلمتر جنوبا، كان التجار يترددون عليه كما أقام به اليهود والتجار التقليديون. التقاط الدرر، م س، ص 108، هامش 3.

البوعصاميين. وقد توقف الجيشان عن القتال حقنا لدماء المسلمين ورغبة من الإمارتين في تجاوز الدخول في مواجهة مسلحة لا طائل من ورائها[327].

إن سلطة السملاليين ما فتئت تتسع منذ سنة 1036هـ/1627م حيث استولى أبو حسون على وادي درعة، واسترجع تارودانت وصار يتشوف إلى قطر تافيلالت الذي دخله في حدود سنة1041هـ/1632م[328]، وبذلك دخلت المنطقة مرحلة جديدة شهدت الصراع السملالي - الدلائي قبل أن يتمكن العلويون من طردهم وتوحيد المغرب[329]. انطلاقا من هذا المجال.

غير أن السملاليين قد مارسوا ضغطا جبائيا مجحفا على سكان تافيلالت فازدرتهم العيون، وكرهتهم القلوب، وهو ما عبر عنه الافراني بقوله: "وضربوا الخراج على كل شيء حتى ما يجدونه في الشمس زمان الشتاء أو في الظل زمان الصيف"[330].

كما كان التعارض بين مصالح الدلائيين والعلويين سببا في إقدام محمد الحاج على التوجه على رأس حملة عسكرية قوية إلى تافيلالت من أجل السيطرة عليها وذلك في يوم 12 ربيع الثاني عام 1056هـ/1646م، حيث كانت معركة الكارة التي أسفرت عن انتصار الدلائيين[331]، بل إن أمحمد الحاج قد أخضع المولى محمد بن الشريف إلى إرادته فلم يكن على مولاي امحمد بن الشريف سوى قبول الشروط، باعتبار أن الفيلاليين خلال هذه الفترة لم يكونوا يتوفرون على قوة حربية، حيث اضطره إلى أن يقتسم معه مناطق النفوذ، فكان ما دون جبل العياشي إلى الصحراء جنوبا من نصيب العلويين، وما بعد ذلك الجبل شمالا لأهل الدلاء[332].

وترجع أسباب الصراع بين العلويين وأهل تابوعصامت إلى تخوف هؤلاء من تصاعد نفوذ العلويين والذي من شأنه أن يحد من مساهمتهم ويقلص أرباحهم من تجارة

---

327 - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 92.

328- المختار السوسي، إليغ قديما وحديثا، م س، ص 98.

329- حول صراع الشرفاء الحسنيين السجلماسيين من مختلف الكيانات والأطراف السياسية التي برزت خلال تلك المرحلة لكن أعنفها وأشدها قوة وتنظيما الدلائيين والسملاليين إلى أن تمكن الشرفاء الحسنيون السجلماسيون من حسم الصراع لصالحهم، راجع سعيد، واحيحي، سجلماسة/تافيلالت، م س، ص141-160.

330- الافراني، م س، ص 300.

- الاستقصا، ج7، ص 15.

331- المصدر نفسه، ص 16-17.

332- المصدر نفسه، ص 16-17.

السودان، فهاجم الأمير الجديد قصر تابوعصامت وحكّم السيف في رقاب سكانه، كما استولى على أموالهم وذخائرهم، فكان ذلك سببا في إثارة حفيظة أبي حسون الذي عمل أهل تابوعصامت على استمالته، فعمد بواسطة عامله على تافيلالت إلى أسر المولى الشريف ونقله حبيسا إلى إليغ[333].

3- تافيلالت وصراع الأحلاف

1-3. سيطرة آيت عطا على منطقة تافيلالت

استغلت قبائل الرحل التي كانت تجوب المراعي الممتدة جنوب الأطلس الكبير، أحداث النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري، وما نتج عنه من انهيار اقتصادي واضطراب اجتماعي، وانشغال الدولة العلوية بمشاكل المناطق الشمالية، فاندفعت في عمليات غزو واسعة لمناطق الواحات.

وتشكل اتحادية آيت عطا[334] نموذجا لتشكيل هذه القبائل الصنهاجية[335]. التي كانت مصدر تعب وفزع لسكان الواحات والجبال من مناطق توات إلى جبل باني ومن بلاد وادي درعة إلى بلاد آيت يوسي[336]، والحقيقة أن منطق القوة هو الذي كان يحكم علاقة القبائل الرعوية بالأهالي المستقرين في الواحات خصوصا بعد انضمام قبائل بني معقل المنحلة وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى للاتحادية العطاوية[337].

ونستشف من إحدى رسائل الحسن اليوسي إلى السلطان مولاي إسماعيل، أن قبائل آيت عطا، قامت بمهاجمة القصور بواحات وادي درعة وتافيلالت، وهذا نص الرسالة: "وأما قطع الطريق فإنما كانت في آيت عطا ... وما تركوا ذلك قط ولا دخلوا في الطاعة دخول غيرهم، وإنما يخادعون تارة على التمر وتارة على الزرع، وسراياهم سارية

[333]- الإفراني، نزهة الحادي، م س، ص 300.
- الاستقصا، ج7، ص 14.
- الزياني، م س، ص 156.

[334] - تتشكل من القبائل الصنهاجية الصحراوية وبعض فلول قبائل بني معقل وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى، ينظر -التقي العلوي: اتحادية آيت عطا، مجلة البحث العلمي، عدد 23، 1974، ص 116.

[335]- حول ظروف تشكيل الاتحادية العطاوية ينظر:
- Spillman (Capitaine Georges), les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa, Rabat, 1936, p.40.

[336]- مولاي التقي العلوي، "أصول المغاربة القسم البربري"، مجلة البحث العلمي، ع 33، سنة 1982، ص 118.

[337]- المرجع نفسه، ص 116.

في كل أرض من هاهنا؛ يعني بلاد آيت يوسي إلى درجة لا في هذه الأرض وحدها، وما تحركوا هنا حتى قضوا الغرض في الصحراء، فقتلوا الفقراء من (أولاد من لا يخاف)[338]، خارج النخل واستباحوا تلك البلاد كلها كما بلغكم"[339].

ولم يتوان سلاطين الدولة العلوية في التوجه إلى المنطقة لردع هذه القبائل، ففي عام ثمانية وتسعين ومائة وألف توجه السلطان سيدي محمد بن عبد الله لتافيلالت بقصد زيارة جده مولاي علي الشريف وقطع عادية البربر من آيت عطا وآيت يفلمان[340]. وفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف هجرية بلغ السلطان مولاي سليمان أن بعض قبائل الصحراء كعرب الصباح وبرابرة آيت عطا اشتغلوا بالفساد، وعظم ضررهم واستولوا على قصور المخزن التي هناك من عهد السلطان المولى إسماعيل، فعقد لابنه المولى إبراهيم على جيش كثيف ووجهه إليهم، فسار ونزل أولا بقصور العرب ونصب عليهم آلة الحرب فبددهم، ثم زاد إلى قصور آيت عطة فنصب عليهم الآلة كذلك وضيق عليهم إلى أن طلبوا الأمان فأمنهم فطلبوا أن يفرج بالجيش عليهم قليلا حتى يخرجوا بعيالهم خوفا من معرة الجيش، فأشفق لهم وأفرج عنهم[341].

لكن الواضح أن قبائل آيت عطا عادت لتهديد قصور تافيلالت ومزارعها في الوقت الذي كان فيه الحكم المركزي يعاني من أزمة سياسية خانقة، خاصة في السنوات الأخيرة من حكم المولى سليمان، بسبب الفوضى التي ساهمت فيها القبائل والزوايا على حد سواء، غير أن العطاويين انسحبوا نحو صاغرو أمام مقاومة الأهالي بمساعدة السلطة[342].

2-3. وصول آيت يافلمان وسيطرتهم على المنطقة

إن المد العطاوي وما أحدثه من قلاقل في مجموعة من المحاور دفع شرفاء سجلماسة إلى استقدام آيت يا فلمان[343] مستغلين الخلافات التقليدية بين آيت عطا وآيت

---

[338]- اسم لأحد القصور بمنطقة تافيلالت.

[339]- فاطمة خليل القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، م س، ص 211-212.

[340] - أبو عبد الله محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق احمد بن يوسف الكنسوسي، ج1، ص239.

[341]- الاستقصا، م س ج،7 ص 168.

[342] - Brignon (Jean) et autre, Histoire du Maroc, Hatier,1968, p. 266.

[343] - لا يعرف الوقت الذي أسس فيه الاتحاد اليافلماني، إلا أن المحقق أنة تأسس أوائل القرن 12هـ، وكان تحت رعاية أشراف تافيلالت ويتكون هذا الحلف من آيت مرغاد وآيت حديدو، راجع:

- التقي العلوي،" أصول المغاربة دور الاتحاديات الأطلسية" م س 122.

يافلمان، إلا أن ميزان القوة ظل في صالح آيت عطا، فكانت لهم العزة والكثرة وكان حزب آيت يافلمان دون ذلك حسب تعبير الناصري[344].

وفي أواسط 1271هـ/1855م، برز من بين عناصر آيت يافلمان إبراهيم يسمور اليزدكي وجنح إلى الأشراف وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وصار يأمر قومه بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويذكر السلطان بخير ويحض قومه على طاعته حتى اشتهر بذلك القطر وكثر الثناء عليه[345]، وزادت شهرته على حساب آيت عطا، فقد دخل معهم في صراع فتمكن من هزمهم هزيمة بعد العهد بمثلها، ولما كانت غلبة آيت عطا أمرا لا يروج في خلد أحد، فقد ارتقى اليزدكي في أعين الناس وأثنى عليه الشرفاء وأحبوه وبلغ ذكره السلطان المولى عبد الرحمان سنة 1822م/1185هـ، واعترافا منه بالجميل وتقديرا له على فعله عينه خليفة على منطقة تافيلالت ونواحيها، وربما كانت تولية إبراهيم مكان الخليفة السابق مولاي سليمان بن عبد الرحمان من أجل مساعدة الخليفة على تثبيت الأمن في تلك الربوع.

ومهما تكن الصيغة والهدف من هذا التعيين، فإن اليزدكي استغل هذه الفرصة فقلب ظهره لأوامر السلطان وصارت فيه نخوة الرئاسة[346]، وانطلق يغزو المناطق المجاورة حتى شاع خبره، ورغم كتابات السلطان المتكررة فإنه لم يتراجع عن موقفه، فلم يكن هناك بد من مواجهته واغتياله[347]. لكن مقتل اليزدكي لا يعني عودة الهدوء إلى منطقة تافيلالت، فسرعان ما عاد الوضع إلى سابق عهده، بعودة آيت عطا إلى الساحة من جديد وهو ما أثر على سكان تافيلالت، فانقسموا إلى قسمين، قسم انحاز لآيت عطا، والآخر تمسك بحلف آيت يافلمان.

ومن المظاهر التي عرفتها منطقة تافيلالت إبان تمرد اليزدكي على سلطة المخزن، قسوته في معاملة كل من أظهر ولاءه للسلطان، وطبيعي أن يكون آل البيت العلوي مستهدفين أكثر من غيرهم، وكانت مساكنهم فيما يعرف بالقصور المخزنية التي تقع في

[344]- الاستقصا، م س، ج8، ص 82.
[345]-المصدر نفسه، ج8، ص 82.
[346]- المصدر نفسه. ج8، ص 82.
[347]- المصدر نفسه. ج8، ص 82.

مناطق واد افلي وتانيجيوت والغرفة تتعرض لعملية السطو والتخريب، ومن ناحية أخرى كانت معاملة إبراهيم لأهل السفالات قائمة على أساس التحالف.

وبناء على هذا تتضح أسباب التجزئة التي حلت بسكان تافيلالت، وفي الوقت الذي كان من المفروض أن يتخذ سكان المنطقة موقفا موحدا من آيت يافلمان بمعاداتهم بعد القضاء على ثورتهم، كما كان الإجماع على استقدامهم، فإن ذلك لم يتم إلا من طرف الشرفاء ومن والاهم، إذ لم يكن لدى أهل السفالات مبرر لاتخاذ مثل هذا الموقف. وبناء على هذه التناقضات حصل تقارب بين الشرفاء ومن والاهم وعناصر آيت عطة لتشكيل حلف مضاد تعززه المشروعية التي كان مصدرها خضوع آيت عطا لطاعة خليفة السلطان على تافيلالت المولى رشيد.

لا شك أن الصراعات التي دارت على أرض تافيلالت خلفت عواقب وخيمة على المنطقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، ورغم أننا لا نتوفر على كل المعطيات التي تسمح بالكشف عن أخبار تافيلالت خلال هذه الحقبة المضطربة، فعلى إثر ما عرفه الوضع الداخلي لتافيلالت من صراع وتنافس بين بربر صنهاجة وعرب بني معقل، وما تعرضت له الأسرة الحسنية من انقسام، فإن هذه الاضطرابات الاجتماعية أدت إلى تراجع خطير في الإنتاج، فانتشر الجوع وتخربت العمارة.

4- علاقة قصور تافيلالت بخلفاء السلاطين العلويين

تعد منطقة تافيلالت من أهم المناطق التي أولاها سلاطين الدولة العلوية عناية خاصة، فظلت دوما تحت قيادة خليفة سلطاني من الأسرة الحاكمة، وخاصة منذ أن احتل الفرنسيون الجزائر عام 1830م/1246هـ، واحتكاك قبائل تافيلالت بشكل مباشر بالسلطة الاستعمارية، وما سببه ذلك من حرج للسلطان، فمنذ عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام وإلى غاية فرض الحماية الفرنسية على المغرب، كانت تافيلالت تحت قيادة الخليفة السلطاني المولى سليمان بن عبد الرحمان، ثم من بعده الخليفة مولاي رشيد وبعده مولاي المهدي العلوي، مع استثناء بسيط يتمثل في الفترة الخلافية القصيرة لكل من المدني الكلاوي ومولاي عبد السلام المراني[348]. وقد كان الخليفة السلطاني

[348]- السوسي، المعسول، ج16، م س، ص 347.

يقطن في القصور المخزنية كأبار والفيضة وغيرها[349]، وإلى جانبه بشوات مكلفين بتنفيذ الأوامر المخزنية كان مقر سكناهم بقصر تغمرت. فما العلاقة بين القصور الفيلالية والسلطة المركزية؟

1-4. التوتر بين الخليفة مولاي رشيد وقصور تافيلالت

انتقل المولى رشيد إلى تافيلالت بأمر من والده، وذلك في سن مبكرة، إذ لم يكن يتجاوز عمره ثلاثة عشرة سنة، وقد كان عمه مولاي سليمان بن عبد الرحمان هو خليفة السلطان هناك، ثم بنى سيدي محمد بن عبد الرحمان لولده قصرا سنة 1263هـ/1846م، وفيه ظل يمارس مهمة الخليفة السلطاني العلوي على تافيلالت في ظل حكم العديد من السلاطين، انطلاقا من عهد أبيه ومرورا بالسلطان مولاي الحسن الأول وابنيه السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ، إلى أن توفي يوم 19 محرم الحرام 1330هـ/10 يناير 1912م عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما[350].

كان مولاي رشيد يحظى بتقدير واحترام القبائل داخل تافيلالت، نظرا لسمعته الطيبة إلى درجة أن قبائل ايت عطا وذوي منيع كانت تنقادان له انقيادا لحسن معاملته معهم وأمثالهم[351]. لكن ذلك لم يمنع من توتر الأجواء في بعض الأحيان. فما هي أسباب التوتر بين الخليفة السلطاني وقصور تافيلالت؟

بعدما تبين لساكنة القصور الفيلالية أن السلطة المخزنية المركزية تعيش أزمة خصوصا بعد وفاة السلطان محمد الرابع وانتقال السلطة إلى ابنه السلطان مولاي الحسن، انتفض أهل الغرفة ضد خليفة المخزن الحسني في السنة الأولى من توليه أمور المغرب، مما جعله يرسل إلى شيوخ الغرفة وزعماء قصورها رسالة سلطانية تضمن الكثير من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب حاثا إياهم على"ملازمة السير على منهاج أسلافهم والتجمل بجميل أوصافهم"[352].

[349]- حول القصور المخزنية بمنطقة تافيلالت انظر الثالث من الباب الثاني.

[350]- السوسي، م س، ج 16، ص 350.

[351]- المصدر نفسه، ص 348.

[352]- استيتيتو، م س، الوثيقة رقم 2 بالملحق، ص 446.

كما تسببت وفاة السلطان مولاي الحسن عام 1894م/1311هـ، في مشاكل كثيرة للخليفة السلطاني مولاي رشيد بتافيلالت، وذلك بعد ما انتابت البلاد حالة من الفوضى والاضطراب، وانتشار أعمال السطو والسرقة والاعتداءات، وباتت مظاهر الفوضى تعم مختلف قبائل الجنوب الشرقي المغربي[353]، وفي هذا الإطار ثارت قبائل السفالات غرب تافيلالت على الخليفة مولاي رشيد الذي اضطر إلى توظيف ما يملكه من عساكر وأسلحة لمواجهة تلك القبائل المتمردة، فحاصرها حصارا شديدا "وضربها بالمدافع حتى تغلب عليها"[354].

وبدورهم حاول أهالي قصر السيفة شمال غرب تافيلالت بناء سد على وادي زيز لاستعماله في سقي أراضيهم وتزويد نسلهم ومواشيهم بمياهه، فعارضهم المولى رشيد معارضة شديدة، بحجة أنه أضر بالسكان الموجودين جنوب هذا السد، وسيصابون بالجفاف، وحاول إقناعهم بالعدول عن الفكرة لكنهم أصروا على رأيهم وشرعوا في البناء، فأعلن الحرب عليهم، إلى أن فتك بهم فتكة أتت على زهاء مائة منهم وذلك سنة 1312هـ[355].

ولم يمنع وجود الخليفة السلطاني القبائل التي تقطن في المجالات المجاورة لقصور تافيلالت من استغلال المشاكل التي يتخبط فيها المخزن العزيزي على كافة المستويات، فانطلقت القبائل الخباشية وأحكمت قبضتها على عدد من القصور، كقصر مزكيدة، وقصر سيدي بوبكر، وقصر عمار، وقصر أولاد يوسف، وقصر هارون، وهي قصور بمشيخة تانيجيوت، علاوة على قصرين آخرين في مشيخة السفالات، وهما قصر مقطع الصفا، وقصر وطارة[356]. هذا الاعتداء نشر الرعب في صفوف السكان المستقرين وأدى إلى إحياء النعرات القبلية الدفينة، وخاصة بين اتحادية آيت يافلمان والاتحادية العطاوية، فلم يتردد "آيت مرغاد" و"آيت ازدك" في التصدي للتوسعات الخباشية وإقامة تحالفات مع سكان القصور كقصور السفالات[357]، الأمر الذي أدى إلى اشتداد الصراع ما

---

[353]- المرجع نفسه، ص 103.
[354]- السوسي، م س، ج 16، ص 352.
[355]- المصدر نفسه، ص 352.
[356]- بوكبوط، مقاومة الهوامش الصحراوية، م س، ص 43 وهامش17.
[357]- المرجع نفسه ص 45.

بين الرحل والمستقرين، وخاصة مابين ذوي منيع والقبائل الخباشية من جهة وعرب السفالات وحلفائهم من جهة ثانية، حيث لم يتردد أهل السفالات سنة 1314هـ/1896م من تنظيم هجوم على سوق أبو عام بتافيلالت للفتك بالمنيعيين والخباشيين "فقتلوا ونهبوا وضاعت رقاب وأموال كثيرة"[358]. ولم يتمكن مولاي رشيد من إيقاف هذا التدهور الأمني، بل غض الطرف عن الدعم الذي قدمه شرفاء المنطقة وخاصة قصر اخنوس لعرب السفالات والمتمثل في المال والسلاح والرجال[359].

في ظل هذا الانفلات الأمني وجه الحاجب أبا حماد حركة عسكرية إلى المنطقة في رمضان من عام 1316هـ/1898م، بقيادة الشريف مولاي محمد لمراني عم الخليفة مولاي رشيد، وذلك للاقتصاص من القصور التي رفضت الخضوع للأوامر المخزنية، وخاصة أهل السفالات وسكان ابوعام ومن يسير في فلكهم كعرب الصباح وبعض قبائل آيت ازدك[360]، وقد أفضت هذه المواجهة بين العساكر السلطانية والمتمردين إلى قتل زعيم المتمردين واحد عشر من أتباعه واعتقال عدد آخر منهم وصل إلى سبعين، فشاع هذا الخبر بين سكان القصور الفيلالية، وقام الخليفة مولاي رشيد وعدد من أعيان الشرفاء الموالين له إلى حضرة السلطان يخبرونه بهذا النصر المكين والفتح العظيم[361].

2-4. علاقة قصور تافيلالت بباقي خلفاء السلطة المركزية

بعد وفاة مولاي رشيد تولى منصبه ابنه مولاي المهدي كخليفة سلطاني بمنطقة تافيلالت، وذلك بعد اختياره من طرف شرفائها وشيوخ قصورها وفقهائها، وقد تزامن ذلك مع توقيع عقد الحماية، وبداية الاحتلال العسكري للمغرب، ومنذ هذا الوقت لم تأخذ علاقة مولاي المهدي مجراها الطبيعي نتيجة لإقدامه مع مائة من أعيان تافيلالت على ملاقاة اليوتنان الكولونيل "دوري" لإعلان خضوعهم للسلطة المركزية، والتنسيق مع السلطات الفرنسية[362].

---

[358]- السوسي، م س، ج 16، ص 352.
[359]- استيتيتو، م س، ص 180.
[360]- المرجع نفسه، ص 182.
[361]- المرجع نفسه، ص 183.
[362] - المرجع نفسه، ص 282.

وفي الوقت الذي عين فيه "استري"(Oustry) حاكما عسكريا بقصر تغمرت على منطقة تافيلالت، أعيدت للخليفة السلطاني مولاي المهدي هيبته وباتت جملة من القصور تخضع له بدءا من قصر أولاد الزهراء، ثم القصر الفوقاني وقصر تاحسنونت، وقصر المنصورية وقصر تغكة، وقصر الجبيل وقصر لوجارشة، وقصر بني فرح وصولا إلى قصر البطرني، وقصر مولاي عبد الله الدقاق، وقصر سيدي بوبكر الشرقي، وقصر مزكيدة، وقصر اشقارنة، وقصر الفيضة وقصبة مولاي الطاهر...وقصور الغرفة[363]. وبعد حادث نجاح "التوزنيني" في اغتيال "استري" ومحاصرة قصر تغمرت، واستطاع أن ينال رضا السكان ويبايع سلطانا بقصر الريصاني ومنها بدأ دعوته لكافة القصور للشروع في الجهاد.

خاتمة:

ارتباطا بالأحداث السياسية التي شهدتها المنطقة اتضح لنا تأثر عمران القصر وأنشطته بتدهور الأوضاع بالمنطقة، بل إن بعض هذه القصور كان في مراحل كثيرة طرفا في هذه الصراعات والأزمات، وأن العلاقة التي كانت تجمع بين قصور تافيلالت والمخزن تأرجحت بين حالة التوتر والانفراج.

[363] - استيتيتو، م س، ص 312-313.

الباب الثاني
مظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية بقصور تافيلالت

الفصل الأول
الأنشطة الاقتصادية عامل رخاء
قصور تافيلالت

اعتمد سكان قصور منطقة تافيلالت قديما على نمطين اقتصاديين أساسيين هما: الزراعة والتجارة، إضافة إلى مجموعة من الحرف والصنائع البسيطة التي كانت على قدر متطلبات الحياة اليومية للسكان. ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية للعصور الوسطى أن منطقة تافيلالت كانت تتمتع بوضع اقتصادي مزدهر، لا من حيث النشاط الزراعي وما يرتبط بها من حرف تقليدية فحسب، وإنما أيضا من حيث الحركة التجارية الدائبة سواء على مستوى الأسواق المحلية أو على مستوى حركة القوافل التجارية مع الواحات المجاورة، أو مع المناطق البعيدة، كشمال المغرب أو بلاد السودان.

لكن مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي، يقدم لنا "مارمول" و"الوزان" وصفا مغايرا مفاده أن الوضعية الاقتصادية التي اشتهرت بها قصور تافيلالت قبل القرن 16م، عرفت نوعا من التراجع والتقهقر.

ذلك ما سنقوم برصده في هذا الفصل لإعطاء القارئ صورة تقريبية عن الوضع الاقتصادي لواحة تافيلالت ودوره في رخاء بعض القصور، وكيف ساهم سكانها بمنتوجاتهم المحلية في المبادلات التجارية، وكيف اكتسبت بعض القصور الصدارة دون غيرها في التبادل التجاري وخدمة قوافل التجار، وكيف انعكس هذا الثراء - النسبي- على عمارة القصور والقصبات.

I- النشاط الفلاحي

تشكل الزراعة المصدر الأساسي لعيش ساكنة قصور تافيلالت، رغم ما تتسم به المنطقة من جفاف وضيق للأراضي الصالحة للزراعة وملوحة للتربة، لا تضمن لسكانها إلا محصولا زراعيا يستجيب فقط لحاجياتهم الأساسية، مع بعض الفائض في إنتاج التمور. فالمجال الزراعي ينحصر في الشريط الرسوبي الضيق الذي تكون على ضفتي نهري زيز وغريس، والذي يتعرض للتقلص بسبب النشاط العمراني وزحف الرمال وعوامل التصحر، وهو نفس المجال الذي اعتمدته مدينة سجلماسة في زراعتها خلال العصر الوسيط؛ في الوقت الذي كانت فيه الركيزة الأساسية لاقتصاد القصور هي

الفلاحة، الأمر الذي جعلتها ترتبط مع المدينة بعلاقات جيدة لحاجة هذه الأخيرة إلى مواد التموين من المنتوجات الفلاحية[364]، التي تتوفر في بساتين ومزارع القصور[365].

ومهما يكن، فإن ارتفاع مردودية الإنتاج الفلاحي بمنطقة تافيلالت يعود إلى ما كان يقوم به نهري زيز وغريس من تخصيب للتربة وتوفير لمياه الري، وإلى الجهد الذي يقوم به الفلاح الفيلالي عن طريق تخصيب حقله بالسماد الطبيعي. فالأراضي المحيطة بالقصور هي أراضي إما مغروسة بالنخيل أو أراضي جرداء تستغل للحرث من سنة إلى أخرى بواسطة أدوات تقليدية، إضافة إلى الأراضي المسقية بواسطة العيون، آبارا كانت أوخطارات، وسكان القصور الفيلالية مدينين في عيشهم لنوعين من المصادر المائية: جريان سطحي يمثله وادي زيز وغريس، وآخر باطني تمثله العيون التي يتم استغلالها عن طريق حفر الخطارات أو الآبار[366].

وفي الوقت الذي كان سكان القصور في مرحلة ما قبل القرن الرابع عشر الميلادي ينتجون مواد فلاحية متنوعة وذات جودة عالية، باستثناء القمح، وبكميات كثيرة فقد تحدث ابن حوقل[367]، والبكري[368]، والإدريسي[369]، عن منتوج القمح واعتبروه من النوع ناقص الجودة. كما اشتهرت المنطقة بزراعة النخيل رغم ما كان يتطلبه من وقت طويل وعناية كبيرة قبل جني منتوجه، إلا أن أهميته كانت كبيرة في حياة سكان القصور عبر توفير الغذاء والحطب والخشب، وكونه سلعة تبادل تجاري نقلها التجار إلى مختلف الحواضر المغربية وبلاد السودان وأوربا[370]. كما اشتهرت المنطقة بمزروعات أخرى كالكمون والكروياء والحناء التي يتجهز منها إلى سائر بلاد المغرب حسب تعبير

[364] - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 113.

[365] - احمد بن أبي محلي، تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة، م س، ص 3.

[366] - حول مصادر الماء بالمنطقة ينظر:

- حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص57-83.

[367] - أبو القاسم النصيبي ابن حوقل، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 90.

[368] - البكري، م س، ص 151.

[369] - أبو عبد الله محمد بن ادرسي الحسني السبتي الإدريسي، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957، ص 38.

[370] - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 320.

الإدريسي[371]. إضافة إلى شجرة الأثل المعرفة باسم "التاكوت" الذي كان يستعمل في الدباغة[372].

استمرت منطقة تافيلالت تعاني من تراجع إنتاج الحبوب في المراحل اللاحقة للقرن 8 الهجري/14م، ودليل ذلك ما ذكره "مارمول" حين أشار إلى ضعف إنتاج الحبوب في المناطق الجنوبية مع وفرة التمور بها "مهما كان محصول القمح في السنة كثيرا فإنه لا يكفي لأكثر من ستة أشهر، بينما تمكن وفرة التمر من المبادلة مع بلاد البربر والحصول منها على الكمية المرغوب فيها من القمح والشعير"[373].

وتمثل تربية المواشي نشاطا اقتصاديا مكملا للمزارعين المستقرين بالقصور الذين يقومون بتربية بعض رؤوس الأغنام داخل منازلهم، وأشار الباحث "حافظي" إلى أن ارتباط هذا النوع من النشاط الفلاحي بالسكن في القصور قد حد من فعاليته وقلص من مردوديته، ما دام المكان المخصص لتربية الماشية في المنازل لا يسمح بوجود أعداد كبيرة منها[374].

ويمكن تفسير التراجع الذي أصبحت عليه الأوضاع الاقتصادية بقصور تافيلالت إلى ظروف انعدام الأمن والنهب والفوضى التي كانت المنطقة معرضة لها، خاصة من طرف عناصر الرحل، الذين عملوا على إتلاف المحاصيل الزراعية وإلحاق الضرر بمغروسات النخيل[375]. الأمر الذي كان يفرض على سكان القصور دفع حصة من محصولهم الزراعي للأعراب مقابل أن يكف هؤلاء عاديتهم عنهم[376].

II- الحياة التجارية

ارتبطت قصور تافيلالت بتجارة القوافل وعلاقات التبادل المستمر التي كانت تربط سكانها بقبائل الرحل المجاورة، إذ لم تنقطع رحلات القوافل التجارية بعد خراب سجلماسة، لأن من سكان القصور من استمر في المتاجرة مع بلاد السودان رغم ما أصاب

371 - الإدريسي، م س، ص 38.
372 - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 324.
373 - مارمول، وسف افريقيا، م س، ج 3، ص 45.
374- المرجع نفسه، ص 334.
375 - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص431.
376 - المرجع نفسه، ص 312.

الطرق التجارية الجنوبية من فتور بسبب انعدام الأمن، وما كانت تفرضه القبائل المعقلية من ضرائب[377]. إلا أن عائدات التجارة هذه لم تستفد منها إلا فئة محدودة من السكان.

واحتلت بعض القصور الصدارة دون غيرها في التبادل التجاري مع بلاد السودان؛ تحمل إليها بضائع بلاد البربر (التمر والحناء والملح الصحراوي) وتستبدلها بالذهب والعبيد[378]، فكانت عاملا من عوامل رخائها، كما هو الشأن بالنسبة لقصر: ابوعام، الذي كان مقصدا للتجار الأجانب الذين يأتون إليه للاتجار مسلمين كانوا أو يهودا[379]، وقد أهّله موقعه المتميز في قلب الواحة وبجوار خراب سجلماسة ليتحول بسرعة إلى سوق كبرى جامعة في قلب الواحة[380]، يشهد رواجا كبيرا لسلع بلاد السودان. فقد أكد رولف (G.Rohlfs) أن القوافل المكونة من تجار فاس وتافيلالت كانت تحط الرحال بقصر: أبو عام قبل مواصلة الرحلة إلى شمال المغرب. وظل هذا القصر إلى جانب قصر تابوعصامت، من القصور الكبرى التي تزاول نشاطات كثيرة في مجال التجارة الصحراوية كما لو كانت سجلماسة ما تزال قائمة، فاضطلعت بمهمة تجهيز القوافل قبل انطلاقها في رحلتها عبر الصحراء الكبرى[381]. وفي نفس الوقت شكلا مركزا مهما لاستراحة القوافل التجارية القادمة من درعة والسودان[382]، خصوصا العنصر اليهودي، فقد أشار الوزان في معرض حديثه عن قصر تابوعصامت أن به عددا كبيرا من اليهود المشتغلين بالصناعة والتجارة[383].

وقد تأثر دور قصور تافيلالت في تجارة القوافل في بعض المراحل التاريخية، وتحديدا خلال الفترة الممتدة من نهاية القرن 8 الهجري/14م إلى النصف الأول من القرن 9 الهجري/15م، حيث تعرضت القوافل التجارية الصادرة أو الواردة من وإلى قصور تافيلالت للنهب من طرف القبائل المعقلية، وإن سلمت منه تؤدي إتاوات باهضة

377- الوزان، م س، ج2، ص 125-126.
378 - المصدر نفسه، ص 125-126.
379 - مارمول، وصف إفريقيا، م ج3، ص 152.
380 - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 128.
381 - المرجع نفسه.
382- Gendre, le Tafilalet, op.cit.p 54.
383 - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص 126.

لرؤساء القبائل تراوحت بين ربع مثقال عن كل جمل وربع البضاعة[384]. هذه الظروف أدت إلى تحول اتجاه القوافل وسمحت بظهور مراكز جديدة، إذ أصبحت طريق فاس تمبكتو تمر بدرعة بدل المرور بسجلماسة[385]، وبقدر ما أضر هذا التحول بقصور تافيلالت، بقدر ما ساهم في تحولات اجتماعية وسياسية مهمة بوادي درعة[386].

لكن مع مطلع القرن 11 الهجري/17 الميلادي، عاد جزء من النشاط التجاري الصحراوي إلى محور تافيلالت حيث كان للإمارة العلوية هناك رغبة في السيطرة على النشاط التجاري الصحراوي[387]، ومن أهم المحاور التي نشطت خلال هذه المرحلة مسلك تافيلالت - توات التي تعد أهم شريك لقصور تافيلالت في تجارة القوافل العابرة للصحراء، ولعل أهم مؤشر على ذلك هجرة العديد من الأسر الفيلالية إلى توات قصد الاستقرار والاتجار[388]، وكان يقوم بهذه الوساطة التجارية بين توات وتافيلالت قبيلتا بني امحمد وآيت خباش، ومن أهم السلع التي كانوا ينقلونها من قصور تافيلالت إلى توات الجلد الفيلالي والأسلحة والأواني، وتعود القوافل من توات إلى تافيلالت محملة بالحناء والفلفل وملح البارود والملح والتبغ التواتي، بالإضافة إلى العبيد، فقد كانت تافيلالت أهم سوق للعبيد المستقدمين عبر توات[389].

واختصت قبيلة بني امحمد قبل القرن التاسع عشر الميلادي في تنظيم القوافل مباشرة إلى تمبكتو[390]. ويمكن تفسير استفادة قبيلة بني امحمد دون غيرهم من تجار توات وتافيلالت إلى الحماية والامتيازات التي وفرها لهم آيت خباش الذين لا يترددون في نهب القوافل التي لا تسافر تحت خفارتهم[391].

وتأثر دور القصور الفيلالية في تجارة القوافل من جديد، بعد أزمة القرن الثامن عشر الميلادي واستحواذ ميناء الصويرة على تجارة القوافل كأهم ميناء لتصدير البضائع

---

[384] - حافظي، سجلماسة، م س، ص 433.
[385] - المرجع نفسه، ص 435.
[386] - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 301.
[387] - المرجع نفسه، ص 303.
[388] - اعفيف، توات، م س، ص 128.
[389] - اعفيف، توات، م س، ص129.
[390] - المرجع نفسه، ص128.
[391]- محمد بوكبوط، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880-1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2005، ص42.

السودانية نحو أوروبا، إلا أن ذلك لم يوقف النشاط التجاري بالقصور الفيلالية بصفة نهائية، فقد استمر قصر ابوعام يقوم بالوساطة التجارية بين المدن المغربية الداخلية (فاس- مراكش) وتوات ويصرف في الاتجاهين بضائع السودان والمصنوعات المغربية والأوربية[392].

III- الصنـاعـة والحـــرف

ازدهرت بمنطقة تافيلالت بعض الحرف الصناعية اليدوية المرتبطة بما توفره المنطقة من مواد أولية، وتأتي هذه الأنشطة في آخر سلم الترتيب في الأنشطة الاقتصادية ويرجع ذلك لكون الصناعات التقليدية بالمنطقة ظهرت لتلبي رغبة المستهلكين ولم يكن لأصحابها أي توجه تجاري، وأهم الصناعات التي اشتهرت بها قصور تافيلالت هي الصناعة المعدنية والخزفية وصناعة النسيج والجلود.

- **صناعـة الخـــزف:** تنتشر بقصور بحاير الأنصار ومولاي عبد الله الدقاق والسيفة؛ ففي القصر الأول الواقع على بعد كيلومتر واحد غرب مدينة سجلماسة تم العثور- من خلال الحفريات التي أنجزها الباحث "تاوشيخت" - على مجموعة مكونة من 26 قطعة نقدية تؤرخ معظمها للقرن 12هـ/18م، وعلى مجموعة من القطع الخزفية الشبيهة بما تم العثور عليه في حفريات 1974[393]، أو الحفريات الأمريكية (1988 - 1996)[394]، وهي عبارة عن أواني للاستعمال اليومي، مع سيطرة أواني المائدة من أقداح وصحون وفناجين وأواني حفظ السوائل. لكن الملاحظ أن ما اكتشف بهذا القصر يهيمن عليه الخزف المصبوغ[395]. كما تم الكشف بنفس القصر عن بقايا أثرية تنتمي للصناعة الخزفية ومنها أنقاض ثلاثة أفران[396].

ولا نستبعد أن تكون هذه القصور وغيرها قد ورثت هذه الحرفة عن مدينة سجلماسة التي تفرق سكانها في قصور متعددة، كل واحد منها انفرد بصناعة من

---

[392] - اعفيف، توات، م س، ص 128.

[393] - أنجزت هذه الحفريات في يوليوز وغشت عام 1974 من طرف وزارة السياحة والأشغال العمومية المغربية تحت إشراف محمد بنشمسي وقد همت قلب القصبة السجلماسية.
- تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج1، ص207.

[394] - المرجع نفسه، ص219-220.

[395] - المرجع نفسه، ص221.

[396] - المرجع نفسه، ص220.

الصناعات التي كانت نشيطة بالمدينة. فقد عرف عنها اهتمامها الواسع بالصناعة الخزفية، كما أكدت الأبحاث الأثرية بموقع سجلماسة وجود ذلك، وأنها من الصناعات المتقدمة نظرا لرقة سمكها وخفة وزنها[397].

▪ **صناعــة الجلــود:** اشتهرت العديد من القصور بهذه الصناعة كقصر "حمو داود"، و"تعرمت" و"صوصو"، و"قصبة سيدي ملوك"[398]، حيث كانت تتعاطى لها أسر محدودة بقصور "شرفة بحاج" و"منوكة"، يتوارثها الأبناء عن الآباء، ولازالت بعض القصور تحتفظ بمدابغها، خصوصا قصر منوكة (الصورة 2).



صورة رقم (2): مدابغ الجلد بقصر منوكة
المصدر: تصوير الباحث 2008

▪ **الصناعــة المعدنيـة:** من أهم الصناعات المعدنية التي ورثتها قصور تافيلالت عن مدينة سجلماسة ضرب العملة الفضية والذهبية رغم أن هذه الأخيرة من الذهب الرديء على حد قول الوزان: "وتزن العملة الفضية الرفيعة أربعة حبات، وتساوي ثمانون منها 430

[397] - المرجع نفسه، ص 130-131.
[398]-Maurice (Bernard), le Tafilalet, renseignement Coloniaux , Afrique Française ,Octobre 1927, n 10, p 393.

مثقالا"[399]. وإن كانت المصادر لا تذكر اسم القصر أو القصور التي زاولت هذه الصناعة، إلا أننا نرجح أن يكون قصر تابوعصامت هو الذي احتضن هذه الصناعة، فالوزان أشار إلى ازدهار الصنائع والحرف به[400]، واعتبره أهم القصور تمدنا في الإقليم[401].

ولا نستبعد أن يكون ضرب العملة بمنطقة تافيلالت قد عرف نوعا من التراجع خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي فقد سجل ابن سالم العياشي، حين مر بالواحات سنة 1663م ملاحظات مهمة عندما قارن بين توات وتافيلالت، يقول العياشي: "وسبب إقامتنا في هذه البلاد (أي توات) هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخروا الصرف إلى توات، لأن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر"[402].

وإلى جانب الصناعات السالفة الذكر، يوجد بقصور تافيلالت مجموعة من الحدادين اتجه اهتمامهم لتلبية حاجات الإنتاج الزراعي من الأدوات البسيطة، كالفؤوس والمناجل والمزابر[403]. وعلى هؤلاء الحرفيين يعتمد سكان الواحة في حاجياتهم من هذه الآليات.

كانت بعض الصناعات اليدوية تعتمد على المواد الأولية المستخلصة من النخيل، فإلى جانب الجذوع التي تصنع منها أخشاب السقوف والأبواب يستعمل السعف والليف في صناعة القفاف وأدوات الحمل المختلفة، والشباك والحبال والأطباق والحصير والمروحات وغيرها، وهذه الحرفة لا تتطلب أي وسيلة تقنية ولا مكانا خاصا، بل هي حرفة شعبية بسيطة تزاول في المنازل يشترك فيها الذكور والإناث.

وتعتبر المهن والأنشطة الاقتصادية المختلفة من أهم العوامل المؤثرة في العمارة والعمران بمنطقة تافيلالت، إذ يلاحظ تباين على مستوى الوحدات السكنية بين دور

---

[399] - المثقال: وزن معين استعمل للدلالة على الدينار الذهبي، وفي القرن 18 أصبح يطلق في المغرب على قطعة نقدية فضية من 10 دراهم.
- عمر أفا، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19، سوس 1822 – 1906، منشورات القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، أطروحات ورسائل1. 1988، ص417.

[400] - الوزان، وصف إفريقيا، م س، ج2، ص125.

[401] - Jacques(Meunié), le Maroc saharien, op,cit. p.336.

[402] - العياشي أبو سالم، الرحلة العياشية ماء الموائد، تحقيق محمد حجي، 1977، ج1، ص21.

[403] - جمع مزبرة: وهي عبارة عن قطعة حديدية يقرب طولها نصف متر معقوفة وحادة من أحد جوانبها، تستعمل لقطع جريد النخل.

التجار والعامة، وكذا تلك التي في ملك المخزن سواء على مستوى تصميم البناء ومكوناته أو متانة البناء أو زخرفته. نظرا لارتباط ذلك بتفاوت دخل السكان ومصدره، بين الفلاح والتاجر والحرفي والفقيه، ولكلٍّ متطلبات في مسكنه تختلف عن الآخر، كما أن تعاطي غالبية سكان القصور للزراعة واعتمادهم الحيوان في أعمالهم أوجد نوعا من التقارب بين الإنسان والحيوان حتى في المسكن.

خـاتمة:

إن الحياة الاقتصادية بقصور تافيلالت تميزت بمرحلتين، فقبل اندراس سجلماسة، انحصرت وظيفة القصور في النشاط الزراعي والرعوي الذي كان موجها لتلبية حاجيات المدينة وساكنة القصور، ولم يكن هذا النشاط ليعرف تطورا كبيرا فيما بعد، بل تعرض في بعض الفترات التي يسوء فيها الوضع السياسي إلى هزات عنيفة، وكانت الحبوب والتمور أهم المواد الفلاحية التي ينتجها سكان القصور، إضافة إلى بعض الغلات الأخرى كالكمون والكروياء والحناء. لكن بعد سقوط سجلماسة زاولت القصور إلى جانب نشاطها السابق النشاط التجاري، إذ نشطت بعض القصور في هذا المجال واستمرت في نسج علاقات تجارية مع بلاد السودان وشمال المغرب وداخل الأسواق المحلية، لتعرف بعد ذلك تراجعا بسبب انعدام الأمن وظهور محاور تجارية بديلة.

أما الصناعة فقد كانت محدودة، حيث اقتصرت على صناعة النسيج والجلد وبعض الصناعات المعدنية التي لم تعرف تطورا كبيرا، كما أن غالبيتها كان موجها للاستهلاك المحلي. وانطلاقا من توزيع الأنشطة الاقتصادية داخل قصور تافيلالت يتضح أن بعض القصور ذات الأهمية الكبيرة احتضنت داخل أسوارها غالبية هذه الأنشطة، إذ كانت تجمع بين السياسة والصناعة والتجارة والثقافة، كما أن تركيبتها السكانية كانت أكثر تعقيدا من القصور الأخرى كما هو الشأن بالنسبة لقصر تابوعصامت. فيما تميزت غالبية القصور بمزاولة إحدى الأنشطة التي كانت من اختصاص المدينة قبل اندراسها، وكأننا أمام أحياء للمدينة تفرقت في شكل قصور ومثال ذلك: (قصر أبحار وقصر مولاي عبد الله الدقاق اللذان اشتهرا بالصناعة الخزفية، بينما عرف قصر منوكة وشرفة بحاج بممارسة الصناعة الجلدية...)

الفصل الثاني
الحياة الاجتماعية والتنظيمية بقصور تافيلالت

ولدت الحاجة إلى التعايش والاجتماع داخل أسوار القصر وجود نظام يصرف شؤون السكان التجارية والاجتماعية ويدبر اختلافاتهم، لذلك وجدت مجموعة من الهيآت أو المؤسسات التسييرية التي ترتكز في تدبير الحياة اليومية في القصر على مجموعة من الأعراف المحلية. وسنركز في هذا الفصل على تلك التي همت تدبير الشؤون العمرانية للقصور والقصبات؛ لأن الدراسة المعمارية والعمرانية الحقيقية لاتعطي نتائجها العلمية الدقيقة إلا بربطها بالنظام الداخلي للحياة داخل القصر، كما أن القصور مرتبطة بالتاريخ بشكل أساسي لأنها نشأت وتطورت مع التراكمات التاريخية.

I- الأسس التنظيمية لمجتمع القصر ودورها في تدبير الحياة اليومية بالقصر

تعتبر قصور تافيلالت، شأنها شأن باقي قصور واحات بلاد المغرب، مجالا نموذجيا للتعايش والتكامل، حيث اعتمد سكانها في تسيير شؤونهم الداخلية وتنظيم علاقاتهم بالقبائل المجاورة على مجموعة من الاتفاقيات* التنظيمية يمكن إدراجها في إطار ما يسمى بالأعراف القبلية، وهي عبارة عن شروط وضوابط عرفية تنظم الحياة العامة واليومية، لتفادي التوترات الاجتماعية سواء بين الفئات المتساكنة والمتعايشة داخل القصر الواحد، أو مع القصور المجاورة في الواحة، أو في علاقاتها مع قبائل الرحل، تلك التوترات التي غالبا ما ترتبط بحقوق المياه واستغلال المجال الفلاحي والتنافس والصراع على الموارد الاقتصادية المطبوعة بالقلة.

ويرى الباحثون المهتمون بالدراسات الواحية أن هذه القوانين تخفي آثار التطورات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة في هذه المجتمعات، وأنها من أهم الوثائق المتوفرة لدراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للواحة[404]، كما أنها تعكس مختلف مراحل التطورات التاريخية التي مرت بها ساكنة القصور من خلال علاقتها مع القبائل الصحراوية من جهة والقبائل الجبلية من جهة ثانية[405].

* - فضلنا استعمال الاتفاقيات على التعريفات التي أعطيت للأعراف القبلية في جهات متعددة من الجنوب المغربي، حفاظا على طبيعتها وأصالتها ودلالتها الحقيقية في الأوساط القبلية، ولأن الديباجة الاستهلالية التي تفتتح بها عادة هذه القوانين العرفية بقصور الواحات تتضمن فعل اتفق. ومن الأسماء التي عرفت بها هذه الاتفاقيات (القوانين العرفية) في المجتمعات القبلية نذكر "تعقدين" بتافيلالت وعند قبائل أيت عطا، أو "الألواح" بسوس، أو" العرف" بفكيك، وعند قبائل واد كير " بأزرف"

404- Mezzine (Labri), le Tafilale, op, cit. p 38.

405 - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 199.

ويمكننا أن نعتبر هذا الإطار التنظيمي العرفي بمنطقة تافيلالت بمثابة المرجعية الرئيسية للبنية التنظيمية العامة للفئات الاجتماعية المكونة للوحدة السكنية المتجلية في القصور، كما أن القصر مطالب بتنفيذ كل القوانين والضوابط العرفية في إطار المشيخة التي ينتمي إليها.

ولعل أبرز ما استدعى هذا النوع من التنظيم والتكتل هو توفرهم على أرض جماعية إلى جانب ملكيتهم العائلية، لذا كانت حماية هذه الملكية والدفاع عنها ضد مهاجميها من مرتكزات الحياة القبلية، مادام الحرص عليها لا يخص أفرادا دون الآخرين بقدر ما هو مسؤولية الجميع، ويمكن حصر الأشكال التنظيمية للقصر فيما يلي:

- التنظيم الداخلي للقصر والخاص بساكنته على اختلاف شرائحهم وأصولهم الاجتماعية.
- التنظيم الداخلي العام في إطار المشيخة التي ينتمي إليها القصر.
- التنظيم الخارجي للقصر في إطار علاقته مع السلطة المخزنية.

وقد انتشرت بقصور تافيلالت قوانين تنظم مختلف أوجه الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، رغبة في ضمان المصالح الفردية والجماعية والعمل على تضييق دائرة العنف، وتنوعت مضامين الاتفاقيات التي تعامل بها سكان قصور تافيلالت، بين تلك التي نظمت الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية، وكلها تصب في مصلحة ساكنة القصر، وتعكس هذه التنظيمات إلى حد كبير جانبا من تاريخ المنطقة، كما من شأنها أن تقربنا من الواقع الاقتصادي والاجتماعي والعمراني الذي كانت عليه منطقة تافيلالت خلال مرحلة الدراسة. واعتمادا على هذه التنظيمات التي فرضتها الظروف البيئية والأوضاع السياسية، أمكن لسكان المنطقة التعايش تحت تأثير هذه السلطة المعنوية التي تمثلها الجماعة، ونظمت مختلف مناحي الحياة، ودبرت الاختلاف بين السكان.

1- القصر مؤسسة سياسية اجتماعية

بالرغم من وجود روابط بين سكان القصور والمخزن ممثلة في تعيين الخلفاء والقواد والشيوخ، فإن المخزن كان يترك لقبائل القصور الحرية في اختيار الطريقة التي تلائمها في تدبير أمورها السياسية والاجتماعية في أطار مؤسسة القصر.

وقد سمحت طبيعة التشكيلة الاجتماعية داخل القصر بظهور مؤسسات اجتماعية وسياسية تتكلف بضبط وتسيير الحياة اليومية لساكنة القصر بالاعتماد منظومة عرفية باعتبارها آلية لتدبير الاختلاف والتنوع، ومجابهة القهر الثقافي، وضمان التعايش والسلم الاجتماعي داخل فسيفساء إثنوغرافي ووسط يزخر بالتنوع والتعدد، إلا أن هذه المؤسسات اهتزت مع السيطرة الاستعمارية وتصدعت ولم تعد تزاول أدوارها السابقة. وبعد الاستقلال سيتراجع دورها بشكل كبير لتحل محلها مجموعة من المصالح الإدارية. ويمكن التمييز بين ثلاث مستويات في هذه المؤسسات:

أ- **جماعة القصر:** وهي مؤسسة تنبثق من العشائر التي تقطن القصر وتنتخب لمدة معينة يتم الاتفاق عليها مسبقا. ويراعى في انتخابها تمثيلية جميع مكونات المجتمع داخل القصر، تعتبر بمثابة الهيئة التشريعية والتنفيذية داخل القصر، إذ تعمل في استقلال تام عن جماعات القصور الأخرى، تضطلع بمهام متعددة تشمل كل مناحي الحياة داخل القصر، فكانت تسهر على الأمن الداخلي والخارجي وتضع القوانين العرفية لتصريف أمور الساكنة، وتمثل القصر سياسيا خارج مجاله وتتفاوض وتعقد الاتفاقيات مع القصور المجاورة، كما وكلت إليها مهام تنفيذ العقوبات والذعائر أو ما يعرف محليا "بالنصاف"[406]، وتسهر على التدبير العمراني للقصر وعلى تعيين المسؤولين عن حراسة الأبراج والأبواب. وكان الفصل في النزاعات يتم على صعيد جماعة القصر التي تعتبر في نفس الوقت مؤسسة قضائية تفصل في قضايا متعددة؛ كمخالفة عرف الجماعة والجنح والجرائم[407].

[406]- النصاف: عقوبة مادية تفرض على المخالفين للأعراف أو مرتكبي بعض الجرائم، وهذه العقوبة تقتضي إضافة إلى إطعام عدد من الأشخاص، ذعيرة مادية يحددها أعضاء الجماعة.

[407]- محمد اعفيف، توات، م س، ص 187.

ويركز التنظيم السياسي لجماعة القصر على جملة من الاتفاقيات لتنظيم الحياة اليومية على أسس متينة ومرنة لضمان استمرار حالات التوازن الاجتماعي بين مختلف سكان القصر وفئاته، إذ تجتمع كلما دعت الضرورة إلى ذلك، وتستند في اتخاذ أغلب قراراتها إلى أعراف مكتوبة أو متعارف عليها. وبحسب مقتضيات كل عرف تعرف كل فئة حدودها وواجباتها اتجاه الفئات الأخرى وتتصرف وفق لذلك، وهو ما كان ينفي على الجماعة صفة الاستبداد النخبوي[408]، وجعلها تحافظ على بقائها واستمرارها[409]. وجعل أيضا سلطتها نافذة على جميع سكان القصر سواء كانوا مسلمين أو يهودا، يعاقب كل مخالف لأوامرها وقراراتها التي تتمتع باستقلالية تامة في اتخاذها، بهدف السهر على صيانة أمن ومصالح سكان القصر، في إطار مجاله الخاص. أما ما يهم أمر المشيخات، فإن جماعات القصور كلها مدعوة لاتخاذ القرار في ذلك، في إطار نقاش وتبادل للرأي[410]. وكان الفصل في النزاعات وتدبير الاختلاف يتم على صعيد جماعة القصر، التي تعتبر في نفس الوقت مؤسسة قضائية تفصل في قضايا متعددة، تعتمد في إصدار أحكامها على عرف الجماعة الذي يعتبر بمثابة قانون ومرجع أساسي لتدبير أمور القصر[411].

ب- جماعة اتحاد القصور: وهي المستوى الثاني من المؤسسات الساهرة على تدبير الحياة السياسية لسكان القصور، حيث ينضوي تحت هذه المؤسسة عدد من القصور لاعتبارات عديدة منها: انتماء ساكنة قصور متقاربة إلى أصل واحد، وهناك المصالح الاقتصادية المشتركة بين مجموعة من القصور والمتمثلة أساسا في وحدة الرقعة الزراعية.

يسير اتحاد جماعة القصور بواسطة جماعة على شاكلة المؤسسة التي تسير القصر، ويمثل كل قصر حسب أهميته في الجماعة، وتجتمع الجماعة كلما دعت الضرورة

408- عمر أفا، «النقود المغربية في القرن الثامن عشر. أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس مع تحقيق رسالتين في النقود والأوزان لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.1993.ص.143.

409- المختار الهراس، القبيلة والسلطة، تطورات البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988، ص258.

410- احمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي م س، ص363.

411- اعفيف، توات، م س، ص187.

لذلك، خصوصا إذا تعلق الأمر بفض النزاعات وتدبير الاختلاف الذي قد ينشب بين قصور الجماعة، أو بين أفراد من قصرين مختلفين. وغالبا ما تسعى الجماعة إلى إيجاد حلول توفيقية للمسائل الشائكة بينهم معتمدة على عامل الزمن لتهدئة بعض الخلافات التي تبقى عالقة لمدة طويلة حول الرعي أو السقي.

ج- جماعة الربع[412]: أو جماعة القبيلة: تتشكل من مجموعة من الأعضاء، يمثلون قبيلة من القبائل المتساكنة داخل القصر، والتي تضطلع بمأمورية شؤون المجموعة التي تمثلها، يكون على رأسها "مزراك"[413]بالتعبير المحلي[414]، وهي بذلك وحدة تنظيمية اجتماعية داخل القصر[415]، وغالبا ما تكون هذه القبيلة منتمية إلى جد مشترك، سواء كان ذلك صحيحا أو اصطلاحا، والقبيلة على هذا الأساس تضم عائلات تشكل العظام داخل القصر، ومن هذه الجماعات كانت تشكل إدارة القصر، إذ على كل فرقة أن تقدم مسؤولا عنها ليصبح عضوا في جماعة القصر، بيد أن كل عضو في فرقته هو في نفس الوقت عضو في جماعة القصر، وتتفرع عن جماعة القبيلة أجهزة تنظيمية أقل حجما - تعمل تحت إشرافها- كجماعة الغابة وجماعة الساقية.

د- سلطة الشيخ: إلى جانب المؤسستين السابقتين وجدت سلطة الشيخ التي تتأطر مهامه في جلب المصالح والمنافع ودفع المضار[416]، وهو المسؤول عن السياسة الداخلية

412- الربع ليس نتاجا لتقسيمات مخزنية قديمة، بل انعزال لمجموعة من الأسر تشعر بتلاحمها القرابي أو الحلفي إزاء الأرباع الأخرى التي تكون متجاورة أو متلاصقة معها في السكن حيث يتحد الجميع تحت اسم القصر، فالربع على هذا الأساس يضم عائلات كبيرة أو متفرعة تجمع بينها علاقات القرابة الدموية أو المصاهرة نظرا لطبيعة البنية العائلية ينظر:

- امزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي، م س، ص 278.

413- مصطلح مزراك يعني باللغة الأمازيغية قسمة ومعناه أن لكل قسمة أو فئة اجتماعية منتدبها أو ممثلها الخاص وعدد المزارك مرتبط بعدد العظام، أي الفروع القبلية أو الاجتماعية الموجودة داخل القصر، والمزراك إلى جانب شيخ القصر يعتبران أعلى سلطة تشريعية داخل القصر، ينظر:

- محمد لمراني علوي، "التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر اخنوس من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة"، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 7، مارس، 1998. ص 186-187.

414- عمر عبور، إبراهيم وباهو، "نظام الجماعة أو تسيير القصور قديما، ضمن البيئة المحلية والتنمية بواحة فكيك"، منشورات جمعية النهضة، فكيك، غشت 1997، ص121.

415- نفس المرجع، ص 12.

416- محمد لمراني علوي، "المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، قصور بمدينة الريصاني من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة"، ضمن المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80، ص 106.

والعلاقات الخارجية للقبيلة، وذلك عبر الدفاع عن مصالح المشيخة المختلفة ضد الأجنبي، بالإضافة إلى تحمله مسؤوليات حل الخلافات الداخلية لمجموعة القصور المنتمية لمشيخته، وإلزامهم باحترام الأعراف والمواثيق والعادات مستعملا في ذلك وسائل الردع المحلية[417]. وقد اعتبر "بول باسكون" أن القائد القبلي هو الذي لا دخل للمخزن في تعيينه وإضفاء الشرعية عليه، فكان تعيينه من طرف مجتمعه القبلي الذي نشأ فيه[418]، وهذا النوع من القياد هو الذي كان يتحول إلى قياد كبار يكونون مسؤولين عن مختلف مكونات القبيلة فيما يخص الحفاظ على الأمن وتماسك المجتمع وتلاحمه ونبذ خلافاته، والوقوف في وجه الاعتداءات الخارجية بما فيها التحركات المخزنية، وهو ما دفع "باسكون" للحديث عن فترة القيادية الكبرى في تاريخ المغرب رابطا هذه الظاهرة بالقياد القبليين[419]، الذين يعرفون في أوساطهم القبلية ب "إمغارن"[420].

وتنتصب إلى جانب الشيخ سلطة الجماعة التي تعد مكونا أساسيا في التنظيم الاجتماعي للواحة والقبيلة، يتحدد عدد أعضائها بحسب تعدد رؤساء الفخدات والعشائر المقيمة في الواحة والذين يتم انتدابهم في جمع عام يحضره كل البالغين من الذكور في القبيلة **"حد الصايم"** القادرين على المشاركة في الأعمال العامة للقبيلة. وتهتم الجماعة بعقد جلسات مداولة بين أعضائها حول القضايا الأساسية في حياة القبيلة حصرها البوزيدي فيما يلي[421]:

- انتخاب شيخها العام؛
- تحديد العقوبات المفروضة على المخالفين لإجماع القبيلة؛
- صيانة الأملاك المشتركة ذات الصبغة العمومية؛
- تدبير أحباس المسجد وقيمتها الكرائية؛

417- الموجع نفسه، ص 106.

418- بول باسكون، "الفترات الكبرى للقيادية"، ترجمة زبيدة برحيل، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، عدد 5، 1981، ص 67-149.

419- المرجع نفسه.

420- الهادي الهروي، القبيلة الإقطاع والمخزن، مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005، ص 420.

421 - البوزيدي، دور الاتفاقيات التنظيمية، م س، ص 91.

وللحفاظ على السلم العام كانت الجماعة تبث في المنازعات الداخلية برئاسة الشيخ؛ ومن أنواع النزاعات التي كانت تتدخل لحلها:

- النزاعات المرتبطة بالاعتداء على الأراضي؛
- تخريب الممتلكات؛
- النزاعات المتعلقة بقضايا الزواج؛

2- الأعراف المحلية ودورها في تدبير الاختلاف بين ساكنة القصور

في الوقت الذي كان يعول فيه السلطان وأجهزته المخزنية على الشرع كقاعدة تنظيمية صلبة ومغلقة، كانت قبائل القصور تعول على قواعدها العرفية التي تعتبر عصارة تجربتها اليومية وإفرازا حقيقيا وصادقا للمشاكل التي تعترض أبناء القبيلة باستمرار[422]، لذلك فإن تلك الأعراف كانت تمنح سكان القصور نوعا من الاستقلالية في تسيير أمورها وكل ما يعرقل السير العادي والطبيعي للقبيلة، إذ لم يكن من السهل على الأجهزة المخزنية استنباط هذا السلوك داخل مجتمعات الهامش، بل كانت على العكس تعمل على محاربته واحتوائه وإيجاد السبل الكفيلة بتعطيله، ما دامت تلك الأعراف تعبر عن الإرادة الشعبية لمبلوريها، وتترجم دلالات وخلفيات التقابل والتضاد في البنى السوسيو-سياسية للمجتمعات القبلية ونظيرتها المخزنية. وهذا ما دفع المخزن ليعول على القياد المخزنيين لعرقلة وتعطيل هذه النظم القبلية[423]، وإن كان في بعض الأحيان يترك لقبائل القصور الحرية في اختيار الطريقة التي تلائمها في تدبير أمورها السياسية والاجتماعية في أطار مؤسسة القصر، مما منحها نوعا من الاستقلال في تسيير أمورها.

وتكتسي الاتفاقيات الصلحية[424] والتنظيمية[425]، أهمية بالغة في تدبير العنف القبلي، وفهم دور العرف في ترسيخ ميزة التعدد والتنوع لدى سكان قصور تافيلالت، إذ على

---

[422]- استيتيتو، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي، م س، ص108.

423- Robert (Montagne), « La régime juridique des tribus du Sud Marocain», Hespéris 24 (1924)p 223.

[424]- هي اتفاقيات التي كانت تعقد بين قبيلتين أو أكثر لوضع حد للحروب القبلية، وإنهاء عملية النهب والاغتصاب وكسر الأسواق وتهديم السواقي والآبار وغيرها كانت تعقد بين المستقرين من قبائل القصور من جهة، أو بين هذه القبائل وقبائل الرحل لتدبير الاختلاف وإيجاد حل لحالات الفتن الداخلية والحروب القبلية على الماء والأرض فيتطلب الوضع عقد اتفاقية صلحية لإنقاذ ما يكن إنقاذه. راجع: البوزيذي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17 مطلع القرن20 م س، ص 12.

ضوءها تمكن الإنسان المحلي من إنتاج أعراف تعترف بالتعدد وتستوعب المؤثرات الثقافية الوافدة، وتتفاعل معها في إطار من التعايش والتلاقح وأحيانا الاندماج مع الآخر في بوتقة واحدة.

1-2 البدايات الأولى لظهور الاتفاقيات

رغم أننا لا نتوفر على المعطيات التاريخية التي تساعدنا على تحديد الحقبة التاريخية التي انتقلت فيها الاتفاقيات من المرحلة الشفوية إلى المرحلة الكتابية، إلا أن تقليد كتابتها انتشر على نطاق واسع بالواحات خلال القرن 10 الهجري/16م، وأصبح معمولا بها حتى بعد قيام الدولة السعدية[426]، لينتهي التعامل بها مع الاحتلال، حيث لجأت فرنسا إلى إعادة تنظيم المنطقة بشكل يسمح لضباط الشؤون الأهلية بمراقبة الوضع عند قبائل القصور، لكن عمليا ظلت روح هذه الاتفاقيات مسيطرة وحاضرة في السلوك اليومي لقبائل القصور[427].

فمنذ وصول قبائل بني معقل[428] من الصحاري الشرقية نحو الواحات خلال القرن الثالث عشر الميلادي، انقلبت أحوال تافيلالت رأسا على عقب، ذلك أن هذه القبائل ظلت إلى غاية القرن السادس عشر الميلادي مصدر تشغيب على الدولة ومصدر تعب ومشقة على السكان المستقرين واستبدت بقصورهم، قال: ابن خلدون: "لما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا إلى الأمصار والمدن قام هؤلاء وتفردوا في البيداء ... وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر"[429]، وكان من أبرز نتائج هذه المرحلة ظهور المشيخات المحلية، التي ظلت تتغالب على الأرض والماء، كما استغلت اتحادية آيت عطا انشغال سلاطين الدولة العلوية الوليدة في توطيد دعائم ملكهم وإعادة توحيد البلاد،

---

[425] - هي الاتفاقيات الداخلية التي تنظم الشؤون العامة بين العناصر المتساكنة داخل القصر، وهي مجموعة من الشروط والضوابط العرفية تتفق جماعة القصر على وضعها، وتعتبر بمثابة قانون داخلي يخضع له سكان القصر دون اعتبار لانتمائهم العرقي أو وضعهم الاجتماعي.

[426] - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 155.

[427] - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 204.

[428] - حول دخول بن معقل إلى المغرب والبطون المشكلة لهم ومجالات انتشارهم ينظر: حسن حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 150-162.

- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، 49-53.

[429] - ابن خلدون، كتاب العبر م س، ج 6، ص 78.

فانطلقت في عمليات غزو واسعة لواحات درعة وتافيلالت مستغلة الفراغ السلطوي، مما دفع سكان القصور إلى تنظيم علاقاتهم بهذه القبائل تجنبا للاقتتال، وذلك باللجوء إلى عقد سلسلة من الاتفاقيات مع بعض القبائل العربية المترحلة[430]. ليكون القرن الخامس عشر الميلادي شاهدا على البدايات الأولى لظهور الاتفاقيات والتي سينتهي التعامل بها، بشكل نظري، مع الاحتلال الفرنسي، حيث عمدت فرنسا إلى إعادة تنظيم المنطقة بشكل يتيح لضباط الشؤون الأهلية مراقبة كل صغيرة وكبيرة عند قبائل سكان القصور[431].

وتعد الاتفاقيات الصلحية والتنظيمية من أهم أشكال تنظيم العلاقات بين المستقرين من قبائل القصور، أو بين هذه القبائل وقبائل الرحل لتدبير الاختلاف ووضع حد لحالات الفتن؛ وتقوم التنظيمات السياسية والاجتماعية عند سكان القصور على جملة من الاتفاقيات، تحرص قبائل القصور على وضعها لتنظيم الحياة العامة للعناصر المتساكنة داخل القصر، ويرى الباحثون المهتمون بالدراسات الواحية أن هذه القوانين تخفي آثار التطورات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة في هذه المجتمعات وأنها من أهم الوثائق الموجودة لمعرفة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للواحات[432]، كما أنها تعكس مختلف مراحل التطورات التاريخية التي مرت بها ساكنة القصور من خلال علاقتها مع القبائل الصحراوية من جهة والقبائل الجبلية من جهة ثانية[433].

وكانت الاتفاقيات في بداية أمرها بسيطة؛ لا من حيث المبنى ولا من حيث المضمون، ثم ما لبثت أن تطورت بشكل كبير في ضوء التطورات العامة التي عرفتها المنطقة، ليصبح هذا الإطار التنظيمي العرفي بمثابة المرجعية الرئيسة للبنية التنظيمية العامة للفئات الاجتماعية المكونة للوحدة السكنية المتجلية في القصور، كما أن القصر مطالب بتنفيذ كل القوانين والضوابط العرفية في إطار المشيخة[434] التي ينتمي إليها.

430- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 154.

431- المرجع نفسه، ص. 204.

432- Mezzine, le Tafilalet, contribution à L'histoire du Maroc. Op.cit. p 38.

433- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 199.

434- نسبة إلى كلمة شيخ الذي يشرف على تسييرها وتمثيلها والدفاع عن مصالحها وحل المشاكل الداخلية لمجموع القصور المنتمية إليها، وإلزامهم باحترام الأعراف والمواثيق والعادات وكان اختياره يخضع لموازين القوى الاجتماعية داخل القصر ونعني بذلك الوزن الاجتماعي لفروع وأفخاذ شجرة الأنساب أي العظام حسب لسان المعنى المحلي للكلمة.

وكان التعامل بهذه الاتفاقيات يزداد في حالة الفراغ السلطوي وفترة الأزمات الاقتصادية التي كانت تضرب المناطق الصحراوية؛ حيث كانت القبائل المترحلة تستغل ظروف الفراغ السلطوي فتهاجم القصور داخل الواحات، وكانت هذه الهجومات تثير الاضطراب بين قبائل القصور، فتعجل بعقد سلسلة من الاتفاقيات لتنظيم علاقاتها الداخلية وتدبير الاختلاف مع قبائل الرحل من جهة ثانية.

هذا ما يفسر الصيغة التي حررت بها تلك الاتفاقيات؛ إذ كانت تستفتح بالحمدلة أو بالبسملة والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، متبوعة بما يفيد اجتماع المتعاقدين واتفاقهم، فكثيرا ما نجد عبارات من قبيل: "فبحول الله وقوته اتفقوا واجتمعوا..."، "اتفقت قبيلة..."، "اتفقت فرقتان..." يأتي بعدها ذكر أسماء المتعاقدين أفرادا كانوا أو قبائل، ويتم بعدها تحديد جميع الشروط المتفق عليها، وغالبا ما كانوا يلجؤون إلى الزوايا لعقد هذه الاتفاقيات لهيبتها في المنطقة؛ مما يضفي طابع القدسية على الدور التوفيقي والديني الذي تلعبه فئة الشرفاء والمرابطين في تنظيم القبائل وعقد الهدن، واتفاقيات السلم بين مختلف الأطراف[435].

2-2 الأساليب المتبعة لتدبير الخلاف وحل النزاعات بقصور تافيلالت

- **أساليب تدبير الاختلاف حول الموارد الاقتصادية والحياة الاجتماعية**

انطلاقا من أهدافها الرامية إلى تنظيم الحياة اليومية لسكان القصر على أسس متينة ومرنة في آن واحد، لضمان حالات التوازن الاجتماعي بين مختلف قبائل القصر والمشيخة، فقد اجتهدت الساكنة في سن قوانين عرفية لضبط الحياة الاجتماعية والسياسية داخل القصر وخارجه وإيجاد حلول للقضايا المستعصية بعقد مجموعة من الاتفاقيات وهي أنواع: منها عقود التحالف التي جمعت القبائل والأفراد من أجل التعاضد والأخوة المتبادلة أو ما يسمى بعقود "تاضا" أو تلك التي تربط بين جماعات مستقرة يلزمها باحترام الأمن والسلم داخل إطار مكاني وزمني محددين والتي تسمى بـ: "مؤسسة العافية".

---

[435] احمد احدى، دراسة سوسيو اقتصادية لأعراف الجنوب، نموذج عرف تيدرين ايت شاكر بمنطقة الرتب، الطبعة الأولى، 2007، ص 15.

فعلى المستوى الاقتصادي، وبحكم موقع المنطقة وظروفها الطبيعية الصعبة وندرة الماء بها، فقد خضع هذا الأخير لتنظيمات تجنب أسباب العداوة والتصادم بسببه، فوضعت أعراف لتقسيمه وفق ضوابط تراعي الأسبقية وحجم المساحة المزروعة، ومن أمثلة ذلك الوثائق العديدة التي ما تزال تحتفظ بها القبائل، كما أنها سارية المفعول إلى اليوم، كرسوم الخطارات، وتوزيع مياه الفيض، وهي تعكس جانبا من الوعي الذي بلغه السكان، وبإدراكهم ضرورة نبذ الخلافات والصراعات وإحلال جانب التعامل المنظم.

وقد خضع مجال الرعي بدوره لتنظيمات تستدعي الوقوف عندها، ومن ذلك الذعائر التي تفرض على المخالفين بدخول المجالات غير المسموح بها للرعي[436]. وحددت الأماكن التي يجب أن يرتادها الرعاة فمنعت عليهم مثلا المقابر والأنادر لا سيما عندما يبدأ وضع المحاصيل الزراعية بهذه الأخيرة، كما منعت على الرعاة الأجانب استعمال حريم البلد، اللهم إلا إذا تعلق بالتزود بالماء أو غير ذلك وأحسن مثال لذلك نجده في البند 147 من عرف آيت عطا بالكارة بالرتب الذي ينص على ما يلي: "وأما البهائم إن سرحوا في المقابر أو في النوادر نصافهم مدا شعيرٍ لكل بهيمة"[437].

أما على المستوى الاجتماعي فقد عملت الأعراف على تنظيم العلاقات العامة واليومية بين الفئات المتساكنة داخل القصور، وذلك من خلال توزيع نطاقات السكن الخاصة بكل سلالة ونظام بناء الأزقة[438]، كما منعت الأعراف كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بمرافق القصر أو يؤدي إلى نزاع الأفراد من سرقة واعتداء على حرمة النساء. كما عالج القانون العرفي مختلف المشاكل الاجتماعية والخصوصيات بوضع مجموعة من العقوبات تتفاوت بتفاوت الجريمة أو الخصومة، فمعالجة الظواهر الاجتماعية تبدأ من الخصام العادي إلى الخصام بالسب ثم بالضرب، مع الاهتمام بنوع الضرب إما باليد أوالحجر أو السلاح.

هذه الأساليب المختلفة تعتبر مؤشرا على أن الجميع كان معنيا بها ولم تكن موجهة لفئة اجتماعية محددة، رغم ما لاحظه أحد الباحثين من أن الأسس التنظيمية كانت تجسد

436- امبارك بوعصب، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت م س، ص 42.

437- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p173.

438- عبد اللوي علوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج 2، ص 185.

إلى حد كبير نوعا من الفروق الموجودة بين الفئات المكونة للقصر وللواحة، فنجد أن جملة منها كانت تستجيب لفئة معينة دون غيرها، مما كان يعرض هذه الأسس إلى التعديل الجزئي أو الكلي أحيانا أخرى حفاظا على التوازن الذي يستمد منه القصر وجوده ككيان قائم بذاته[439].

▪ أساليب تدبير الاختلافات السياسية

ركزت هذه الأعراف على الصراعات التي كانت تنشب بين القصور بمنطقة تافيلالت، والتي غالبا ما كانت تتحول إلى صراعات تعم المنطقة برمتها، فتنعكس سلبا على توازنها واستقرارها وعلى منشآتها المعمارية، ومثل هذه الواقع كان يحتم على القصر ألا يعيش منعزلا، بل تتحالف مجموعة من القصور مكونة وحدات سياسية تتحكم فيها وتجمع فيما بينها وحدة المصالح[440].

وقد وصلت التحالفات بمنطقتي تافيلالت إلى درجة تنازل سكان القصور عن جزء من ممتلكاتهم مقابل الحماية، وهذا ما حدث مع قصر مزكيدة بتافيلالت؛ الذي عقد تحالفا مع آيت خباش بغية الأمان من شر هجمات حلف آيت يفلمان بقيادة ابراهيم اليزدكي[441]. الأمر نفسه قام به أهل فرقة الغرفة مع قبيلة ذوي منيع خوفا من تعرض ممتلكاتهم ومصالحهم الاقتصادية للخطر من طرف القبائل الخباشية، إلا أن هذه التحالفات لم تكن لتدوم طويلا، لكن في أغلب الأحيان كانت القبائل تلجأ إلى إبرام عقود صلح لتدبير اختلافاتها من أجل استتباب الأمن.

▪ الأساليب العرفية المتبعة في قضايا القتل

قد يكون القتل ناتجا عن صراع حول الأرض أو الماء أو الاعتداء على المال أوالعرض، وتفاديا لوقوع ذلك أو تكراره، تدخلت الأحكام العرفية لحل مثل هذه القضية من خلال مجموعة من النصوص العرفية التنظيمية والصلحية، فقد ورد في إحداها ما يلي: "وأما من قتل أحدا من أهل البلد يعطي ثلاثون مثقالا للشيخ ولعائلة المقتول خمسون مثقلا ويرحل من البلد. ويذبح عجلا وسطا، وأما إن قتل برانيا أحدا من أهل

439- المرجع نفسه، ص 188.

440- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 269.

441- هذه الرواية أمدنا بها أحد شيوخ قصر مزكيدة.

البلد يعطي للقبيلة مائة مثقال، وأما إن قتل برانيا يعطي القاتل خمسون مثقالا ومثله للمقتول"[442]. ووفق هذا العرف التنظيمي تكون الجماعة قد اجتهدت في وضع ضوابط لاحتواء الاختلافات وضبطها واستمرار حالة الأمن والاستقرار وسوت الاختلافات بين القبائل المتساكنة بالقصر.

▪ **الأساليب العرفية المتبعة في قضايا الضرب**

حرصت جماعة القصر على توفير الأمن بالقصر وحل الاختلافات وديا بالاحتكام إلى الأعراف، وقدمت حلولا لحالات الاعتداء بالضرب أو الجرح الذي يقع بين أبناء القصر الواحد، فقد ورد في إحدى النصوص العرفية مايلي: "وأما من ضرب أحدا وخرج منه دم بحجرة أو عظم أو غير ذلك من غير ظفر نصافه خمس وعشرون وقية، وإن خرج منه دم بالظفر نصافه مثقالا، ويرغب المجروح ثلاث مرات في سبعة أيام، فإن سمح له فتبارك الله، وإلا قبض الشيخ من الذي جرحه خمس وعشرون وقية، وإن رقد المجروح بذلك، يختار الشيخ أربعة رجال ويرسلهم للمجروح، فإن اختار المؤونة قدروا له ما يحتاجه من مؤونة، فإن اختلفوا في ذلك فالشيخ يزيد عليهم وعول على الأكثر[443]، وأما من أراد أن يرد ضربته كيفما كانت يعطي للشيخ عشرون مثقالا. أما من ضرب أحدا بعْمارة يعطي للقبيلة عشرون مثقالا إن لم يصبه، وإن أصابه يعطي للمجروح عشرون مثقالا أيضا"[444]. وورد في اتفاقية قصبة المخزن - تنزولين بدرعة أنه "من جرح يعطي خمسة وعشرون أوقية للشيخ ويعطي للمجروح أثنى عشر أوقية دراهم وصحفة[445] وستة أمداد[446] قمح، وستة أمداد شعير»[447].

▪ **الأساليب العرفية المتبعة في قضايا الاعتداء على الممتلكات**

قضايا الاعتداء على الممتلكات تحدث كثيرا إما بقصد أو غير قصد، سواء بين الجيران التي تقع ممتلكاتهم جنبا إلى جنب، فيكون هناك خلاف على الحدود أو نحوها قد تترتب عنه خلافات وخصومات، لذلك تدخلت الأعراف المحلية بحلول استباقية

442- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 149.
443- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p147.
444-Ibid. p147.

445- الصحفة: مكيال تبلغ سعته حوالي 72 عبرة.
446- المد مكيال يقدر بقصور درعة بست عبرات.
447- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 213.

لمعالجة مختلف الحالات من خلال الوساطة القبلية التي تعول على قواعدها العرفية؛ التي تعتبر عصارة تجربتها اليومية وإفرازا حقيقيا وصادق للمشاكل التي تعترض أبناء القبيلة باستمرار، لذلك فإن تلك القوانين كانت بمثابة مقاربة موضوعية لجملة القضايا التي تعرقل السير العادي والطبيعي للقبيلة، ومن هذه القضايا نذكر ما يلي: "وأما من ضرب النخلة أو الشجرة أو خسر الغلة فنصافه خمسة مثاقيل إن بلغ، وإن لم يبلغ فنصافه مثقال".كما كانت الأعراف المحلية صارمة في الحفاظ على جريدة النخيل فقد جاء الشرط 17 من اتفاق قصر أيت عثمان ما يلي: "وأما من قطع الجريد في نخيل غيره بريال ويفتشه الشيخ إن شك فيه وكذلك سعف القلب ويثبت بالشهادة المكتوبة سرا وعلانية"[448].

هذه عينة من الأساليب التي تدخلت فيها المؤسسات الاجتماعية والسياسية بقصور تافيلالت كحلول استباقية أو تدخلية لنزع فتيل النزاعات والخصومات - مستحضرة في ذلك الصرامة والجدية والمساواة بين سكان القصر - والتي تهدف في مجملها إلى تحقيق الاستقرار والتعايش بين سكان القصور، وفي مناطق تميزت بطابع اثنيٍّ غايةً في الاختلاف والتنوع، بحيث ضم بين ثناياه قبائل صعبة الانقياد وعسيرة الضبط، منها الرحل وأنصاف الرحل والمستقرون، ومنها الأمازيغ والعرب واليهود. كما أن هذا المجتمع القبلي حكمته خلفيات وتراكمات تاريخية مشحونة بالتشنجات والصراعات والتناقضات، التي كانت نتيجة منطقية لصعوبة الحياة اليومية للتجمعات السكانية، بسبب قساوة المناخ، وندرة المياه، وشح الكلأ، وضيق المساحات الصالحة للزراعة، وهو ما أدى إلى تكتل هذه الأعراق في إطار اتحاديات قبلية، كانت لها أنظمة ذاتية مبنية على زخم من القوانين العرفية التي أطرت مختلف مناحي حياتها، وجنبتها في كثير من الأحيان الاصطدام فيما بينها وساهمت في تدبير اختلافاتها.

448- Mezzine (Labri),"Taqqit de Ayt Atman : le recueil des règles de coutume d'un groupe de qsur de la moyenne vallée de l'oued ziz" Hespéris Tamuda vol XIX Rabat 1980.p 81

II - الأعراف المحلية وتنظيم شؤون القصر العمرانية

تسهر المؤسسات السياسية والاجتماعية داخل القصر بمنطقة تافيلالت على سن مجموعة من الشروط والضوابط العرفية التي بموجبها يتم تنظيم حركة العمران داخل القصر، وكانت هذه الضوابط في توافق تام مع أحكام البناء التي أقرها الفقهاء، وشملت كل ما يتعلق بالحقوق بين الجوار مع مراعاة عدم الإضرار بالآخرين، ومنع التطاول على المرافق العمومية.

وبالعودة إلى جملة من التنظيمات والاتفاقيات الموقعة بين القصور والتي لها صلة مباشرة بالأعراف المحلية الخاصة بمنطقة تافيلالت والواحات المجاورة، يمكننا رسم وتتبع الجوانب التي كانت تعالجها، إذ كانت هذه الأحكام الشرعية والعرفية مطبقة إلى حد كبير بكل القصور، وهو ما يعبر عن تضامن أهل القصر في قضاء مصالحهم الخاصة والعامة.

ويغلب على الظن أن هذا التضامن الجماعي أملته الظروف الطبيعية لما تمتاز به من قساوة، يستعصي على الفرد القيام بها لوحده، كاستصلاح السواقي أو بناء سور أومسجد القصر، أو ما شابهها من الأعمال ذات الطابع العمراني. في الوقت نفسه وضعت جماعة القصر عقوبات في حق المخالفين، كان أغلبها ذو طابع اقتصادي. إذ أولت الأحكام العرفية عناية خاصة للمرافق العامة للقصر وكانت تقسم تكاليف إنشائها على عدد سكان القصر، وهذا ما يتبين من اتفاق قصر آيت عثمان والكارة. فقد جاء في الشرط 309 من اتفاق القصر الأخير ما يلي: "وأما بناء البروج والأسوار الاثنين فإنه على القبيلة"[449]، وفي الوقت الذي ظلت فيه مسألة تكاليف إنشاء التحصينات في المستوطنات الإسلامية محل خلاف بين الفقهاء، فمنهم من يرى ضرورة مساهمة أصحاب الدور في المجال المراد تحصينه بدفع الحصة التي تخصه وإلزام من أبى منهم بهذه المسألة، فالملاحظ أن نفس القاعدة طبقت بقصور تافيلالت[450]، جاء عند ابن الرامي أنه سأل الفقيه عبد الله بن راشد (توفي سنة 863 هـ) في قوم أرادوا أن يحصنوا على أنفسهم إما أن

449- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p172.

450- بناء على ما ورد عند ابن الرامي بخصوص هذه المسألة وما أشار إليه عبد اللوي من أن أحكام قضاة مدغرة وتافيلالت وفتاوي فقهائهم تعتمد عليه، سواء فيما تعلق بالأحكام أو العقود -عبد اللوي، مدغرة، م س، ج 1، هامش 182، ص 242.

يفعلوا دربا أو سورا أو حفيرا أو شيئا يحصنون به على أنفسهم وعلى أموالهم، فمنهم من أراد ذلك ومنهم من أبى على ذلك هل يجبر من أبى أم لا؟ فقال: "نعم يجبر من أبى على ذلك لأن الناس يجبرون على ما فيه المصلحة والمنفعة"[451].

وتعكس هذه الحلول تضامن أهل القصر في قضاء مصالحهم وعدم اعتراضهم على المصلحة العامة، إذ لم تكن هذه الأعراف لتلاقي معارضة من طرف السكان، ذلك أن ممثلي الجماعة باتفاقهم مع الفقهاء وهم يكتبون بنود هذه القوانين لم تطرح أمامهم ضرورة الاستشارة الجماعية للسكان، وهو ما جعل قراراتها نافذة من طرف ساكنة القصر. جاء في الشرط 306 من اتفاق قصر الكارة: "وأما سور البلد بأن القبيلة اتفقت على بنائه ولا كلام"[452].

إذا كانت عملية بناء الأسوار تتطلب جهدا وتضامنا جماعيا، فإن تكلفة إنشاء ميازيب وسلاليم الأبراج يلزم به سكان الربع الذي يليه فقد جاء في الشرط 308 ما يؤكد ذلك: "وأما بروج البلد فكل ما تحتاجه من ميازيب أو السلوم فإن الشيخ يربط لأهل ذلك الربع [من] يصلحه"[453].

وحرصت الأعراف المحلية أيضا على عدم إلحاق الضرر بالسور، فقد ورد في الشرط 11 من اتفاق قصر الكارة: "وأما من نقب [ثقب] في السور أو طلع عليه يعطي مائة مثقال، سوى من قتل احد في داخل القصر وثقبه ليخرج أو طلع عليه فلا شيء عليه"[454]. كما جعلت صائر الأضرار الملحقة بالأسوار على مرتكبيها، جاء في الشرط 310 من اتفاق قصر الكارة: "وكل من رمى ميزابه في السور، فكل ما خسره فيه يصلحه للقبيلة"[455]. ومنعت كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأسوار القصر من ماء أو غبار، جاء في الشرط 332: "ومن جعل الغبار تحت السور فعليه خمس أواق[456] ويفرق بينهما"[457].

451- ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1988، ص 102.

452- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 171.

453-Ibid, p 171.

454-Ibid, p 138.

455-Ibid, p 172.

456- الأوقية هي عملة حسابية تعادل الدرهم الشرعي وهي بذلك تكون عشر 1/10 المثقال وتصرف بأربع موزونات فضية أو 96 فلسا وتستعمل الأوقية اليوم في أسواق الذهب، وبقصد بها وزن 31,104 غرام،
- عمر افا، النقود المغربية في القرن الثامن عشر. أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس، م س، ص 393.

وفرضت اتفاقية قصر تلوين ذعيرة مالية على المخالفين، ومما جاء فيها: "ومن أراد أن يلسس حيط، بمعنى حائط، داره يلسسه بقدره وجهده مما لا يضر الطريق، لا يبني أحد أمداود - أي مدود[458]، لا في الفحل ولا في الزقاقات وتبقى الطريق واسعة، ومن خرب ... يعطي ثمنها بما قوموه - أي قومه - أهل المعرفة، ويزيد مثقالا على ثمنها بما قومت عليه"[459]، وخصت الأحكام العرفية الزقاق الرئيسي بعناية خاصة جاء في الشرط 19 من اتفاق أهل الكارة: "وأما الفحل الكبير فلا يبنى عليه أحد سوى السقيفة الموجودة ولا يزاد عليها، ولا يطلق له فام دار- أي أبواب المنازل"[460]. وفي نفس السياق قيدت هذه الاتفاقيات بناء الجوار في الزقاق بشرط التراضي بين الجيران، جاء في الشرط 18 ما يلي: "وأما الجوار في الزقاق فلا بناء لأحد من الجوار إلا إذا تراضوا عليه هو وصاحبه أي جاره"[461].

وحرصا منها على نظافة الأزقة، وعلى عدم استغلالها من طرف السكان للجلوس أو اللعب، أولت التنظيمات العرفية عناية خاصة في ذلك للزقاق الرئيسي وحددت للمخالفين عقوبة مالية جاء في الشرط 16 من اتفاق قصر الكارة ما يلي: "أما من هرق الماء في الميزاب للفحل الكبير نصافه مثقال وإن حلف وحده أنه لم يعلم بهرقه ولا أراده إلا هرق بدون طاقتي فلا شيء عليه"[462]، كما منعت إحداث النجاسة داخل القصر فمن خلال الشرط 50 من اتفاق القصر الأخير ما يفيد ذلك: "وأما من نجس في داخل القصر في جميع الزقاق نصافه مثقال"[463].

ولم تغفل الشروط والضوابط العرفية حماية السكان من عوامل الأذى المعنوي، فلم تسمح بإحداث الفوضى بأزقة القصر ولا جلوس النساء فيها، جاء في الشرطين 48 و50 من شروط اتفاق قصر الكارة: "وأما من زفط في الفحل الكبير من قعر القصر إلى

457- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 417.

458- يقصد بها المكان الذي تقدم فيه أعلاف المواشي.

459- عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج 2، ص 228.

460- Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 139 .

461- Ibid, p 139.

462 -Ibid, p 139.

463 -Ibid, p 139.

حدود البواب نصافه ثمانية موزونات"[464]، "وأما النساء من قعدن منهن في الفحل الكبير نصافها عشرة موزونات فضة"[465]. أما الميازيب التي كانت تمتد على الزقاق الرئيسي فقد حددت لها الأحكام الفقهية الشروط التي تنظم وضعها، جاء في الإعلان: "فإن بنى رجل دارا وأنشأ ميزابا لماء المطر يصب في الشارع فلا يخلو إما أن يضر بالحائط الذي يقابله حين دفع الماء في الطريق أو لا يضر لوسع الطريق، فإن أضر بجاره مُنع. قال الشيخ ابن أبي زيد في النوادر: إن كان لا يضر فله أن يسيله"[466]، وقال أيضا: "فإن أنشأ الرجل بداره ميزابا لماء المطر وأخرجه على باب الدار إلى الزقاق فخاصمه جاره الذي يسيل عليه، فإن شهد أنه لماء المطر ترك، وإن شهد أنه لماء الغسالات مُنع"[467].

هذا على مستوى المنشآت الجماعية داخل القصر، أما بخصوص الملك الفردي فقد حرصت الاتفاقيات العرفية على حماية الدور ومرافقها من كل ما من شأنه أن يلحق ضررا بإطارها المبنى أو بساكنيها. فسنت لذلك جملة من الشروط؛ تتوخى تحقيق هذه الأهداف، من أجل حماية الدور من التأثير بالبلل والرطوبة الناتجين عن ماء المطر نظمت الأحكام كيفية نصب المهاريق والميازيب في البيوت رغم أن إخراج ماء المطر إلى الزقاق من الضرر الذي لا بد منه[468].

كما منعت دق نوى التمر الذي كان يستخدم في علف البقر في البيوت[469]، لما تسببه هذه العملية من اهتزاز للأرض والحيطان، ومنعت أيضا إحداث الإسطبل لربط الدواب بجانب الدور لأنها تلحق ضررا وعيبا بالجدران[470]، أما إذا كان لابد من ذلك فقد أوجبت الأعراف بناء حائل بين الجدارين وترك فراغ بينهما لكي ينقطع الضرر عن المتضرر فلا تتأثر حيطانه[471].

464 -Ibid, p 142.
465 -Ibid, p 143.

466- ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان، ص 214.
467- المرجع نفسه، ص 241.
468 - المرجع نفسه، ص 241.
469 - احمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المغرب والجامع المعرب في فتاوي إفريقية والأندلس والمغرب، منشورات وزارة الأوقاف، ج 8، ص 112.
470- ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان م س، ص 194.
471- المرجع نفسه، ص 30.

ورغم عدم وجود الآبار بكل الدور بقصور تافيلالت فإن الأحكام الفقهية نظمت طريقة حفر الآبار بحيث لا يؤثر بعضها على بعض، سيما في الدور المجاورة، فمنعت إنشاء البئر إذا كان إنشاؤها ينزف بئر الدار المجاورة، وفي ضوء هذا الحكم كانت تردم آبار اكتشف بعد حفرها أنها تؤثر على بئر الجار وتنزف ماءها[472]، ومن هنا جاء ما سمته الأحكام بـ: "حريم البئر".

خاتمة

حاولنا إبراز أهمية المؤسسات الاجتماعية بقصور تافيلالت وما توفر لديها من أعراف في تحقيق التعايش وتدبر الاختلاف بين سكان القصر والمستقرين وقبائل الرحل، فتبين لنا أهمية الاتفاقات الصلحية في تدبير العنف القبلي، ودور العرف في ترسيخ ميزة التنوع والتعدد لدى سكان قصور تافيلالت، وكيف كانت هذه الميزة أساسا للوحدة وقبول الآخر وليست باعثا على التناحر ومصدرا للصراعات.

فمنذ وصول قبائل بني معقل إلى واحات تافيلالت ودرعة خلال القرن الثالث عشر الميلادي وما مارسته من تعب ومشقة على قصور المستقرين، بالإضافة إلى تشكل الاتحاديات التي استغلت ضعف الدولة المركزية لتنطلق في عمليات غزو واسعة على واحات درعة وتافيلالت؛ حاول سكان القصور تنظيم علاقاتهم مع هذه القبائل من خلال عقد مجموعة من الاتفاقيات، بغية إحلال الأمن والتعايش في مجال واحد.

كما أن العلاقة بين سكان القصور اتسمت أحيانا بنوع من التأزم الحاد، الأمر الذي جعل ساكنة المنطقة تعقد سلسلة من الاتفاقيات. هذه الاتفاقيات - بمختلف أنواعها - ساهمت في تنظيم شؤون القصر الداخلية والخارجية؛ اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وعمرانيا، وأيضا في المحافظة على التوازنات الداخلية وتدبير الاختلاف بين القبائل المتساكنة داخل القصر.

472- المرجع نفسه، ص 118.

وتعد الاتفاقيات الصلحية أهم ما عرفته المنطقة من أشكال تنظيم الحياة وتحقيق التعايش وتدبير الاختلاف، والتي جنبتها عددا كبيرا من الصراعات، ويكفي الرجوع إلى عدد من هذه الرسوم التعاقدية الإلزامية بين الأطراف التي وقعتها لرصد أسباب الصراع وكيفية تدبير الاختلاف للحد من الصراع أو تجنب وقوعه.

وتنوعت المؤسسات الساهرة على إنتاج هذه الأعراف وتطبيقها؛ من مؤسسات تسهر على تدبير شؤون القصر الداخلية حفاظا على تعايش ساكنته وتجنب الفرقة بينها، إلى مؤسسات تنظم العلاقة بالقصور المجاورة لضمان أمن المنطقة وتحقيق المصالح المشتركة، بالإضافة إلى تلك التي كانت تنظم العلاقة مع قبائل الرحل وتبرم معها عقود الالتزامات كما تبرمها مع جهاز المخزن لتوفير الأمن، وحل الخلافات بالاحتكام إلى القضاء والأعراف والوساطات والتحالفات والحوار والاتفاقات.

الفصل الثالث
الحياة الفكرية بقصور تافيلالت

إذا كانت مدينة سجلماسة من المراكز الحضارية المهمة التي استقطبت العلماء ورجال الفكر والآداب فضلا عن أرباب الصناعات والتجار[473]، فإن قصور تافيلالت شاركتها وورثت عنها هذه الحركة الفكرية، من خلال إقبال الطلبة على حلقات الدروس في المساجد، وما وفرته بعض الزوايا لطلابها من طعام ومسكن وفقهاء وعلماء، وما وجد بها من خزانات، فقد وصفها الفضيلي بقوله: "ولم تزل مشحونة بالعلماء والصلحاء...وذلك قبل نزول الأشراف بها، وأما بعد حلولهم فلا تجد قصرا من قصورها ولا مدينة من مدنها إلا وفيه العلماء والصلحاء وأهل الفضل وطلبة العلم والقراء ما لا يحصى كثرة، ولا ينحصر بعدد، والغالب على أهلها التواضع والسكينة والوقار وطلب العلم والأدب"[474]. فأين كانت تتمركز مراكز الدرس بمنطقة تافيلالت؟ وما مظاهر إسهاماتها الدينية والعلمية؟

I- مراكز التدريس بمنطقة تافيلالت

توجد أهم مراكز التعليم بمنطقة تافيلالت بالزوايا ومساجد القصور، إضافة إلى بعض المدارس التي تم إنشاؤها للقراءة[475]، كمدرسة قصر "امسيفي" بالغرفة[476]، والمدرسة التي بناها مولاي امحمد بن الشريف لطلبته[477].

1- الزوايا كمراكز تربوية تعليمية

ينتشر بمنطقة تافيلالت عدد مهم من الزوايا[478] التي ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية هناك، والتي اهتمت أساسا بتعليم المبادئ الأولية لقراءة القرآن والكتابة، وكذا العلوم الدينية المختلفة، فنالت الشهرة وكثر روادها ونشطت فيها حلقات الدرس، لأن الأخذ بها متيسر سهل، وطلابها يجدون المؤونة في كل موضع وزمان، ولأهلها عناية بذلك، ولا تجد قرية من قراها إلا فيها عالم أو ثلاثة[479].

---

[473] محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد الدولة السعدية، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم رقم2، الرباط، 1976، ص 55.
[474] - الفضيلي، الدرر البهيبة، م س، ج1، ص 63-64.
[475] - ابن أبي محلي، تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم: 12163ص 2.
[476] - العربي بن عبد السلام، سلسلة لجين صيغ من معدن الوفا والصفا وجوهر شفاف في ذكر نسب الشرفاء، مخ، خ، ح، الرباط، رقم 11768، ورقة 6-أ-
[477] - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش، واغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ج10، ص 180
[478] - ينظر الفصل المتعلق بالقصور الزوايا.
[479] - عبد الرحمان بن زيدان، تقييد في تاريخ سجلماسة، مخ-خ-ح، الرباط، رقم 12224.

ومن بين أهم الزوايا التي ساهمت في تنشيط الحركة الفكرية بمنطقة تافيلالت الزاوية الغازية البوبكرية، بفضل شيخها أبي القاسم بن محمد بن عمرو بن أحمد السوسي الهرغي الدرعي السجلماسي دارا وقرارا[480]، تخصصت هذه الزاوية في تلقين الذكر وحفظ القرآن[481]. وزاوية القاضي التي كان يشرف عليها عبد الواحد بن أحمد بن عبد العزيز الملقب "بشيخ الطلبة"[482].

ومن مظاهر اهتمام مشايخ زوايا تافيلالت بالجانب العلمي، العدد الكبير الذي تخرج على أيديهم من العلماء والفقهاء وما خلفوه من مخطوطات، وتهافت الأسر الفيلالية على تلقي العلم واتخاذه سببا من أسباب الترقية الاجتماعية[483]، وفيما وفروه لطلابهم في خزانات قصورهم من مخطوطات ووثائق[484].

ولم يتوان أبناء هؤلاء المشايخ وحفدتهم من مواصلة النهج نفسه، فانكبوا على التعليم، فشدت إليهم المطايا وترادفت على أبواب زواياهم الوفود من طلبة العلم، رغم الأوضاع السياسية والهزات الاجتماعية التي عاشتها المنطقة والتي كانت تؤثر على الحياة الفكرية والأنظمة التربوية والتعليمية في إطار علاقة تلازم السياسة والأدب، قوة وضعفا، ارتقاء وانحطاطا[485].

ومن البيوتات التي سهرت على توريث العلم لأبنائها بيت الهلاليين والإبراهيميين والاماميين والتاجموعتيين والمنزاريين وغيرهم كالمغراويين والغريسيين...[486].

كما حظي الوافدون على المنطقة بتوفير السكن[487]، والمؤونة، فقد كان سيدي الغازي بن القاسم يستقبل بزاويته نحو ستين أو أكثر من الطلبة والفقراء في جامع تبوبكرت يعيلهم ويكسيهم، وفي كل ليلة جمعة يرسل للسوق من يشتري شاتين مسلوختين لحما

480 - أبو عبد الله محمد بن احمد الحضيكي، رحلة الحضيكي، مخ، خ، ح، الرباط، رقم: 405، ص 11.
481 - أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الدرعي، الرحلة الحجازية الكبرى، مخ-خ-ح، الرباط رقم. 5658.
482 - ابن أبي محلي، اصليت الخريت، م س، ص 116.
483 - القدوري، ابن أبي محلي، م س، ص 154.
484 - عن المخطوطات التي توفرت عليها خزانات الزوايا بتافيلالت ومؤلفيها، ينظر:
- واحيحي، سجلماسة/ تافيلالت، م س، صص 426-428.
485 - حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، م س، ج1، ص 54.
486 - الفضيلي، م س، ص 97.
487 - يتضح ذلك من خلال الغرف المخصصة لهم ببعض الزوايا.

ويقسمهما عليهم، وحملا من الخضر[488]، وكان يبالغ في إكرام الطلبة خصوصا الوافدين على الزاوية، فقد جاء بعض الناس يشتكون من بعض تصرفات طلبة الزاوية فقال لهم: "إن لم نرضي الناس والطلبة وغيرهم فمن يرضيهم"[489]، كما وفر لهم العلماء والفقهاء الذين يلقنون لهم عدة علوم، حيث "نجد الواحد منهم جامعا لأكثرها، سيما علم الآداب والبيان الذي كان أول قادم به لبلادهم الحسن الشريف"[490]، لكن تبقى همة هؤلاء العلماء في علم التجويد[491].

وعموما فإن الزوايا بمنطقة تافيلالت - كمراكز تعليمية تربوية عبر تاريخها - أسهمت في تنشيط الحركة الفكرية بالمنطقة، بفضل ما توفر لها أطر وخزانات علمية وإمكانيات مادية[492].

2- المساجد والمدارس

إضافة إلى ما كانت تتوفر عليه كل القصور من كتاتيب قرآنية لتحفيظ القرآن وتلقين مبادئ العلم، شيدت ببعض القصور مدارس لتدريس العلم واستقبال الطلبة كمدرسة قصر "اسرغين" و"امسيفي" بالغرفة[493]، والمدرسة التي بناها مولاي امحمد بن الشريف لطلبته[494]. ففي المساجد كان الإمام يحفظ الأطفال القرآن بطرق تقليدية، تبدأ من التلقين الشفوي إلى مرحلة كتابة أجزاء من القرآن على ألواحهم وختمه. وبعد هذه المرحلة الأولية من التعليم، ينتقل المتعلم إلى مرحلة ثانية تتعلق بحفظ المتون الكبرى والشروح.

ولم تكن مساجد القصر حكرا على ساكنته فقط، بل كان بإمكان الطلبة من مناطق أخرى الإقامة بالمسجد وتلقي العلم به، بينما يتولى سكان القصر إطعامهم عن طريق التناوب. ففي ظل ما أصاب الحواضر الكبرى من تطاحنات سياسية، أصبحت تافيلالت قبلة لأعداد كبيرة من الوافدين الجدد الذين كانوا يلقون العناية والتقدير، إضافة إلى ما

[488] - الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق وتقديم احمد بومزكو، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994، الرباط، ج1، ص 124.

[489] - المرجع نفسه، ص 125.

[490] - ابن زيدان، م س، ص 21.

[491] - المصدر نفسه، ص 2.

[492] - يتطلب الكشف عن مصدر ثروة زوايا تافيلالت بحثا مستقلا.

[493] - السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام، م س، ص 180.

[494] - المصدر نفسه، ص 180.

كان يتمتع به علماء المنطقة من تفوق وإتقان لجل أصناف العلوم، خاصة الدراسات الفقهية، لكونها كانت ظاهرة دينية ودنيوية[495].

أما بخصوص المدارس التي انتشرت بقصور تافيلالت، فلم نهتد إلى طرق التعليم بها ولا إلى مراحله، والمعروف عنها أنها مؤسسات دينية تربوية اشتغل بها كبار العلماء وتوافد عليها الطلبة من مختلف الإرجاء.

II- إسهامات قصور تافيلالت في المجال الفكري

انتشرت مراكز العلم في تافيلالت بجل القصور الفيلالية متمسكة بتوجيهات مولاي علي الشريف وبمساعدته ودعمه المادي والعلمي والروحي- الديني، وبذلك نشأت في وسط ازدهرت فيه حركة المعرفة الدينية القرآنية، حيث اهتمت تلك المداشر والقصبات التي أقامها مولاي علي الشريف بتعليم القرآن وتحفيظها ودراسة المؤلفات الفقهية التي كانت تدرس في القروين بفاس، وتجلب إلى تافيلالت وقصورها بتوجيه من مولاي علي الشريف، على قاعدة أهل العصر الذين كانوا يشرحون مؤلفات العلماء السابقين في كراسي علمهم، وكان يسهل المأمورية للطلبة لينتقلوا إلى فاس لزيادة المعرفة والعودة بها إلى تافيلالت[496].

إن تتبع إسهامات قصور تافيلالت في الحركة الفكرية للمنطقة يقتضي تتبع رجالات العلم بها وانتاجاتهم الفكرية وهذا مجال بحث طويل، وعليه سنركز على ذكر بعض الأسر وبعض أعلام الفكر الذين عرفتهم المنطقة. ومن الأسر الفيلالية التي كان لها دور في تنشيط الحركة الفكرية[497]، نجد آل حمو داود، وأسرة أهل تعرمت وأسرة أهل بوحامد[498]، والتجموعتيين، والبوعصاميين، والهلاليين والإبراهيميين وغيرهم، وفيما يلي تعريف ببعض هذه الأسر:

495 - حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، م س، ج1، ص 62.

496 - مولاي هاشم العلوي القاسمي مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية 762-847/1360-1443، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2013، ص 135.

497 - حول هذه الأسر وإنتاجهم الفكري وما امتلكوه من مكتبات، راجع، واحيحي، سجلماسة/ تافيلالت، م س، ص 221-341.

498 - الفضيلي، م س، ج1، ص 131.

1 - أسرة التاجموعتيين: كان بيتهم "بيت علم ودين وحذاقة وفهم"[499] . برز منهم العديد من العلماء الأخيار الذين ذاع صيتهم في جميع الأقطار، بفضل ما خلفوه من تراث ثقافي مهم ومشاركة في جميع فنون العلم إلى جانب مساهمتهم في جميع القضايا المطروحة على أنظار الفقهاء[500]، ومن جملة الفقهاء الذين أنجبتهم هذه الأسرة نذكر:

- **أبو مروان عبد الملك بن محمد التاجموعتي السجلماسي:** قاضي تافيلالت وأحوازها[501]، كان له إسهام في العلوم العقلية والنقلية والأدب وسائر الفنون[502] من مؤلفاته خلع الاطمار البوسية بدفع الأسطار اليوسية[503]، ونظرا لوجاهته فقد قربه السلطان مولاي إسماعيل إليه بل كان من بين أساتذته هو وابنه محمد، وولاه قضاء مكناس[504].

2 - أسرة البوعصاميين: اعتنت هذه الأسرة بالعلم بقصرها تابوعصامت، يظهر ذلك من خلال المكتبة التي تركها والد العالم محمد البهلول البوعصامي[505]، في هذه الأسرة برز عدد كبير من المفكرين والفقهاء نذكر منهم:

- **أحمد بن عبد الرحمان البوعصامي:** كان أحد أدباء عصره وفريد وقته ومصره، من أشياخ القرن 12هـ/18م له سجية في نظم الشعر، وله أنظام عجيبة، وأساليب غريبة في مدح الأولياء والعلماء[506].

بالإضافة إلى هذه الأسر اشتهرت منطقة تافيلالت بتجارة الكتب لاعتناء أهلها بشرائها[507]، وُضع أغلبها بخزانات خاصة وعامة، استفاد منها الطلاب من داخل المنطقة

---

499 - العباس بن ابر هيم السملالي، م س، ج8، ص 362.

500 - واحيحي، سجلماسة/ تافيلالت، م س، ص 306.

501 - العربي بن عبد السلام بن احمد الفلالي، المعروف ابن دفين طيبة، الدرر المكنونة في أخبار الدولة الميمونة، مركز الدراسات والبحوث العلوية، ص.244. مرقون.

502 - العباس بن ابر هيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش، ج8، م س، ص 372.

503 - فاطمة خليل القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1981، ص 110.

504 - ابن دفين طيبة، م س، ص 244.

505 - واحيحي، سجلماسة/تافيلالت، م س، ص 318.

506 - القادري، نشر المثاني، م س، ج4، ص 200.

507 - ابراهيم ابن هلال السجلماسي، نوازل ابن هلال، المطبعة الحجرية، فاس، 1318هـ، تم تحقيقه من طرف ابريش سلام، تحت عنوان دراسة وتحقيق نوازل ابن هلال السجلماسي المتوفي، 903هـ/1497م، بحث لنيل دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس 2001-2002م، ص 113.

وخارجها، ومن هذه الخزانات نذكر: خزانة أبي إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي[508]، وخزانة الشيخ الحفيان بوغلان[509]، والخزانات الموجودة بزوايا المنطقة.

كان هؤلاء العلماء يتوارثون العلم واعتبروه من أهم أسباب الترقية الاجتماعية، فقد حاولت الأسر الشهيرة بعلمها الحفاظ على تميزها، بل عملت على توريثه لأبنائها مما زاد من عدد الأسر المشهورة بعلمها.

خاتمة:

لقد ساهمت المساجد والزوايا في إثراء الحياة الفكرية بمنطقة تافيلالت؛ سواء من خلال المرافق المعمارية المخصصة للتدريس أو سكن الطلبة، أو من خلال إطعامهم وتوفير الشخصيات العلمية والدينية التي أنيطت بها مهمة التعليم والتثقيف. فبدى جليا التركيز على تحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم الشرعية والإسلامية بوجه عام. ومن الزوايا التي اشتهرت بالمنطقة الزاوية الغازية البوبكرية وزاوية القاضي، ومن المساجد الجامعة بقصور جماعة الغرفة التي كانت تمنح إجازة التجويد التي لاينالها إلا من ثبتت قوة حافظته في الحفظ والتجويد.

وقد نالت هذه المؤسسات الدينية والتربوية حرمة لدى الأهالي حيث تم تعهدها بالصيانة لتحقيق أغراضها الوظيفية، ووفرت لها الاعتمادات المالية للتسيير من خلال الأملاك المحبسة عليها وتبرعات السكان.

[508] - الفضيلي، الدرر البهية، م س، ج1، ص 164.

[509] - لحسن تاوشيخت، "الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية القرنين 18و19م"، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م، تكريما لروح السلطان المولى محمد الأول، سلسلة ندوات رقم3 كلية الآداب وجدة، مطبعة النجاح الجديدة، 1995، ص 28.

الباب الثالث

الدراسة العمرانية والمعمارية للقصور والقصبات بمنطقة تافيلالت

الفصل الأول

الأسس التخطيطية والمكونات العمرانية للقصر والعوامل المؤثرة فيها

تعد العمارة على مدى العصور المرآة التي تعكس حضارات الشعوب بخصائصها الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية، والتي تتغير مع تغير الزمان والمكان، كما أنها تتأثر سلبا وإيجابا مع حركة التاريخ بمؤثراته الداخلية والخارجية، الأمر الذي أدى إلى تباين نمط البناء والعمارة من منطقة إلى أخرى، في الحجم والعناصر والتفاصيل المعمارية. فلكل منطقة مقومات هندسية وأساليب بنائية خاصة بها تتناسب وطبيعتها وتستوفي حاجاتها، ويرجع السبب في هذا التباين إلى مؤثرات متعددة، مناخية وحضارية وسياسية واجتماعية، تتصل بحياة الناس ونظمهم الاجتماعية وظروفهم المعيشية، كما يتأثر التخطيط العمراني بنوع المنفعة والغرض المخصص للبناء ومواد البناء.

وقصور تافيلالت، كنموذج للعمارة الصحراوية، أُنشِئت لأهداف مختلفة، فمنها ما شُيّد لأداء وظيفة سياسية وإدارية، ومنها ما اتُّخذ للوظيفة الاقتصادية والإستراتيجية، ومنها ما شُيّد لأهداف دينية، ولذلك ارتبط تخطيط القصر بظروف نشأته والوظيفة التي شُيّد من أجلها. كما أن المجال الذي احتضن هذه القصور يتميز بمعطيات مناخية وبشرية وثقافية واقتصادية كان لها أثر واضح في تخطيط القصر وصياغة التكوينات المعمارية صياغة خاصة.

ورغم تأثر تخطيط القصر بهذه العوامل المختلفة، إلا أنه يقوم - بصفة عامة - على محاور أساسية توجهه توجيها إسلاميا واضحا صاغت تخطيطه صياغة مميزة. فكانت الرؤية الإسلامية والظروف المناخية والأمنية من أهم العوامل المؤثرة في هذا التخطيط.

لهذا فإن هذا الفصل من الدراسة يهدف الكشف عن خصائص القصر التخطيطية ومكوناته المعمارية، ودراسة تأثير البيئة الصحراوية لمنطقة تافيلالت ومعطياتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على عمارة قصورها، انطلاقا من تحديد مواقعها وشكلها العام وطبيعة نسيجها العمراني.

I- الخصائص التخطيطية والمكونات العمرانية للقصر

يتسم عمران القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت بالتماسك والترابط بين أجزائه، ويظهر ذلك في كتل المباني المتلاصقة، وقلة وجود الفراغات الكبيرة داخل القصر؛ تماشيا مع الظروف المناخية السائدة، الأمر الذي جعل المباني منغلقة على الخارج،

ومفتوحة للداخل على أفنية داخلية، والأزقة والدروب ضيقة، والفتحات الخارجية قليلة، كما أن المباني متلاصقة بغرض تقليل الأسطح المعرضة لأشعة الشمس ليغطي الظل أكبر مساحة ممكنة؛ لذلك يظهر نسيج القصر على شكل كتلة متراصة ومتلاصقة.

كما يقوم النسيج العمراني للقصر بمنطقة تافيلالت وفق تقاليد حضارية سائدة، ناتجة عن تفاعلات أهمها العوامل الاجتماعية، في توافق مع الأعراف المحلية المستمدة من الدين الإسلامي والهادفة إلى الحرمة والدفاع والتضامن.

والنسيج العمراني للقصر بوصفه السابق يشعر السكان بالإنتماء لمجال واحد وبالطمأنينة والأمن؛ فطبيعة تخطيط الممرات بأبعادها الأفقية والرأسية تتماشى مع خصائص البعد الإنساني وحاجيات سكان المنطقة الوظيفية. كما أن غياب الفوارق الطبقية الواضحة - مع استثناءات قليلة - تظهر المنازل متشابهة في مظهرها الخارجي تقريبا، ومنها: الشكل العام ومواد البناء، وارتفاعات الجدران، فلا تطاول ولا تفاخر في البنيان؛ مما أدى إلى تقارب المجتمع وترابطه.

ومن جهة أخرى أدى تلاصق المباني داخل القصر إلى ان كتلتها المعمارية تكاملت وتداخلت بصريا مع الفضاءات المحيطة؛ حيث تظهر القصور داخل الواحة متكاملة ومتجانسة مع المجال المفتوح وكأنها تحف فنية.

1- تخطيط القصر وشكله العام

يبدأ تخطيط القصر باختيار الموقع، ونعني به موقع القصر وعلاقته بما يحيط به، وقد أثرت في هذا الاختيار مجموعة من الشروط؛ تتمثل في قربه من الموارد المائية، والمساحات المزروعة، ووجوده في مكان غير معرض للأخطار الطبيعية كالفيضانات فأقيمت أغلب القصور على تلال وربوات قريبة من الأراضي الفلاحية، كما تراعى المساحة التي ستقام عليها البناية لتستجيب لحاجة الجماعة وعددها وتركيبتها العرقية ومستواها المادي.

وكان للموقع الجغرافي الذي يشغله القصر انعكاسا واضحا على تصميمه، لذلك تميزت قصور منطقة تافيلالت بتباين مساحتها واختلاف أشكالها، إذ لم يكن هناك تصميم مسطر على الورق ولا مهندس درس تفاصيله، بل إن صاحب البناء، أميرا كان

أوقبيلة، يكلفون معلمين مشرفين على البناء ليحددوا شكل البناية ووضعها وحجمها، توجههم في ذلك خبرتهم والتقاليد التي يتوارثونها والتي تشكل تراثهم التقني، الشيء الذي أعطى لبعض القصور انسجاما وتشابها في شكلها وتصميم معالمها. فالشكل عموما رباعي الأضلاع يميل إلى الإستطالة أحيانا والى التربيع أحيانا أخرى، كما يمكن أن نجد شكلا هندسيا غير واضح المعالم.

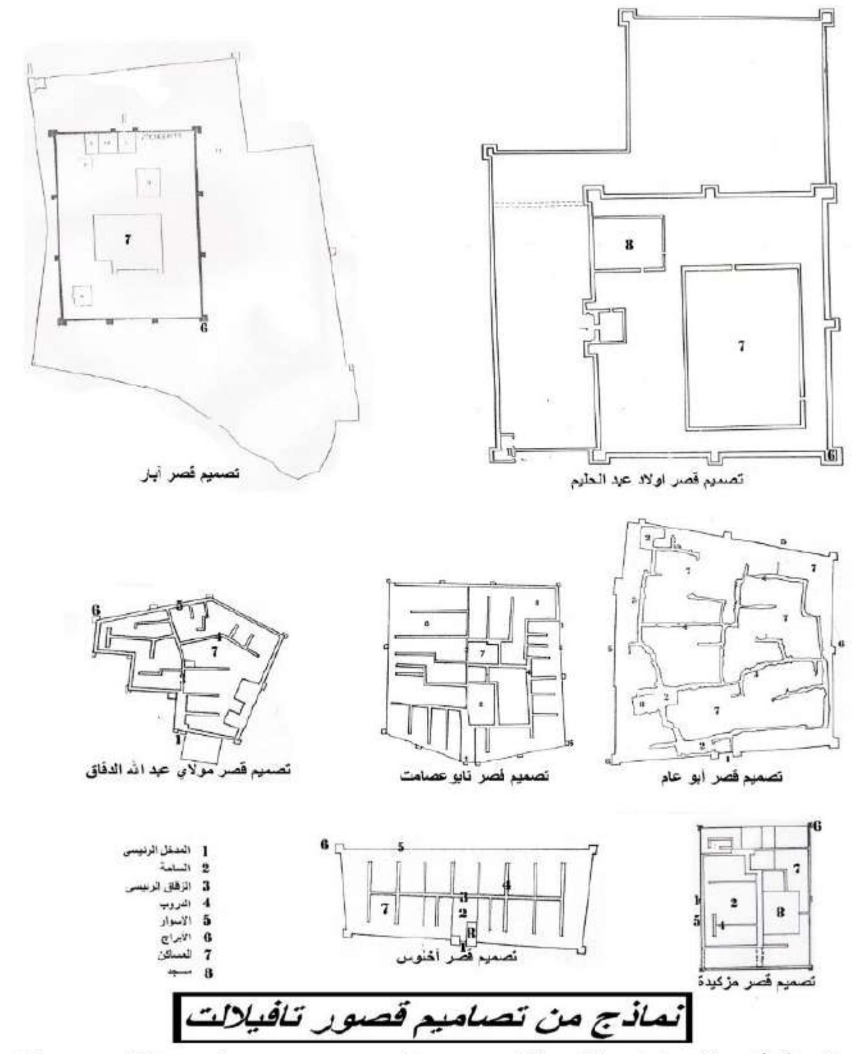
وانطلاقا من نتائج البحث الميداني توصلنا إلى أن القصور بمنطقة تافيلالت اتخذت ثلاثة أشكال رئيسية[510]: الشكل المربع بنسبة 38%، والشكل غير المنتظم بنسبة 40%، والشكل المستطيل بنسبة 22%[511]. وهذا يتنافى مع بعض الاستنتاجات والانطباعات التي تم التوصل إليها دون اعتماد أدوات تقنية، كتلك التي أشارت إلى أن غالبية القصور تميل إلى الشكل المستطيل[512].

وقد جاء هذا الاختلاف نتيجة لتأثرها بعدة عوامل، بعضها مرتبط بما تسمح به طبوغرافية المنطقة والحواجز المحيطة؛ كالسواقي والأنهار، وقد انعكس الموقع الجغرافي على التخطيط العمراني لقصور تافيلالت وتحديد شكلها عبر مراحل تطوره من حيث طبيعة الموقع والحواجز المحيطة به، والتي قد تقف عائقا في وجه تطوره، فالقصور التي تقع على ضفة الوادي يكون شكلها طوليا أو غير منتظم. ويمكن حصر أشكال القصور السائدة بالمنطقة فيما يلي:

510 - بحث ميداني مشترك مع مسلك الإجازة المهنية بجامعة شعيب الدكالي بالجديدة، وجامعة لاروشيل بفرنسا، سنة 2012، هم 102 قصرا.

511 - لا توجد بمنطقة تافيلالت قصور ذات أشكال دائرية أو نصف دائرية كما هو الشأن بقصور مدغرة، راجع
- عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج 1، ص 216.

512- Faure (Roger), Le Tafilalet, op.cit p 140
- أنظر أيضا، تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج2، ص 436.



شكل رقم (1): يظهر الاختلاف الموجود على مستوى تصاميم القصور الفيلالية

المصدر: Groupe d'architecte : Khalid El Assal – Jawad El Basri – Hicham Malti. Les Qsours et Qasbah du Tafilalet, Etude architecturale et plan de sauvegarde Direction de l'Architecture, Juin, 1998

- **القصور ذات الشكل غير المنتظم:** وهي الأكثر انتشارا بالمنطقة بنسبة 40%، ويمكن إرجاع هذا الشكل إلى عاملين أساسين: الأول مرتبط بطبوغرافية المجال، والتي تعرف بعض الانحدارات ولا تخدم التخطيط العام للقصر، والذي يحرص مشيدوه على أن تكون بناياته ذات ارتفاع واحد للحفاظ على حرمة البيوت، وتسهيل تصريف مياه التساقطات. أما السبب الثاني فهو مرتبط بالزيادات التي عرفتها بعض القصور نتيجة

توافد مهاجرين جدد، أو نتيجة التكاثر الطبيعي لساكنتها. ومن هذا الصنف من القصور نذكر قصور: لبطرني والمنصورية واسرغين والجبيل.

- **القصور ذات الشكل المربع:** تمثل حوالي 38% من مجموع القصور بمنطقة تافيلالت، ويشمل تحديدا القصور المخزنية. فقد كان السلاطين العلويين حريصين أن تتخذه القصور المخزنية شكلا مربعا. ورد في إحدى المراسلات السلطانية بخصوص بناء قصر كحايك ما يلي: "وقد أذنا في بنائه على نحو ما أشار في كتابه وبين في الفصالة الواصلة صحبته، وأمرنا بإدخال النقشة التي غير محلها وإدخالها في القصبة ليستقيم تربيعها وبشرائها إن كانت ملكا لأحد"[513].

انطلاقا من هذا النص يبدو أن هذا الحرص على أن تكون هذه القصور مربعة الشكل مرتبط بما تتطلبه المرافق التي ستنشأ بداخله من استقامة وتخطيط يعكس جماليتها. وهذا ما تعكسه المعاينة الميدانية بكل من قصور: الفيضة، وأولاد عيشة، ومزكيدة، وأولاد عبد الحليم وغيرها.

- **القصور ذات الشكل المستطيل:** وهو الأقل انتشارا بالمنطقة بنسبة 22%، ارتبط هذا الشكل بحاجة ساكنته لتلبية رغبة كل قبيلة أو عظم في السكن في درب خاص به، وهذا الشكل هو الذي يمكن أن يهيكله زقاق رئيسي تتفرع عنه أكبر عدد من الدروب يمينا وشمالا، ومن مميزاته أيضا، أنه يسمح بالتحام الدور فيما بينها فتظهر كأنها كتلة واحدة يسهل الاتصال فيما بينها. ومن القصور التي اتخذت شكلا مستطيلا بالمنطقة نجد قصور: ابوعام، والشقارنة، وهارون، وأولاد يوسف، وابحار، وغيرها..

[513] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 18626/ وثيقة رقم 7 بالملحق.

جدول رقم (4): أشكال بعض القصور بمنطقة تافيلالت

اسم القصر	شكله	اسم القصر	شكله	اسم القصر	شكله
امسيفي	مربع	مرزوكة	غير منتظم	تيرست	غير منتظم
قصر اسرغين	غير منتظم	مولاي عبد الله الدقاق	غير منتظم	توجديت	غير منتظم
ارارة	مستطيل	مولاي عبد الكريم	مربع	بيني ميمون الشرفاء	غير منتظم
أولاد عيشة	مربع	قصبة مولاي الطاهر	مربع	ابوعام	مستطيل
أولاد بوعلي	مربع	أولاد عبد الحليم	مربع	الدار البيضاء	مستطيل
أولاد الوالي	مستطيل	أولاد ليمام	مستطيل	الفرخ	مربع
القصبة الذهبية	مربع	أولاد مسلم	غير منتظم	هارون	مستطيل
الشقارنة	مستطيل	أولاد يوسف	مستطيل	احياتن	مربع
الفيضة	مربع	قصيرة أولاد يوسف	مستطيل	قصبة مولاي الطاهر	مربع
لبطرني	غير منتظم	تاغنجاوت	مربع	قدارة	غير منتظم
المنصورية	غير منتظم	أولاد عبد الرحمان	مربع	القصر الفوقاني	غير منتظم
حمو داود	مستطيل	مانوكة	مربع	مزكيدة	مربع
تاغكة	غير منتظم	هوارة	مربع	الماطي	غير منتظم
الجبيل	غير منتظم	أولاد سعيدان	غير منتظم	مولاي المستعين	مربع
الجديد	غير منتظم	أولاد بوزينة	غير منتظم	ابار	غير منتظم
قصر الجير	غير منتظم	سيدي عمر	غير منتظم	سيدي بوبكر الغربي	مربع

المصدر:

Travail coordonné par A. FAKKAK, F.POUGET, A. LAYEC, M. BOUCHARA, M. BOUASSAB, ET A. JMILI. Stage de terrain des étudiants de la LUPSIG de la Rochelle (France) et de la LPGA d'El-Jadida en Janvier – Mars 2012.

يحيط بهذا النسيج العمراني أسوار تختلف ارتفاعاتها وأحجامها من قصر لآخر[514]، وهي تتراوح بين 4 و10 أمتار، وترتفع في جنباتها أبراج مربعة تختلف أعدادها وأحجامها باختلاف مساحة القصر وأهميته وتتراوح بين 4 و15 برجا (راجع الجدول رقم:10)، ويحتوي على ساحة عمومية تمتد بالقرب من المدخل وتستعمل للتبادل التجاري والتجمعات الشعبية، أما المرافق العمومية فهي المسجد الذي يوجد به بئر عمومي وكتاب قرآني، كما تخصص بعض الدور لأغراض عمومية.

[514] - تختلف درجة تحصين القصور بحسب الموقع والوظيفة التي يؤديها.

المبدأ الأساسي في القصر هو ضمان حماية كافية للسكان المستقرين من هجمات العدو، والظروف الطبيعية القاسية، فالتجمع في القصر ضرورة فرضتها ظروف الحياة الصعبة في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية.

لكل قصر باب واحد يفتح نحو الطرق المؤدية إلى البساتين أو القصور المجاورة، وذلك خلافا لما هو عليه الحال بقصور الواحات الأخرى، فقصور مدغرة وفكّيك ودرعة تشتمل على مدخلين[515]، بينما قصور توات لها ثلاثة مداخل. وفي الجزائر زودت قصور ميزاب بمداخل عدة تصل إلى سبعة في بعض الأحيان[516].

2- المكونات العمرانية الأساسية للقصر

3-1. المداخل

يعتبر المدخل أو الباب[517] الرئيسي أو "فم القصر" كما يصطلح عليه محليا، هو الممر المؤدي إلى داخل القصر، وبالرغم من أهمية الأبواب في النسيج العمراني للقصر ومدلولاتها الحضارية، فإنها لم تحظ بالاهتمام الكافي من طرف الباحثين[518]، فمداخل القصور تشكل لوحات فنية لا زالت تحمل شواهد أثرية تدل على العناية التي أعطيت لها.

---

[515] - عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج 1، ص 216.
- مزيان، فجيج، م س، ص 55.
- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، م س، ص131.

[516] - يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن، من القرن 10هـ /16م إلى 13هـ/19م، دراسة وصفية، تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص67.

[517] - من العناصر المعمارية الأساسية، فهو الذي يوصل ما بين داخل المباني وخارجها. ويمكن التمييز بين نوعين من الأبواب: خارجي وهو الذي يطل على الزقاق العمومي ويتكون من فتحة ومصراع (أو مصراعين) ودهليز. وباب داخلي؛ وهو الذي يغلق الحجرات ويفتحها عن بعضها أو عن الساحات الداخلية للبنايات، وفي المباني العسكرية نميز بين الباب ذا العطف الواحد ظهر بالمغرب كما بالأندلس في القرن الخامس، بينما تعددت الالتواءات في الأبواب ابتداء من القرن السادس. ويمكن التمييز في وظائف الأبواب بين الوظائف العامة وأخرى خاصة. فالأولى هي مختلف الخدمات التي شكلت قاسما مشتركا بين كل الأبواب مثل التنقل وأداء المغارم. أما الخاصة فمنها ما كان حكرا على باب أو أبواب بعينها... إلى جانب ذلك فان من الوظائف ما كان دائما وما كان ظرفيا وهناك التي ارتبطت مع نشأة الباب ومنها ما جاءت لاحقة".
- مادة "باب" ضمن معلمة المغرب، ج 3، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، مطابع سلا، 1991م.

[518] - يرى عبد العزيز توري، أن الباب بالمدن المغربية عامة وبالمناطق النائية لم تدرس بعد، خاصة أبواب الدور ومداخل المداشر المنتشرة في الجبال والواحات، ينظر، باب، معلمة المغرب، المجلد الرابع، ص 945-946.

زودت قصور تافيلالت بمدخل واحد يتوسط في غالب الأحيان إحدى أسوار القصر[519]، ولم تكن وظيفة أبواب القصور تنحصر في الفصل بين الفضاء الداخلي والخارجي، بل أيضا بالوظيفة الدفاعية والأمنية، ولذلك كان مكان بنائها محسوبا بصورة دقيقة، بحيث ينفتح نحو الساحات الخارجية والطرق الآمنة التي تربطه بالقصور الأخرى. وكان الباب مراقبا من طرف حارس من سكان القصر، يقوم بفتحه صباحا وإغلاقه في المساء ومراقبة الغرباء الوافدين على القصر.

وباب القصر له طابع معماري وهندسي شبيه بأبواب المدن العتيقة، وهو جزء من السور المحيط بالقصر، له مميزات وخصائص الحقبة التي بني فيها، وهكذا يمكن أن نميز بين نوعين من الأبواب على مستوى المظهر الخارجي: أبواب بارزة وأخرى ملاصقة للسور.

- **الأبواب البارزة:** تتكون من كتل بنائية ضخمة ذات أبعاد مهمة[520]، يبرز حوالي ثلث الكتلة البنائية خارج السور، ويتكون من برجين كبيرين يكتنفان ممرا يؤدي إلى باب المدخل، ومنه إلى ساحة مربعة الشكل تتوسط الثلثين الباقيين من كتلة الباب وراء البرجين البارزين، ويوجد على جانبي الباب الرئيسي مدخلين صغيرين متماثلين ومتقابلين، كما زين قسمها العلوي بنقوش هندسية طينية بديعة. نجد هذا النموذج على سبيل المثال لا الحصر بكل من قصور: ابوعـــام/ابـــار/اولادعبد الحليم/الفيضـة/ اولاد عـــائشـــة/عمـــارة. (الصورة:3)

---

[519] - أحصينا خلال الدراسة الميدانية أن نسبة 60 في المائة من مداخل القصور بمنطقة تافيلالت تتوسط أحد أسوار القصر.

[520] - سنقوم بوصف لنماذج منها في المبحث المتعلق بالدراسة المعمارية.



قصر القصبة الذهبية — قصر بني ميمون الأحرار



قصر ابار — قصر اولاد عبد الحليم

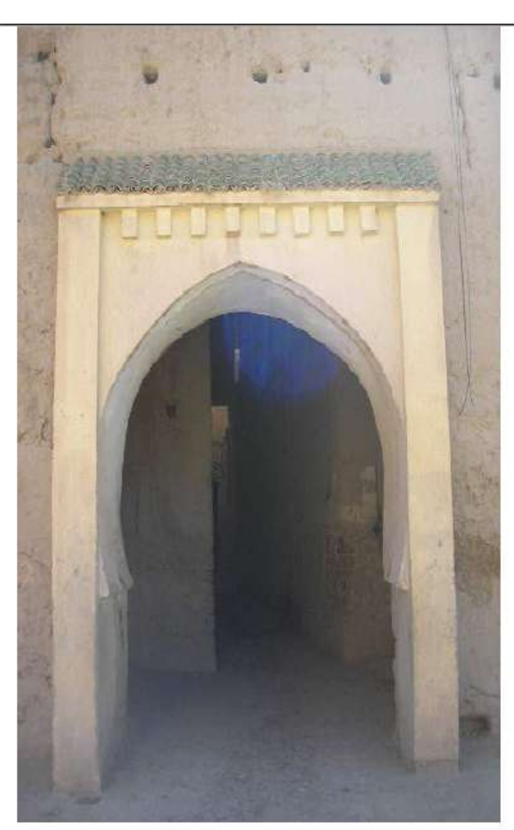


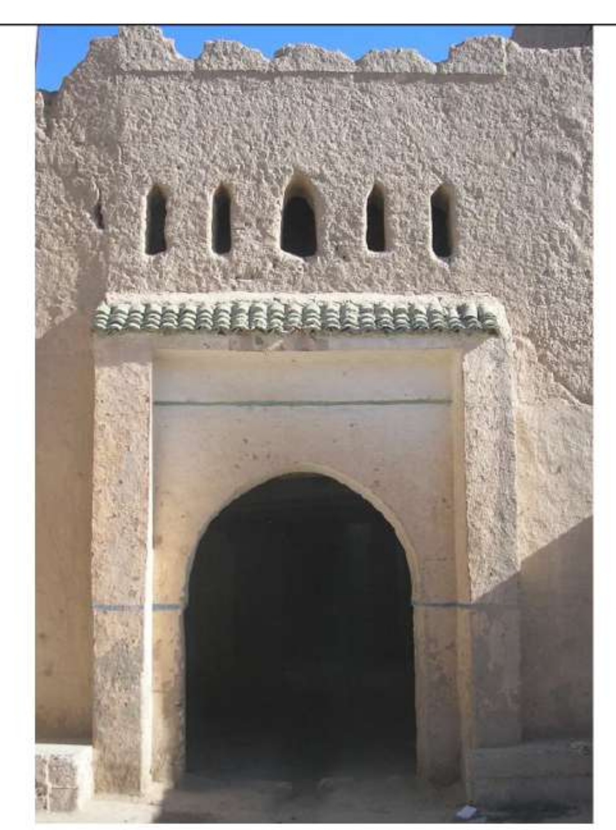
قصر ابوعام — قصر الفيضة

صورة رقم (3): نماذج من المداخل البارزة ببعض قصور تافيلالت

المصدر: تصوير الباحث 2008

- **الأبواب غير البارزة:** تحتل هي الأخرى موقعا وسطا في أحد أضلاع القصر، وهي أقل حجما وزخرفة من الأبواب السابقة، كما أنها لا تتوفر على أبراج ولا أبواب جانبية، وهي قليلة بقصور المنطقة. (انظر الصورة رقم:4)





صورة رقم (4): تظهر نماذج من المداخل غير البارزة

المصدر: تصوير الباحث 2008

3-2. الساحات

لا يخلو قصر من قصور تافيلالت من وجود ساحة أو أكثر بداخله، ويعبر عنها محليا بمفردات عدة، كالساحة والرحبة، ويقصد بها تلك المساحات الشاغرة غير المبنية، فهي من الناحية العمرانية مجال مفتوح متعدد الوظائف بحسب أوقات اليوم، وبحسب المناسبات والأعياد، وبحسب الفصول.

توجد الساحة مباشرة بعد بوابة القصر، وهي بذلك المجال الفاصل بينه وبين الزقاق الرئيسي. تخصص للمبادلات التجارية والتجمعات العمومية وأغراض أخرى، وقد نجد بها مرافق أخرى، كالدكاكين الخاصة بأصحاب الحرف اليدوية والإسطبلات، ودار القبيلة، كما توجد ببعض القصور ساحات مخصصة لإيواء أنشطة إنتاجية معينة، تحتل ركنا من أركانه، وقلما نجد هذه الساحات بالقصور ذات المساحة الصغيرة.



صورة رقم (5): ساحة قصر تابوعصامت تشتمل على عدد من الدكاكين وترتبط مباشرة بمدخل القصر

تصوير الباحث 2008

ومن الناحية الاجتماعية، تعتبر الساحة مجالا للقاء والتفاعل والتواصل بين مختلف سكان القصر؛ ففيها تقام النشاطات الاجتماعية كالأفراح والمآتم والتظاهرات التجارية الموسمية، وفيها يتم الاستعداد للعمليات الحربية أو السفر الجماعي. كما أنها الفراغ الذي تنفتح عليه الأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها، وهي المكان الذي يستلهم منه ضوء النهار وبواسطتها تكسر حدة الظلام المخيم على الدروب والأزقة المغطاة بسقوف من خشب النخيل[521].

إضافة إلى الساحات العمومية احتضنت القصور المخزنية ساحات أخرى تدعى المشور؛ وهو مجال شاسع مقارنة مع الساحات بالقصور الأخرى، مخصص للمراسيم والاحتفال والاستقبال.

وحرصا على التدبير العمراني الجيد لمرافق القصر منعت الأعراف المحلية استغلال هذه الساحات للأغراض الخاصة. هذا ما أوردته إحدى الوثائق الخاصة بواحة

[521] - حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، م س، ص 29.

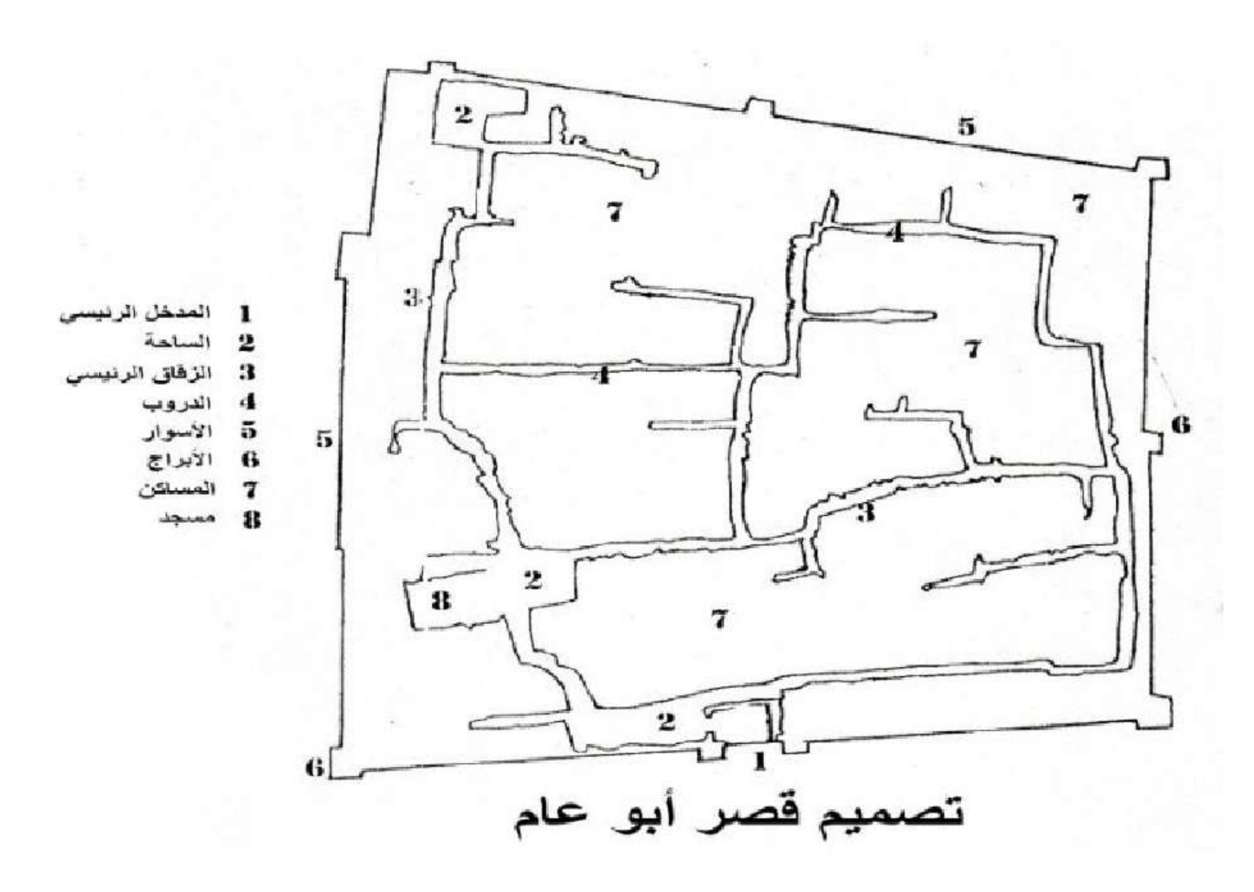
تلوين التي تمنع ربط البهائم بالرحبة، جاء في نص الوثيقة: "إن شريه - بمعنى اشتراه- [ويتعلق الأمر بعجل] واحد وحده ليدخله لداره، ولا يربطه في أرحاب الجْمَعَة [بمعنى الجماعة]"[522]. كما تشير نفس الوثيقة إلى ضرورة مشاركة جميع السكان في تنظيف الساحات والمحافظة عليها، وأوجبت غرامة مالية على المخالفين. تقول الوثيقة: "والسقالة البرانية لا يرمي عليها أحد من جميع أولاد بوشيخ وبني محفوض ولا خشب، ومن يرمي عليها يعطي خمسون [خمسين] مثقالا لشيخ [يعني الشيخ] والقبيلة وكذلك الغبر [أي الغبار] لا يرميه أحد في السقالة المذكورة، ومن رماه يرفده [بمعنى يزيله] من الرحبة يأخذه وحده"[523].

3-3. الأزقـــــــة

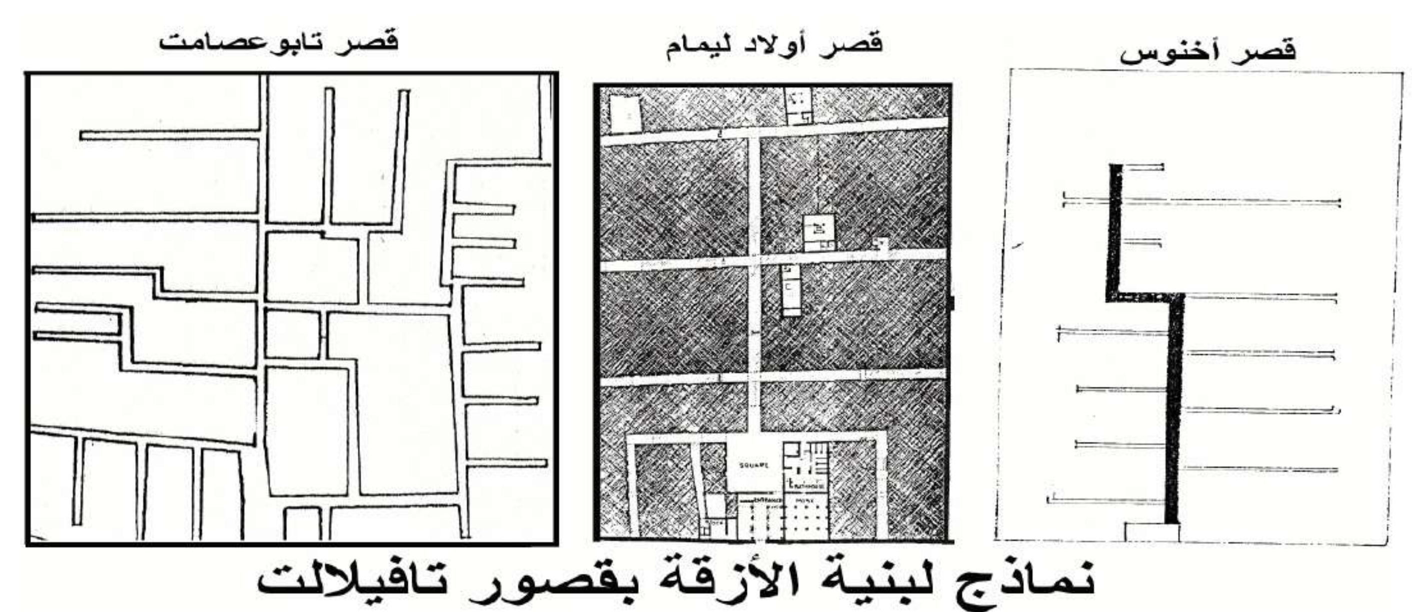
تمثل الأزقة أهم جوانب التخطيط الذي يعنى بتنسيق النظام المادي الطبيعي للقصر والذي تمثله كتلته المبنية، تنحصر وظيفتها الرئيسة في ربط الاتصال بين مختلف المكونات المجالية للقصر، لذلك فتخطيطها يكتسي أهمية كبرى في هيكلة القصر، وتتنوع العوامل المؤثرة في تخطيطها، ويرتبط ذلك ارتباطا وثيقا بباقي المكونات المعمارية للقصر، ومن ثم تبرز العلاقة القوية بين الطرق وهذه المنشآت، وهي علاقة توضح مدى تأثر كل منها بالآخر. ولتوضيح ذلك، ستتعرض لوصف أزقة القصر وصفا معماريا يحدد مسمياتها ومقاييسها واتجاهاتها، ثم علاقة تخطيطها بالمناخ باعتبار أثره الواضح على هذا التخطيط، كما ستتعرض لذكر علاقة الأزقة بتحصين القصر وباقي تكويناته المعمارية.

تنتظم أزقة القصور غالبا على صورتين: أزقة مستقيمة، توجد في القصور ذات الشكل المربع والمستطيل وذات الوظيفة الإدارية، أو تلك المشيدة في مراحل متأخرة، وأخرى متعرجة في القصبات والقصور ذات البعد العسكري. (انظر الشكل 1-2).

[522] - عبد اللوي، مدغرة، م س، ج 1، ص 226.
[523] - نفس المرجع والصفحة.



تصميم قصر أبو عام



نماذج لبنية الأزقة بقصور تافيلالت

شكل رقم (2): يظهر الاختلاف الموجود على مستوى بنية الأزقة

المصدر: القصور والقصبات، م س، ص. 135 و151.

Sadik : Urbanisme et conservation du patrimoine culturel présaharien. p 52

❖ **تخطيط الأزقة ومقاييسها.**

تخضع عملية إحداث الأزقة في القصر الفيلالي لعدة عوامل اجتماعية وبيئية وأمنية، وتحكمها مجموعة من العلاقات المجالية بين فضاءات القصر.

وانطلاقا مما استقيناه من الرواية الشفوية؛ فعملية إحداث الأزقة بالقصر سابقة لأية عملية بناء أو إنشاء يقوم بها السكان لمساكنهم، بحيث يتم الاتفاق على ما هو أساسي، أي أمكنتها ومقاييسها عند تقسيم الوحدات الجوارية، التي تحكمها التركيبة الاجتماعية، إذ يتكلف كل ربع من أرباع القصر باستخراج الأزقة التي تحتاجها العائلات المكونة له، وبذلك فهي أصيلة في ذاتها وليست إفرازا للمجال الداخلي أو فراغا أحدثه بناء المساكن، كما توحي بذلك التواءاتها واختلاف مقاييسها.

تتفرع عن الزقاق الرئيسي مجموعة من الدروب أقل اتساعا امتدت داخل المجال السكني لتكون رابطا عضويا بينها وبين المرافق العامة داخل القصر وخارجه، وهو تدرج يتماشى مع تدرج المجالات من خارج القصر إلى داخله وفق منهجية تحفظ حرمة البيوت وأمنها واستقرارها. وذلك انطلاقا من المجال العمومي في الخارج إلى المجال الخاص، مرورا بمجالات حرة ذات استعمال متعدد (الساحات)، ولا شك أن هذا التدرج ينم عن تنظيم يعكس حرص السكان على قيم متعددة، أهمها الراحة والخصوصية والأمن[524].

وهكذا تنقسم الطرق بالقصر إلى ثلاثة أنواع حسب دورها وأهميتها وهي:

✓ **الزقاق الرئيسي:** يعد هذا الزقاق من العناصر الرئيسة للقصر ووسيلة اتصال بين داخله وخارجه، يجزئ القصر إلى قسمين انطلاقا من الساحة التي تلي المدخل مباشرة، وهو بذلك العنصر المهيكل للقصر والمحور الأساسي داخله والقناة التي تتصل بجميع مرافقه، وغالبا ما يكون هذا الزقاق مستغلا لبناء غرف، إلا أن نقطة التقائه بالدرب تكون إذ ذاك مجالا عاما لا يملك أحد حق التصرف فيه (انظر الصورة رقم6).

[524] - عبد اللوي، مدغرة، م س، ج 1، ص 226.



قصر أولاد ليمام



قصبة مولاي عبد الكريم

صورة رقم (6): تظهر نموذج لأزقة رئيسية تمتد في شكل مستقيم
المصدر: تصوير الباحث 2008

اتخذ هذا الزقاق اتجاهين بقصور تافيلالت، فقد كان اتجاهه شمالي جنوبي في بعضها، بينما له اتجاه شرقي - غربي في البعض الآخر، وأطلق سكان القصور على هذا الزقاق الرئيسي عدة تسميات، "كالزقاق الكبير"، و"النهج" و"لعلو" وقد أشار "لاووست" إلى أن هذا المصطلح الأخير ذو اشتقاق عربي بحكم جدرانه العالية[525]، وما دام استعمال هذا الزقاق يتقاسمه جميع سكان القصر فقد كان أكثر اتساعا من غيره ليستجيب لضروريات التنقل السهل للراجلين والدواب بأحمالها.

واتضح لنا من خلال زيارتنا الميدانية لقصور المنطقة أن عرض الزقاق الرئيسي يتراوح بين 2.5 متر و2.8 متر في أغلب القصور، وتناسب هذا الاختلاف مع كثافة حركة

[525]-Laoust (Ernest), " L'habitation chez les transhumants du Maroc central : la tente et le douar ", Hespéris .Tome X .fascicule II .1930. p 128.

المرور والارتفاق بالزقاق، فكلما كان القصر كبيرا زاد اتساع الزقاق. إذ يزيد عن ثلاثة أمتار بقصور: ابوعام وتابوعصامت ومزكيدة.

✓ **الدرب:** تتفرع عن الزقاق الرئيسي مجموعة من الدروب يمينا وشمالا، وهو من حيث التصميم غير نافذ ومشترك الملكية لأصحاب الدور التي تنفتح عليه، وغالبا ما يحمل اسم العائلة أو القبيلة التي ينتمي إليها سكان الدرب[526].

وقد اختلفت هذه الدروب من حيث عددها واتجاهاتها بين قصور المنطقة باختلاف المساحة والموقع، إذ كلما زادت مساحة القصر زيد من عددها، أما ملكية هوائها ففي بعض القصور يحق لمن هم جهة القبلة استغلاله أو قسمته مع الجار المقابل، وفي قصور أخرى يوزع هذا المجال كما توزع أراضي المساكن.

وللضرورات الأمنية، وفي حالات قليلة، كانت توضع لبعض الدروب أبواب تغلق ليلا، تشبه أحياء عائلية صغيرة لأن غالبية سكانها ينتمون لأسرة واحدة[527]، وهو ما يكسب هذه الدروب طابع الخصوصية. وتعد الدروب من أهم العناصر العمرانية الخارجية التي تؤثر في حياة الإنسان ونشاطه بعد المنزل، حيث إنه - تقليديا - مكمل لأنشطة المنزل ومكان حيوي خاص لأنشطة الأطفال والنساء، وهو المجال الذي ينسق بين الحياة داخل المنزل والعالم الخارجي[528].

وعموما تتميز دروب وأزقة القصور بضيقها والتوائها، هذا الإلتواء والضيق لم يأت اعتباطا بل خطط له سلفا؛ فعلى المستوى الاستراتيجي يسهل عملية الدفاع عن القصر في حالة الخطر، ويدفع العدو إلى التيه في دروبه، ويمكن اعتبار الالتواء أفضل وسيلة لتكسير قوة الرياح الباردة في فصل الشتاء وتلطيفها صيفا، ويخفف من حدة أشعة الشمس واستغلال أكبر قدر ممكن من الظل.

---

[526]- Terrasse (Henri), Kasbas berbère de l'Atlas et des Oasis, op.cit, p 56.

[527]- Martin (A.G), Précis de géologie Nord Africain, Les oasis saharien, 2ème partie, 1908, p 39.

[528]- إدريس الدخيسي، "الفن المعماري الإسلامي الأصيل في قصبات الجنوب المغربي"، مجلة فنون العددالثاني، السنة 8 شتنبر 1981، ص57.

واختلفت مقاييس الدروب هي الأخرى فتراوح اتساعها بين 1.8متر 2.10 متر وتناسب هذا الاتساع أيضا مع مبدأ الخصوصية ووسائل النقل المستعملة.

✓ **الزقاق:** تطلق مسميات متعددة، كأطراس: أسراج، زقاق قاع القصر، وهو الزقاق الموازي لسور القصر من الداخل، والذي يلعب دور الفيصل بين السور الخارجي والمنازل، وينحصر دوره في حراسة القصر، وهو بذلك مكون تحصيني يوجد بالقصور الواقعة في أطراف الواحة بكل أنواعها[529]. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأزقة لاتشتمل على مداخل للدور، كما أنها أقل اتساعا من الزقاق الرئيسي وتتخللها مجالات مضاءة وأخرى مظلمة. (الصورة:7)



قصر تابوعصامت　　　　قصر مزكيدة

صورة رقم (7): نموذج لزقاق بقصر مزكيدة وتابوعصامت المصدر تصوير الباحث 2008

[529]- عاينا هذا النوع من الأزقة بقصور: مزكيدة، قصبة توجديت، مولاي احمد الذهبي، قصبة سيدي ملوك، تابوعصامت.

❖ الأزقة والخصوصية.

يمكن تقسيم الأزقة بقصور تافيلالت إلى صنفين حسب نظام الارتفاق بها وأسلوب تخطيطها. الصنف الأول: هو الزقاق الرئيسي وبعض الدروب النافذة التي يحق الارتفاق بها لكل سكان القصر، أما الصنف الثاني: فيتمثل في الدروب غير النافذة التي يخصص الارتفاق بها لأهل الدور التي تفتح عليها.

وبالرغم من هذا التقسيم العام إلا أن الارتفاق بأزقة القصر يعكس مدى الرغبة في تحقيق الخصوصية لأهل القصر بصفة عامة، فلم يكن الارتفاق بالزقاق الرئيسي مباحا للغرباء عن القصر إلا بمعية أحد ساكنيه، كما كان التحكم في دخول هؤلاء أو خروجهم محكوما بالمدخل الرئيسي للقصر، سيما في فترة القلاقل والفتن. وتكتسي الدروب المغلقة على العموم طابع الخصوصية، إذ ان ملكيتها لأصحاب المساكن المحيطة بها، فلهم وحدهم حرية الارتفاق بها دون غيرهم، وتعتبر الخصوصية من أهم العوامل المساهمة في هيكلة البنية العمرانية للقصر.

4- العوامل المؤثرة في تخطيط وتشكيل مرفولوجية القصور والقصبات

تتحكم في تخطيط وعمارة قصور وقصبات منطقة تافيلالت كغيرها من القصور الصحراوية عدة عوامل؛ منها ما ارتبط بالظروف الطبيعية ومنها ما ارتبط بحاجيات الإنسان وأنشطته، ومنها ماله علاقة بالأعراف المحلية، ويظهر تأثير هذه العوامل وغيرها على مرفولوجية القصر في جوانب متعددة.

4-1. تأثير العوامل الطبيعية

أ- العامل الجغرافي

إن بيئة الجنوب الشرقي المغربي شأنها شأن بقية المناطق الصحراوية الأخرى، تشتهر بكونها جرداء قاحلة تصعب الحياة فيها، انعكست مؤثراتها انعكاسا مباشرا وواضحا على عمارتها، فارتفاع درجة الحرارة كان من أولى اهتمامات البناء، حيث تم اللجوء إلى مجموعة من الحلول السهلة التي توفر سبل الراحة المبحوث عنها.

وللعامل الجغرافي دور كبير في تشكيل عمارة القصور والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

- إن المتمعن في عمارة قصور تافيلالت يدرك أثر الموقع وطبيعة الأرض في شكل القصور والذي يحدده سورها الخارجي، فقد جاءت تلك الأسوار في غالب الأحيان منتظمة نظرا لانبساط الأرض التي أقيمت عليها، وفي حالات قليلة جاءت غير مستوية لعدم تهيئة الموقع قبل البناء.

- ساهمت طبوغرافية المكان في توفير مادة البناء المتمثلة في الطين، حيث ينتج منها الطوب اللبن، ثم الحجارة الجيرية المتوفرة بعين المكان، ثم الجير الذي يستخرج منها بعد حرقها.

ب-العامل **المناخي**

يعد المناخ من أهم العناصر البيئية تأثيرا في شكل العمارة، وقد أثر بشكل مباشر وفعالا في تخطيط القصر، وقد تشابهت التأثيرات المناخية في معظم قصور واحات بلاد المغرب لوقوعها في منطقة حارة فكان همّ الإنسان القصوري إيجاد السبل المثلى التي تمكنه من الاستقرار والاستمرار في هذه المناطق، فأبدع بعض المعالجات المناخية في مبانيها ترتبط بتخطيط وتوجيه القصر، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

تعتبر درجة الحرارة والرياح من أهم المؤثرات التي أخذها المعماري بعين الاعتبار في بناء القصور وتصميم المباني بمنطقة تافيلالت، وحاول جاهدا أن يتكيف مع بيئته وتوظيفها التوظيف الأمثل وفق ماتمليه عليه عقيدته وعاداته وتقاليده. وللحد من تأثير العوامل المناخية على مباني القصر لجأ البنّاء المحلي إلى عدد من المعالجات المعمارية.

2-4. المعالجات البيئية والمناخية لعمارة القصور

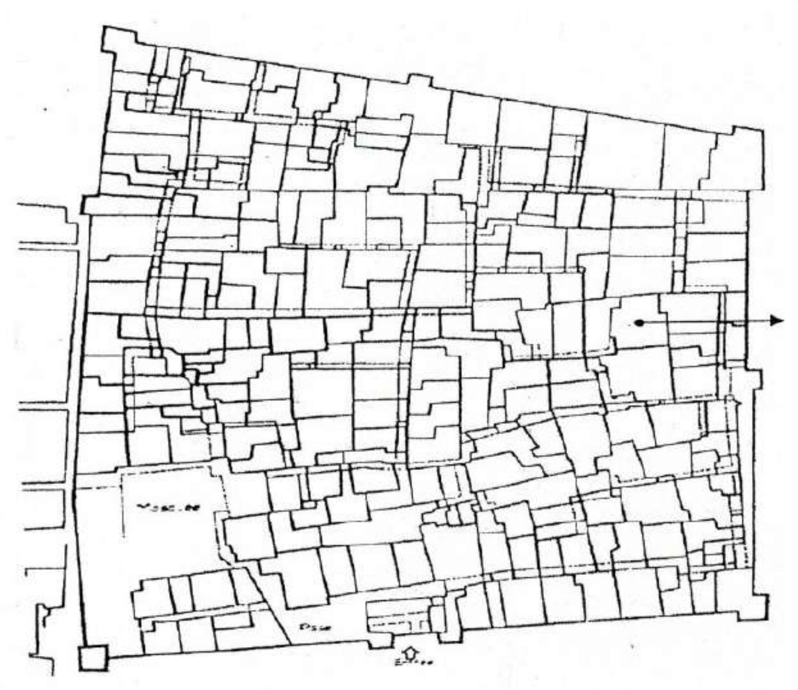
أ- التخطيط العمراني المتضام

يقصد بالنسيج العمراني[530] المتضام ذلك النمط العمراني الذي يتم فيه تجاور وتلاصق كتل المباني المعمارية مع التركيز الشديد في الأراضي[531]، بحيث تتكتل

[530] - النسيج العمراني: وهو مجموع ملامح نظام الفراغات البينية أو شبكات الاتصالات والحركة وما يرتبط بها من فراغات وما تحدده من خطط عمرانية، ويمتد ليشمل انساق البناء على قطع الأراضي وما يحتويه ذلك من علاقات خاصة بنسب البناء وأنماطها.

[531] - شفيق العوضي الوكيل، محمد عبد الله سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، مطابع الطوبجي، القاهرة، 1985، ص 24.

وتتراص في صفوف متلاصقة لمنع تعرض واجهاتها للعوامل الطبيعة، كأشعة الشمس المباشرة، والرياح المحملة بالأتربة، والتي تؤدي إلى رفع درجة الحرارة داخل المباني[532]. وإلى جانب الوقاية من قساوة العوامل المناخية، يعمل هذا الأسلوب على توفير الظلال، ويقلل من تعرض المباني للإشعاع الشمسي، ويساهم هذا النوع من التخطيط في توطيد أواصر المحبة والألفة بين السكان، وبذلك كان له الأثر الكبير من الناحية الأمنية والاجتماعية.



شكل رقم (3): استخدام النسيج العمراني المتضام بقصر ابوعام

المصدر: القصور والقصبات، م س، ص. 158.

ب- شبكة الأزقة الضيقة والمتعرجة

إن اللجوء لإتباع الحل المتضام في النسيج العمراني للقصر أدى بالتبعية لأن تكون الأزقة ضيقة، حيث يؤدي ذلك إلى تعرضها لأقل قدر ممكن من الإشعاع الشمسي المباشر، إلى جانب أن ضيقها كان يتناسب مع وسائل النقل وطبيعة مواد البناء خاصة خشب النخيل والأثل في السقوف.

532- يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، سلسلة عالم المعرفة، العدد، 304، يونيو 2004، ص 90.

وضيق الأزقة وتعرجها من المعالجات المناخية التي اتبعت في قصور تافيلالت، مما أدى إلى قلة تعرضها للإشعاع الشمسي المباشر، إضافة إلى التعرج الذي يعمل على تكسير التيارات الهوائية، كما أن جزءا كبيرا من أزقة ودروب القصر سقفت لتوفير أكبر قسط من الظلال داخل الكتلة المعمارية(الصورة:8)




صورة رقم (8): أزقة مسقوفة داخل النسيج التقليدي للقصر
المصدر: تصوير الباحث 2008

ويعد توجيه الطرق من المعالجات التخطيطية المهمة للتغلب على أثر العوامل المناخية، ويختلف هذا التوجيه باختلاف الموقع الجغرافي، وبالنظر إلى موقع قصور تافيلالت يتضح أن أغلب أزقتها الرئيسة وجهت في الاتجاه من الشمال إلى الجنوب في غالبية القصور لكي تكون عمودية مع حركة الشمس، مما جعلها تكتسب ظلا في أغلب أوقات النهار.

ج - الأفنية الداخلية

تميزت العمارة التقليدية، وخاصة في المناطق الحارة منها بالأفنية الداخلية، فهي بمثابة الرئة التي يتنفس منها المبنى، والفناء هو فضاء مغلق من جهاته الأربع ومفتوح من

أعلى في اتجاه السماء، ومحدد بالفضاءات الداخلية من إحدى جهاته أو من جميعها. وقد تلازم الفناء الداخلي مع الكثير من المباني في المجتمعات التقليدية، حيث ظهر في المباني السكنية والمساجد وغيرها، وتدل مواكبة الأفنية الداخلية للحضارة الإنسانية منذ بدايتها وحتى اليوم على مدى نجاحها كحل معماري سليم[533].

واتُّخذ الفناء بقصور تافيلالت كأهم وسيلة لمعالجة الظروف المناخية، إذ يوفر للبنايات كفايتها من الضوء، ويؤمن حاجتها من الهواء، كما يساعد على تلطيف الجو صيفا وشتاء ويقلل من شدة التيارات الهوائية الحارة أو الباردة[534].

ومن أهم مميزات الفناء أنه يساعد على تحريك الهواء وترطيبه ومن ثم انتقاله إلى الفراغات المحيطة، إذ بحلول المساء يبدأ هواء الفناء الداخلي الذي تسخنه الشمس مباشرة والأبنية بشكل غير مباشر بالتصاعد، ويستبدل تدريجيا بهواء الليل معتدل البرودة الآتي من الطبقات العليا، ويتجمع الهواء معتدل البرودة في الفناء. ثم ينساب إلى الحجرات المحيطة فيبردها وبهذه الطريقة يعمل الفناء كخزان للبرودة[535].

د - قلة استعمال الفتحات الخارجية وصغرها

كان لتحديد حجم الفتحات الخارجية في قصور تافيلالت أثرها في الحفاظ على درجة الحرارة المناسبة في الداخل دون تأثرها بالارتفاع الكبير بدرجة الحرارة خارج تلك المباني، ولمواجهة التفاوت الكبير في المدى الحراري اليومي فقد تميزت فتحات النوافذ بالضيق والصغر، لتلافي دخول كميات كبيرة من الإشعاع الشمسي المباشر.

تقوم الفتحات عادة بأربعة وظائف هي: إدخال أشعة الشمس المباشرة وغير المباشرة وإدخال الهواء وتوفير المنظر وتحقيق الاتصال الصوتي، حيث تؤدي النوافذ تلك الوظائف بشكل عام في الأقاليم المعتدلة بصورة ملائمة، أما في الأقاليم ذات المناخ الحار فيندر أن تجمع تلك الوظائف في عنصر معماري واحد.

533 - خالد سليم فجال، العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة، م س، ص45.

534- استخدام الفناء الداخلي للمسكن كعنصر رئيسي من العناصر التصميمية بدأ بالظهور بشكل واضح مع بداية الألف الثالثة قبل الميلاد في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط. وقد اتضحت معالم هذا الاستخدام في الفترة الواقعة بين الألف الثانية والألف الأولى قبل الميلاد وذلك من خلال وجود أربعة نماذج رئيسية للأبنية السكنية في تلك الفترة ينظر: شفيق العوضي الوكيل، محمد سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، م س، ص 25.

535 - علي سيد عباس، "أثر البعد البيئي على تخطيط المدن والعمارة الإسلامية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، القاهرة، مصر، 12-14 أبريل، ص 432-446.

هـ - زيادة سمك الجدران

نظرا لارتفاع درجة الحرارة بمنطقة تافيلالت، لجأ بناة القصور إلى استخدام الجدران السميكة المبنية من الطوب أو الطابية، التي يتراوح سمكها ما بين 0,50 متر، إلى 0,80 متر، واستخدام الجدران الضخمة كان له ما يبرره، فبالإضافة إلى متانة البناء، فإنه يجعل البناية تحتفظ ببرودتها أثناء النهار الحار، ذلك أن الحائط السميك موصل رديء للحرارة[536].

و - مواد البناء

لم يقتصر تأثير البيئة على تخطيط المباني وتوجيهها فحسب، بل أثرت كذلك في تشكيلة مادة بنائها، فهي في مجملها مبان شيدت بمواد استلهمها البناء من بيئته المحيطة به، والمتوفرة بكثرة ويمكن الحصول عليها دون كبير مشقة.

ولا شك أن من أهم المواد الإنشائية التي تلائم البيئة والمناخ والتي توفرها المنطقة بكثرة، هي مادة الطين وما يصنع منها من مواد أخرى[537]. وقد أثبت الآجر الطيني نجاحا متميزا في تحمله للظروف المناخية الحارة، مما جعله من مواد البناء المفضلة لدى سكان القصور، فالطين مادة لها قابلية الاحتفاظ بالحرارة لفترة طويلة وهذا يحد من برودة الطقس شتاء، لكون الآجر مصدر إشعاع الحرارة داخل المبنى وخارجه في الليل مما يؤدي إلى اعتدال درجة الحرارة، وكذلك يمتاز الطين بظاهرة الإيصال البطيء للحرارة فيعالج الحرارة المرتفعة صيفا ويعمل على تأخير تسربها إلى داخل مرافق البناية.

2-4.تأثير العامل الديني والاجتماعي

تتفاعل العمارة المحلية لأي مجتمع مع المعطيات البيئية المختلفة، كالمناخ، ونوعية المواد والتضاريس، وغيرها، وأهم ما تعكسه هذه العمارة من خلال تفاعلها مع تلك الجوانب هوية المجتمع وأسلوب حياته، والمظاهر الاجتماعية المختلفة فيه، التي تميزه عن غيره، وهذا ما يفسر اختلاف العمارة المحلية من مجتمع لآخر رغم تشابه

[536] - شفيق العوضي، محمد سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، م س، ص 25.

[537] - للتعرف عن المواد المستعملة في بناء القصور راجع الباب الثاني من هذا الكتاب.

الظروف البيئية، مما يظهر جليا أن البعد الاجتماعي من أهم ما يميز البيئات المحلية وأن العوامل الأخرى تعمل وفقا لما تمليه المتطلبات الاجتماعية.

ونظرا للعلاقة الوثيقة بين عادات المجتمع وتقاليده وتعاليم الدين الإسلامي، فإن عناصر ومكونات عمارة القصور تتأثر كثيرا بهذه العلاقة فانعكست على تخطيط وتصميم القصور، ويبدو ذلك جليا في تقسيمه وتوزيع جميع منشآته المدنية والدينية والدفاعية، وفي تصميم واجهات المنازل الخارجية التي جاءت مصمتة قليلة الفتحات، وإن وجدت فتكون مرتفعة بعيدة عن أعين المارة. كما وجدت بعض المكونات العمرانية ذات الطابع الاجتماعي.

وتوافقت عمارة القصور مع العقيدة وضوابطها الشرعية والروابط الاجتماعية والأعراف، فالأنماط العمرانية ما هي إلا ثمرة لرؤية حضارية وثقافية وفلسفة حياة، لذا فالبناء المعماري لابد أن يلبي الحاجة ويحقق الهدف ويصبح انعكاسا للمستلزمات الاجتماعية[538]. فالدين الإسلامي بما يتضمنه من قيم وتعاليم، من أبرز العوامل المؤثرة في عمارة القصور بمنطقة تافيلالت، ومعلوم أن العمارة الإسلامية لم تعتمد في نشأتها على جوانب تخصصية عمرانية وتخطيطية فحسب، بل اعتمدت على أسس وضعتها الشريعة. فأحكام البنيان في الفقه الإسلامي كان يدركها كل مسلم ويقوم بتنفيذها تلقائيا دون الحاجة لضابط قانوني سلطوي، لذا جاءت عمارة القصور تجسيدا لخبرات متراكمة، وهكذا يمكن أن نلاحظ في عمارة القصور ما يلي:

- المسجد له أثر مهم في حياة المسلم، لذا نجده من أبرز المنشآت بالقصور لما له من أهمية دينية وتربوية واجتماعية، ولهذه الغاية تم إيلاؤه عناية خاصة على مستوى موقعه البارز والواضح، وحجم بنائه وزخرفته.

- العقيدة الإسلامية لا تقتصر على العبادة فحسب، بل تمتد لتنظيم جميع شؤون الحياة، فالإسلام يراعي حقوق المرور وآدابه، ومن ثم حدد مقاسات الأزقة الرئيسة والثانوية وحقوق الجار، لذا نجد أن مباني القصور كانت تحافظ على الخصوصية وتصونها بتهيئة الفراغ الداخلي في البيت، وبتجنب تقابل أبواب المنازل، وبتشجيع البناء المتضام للمجتمع.

[538]- خالد محمد مصطفى عزب، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، كتاب الأمة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد 58، 1997، ص 34.

- كان الدين الإسلامي هو الأساس لعقيدة وسلوك وتعامل سكان القصور، ومن ثم حفاظهم على أصالتهم وعاداتهم الاجتماعية المتوارثة، فإن ذلك انعكس بشكل مباشر على عمارتها وتخطيط مبانيها انعكاسا نجمله فيما يأتي:

* إن تصميم المسكن بقصور تافيلالت يحقق الخصوصية الذاتية لمالكه، مع المحافظة على حرمات المساكن المجاورة وحقوق الجار؛ فالمباني لها نفس الارتفاع لضمان عدم التعدي على خصوصيات المباني المجاورة.

* تبنى المنازل بحيث لايستطيع من هو خارجها رؤية من بالداخل، وذلك من خلال الحرص على تنكيب الأبواب وعدم تقابلها، وقلة الفتحات الخارجية.

* الفصل الوظيفي لفراغات المسكن الداخلية، فخصصت أماكن للضيوف وأخرى لأفراد الأسرة.

4 - 3. تـأثير العامل الثقافي

يعتبر العامل الثقافي من بين العوامل الأساسية البارزة التي تؤثر في العمارة، ويعني العامل الثقافي من جملة ما يعنيه؛ التصورات الذهنية التي يحملها الناس جميعًا، ويحددون في إطارها توجهاتهم وأفكارهم، والعمارة تقع في الصدارة من كل هذا، فهي جزء لا يتجزأ من حضارة وثقافة الأمة في أي مكان وزمان، وهي تحمل بحد ذاتها أبعادًا اقتصادية وسياسية واجتماعية، فضلا عن حملها للبعد الحضاري بجانبيه المعنوي والاعتباري من جهة، والمادي الفيزيائي من جهة أخرى، فتعكس بذلك ثقافة المجتمع الموجودة فيه. وفي الجانب الثقافي نرى أن العمارة نتاج تفاعل فكري بين أفراد أي مجتمع، وهي نتيجة لقناعات ذلك المجتمع المنتج لهذه البيئة العمرانية. هذه القناعات لم تتكون مرة واحدة أو ظهرت بالمصادفة ولكنها تكونت من خلال خبرة طويلة مارسها المجتمع. مر بها بمحاولات التجربة والخطأ حتى تبلورت هذه القناعات على شكل مجموعة من النظم التي وظفت كعناصر اتصال بين أفراده.

هذه النظم كانت تتمتع بسلطة كسلطة القانون المعروفة محليا بالأعراف. ويبدو جليا أن عمارة القصور الفيلالية كانت منسجمة مع التقاليد والأعراف المحلية، فتسليط

الضوء على ثقافة مجتمع القصور الفيلالية وأسلوبها في الحياة الاجتماعية وما تحمله من خصائص وخلفيات من شأنها أن تساعدنا على فهم تنظيم المجال العمراني للقصور[539].

4 - 4. العامل الاقتصادي

نشأت أغلب القصور بمنطقة تافيلالت في بدايتها على قاعدة فلاحية، جمعت بين الزراعة واستئناس الحيوانات، وانعكس ذلك على تخطيط قصورهم، وعلى مساكنهم تحديدا بما يتوافق وطبيعة أنشطتهم، كما عرفت في مراحل تالية لنشأتها أنشطة موازية، خصوصا النشاط التجاري.

فرض هذا الوضع في بدايته تخطيطا ساعد في إيجاد حلول لتخزين محاصيل الواحة من حبوب وتمور، حيث لا يخلوا مسكن من مساكن القصور من وجود مخزن، فكانت في البداية مخصصة للاحتياجات المحلية لسكان المسكن.

ومع انهيار سجلماسة وانتقال نشاطها التجاري إلى بعض القصور، بدا ذلك واضحا على مستوى الوحدات السكنية بين دور التجار والعامة، وكذا تلك التي في ملك المخزن سواء على مستوى متانة البناء أو شكله ومساحته أو زخرفته.

ونظرا للحركة التجارية التي كانت تعرفها بعض القصور فقد توفر بعضها على دكاكين وما يرتبط بذلك من أعمال تجارية، كما اشتملت القصور ذات الطابع الحرفي على مجال خاص لمزاولة المهن اليدوية.

خلاصـــة:

مما سبق، تتضح جوانب التخطيط في القصر ابتداء من اختيار الموقع ثم تخطيط الموضع بما يحقق غايات السكان المادية والروحية، فظهر تكوين القصر الذي تحكمه قوانين إسلامية وأخرى عرفية، وتنتظم عناصره ومكوناته العمرانية تنظيما خاصا صاغ في النهاية الشكل الذي نرى عليه القصور في منطقة تافيلالت. كما تأثر التخطيط والتكوين العمراني للقصر بمجموعة من المؤثرات يلخصها الجدول التالي.

[539] - راجع المبحث الذي خصصناه للمؤسسات السياسية بالقصر.

جدول رقم(5): المؤثرات التي ساهمت في وجود الملامح والسمات المميزة لعمارة القصور

المؤثر	عناصر التأثير	مكان التأثير ونوعه	أسلوب التأثير ونتائجه
المؤثرات المناخية	درجة الحرارة حركة الرياح	التكوين العمراني المندمج	تظليل المباني والأزقة للحماية من أشعة الشمس اختزان الهواء البارد وتقليل سرعة الرياح تحقيق خصوصية، عزل المبنى حراريا تقليل وهج الشمس اختيار مواد البناء
الطبوغرافية	السهول والأودية	الحوائط والأسقف والأبواب	استخدام مواد البناء المحلية
التقاليد والمؤثرات الدينية والاجتماعية	التمسك بالدين الإسلامي التمسك بالأعراف القبلية	التكوين العمراني المندمج ارتفاعات المباني التوزيع الداخلي للمبنى فتحات الأبواب	التقارب والتآلف الاجتماعي ضمان عدم التعدي على خصوصيات الجيران تحقيق الخصوصية التامة للأسرة
المؤثرات الحضارية الخارجية	التأثير الاقتصادي والسياسي	الطابع المعماري العام	تأثر العمارة المحلية بالطرز والزخارف والنقوش المعمارية الموجودة في المناطق الأخرى

الفصل الثاني

الدراسة المعمارية

جرت العادة أن تصنف العمارة من حيث الوظيفة إلى دينية ودفاعية ومدنية، وفي الغالب تجتمع هذه الأصناف في تجمع عمراني واحد كالقصر، لتؤدي الوظيفة السكنية والاقتصادية والدفاعية والدينية. وسنحاول في هذا الفصل أن نخضعها لدراسة تاريخية ومعمارية وطرح مجموعة من الإشكالات المتعلقة بها، وتحليل أبرز عناصرها المعمارية، رغم صعوبة هذه المهمة، نتيجة لما لحق بعضها من تحويرات بفعل قلة الوعي بحساسية التعامل مع هذا الإرث، وما طبع معظم أعمال الترميم المتلاحقة من ارتجال.

I- العمارة الدينية

تشكل المنشآت الدينية أهم مظاهر التراث المعماري بمنطقة تافيلالت لما تتميز به من غنى كبير على المستويين الكمي والكيفي، ولما لها من دور هام في توجيه وتنظيم المجتمع، إذ تتمتع بالإحترام والتقديس من طرف الجميع، وتتمثل المنشآت الدينية في المساجد والزوايا والمزارات والأضرحة والمقابر.

1- المساجـد: الخصوصيات المعمارية والسمات الفنية

تعد المساجد من أهم معالم العمارة الدينية بقصور تافيلالت، فهي بيوت الله التي يذكر فيه اسمه؛ ومن ثم كانت لها قدسيتها التي ميزتها عن باقي المباني بالقصر، والجدير بالملاحظة أن عمارتها بسيطة بعيدة عن التكلف والتعقيد، فهي تترجم بساطة أهلها في عيشهم ومنها تنطلق الأزقة والدروب في كامل النسيج العمراني للقصر، إلا أنها لاتحتل الموقع المركزي في أغلب القصور، باستثناء تلك التي تتميز بكبر مساحتها، كقصري: أبوعام وتابوعصامت، فالأخير اعتبره الوزان بمثابة مدينة ونعته باسم مدينة تافيلالت[540].

وبالرغم من موقع المسجد في مدخل غالبية القصور إلا أنه يشكل مركز الثقل ونواته الأساسية في تخطيطه، وحوله تتبلور التجمعات السكنية وتنتهي إليه أزقتها، كما يمتلك خاصية هيكلة النسيج العمراني، فمن حوله تتبلور التجمعات السكنية وتنتهي إليه أزقتها ودروبها، ويمكن أن يكون اختيار موضع المسجد بالقرب من المدخل مرتبطا

540 -Meunié, Le Maroc saharien, op, cit, p 455.

بطبيعة حياة المجتمع الفيلالي، تلك الطبيعة التي تجعل النشاط اليومي للسكان محصورا بين الدار والمسجد والبساتين التي تمتد خارج أسوار القصر، ووفقا للنظام الإسلامي فإن المسلم يصلي خمس مرات في اليوم وفي أوقات محددة، فبعد صلاة الفجر في الصباح الباكر يذهب الرجال للعمل في المزارع، وعند الظهر يذهبون للمسجد لأداء صلاة الظهر تم يعودون إلى منازلهم لتناول وجبة الغذاء وأخذ قسط من الراحة حتى آذان العصر، وبعد تأدية الصلاة يذهبون مرة أخرى للعمل حتى آذان المغرب، وقد توافق موقع المسجد في مدخل القصر مع هذا النشاط، حيث إن هذا الموقع يخدم بسهولة كل من هو داخل القصر وخارجه على حد سواء. كما أن انقسام المجتمع في منطقة تافيلالت إلى قسمين: مستقرين ورحل، ولما كانت المساجد بيوت الله لا يمنع المسلم من دخولها، فإن اختيار موضع لها في مدخل القصر كان من شأنه تسهيل ارتفاق من هم خارج القصر دون الولوج إلى الداخل، وفي هذا ما يحقق الخصوصية، وفيه أيضا ما يؤمن تأمينا واقعيا من أي شر قد ينتج عن معرفة الأجانب لأزقة القصر وأسواره، تلك المعرفة التي قد تكون عونا لهم في أي وقت يفكرون فيه بالإغارة على القصر، وهو ما كان يحدث كثيرا في فترات الفتن والقلاقل. فما هي المكونات المعمارية لمساجد القصور؟ وما علاقته بعمارة المساجد في المغرب؟ وما هي خصوصياتها المحلية؟

1-1. الوصـــف المعمـــاري

- **التصميم العام والمقاسات**

تعتبر مساحة مساجد القصور صغيرة إذا ما قورنت بمساجد المدن، فهي تشغل مساحة أرضية تتناسب مع حجم القصر وعدد سكانه، وتتخذ أشكالا مختلفة، منها المستطيلة عرضها أكبر من عمقها، أو المستطيلة عمقها أكبر من عرضها، إلا أنها على مستوى التنظيم الداخلي متشابهة، إذ تنقسم كلها إلى عدة بلاطات موازية لجدار القبلة تتراوح بين بلاطين في القصور الصغيرة وستة بلاطات بالقصور الكبيرة.

ومن خلال الزيارة الميدانية لجوامع قصور المنطقة أمكننا الوقوف على نمطين من المساجد بواحة تافيلالت:

-الصنف الأول: يشبه في تفاصيله المعمارية والزخرفية مساجد المدن العتيقة، إذ اتبعت في تخطيطها المساجد ذات الأعمدة والدعامات، بالإضافة إلى وجود الصحن والأسقف بالبرشلة.



صورة رقم (9): تظهر سقفا بالبرشلة بمسجد قصر مزكيدة

المصدر: تصوير الباحث 2008

- **الصنف الثاني** وهو الأكثر انتشارا بالمنطقة، وهو عبارة عن مساجد ذات سقوف مستوية، تقوم على صفوف منتظمة من العقود تسير بشكل مواز لجدار القبلة، وهي تقسم بيت الصلاة إلى عدة أروقة، لها سقوف مكونة من سيقان النخيل وجريدها، بينما لا تتوفر على صحن أو فناء مكشوف.



صورة رقم (10): تظهر سقفا مستو من الخشب مستقيم

المصدر: تصوير الباحث 2008

جدول رقم (6) : مقاسات بعض المساجد بالمنطقة

المسجد	الشكل	عدد البلاطات	عدد الاساكيب
قصابي مولاي الشريف	مستطيل	4	3
مزكيدة	مستطيل	5	3
تابوعصامت	مستطيل	5	6
الدار البيضاء	مربع	5	4
أولاد رحو	مستطيل	6	4
قصبة أبي القاسم الزياني	مستطيل	5	4
قصر ابار	مستطيل	5	3
اولاد عبد الحليم	مستطيل	5	3
قصر الفيضة	مستطيل	5	3
قصر اخنوس	مربع	5	5

2-1. المكونـــات المعماريـــة

❖ **الطابق الأرضي**: ينقسم إلى ثلاثة أقسام تؤدي وظائف تعبدية وعلمية.

* **قاعة الصلاة ومكوناتها:** يطلق عليها محليا "بيت الله" وهي القسم المركزي للمسجد الذي يستخدم للصلاة وتلاوة القرآن وترديد الأذكار، والقاعات بهذه المساجد مساحتها صغيرة، ويعزى ذلك إلى ضعف الكثافة السكانية خاصة من الرجال في القصور.

وتتخذ هذه المساجد أشكالا مستطيلة، عرض بعضها أكبر من عمقها. وأخرى عمقها أكبر من عرضها وتتمثل في نموذج قصبة أبي القاسم الزياني، الذي يصل طوله إلى 38 مترا وعرضه 15 مترا.

وتتفاوت فيها عدد البلاطات المكونة لقاعة الصلاة من مسجد لآخر حسب أهمية البناء وحجمه، وتحدّ هذه البلاطات صفوف من الأقواس تتكون من سلسلة من العقود على شكل حذوة فرس منكسرة، ترتكز على سواري مربعة أو دائرية أو مثمنة. كما توجد بالمنطقة مساجد تحتوي على قاعة للصلاة شبيهة بالطابق السفلي للمنازل، ويغيب فيها الصحن، وهي ذات سقف محمول على سواري مبنية بالطوب. ولعل التحول الذي طرأ على مساجد قصور المنطقة، من تجديد وإعادة بناء[541]، يحد من إمكانية استجلاء مراحل تطور تصاميم هذه المساجد.

وعلى غرار مساجد المدن المغربية اشتمل بيت الصلاة ببعض المساجد على أهم العناصر التي تشكل ثوابت المسجد الإسلامي وأهمها:

- **الصحن:** ظهر الصحن في عمارة بعض المساجد بمنطقة تافيلالت كضرورة معمارية نظرا للحرارة الشديدة بالمنطقة، حيث يؤدي هذا العنصر دوره في تلطيف الجو وإضاءة المسجد. لكن الملاحظ أن غالبية جوامع قصور المنطقة تخلو من الصحن.

[541] - من أمثلة ذلك، تدمير المسجد الأصلي في قصر الشرفاء رغم كونه كان جميلا كبيرا، واستبداله بقاعة عادية شيدت من الاسمنت ووضع عليها طلاء دون أي زخرف، أما المئذنة الهرمية الشكل فقد شيدت بدلها مئذنة ضخمة يبلغ علوها 14 متر، ينظر: سليمة الناجي، تراث مقدس مهدد بالضياع المصليات الصغيرة والمساجد والزوايا في جنوب المغرب مقترح طريقة للتدخل، ضمن خصوصيات معمار المساجد بالمملكة المغربية، ص 99.

- **المحراب:** هو الحنية أو التجويف في جدار القبلة[542]، وهو العنصر المعماري الذي يدل المصلين على اتجاه القبلة، والملاحظ أن محاريب مساجد القصور الفيلالية بسيطة في شكلها، تتوسط جدار القبلة، وهي محاريب مجوفة تجويفا نصف دائري تركيبتها الهندسية بسيطة، تغطيها في غالب الأحيان قبة صغيرة. وهي تنتمي لتصاميم المحاريب المكسورة الزوايا.

ويمكن القول من خلال واجهات المحاريب بقصور المنطقة أنها ذات طراز موحد، وشكل تقليدي في هندسة مساجد المنطقة، إنها في الغالب واجهات تتجلى خطوطها الرئيسة في فتحة المحراب على شكل قوس ذي عقد أقرب مايكون إلى حذوة الفرس، أو منكسر تحدها في بعض الأحيان تقوسات على شكل عقد متعددة الفصوص.

يؤدي المحراب وظيفة تمديد صدى قراءة الإمام، وكذا توفير حيز مجالي لإضافة صف من المصلين خلف الإمام لأنه يشغل صفا كاملا مع المصلين في غياب المحراب. وكان هذا المكون المعماري محل عناية من طرف الصناع الذين تفننوا في بنائه وتزيينه بالنقوش المحفورة على الجبص وكتابة بعض الآيات القرآنية والأذكار على جوانبه.



صورة رقم (11): الاهتمام الكبير بزخرفة محاريب المساجد بقصور تافيلالت

المصدر: تصوير شخصي، 2008

[542] - يحيى وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الجزء الثاني، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص11.

*** قاعة الوضوء وملحقاتها**

يشكل هذا القسم أول المرافق التي نواجهها بمجرد ولوج باب المسجد، وهو مخصص للطهارة وهو بدوره مقسم إلى أجزاء صغيرة، منها ما هو مخصص للوضوء ويسمى "المياضي" أو "المطاهر"، وقسم لوضع مستلزمات الوضوء من أواني وحطب التدفئة.

- **المياضي:** عبارة عن قاعة صغيرة للوضوء، تشتمل على مكان لوضوء المصلين وآخر لتسخين الماء، توضع فيها الأدوات المساعدة على ذلك "كالسطلة"، و"الحلاليب"، بالإضافة إلى المغسل والنعش الخاص بأموات القصر.

وتتخذ قاعة الوضوء عدة أشكال بقصور تافيلالت يمكن أن نميز فيها بين نوعين:

- **القاعة ذات التصميم المستطيل**: تتكون من مراحيض في أحد جوانبها أو في كليهما، بينما توضع في المكان الفارغ مقاعد يجلس عليها المتوضؤون.
- **القاعة ذات الشكل المربع:** يتوسطها صحن صغير يشتمل على بئر تحيط به مراحيض ومجموعة من المقاعد.

- **البئر**: اعتمد سكان القصور بصفة عامة على مياه الآبار اعتمادا أساسيا في حياتهم، فكانت تستعمل لإمداد المصلين بماء الوضوء، كما تزود سائر سكان القصر بالماء، خاصة أولائك الذين لا يتوفرون على بئر داخل دورهم، كما يستفيد من مائها المارة وترتوي منها الدواب عبر مآجل تبني في الزقاق أو الساحة العامة يتدفق إليها الماء عبر ثقب في الحائط المحاذي لمكان وجود البئر. وعند حفر البئر يراعى في اتساعه ما يشغله طي البئر بالحجر من الجوانب المختلفة، وكذلك إمكانية استفادة الرجال والنساء من مياهه عبر وضع حاجز يمنع رؤية بعضهما البعض، ويسمح للطرفين من استغلال مياهه من جهتين متقابلتين. (الصورة: 12).

- **الخرابيش:** هو مكان للاستحمام بالنسبة لسكان القصر من الرجال، يضم مجموعة من الغرف الصغيرة التي ترتفع ببعض السنتمترات عن المياضي ليختلط ماء الاستحمام بماء الوضوء ويتم تصريفه إلى خارج القصر عبر قنوات أرضية، خصوصا أن وجود المسجد قرب مدخل القصر يساعد على ذلك في غياب قنوات التطهير داخل القصر.



صورة رقم (12): بئر بمسجد والطرق التقليدية لاستخراج وتسخين الماء
المصدر: تصوير الباحث 2008

تجدر الإشارة إلى أن قصور تافيلالت لا تتوفر على مجاري لصرف المياه المستعملة كما هو الشأن بالمدن الأصلية، بل كان يتم هرقها في السطوح أو في الأزقة خصوصا وأن كمياتها قليلة وأن ارتفاع درجات الحرارة يساعد على نفاذها بسرعة.

وقد تطلق تسمية الخربيش على المجال المخصص لتعليم الأطفال وتحفيظهم القرآن أو كمحل لمبيت المرتبين[543] وأيضا على المحل الذي يوضع فيه حطب المسجد وكل الأدوات الأخرى لاسيما البالية منها (الحبال، الجرارة، الحصير ...) وهو مجال خاص بالمؤذن. هذا ما نستشفه من الشرط 244 من شروط اتفاق قصر الكارة. جاء في الشرط: "وأما من رفد الحطب في خربيش المؤذن فنصافه مثقال"[544]. لم تكن مساحة الخربيش المخصص للاستحمام كبيرة، بل كانت تتسع لشخص واحد، إذ لم يتجاوز عرضها مترا واحدا، بطول 1.5 متر و1.8 متر من الارتفاع. وقد منعت الأحكام الفقهية التدلك بخرابيش المسجد. ورد في نوازل ابن هلال في رده عن سؤال: "هل يجوز التدلك بخرابيش المسجد، فقال: لا يجوز التدلك للمغتسل بجدار المسجد وإن ليس جيرا"[545].

543 - عبد اللوي، مدغرة، م س، ج 1، ص 235.

544 -Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 264.

545 - نوازل ابن هلال، م س، ص 212.

❖ **الطابق العلوي:** يتم الوصول إلى سطح المسجد عبر درج يقع غالبا يمين الداخل إلى المسجد، والواضح أن المساجد بقصور تافيلالت تتوفر على سطحين: الأول يغطى الخربيش وقسم الطهارة وهو أقل ارتفاعا، وعليه تبنى غرفة لتعليم الأطفال تستعمل في الدروس الصباحية، ويصعد إلى السطح الثاني بواسطة سلاليم أخرى يتم بناؤها في الزاوية اليمنى من السطح الأول وتؤدي إلى السطح الذي يغطي قسم الصلاة.

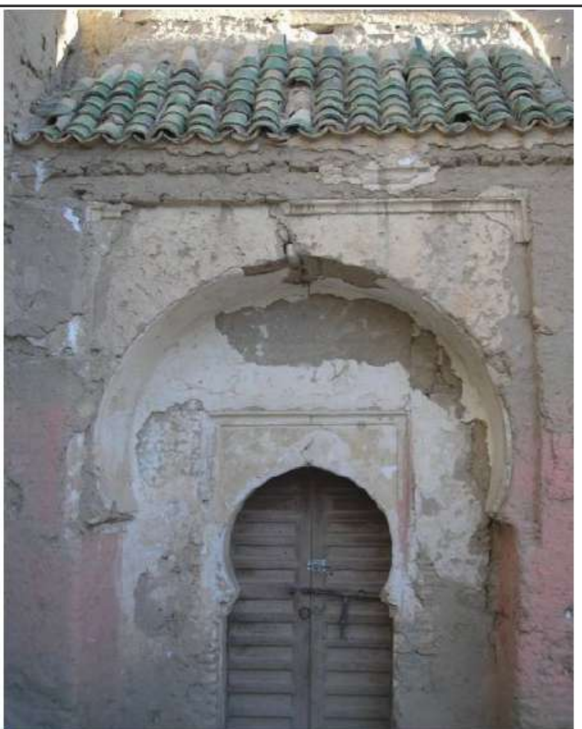
ويستغل سطح المسجد الذي يعلو بيت الصلاة لأداء الصلوات المسائية أيام الصيف، والآذان للصلاة وقد أحيط بسترة لمنع كشف الدور المجاورة، كما يقام فيه أحيانا محراب لتحديد جهة القبلة.

ومنعت الأحكام الفقهية استغلاله للمصلحة الخاصة، فقد أفتى ابن هلال بعدم جواز نشر التمر في سطح المسجد[546]، ونادرا ما نجد الصومعة في مساجد قصور تافيلالت، فمن خلال الزيارة الميدانية لم نعاين نماذج كثيرة منها، ومن أهم تلك النماذج: صومعة قصر تاغنجاوت، وقصر تابوعصامت، وقد اتخذت هذه الصوامع شكلا مربعا مشيدا من الآجر المحلي يتخللها درج.

لا نستبعد أن تكون ندرة الصوامع بمساجد المنطقة مرتبطة بمنع ضرر الكشف، بسبب علو أسطح المنازل في مستوى علو سطح المسجد، وتجنبا لكشف المؤذن للأسطح - وهو المجال المخصص للنساء - تم الاستغناء عنها، كما أن صوت المؤذن يمكن أن يصل الى كل أرجاء القصر لصغر مساحته مقارنة بالمدن.

وفي غياب المآذن، كانت تتميز المساجد بالنسبة للزوار بمواقعها ومداخلها الرئيسة الضخمة، إذ نلاحظ على مستوى هذه الأبواب أنواعا مختلفة من الأنماط ذات الطابع المغربي.

[546]- نفس المصدر، ص 124.

صورة رقم (13): تظهر تميز مدخل المساجد بالقصر مقارنة بمدخل المنازل
المصدر: تصوير الباحث 2008

وبصفة عامة، فالمتتبع لعمارة المساجد في المنطقة يلاحظ:

- تعدد المستويات التي يمكن أن تستغل في العبادة، مما يوفر إمكانية تغيير موضع الصلاة من فترة إلى أخرى وفق الظروف المناخية، التي تحدد بشكل واضح كثيرا من مظاهر النشاط في حياة مجتمع القصور.

- البساطة المعمارية لهذا النمط من المساجد وهو دليل تمسكهم الشديد بتعاليم الإسلام التي تدعو إلى البساطة.

- من بين العناصر ما هو مرتبط بعمارة المصلين للمسجد أثناء إقامة الصلوات أو في الأوقات الأخرى للدرس أو قراءة القرآن.

- وصف نموذج من المساجد

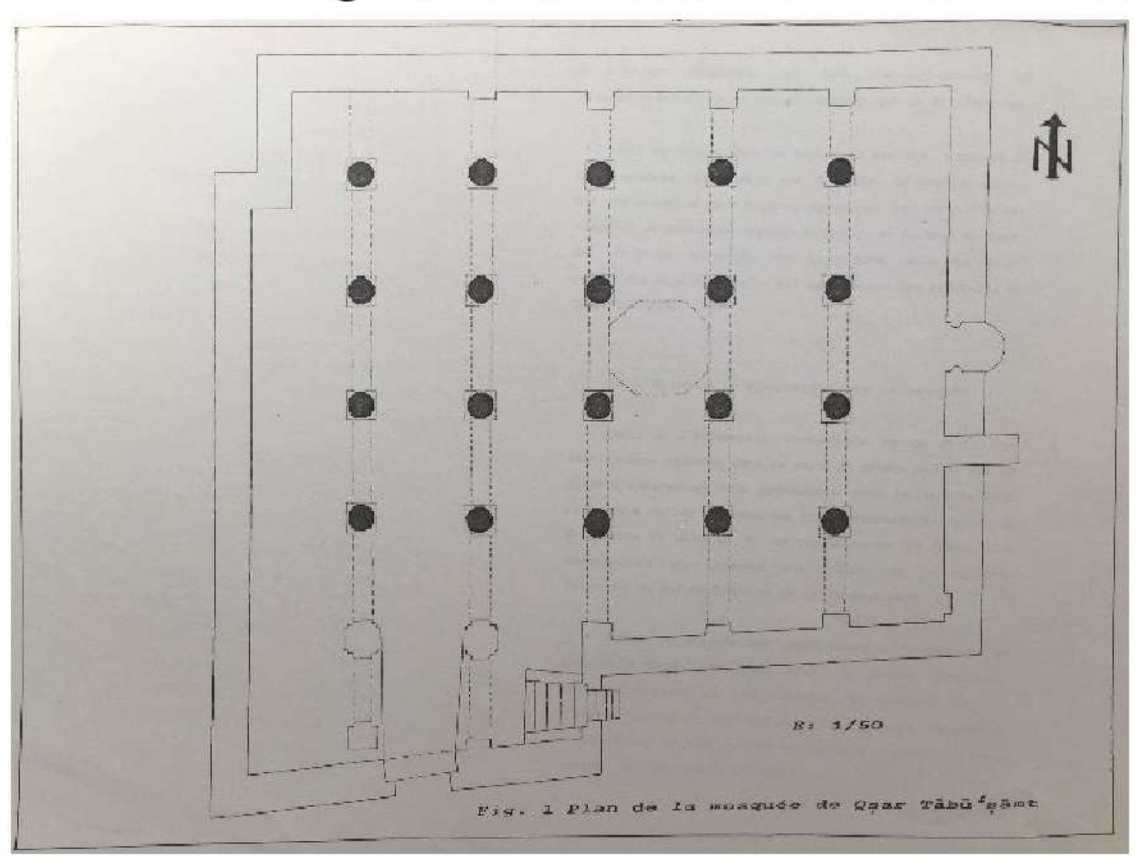
يعد مسجد قصر تابوعصامت من أقدم المساجد بالمنطقة، وهو لا يزال يحتفظ بمعظم معالمه الأصيلة رغم ما أصابها من تدهور. يتكون هذا المسجد الذي يتوسط المكونات العمرانية للقصر من المرافق التالية:

- أروقة مغطاة تؤدي إلى بيت الصلاة وبيت الوضوء.

- بيت الصلاة ذات الشكل المستطيل، طولها أكثر من عرضها، مكونة من ستة بلاطات وخمسة اساكيب، ومنبر ومحراب، فضلا عن قبة اهليليجية الشكل تتوسط قاعة الصلاة، أما الأقواس فهي منكسرة ومشيدة من الحجارة.

- الصومعة توجد بالركن الجنوبي الغربي من قاعة الصلاة، تتخذ شكلا مربعا وهي مشيدة من الآجر المحلي على أساس من الحجارة. تعرضت حسب الرواية الشفوية للهدم خلال المرحلة الاستعمارية، لتعوض بأخرى مبنية بالإسمنت.

- المدرسة وتوجد في الجهة الشرقية للمسجد، وتتكون من غرفتين تستعملان لإيواء الطلبة من حفظة القرآن (المرتبين) الذين يأتون من خارج المنطقة.

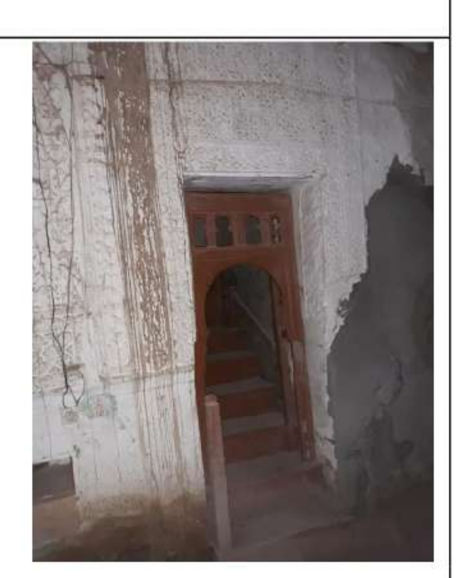


شكل رقم (4): تصميم مسجد قصر تابوعصامت

المصدر:

Chalkhoun, Épigraphie monumentale des oratoires et palais de sud –Est Marocain, p 432






صورة رقم (14): مسجد قصر تابوعصامت من الداخل

المصدر: تصوير الباحث 2008

2- الخصائص المعمارية والزخرفية

إن الدراسة المعلمية لمساجد قصور تافيلالت توضح عددا من خصائص هذه العمارة، لعل أهمها: بساطة النمط والأسلوب المعماري، فهي في عمومها بنايات بسيطة في هيئتها العامة، وفي مظهرها الخارجي، انسجاما مع النموذج الأصلي للمسجد الذي بناه الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقد يكون سبب ذلك تقاطعها معه مناخيا وحضاريا، لأن الشكل المعماري يتحدد تبعا لاعتبارات روحية وفنية ومناخية وغيرها، وهي نفسها - تقريبا- التي توفرت بالمجالين. كما أن العناية التي كانت تحظى بها

والترميمات المتوالية من طرف السكان جعلت بعضها يفقد الكتابات المعمارية المنقوشية التي كانت ستساعدنا في التأريخ لها. ولعل ما يسترعي الانتباه أيضا في هذه المساجد كون مخططاتها لاتخضع لنفس التصميم، وقد يرجع ذلك لاختلاف تصاميم القصور أو لبعض التحويرات التي قد تكون طرأت عليها، لكنها رغم كل ذلك تظهر امتدادا لأنماط العمارة الدينية بالحواضر المغربية.

ومن خصائص هذه العمارة أيضا هيمنة الشكل المستطيل، ويلاحظ أن طريقة ترتيب البلاطات متعامدة مع جدار القبلة، وبعضها يتكون من قاعة واحدة دون صحن، فيما يتكون بعضها الآخر من جزئين: صحن مكشوف وبيت الصلاة.

ومن الملاحظ أيضا غياب المئذنة في العمارة الدينية بقصور تافيلالت لعدم حاجة الناس إليها، لأن مساحة القصر صغيرة مقارنة مع مساحة المدن، ولعدم حاجة سكان القصر لأدوارها الدفاعية كما كان عليه الأمر بقصور وادي مزاب حسب ما افترضه "مارسيه"[547].

وتزين بعض مساجد قصور تافيلالت بعناصر هندسية ونباتية وخطية، تشكل لوحات فنية بديعة لها حضورها داخل العمارة الطينية بتافيلالت، وتحمل آيات قرآنية وأذكار نقش أغلبها على الجبس. لكن هذه الكتابات لم تنج من التدهور والتآكل، شأنها شأن التراث المعماري للمنطقة، إذ عانت من مسلسل التدهور الناجم عن قلة العناية والصيانة والتدخلات العشوائية للإنسان ومختلف عوامل التعرية. وقد وقفنا على جملة من الكتابات المتآكلة جزئيا، كما أن كتابات أخرى خضعت لعمليات الترميم بطريقة غير محكمة، وطمست كتابات أخرى بفرشات من الجير.

3- الأضرحـــــــة

سمحت لنا الزيارة المتكررة لمجال الدراسة بالوقوف عن كثب على عدد كبير من المزارات و الأضرحة التي تشكل جزءا من النسيج العمراني لمنطقة تافيلالت، وهي تنتشر في مقابرها وحقولها وداخل قصورها بأحجام وأشكال مختلفة، استمر بعضها في ممارسة

[547]- Mercier(Marcel), "Note sur une architecture berbere saharienne", Hesperis, 1928, Tome VII, p 414

نفس الأدوار التي مارسها الصلحاء قيد حياتهم، وتبين أن ذلك مرتبط بمسألة "حيوية البركة"، فبركة الصلحاء - حسب زعم البعض - تصلح لحل المشاكل المستجدة، فهي تساير متطلبات العصر، وتستجيب للرغبات الجديدة. ومن المزاعم الأخرى أيضا: ما تنقله بعض الروايات من كون بركة الصلحاء قد قُضيت بها بعض الحاجات، وشفيت بها بعض الأمراض، بل وحُقّقت بها بعض الرغبات.. وبالطبع، نحن لا نؤيد هذا، لأنه من وجهة نظر اجتماعية؛ يرتبط "بالخرافات الشعبية" المتوارثة، أما من وجهة نظر دينية؛ فهو يرتبط بخوارم العقيدة الصحيحة للإسلام، المبنية أساسا على "التوحيد" الخالص، والذي يحرم بمقتضاه الاستغاثة بغير الله عز وجل في قضاء الحاجات، لأن ذلك يوقع في مغبّة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله تعالى، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء، بنص الآية الصريحة: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**"[548].

وتنتسب هذه الأضرحة لأشخاص لهم منزلة دينية رفيعة عند الناس، والبعض الآخر لأشخاص تبوؤوا مراكز اجتماعية وعلمية مهمة، فقد عرف أهل المنطقة بالعلم والصلاح، فلا تكاد تجد قصرا من قصورها إلا وقد مر به من العلماء والصلحاء وأهل الفضل وطلبة العلم والقرآن ما لا يحصى كثرة ولا ينحصر بعدد، والغالب على أهلها التواضع والسكينة والوقار وطلب العلم والآداب، ولهم اليد الطولى في تجويد القرآن وضبط مخارج الحروف وقراءة الروايات السبع والتفقه في سائر العلوم[549].

ومن أعلام تافيلالت في مجال العلم والصنائع نجد عددا من الأسر والبيوتات المشهورة بنتاجها العلمي والفكري، كاسرة آل القاضي[550]، وأسرة التاجموعتيين[551]، وهناك

---

[548] - الآية: 48، سورة النساء.

[549] - الفضيلي، الدرر البهية، م س، ص 64.

[550] - يعرفون بأولاد السبع، اشتهرت هذه الأسرة بامتهانها خطة القضاء التي تعتبر من المهن المربحة ماديا ومعنويا نظرا لارتباطها بالسلطة من جهة وبمصالح الناس من جهة ثانية، والى جانب رياسة القضاء فقد اشتهرت هذه العائلة بالرياسة العلمية التي تعتبر أيضا من أسباب الترقية الاجتماعية إن لم نقل أهمها. انظر: - سعيد واحيحي، مهدوية ابن أبي محلي الفيلالي ومخطوطه "تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة"، الطبعة الأولى،2009 ص 56-57.

[551] - من الأسر العظيمة التي عرفتها منطقة تافيلالت فقد كان بيتهم بيت علم ودين وحداقة وفهم.

- العباس ابن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش، ج8، م س، ص 362.

أيضا أسرة البوعصاميين[552]. التي برز فيها العديد من العلماء الأخيار، نالت شهرتهم جميع الأقطار، بفضل ما خلّفوه من تراث ثقافي مهم، ومشاركة في جميع فنون العلم[553].

وقد استمرت تافيلالت في احتضان رواد الفكر خلال نهاية القرن 19م/13هـ، فبرز فيها علماء وفقهاء تركوا بصمات مهمة في المجتمع الفيلالي، ومنهم: الفقيه محمد بن أحمد التينغراسي الشادي. ازداد بقصر "تنغراس" جنوب غرب تافيلالت، وتوفي بمراكش في أواخر القرن 19م/13هـ، ويعتبر من أهم أتباع الزاوية الغازية، لأنه تتلمذ على يد شيخها الورع سيدي الغازي بن العربي، وأخذ عنه العلم والفقه والتصوف[554].

ولعل الأضرحة التي نجدها في مداخل القصور وفي المقابر ووسط الحقول الزراعية، خير دليل على المكانة التي كان يحظى بها هؤلاء عند سكان المنطقة، وقد ساهمت بدورها في ترصيع النسيج العمراني للمنطقة.

3-1. الأدوار العامة للأولياء والصلحاء بمنطقة تافيلالت

- **الدور الديني والثقافي**

بحكم بعد قصور تافيلالت عن الحواضر العلمية، اضطلع الأولياء بدور ديني بالغ الأهمية، تجلى في نشر تعاليم الدين الإسلامي، والدعوة إلى الحفاظ على السنة ومحاربة البدع، ويطالعنا في تراجم هؤلاء ما يفيد أنهم كانوا قدوة وموجهين لسكان المنطقة بل إن بعضهم عد من العلماء.

فأبو العباد أحمد الحبيب كان يقيم جلسات العلم بزاويته، وكان من أبرز علماء عصره، وتخرج على يده العديد من العلماء الذين سطع نجمهم في هذا الميدان، أمثال أحمد بن عبد العزيز الفلالي[555]، وأحمد بن مبارك السجلماسي[556].كما أسهم صلحاء تافيلالت في إنعاش الحركة الفكرية، عبر تكوين شخصيات تقلدت سلك القضاء، كالمداني بن امبارك العزفي

[552] - نفسه، ص 318.

[553] - واحيحي، سجلماسة/ تافيلالت، م س، ص 306.

[554] - تاوشيخت، الأوضاع العامة بتافيلالت، م س، ص37.

[555] - أديب وناظم وكاتب، شيخ وقته وإمام عصره، تولى خطبة الكتبية عند الأمير مولاي احمد بن محرز فكان كاتبا له، له مشاركة في معرفة الأنساب والتاريخ والأخبار والمغازي والسير وفهم السياسة وطبائع الملوك توفي عام 1088هـ/1677م.
- القادري، نشر المثاني، م س، ج2، ص 222-223.

[556] - سليمان الحوات ابن الربيع، الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، تحقيق عبد العزيز بن عبد القادر التيلاني، مؤسسة أحمد بن سودة، 1994، ج 1، ص 290.

قاضي قصبة مراكش[557]، ومحمد بن عبد الرحمان المدغري الذي درس بقصر أمسيفي وتولى القضاء بفاس أيام السلطان مولاي عبد الرحمان[558]. وأعدل القضاة الذين عرفتهم سجلماسة: محمد أمين بن حماد السلجماسي (توفي 1196هـ)[559]، وكذلك علي بن عبد العزيز السجلماسي المتوفى سنة 980هـ، وابن بكر بن الحسن القطاني، ومحمد بن عبد الله السيد الحسني المتوفى سنة 1072هـ، الذين كانوا علماء بالقصبة السجلماسية إبان العصر السعدي[560].

- الدور الاجتماعي

من خلال بعض الإشارات المصدرية والرواية الشفوية، يمكن أن نستجلي بعض ملامح الدور الاجتماعي الذي اضطلع به الأولياء والصلحاء بمنطقة تافيلالت، سواء في حياتهم أوبعد مماتهم. فقد كانوا يقومون بدور الصلح والتحكيم في النزاعات والوساطة بين الناس في مجال كان المخزن فيه ضعيف الحضور، كما كان لهم دور في تقريب الهوة بين الأحلاف القبلية[561]، وأشرفوا على تحرير عقود الصلح، وبذلك ساهموا في تأمين السبل وتوفير الأمن. وكان من عادة سكان القصور أثناء حدوث صراع حول الماء الاحتكام إلى ولي صالح يقبلون بحكمه، كما كان العوام يلجؤون إليهم كلما لحق بهم مكروه أو كارثة طبيعية، كالقحط أوالجفاف. واستمرت المكانة الاعتبارية لهذه الفئة بعد موتهم، فبنيت لهم مزارات يتبرك بها صنف مختلط من الزوار في أوقات معلومة من السنة أو طول السنة. وتحدد أهمية هذه المزارت - حسب زعم زوارها - بقدرة أصحابها على علاج الأمراض المستعصية.

وقد عاينا في زياراتنا الميدانية المتعددة أن هذه الأضرحة ماتزال مقصدا ومزارا للعديد من النساء للعلاج أو طلب الزواج أو الإنجاب. كما أن مزارات الصلحاء تؤدي اليوم لقاصديها من طالبي الاستشفاء وظيفة الترياق ضد القلق والتوتر، وتمنحهم الطمأنينة المنشودة، لأن التصوف وعالم الأولياء يساهم في خلق توازن نفسي وروحي للمعتقدين في بركة الصلحاء، وأن الارتباط بالصلحاء يشكل للبعض مبعثا للطمأنينة والطهر وملجأ آمنا من العناء والبؤس.

[557] - السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام، م س، ج 7، ص 236.
[558] - نفسه، ص 38.
[559] - محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، 1996، ج 7، ص 2424.
[560] - محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب إبان العصر السعدي، منشورات دار المغرب، 1978، ج 2، ص 528.
[561] - استيتيتو، م س، ص199.

2-3. جرد للأضرحة بمنطقة تافيلالت

❖ الأضرحة داخل القصور الفيلالية.

جدول رقم (7): الأضرحة بداخل قصور تافيلالت

اسم الولي صاحب الضريح	القصر الذي يوجد فيه	وظيفته	الفترة	ملاحظات
عبد الله الاصم[562]	كاوز	الإمامة	القرن6هـ	//
علي بن عبد الله بن الحسن	الغرفة	الإمامة	//	//
مولاي المهدي بن علي	أبار	الإمامة	//	تقام بضريحه الأمداح في الأسبوع الأول بعد عيد الأضحى.
سيدي الحبيب الوالي	أولاد الوالي	الشعر والمديح	//	//
المهدي محمد الصديق	أولاد الوالي	فقيه	//	//
سيدي يحيى	قصر الجديد	الإمامة	//	//
سيدي محمد بن قاسم	كاوز	الصلح	//	//
سيدي عيسى بن الحسن	ايرارا	التداوي	//	//
مولاي أحمد الذهبي	قصر مولاي أحمد الذهبي	التبرك	//	//
سيدي الزين	الغرفة	الإمامة	//	//
سيدي أمبارك بن عزي الغرفي السجلماسي[563]	امسيفي	الإمامة	11هـ	//

[562] - من أكابر الصوفية، تعرض للسجن بفاس أيام تاشفين بن علي، توفي عام 542هـ.
- أبو يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق أحمد التوفيق.ط.1.مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، 1984، ص 115.

سيدي محمد بن الحسن	حمو داود	//	//	//
عبد المالك باهيبة	تنغراس	//	//	//
سيدي بن موسى	تنغراس	الصلح	//	//
الحسين بن محمد بن إسماعيل	المنصورية	//	//	//
علي بن حسون	القصر الجديد	//	//	//
سيدي محمد الصديق	أولاد الوالي	فقيه	//	//
أبو العباس أحمد بن محمد	الفيضة	فقيه	؟؟	؟؟
أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الله	هارون	من كبار الصوفية	توفي 542هـ[564]	؟؟

❖ الأضرحة خارج أسوار القصور

وهي الأضرحة والمزارات التي تتخذ من المقابر العامة فضاء لها، أو توجد وسط الغابات والحقول، وهي في مجملها عبارة عن بناية صغيرة تعلوها قبة.

جدول رقم (8): الأضرحة خارج أسوار القصر.

اسم الولي صاحب الضريح	موقعه	وظيفته	الفترة	ملاحظات
الحسن بن القاسم الشهير بالداخل[565]	قرب قصر كريفود	التدريس	توفي عام676هـ/ 1278[566]	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة

563 - كان من أكابر العلماء ومن أعظم الأولياء، جمع بين العلوم الظاهرة والعلوم الباطنة، عالما عاملا، صاحب ورع وزهد وديانة، نظرا لشهرتها التي فاقت تافيلالت، فقد كانت قبلة للعديد من طلاب العلم، فتوافدوا عليه للتعلم، لكن أشهر تلامذته الشيخ الفقيه محمد بن زيان القندوسي 1145هـ1062-1650م-1735، الذي نصب نفسه للتدريس بزاوية شيخه حوالي 1075هـ-1663م، بعدما مكث عنده ما يناهز 20 سنة، ثم رجع إلى بلدته الأصلية قنادسة جنوب غرب بشار.
- محمد بن الطيب القادري، نشر المثاني، م س، ج2، ص 250.

564 - ابن الزيات، التشوف، م س 153-154

مولاي محمد بن الحسن الأقواس	مدخل مدينة الريصاني	التبرك	////	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
مولاي الحسن ولد سيدي محمد	مقبرة أبو عام	التبرك	////	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
عبد العزيز بن عبد الحليم	مقبرة أبو عام	صوفي	////	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
مولاي امحمد بن الشريف	قرب سيدي بوزكري	التبرك	////	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
سيدي محمد البرنيسي	قرب قصر الفيضة	طلب الوساطة في الزواج	////	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
مولاي الحسن الشريف	بغابة المصلح	التبرك	ق.7هـ	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
مولاي عبد المومن	قرب قصر كاوز	التداوي	ق.5هـ	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
سيدي بوزكري	قرب الحاج هارون	ولي صالح	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
سيدي علي بن أحمد	قرب قصر أولاد ليمام	التبرك	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
سبع عرسان	قرب قصر الحاج هارون	//	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
مولاي قاسم	قصر صوصو	//	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة

[565]- أجمعت المصادر التي تحدثت عن حياته على انه إمام وعالم وصالح زاهد، وأول من ادخل علم البيان والأصول إلى سجلماسة.
- الفضيلي، م س، ج1، ص 96-97.
- الناصري، م س، ج7، ص 6-7.

[566] - الفضيلي، م س، ص 97.

عبد العزيز المغراوي	بمقبرة قصر امسيفي	زجال	عاش في النصف الثاني من القرن 10 وأول 11هـ	توفي مقتولا سنة 1014هـ ـ من طرف أحد إخوته[567]
سيدي فلح	غابة لبطرني	//	//	يتبرك به الناس من الجنسين طوال السنة
أحمد بن عبد العزيز الهيلالي	أولاد ويلال	فقيه	توفي 1176هـ 1761م[568]	يزار سنويا من طرف حفدة الوالي للتبرك
سيدي ابو بكر التوجي	قصر القصيبة	//	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
الطالب بن العربي	دار مولاي الطالب	//	//	عبارة عن بناية عادية، يتبرك به الناس طول أيام السنة
سيدي موسى البرنيسي	غابة قصر الفيضة	ولي صالح	//	يزوره النساء الراغبات في الزواج ليلة الأربعاء من كل أسبوع

[567] ـ الفاسي، ترجمة شعراء لملحون، م س، ص 259.

[568] ـ تاوشيخت، "تافيلالت في عهد السلطان مولاي الحسن الأول من خلال رسائل مخزنية ووثائق فرنسية"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة السابعة، الشطر الأول، ص 175.



صورة رقم (15): نماذج لأضرحة ومزارات خارج أسوار قصور تافيلالت

المصدر: تصوير شخصي 2008

من خلال ما سبق يمكن أن نخرج باستنتاج أولي مفاده أن تافيلالت مجال للأولياء والصالحين بامتياز، وذلك بالنظر إلى كثرة الأضرحة المجتمعة أحيانا في مكان واحد، أوالمتقاربة في غالب الأحيان، والتي تتميز بتصميمها شبه الموحد.

3-3. الوصف المعماري للأضرحة

تتخذ الأضرحة شكل قباب، شيدها سكان القصور تخليدا لذكرى رجالاتهم من الصوفيين، وهي متشابهة في كل أنحاء المنطقة من حيث خصائصها الهندسية، وكانت القباب التي أقيمت للأضرحة الموجودة بالمنطقة تقوم على غرفة منفردة يتراوح طول ضلعها بين 4 و5 أمتار، تتميز بارتفاعها وزخرفتها، ويعتقد أن لارتفاعها أثر نفسي وديني يتعلق بشخصية المتوفى. وغرف هذه الأضرحة تحتوي في الغالب على مدخل واحد يصل ارتفاعه إلى 1,90 متر، وعرضه 1,20 متر، يتوسط أحد الأضلاع، وتقوم أغلبها على قاعدة مربعة الشكل.



تصميم الضريح من الداخل　　　　تصميم الضريح من الخارج

صورة رقم (16): تصميم ضريح مولاي الطاهر من الداخل

المصدر: تصوير الباحث 2008

تبدو هذه القباب من الخارج موضوعة على شكل مربع، أما من الداخل فمنطقة الانتقال من المربع إلى المثمن تتم بواسطة أربع حنايا ركنية، ارتفاعها يزيد عن ثلاثة أمتار على أرضية الغرفة، ليسهل بعدها تكوين دائرة ترتكز على رؤوس هذه الحنايا وعلى منتصف أضلاع المربع مكونة قاعدة للقبة، وتحلى القباب أحيانا بنقوش وزخارف تدل على ما وصل إليه إنسان المنطقة من مهارة في فن العمارة والزخرفة، كما تزين من الداخل بخطوط وأشكال هندسية.



صورة رقم (17): نماذج لقباب أضرحة تافيلالت
المصدر: تصوير الباحث 2008

II- العمارة الدفاعية

نظرا لأهمية الأمن في حياة السكان المستقرين بمنطقة تافيلالت، فقد عرفت قصور المنطقة - على غرار القصور الصحراوية ببلاد المغرب - منشآت تستجيب لمبدأ الدفاع عن النفس وحماية الأرواح والممتلكات من الإعتداءات الخارجية التي يمكن أن تهدد سلامتها واستقرارها، خصوصا في ظل الاضطرابات التي شهدتها المنطقة إبان فترات متعاقبة من الزمن. وبحكم موقع قصور تافيلالت في منطقة سهلية تفتقر للتحصين الطبيعي، فإن أول ما يفكر فيه السكان هو حماية أنفسهم وممتلكاتهم ببناء الأسوار

الشامخة والمدعمة بأبراج المراقبة، والمداخل الضخمة البادية للعيان في كل قصور الواحة.

هذه الصراعات يشير إليها ابن خلدون في معرض حديثه عن عرب معقل وإلى الحرب والفتن التي كانت تنشب بين سكان القصور، قال: "قام هؤلاء المعقل بعد تملك زناتة لبلاد المغرب في القفار وتفرقوا في البيداء، وملكوا قصور الصحراء التي اختطتها زناته بالقفر، مثل: السوس، توات، بودة، تامنطيت، واركلان...وكل هذه المدن وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخل وأنهار، وأكثر سكانها زناتة، وبينهم فتن وحروب على رياستها"[569].

وتشير المصادر التاريخية إلى نماذج من القصور المشهورة بتحصينها القوي، فقد ذكر الافراني أن: "قصر تابوعصامت حصن منيع من حصون سجلماسة"[570]، كما أشار الوزان إلى أن قصر "المأمون [قصر] كبير حصين كثير السكان"[571]. واختلفت صور التحصين من قصر لآخر، فهناك القصور التي كانت أسوارها في غاية البساطة، فقد ذكر "مارمول" أن بعض السكان كانوا يبنون أسوارا في غاية البساطة وبأقل ثمن[572]، وهناك القصور التي زودت بأسوار منيعة تدل على مدى الاهتمام بإنشائها، إذ زيد في علوها ومتانتها، كما زودت بممرات لسير الجنود وإطلاق النيران. ويرجع هذا الاختلاف إلى أهمية القصر، ومدى تعرضه للغارات الخارجية، حيث إنه متى كان محل أطماع قوية أوجاء في أطراف الواحة في سهل مكشوف اتخذ الوظيفة الدفاعية وزيد من درجة الإحكام والتحصينات الدفاعية. وفي بعض الأحيان كانت تنشأ أبراج للمراقبة والاستكشاف لتكون بمثابة نقاط دفاعية أولية تعرقل هجوم العدو قبل الوصول إلى أسوار القصر[573].

---

569 - ابن خلدون، كتاب العبر، م س، ج 6، ص 120، ولمزيد من المعلومات عن هذه القصور راجع الصفحات 133-134، 197-198، 199، 206.

570- الافراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، م س، ص 234.

571- الوزان، م س، ج 2، ص 126.

572- نفس المصدر والصفحة.

573- ثم العثور خلال جولاتنا الميدانية على نموذجين من هذه الأبراج بغابة مزكيدة.

وفي إطار الحاجة لإنشاء هذه التحصينات بسبب الاضطرابات والفتن التي كانت تعرفها المنطقة، فقد تعاون الأهالي على بنائها، وفي هذا المجال يقول الفرسطاني: "يبنون حائط قصورهم على قدر ما لكل واحد منهم من الأرض، فيكون حائط السور بينهم على قدر سهامهم من الأرض"[574]، وكانوا يشاركون مشاركة فعلية في إنشائها وترميمها كلما احتاجت إلى ذلك، وكانوا إذا ما لحق سور بلدهم ضرر وعجزوا عن إصلاحه، لا يترددون في طلب المساعدة من السلطان، فقد ورد في إحدى الوثائق الملكية ما نصه: "وصل كتابك معلما بأن صاحبك مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك سقط له ما قابل داره من سور بلدتكم بالوادي، كما سقط به البعض من داره وبقي باديا للصادر والوارد، ولابد له من بناء ذلك سترا لعرضه، وأنه تشوف لجانبنا الشريف بما يستعين به على ذلك"[575].

وتفيد تحصينات القصور التي ما تزال قائمة في الكشف عن المميزات العسكرية لها، والعناصر الرئيسة فيها، وعن الاختلاف في متانتها وأحجامها من قصر لآخر، واللمسات الفنية التي أدخلت عليها.

1- العناصر الرئيسية لتحصينات القصور

1-1. أسوار القصر: طريقة البناء والأسلوب المعماري

تشترك القصور والقصبات في منطقة تافيلالت في عدد من العناصر المكونة لعمارتها الدفاعية، مثل المداخل والأسوار والأبراج، إلا أن النصوص التاريخية التي اطّلعنا عليها لا تعير جانب التحصينات بهذه القصور أي اهتمام، باستثناء تلك التي أشاد فيها بعض المؤرخين بهذه التحصينات، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإفراني أن قصر تابوعصامت حصن منيع من حصون سجلماسة[576]، أو ما أشار إليه الوزان من أن قصر المأمون كان كبيرا حصينا كثير السكان[577]. في المقابل هناك قصور زودت بأسوار في

[574] - أبو العباس احمد الفرسطاني، القسمة وأصول الأراضي، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق بكير بن محمد ومحمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، القرارة، ط 3، 1997، ص 192.
[575] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 28290/ وثيقة رقم 11 بالملحق.
[576]- الافراني الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998، ص 234.
[577]- الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، م س، ج 2، ص 126.

غاية البساطة، فقد ذكر "مارمول" أن بعض السكان كانوا يبنون أسوارا في غاية البساطة وبأقل ثمن[578].

على كل حال، كانت الأسوار من الأولويات التي روعيت في بناء القصور، لما توفره من أمن للسكان، حيث دعمت بأبراج مزودة بشرفات ومزاغل[579]، ومنها ما احتوى على ممرات للحراس أو ما يعرف بالممشى[580] لتنقل الجنود وإطلاق النار، وتتخذ الأسوار بقصور تافيلالت ثلاثة مساقط؛ فالشكل عموما رباعي الأضلاع يميل إلى الاستطالة أحيانا وإلى التربيع أحيانا أخرى، كما يمكن أن نجد شكلا هندسيا غير واضح المعالم. وهذا ما خلصنا إليه من خلال الدراسة الميدانية[581]، وهي عكس الاستنتاجات والانطباعات التي تم التوصل إليها دون اعتماد أدوات تقنية، كتلك التي أشارت إلى أن غالبية القصور تميل إلى الشكل المستطيل[582].

ونميز في أسوار القصور بين نوعين رئيسيين: السور الذي يعتبر بناء قائما مستقلا عن الكتلة السكنية ويحيط بمجموع المساكن في امتداد دون انقطاع؛ كما هو الشأن بقصور الفيضة وابار وكل القصور والقصبات وغيرها. والنوع الثاني من الأسوار نجده ممثلا في الواجهات الخارجية للمساكن التي في أطراف القصر، مشكلة واجهة مصمتة عالية تقوم مقام جدار السور كما هو الشأن بقصر أولاد ليمام وقصر الجير وغيرهما. مما يعني أن المسكن بالقصر الفيلالي كان له طابع تحصيني من خلال ارتفاع جدرانه وواجهاته الصماء، وهو ما يعكس البعد الدفاعي لهذه المساكن. واللافت للانتباه أن استخدام أظهر

578- نفس المصدر والصفحة.

579-مزغل: فتحة ضيقة في سور المدينة أو القلعة أو الحصن أو البرج أو البوابة، تطلق منها الرماح والسهام وغيرها من
المقذوفات على المهاجمين، كما تستخدم أيضا للتهوية والإضاءة والمراقبة، فهي ضيقة من الخارج ومتسعة من الداخل، انظر:
- محمد عاصم رزقي، معجم المصطلحات، العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة، 2000، ص 277.

580- وهو الجزء الذي يسمح للجنود أو الحراس بالتحرك أعلى السور وبين أجزائه خلف الساتر.

581 - بحث ميداني مشترك مع مسلك الإجازة المهنية بجامعة شعيب الدكالي بالجديدة، وجامعة لاروشيل بفرنسا، سنة 2012، هم 102 قصرا.

582- Faure (Roger), Le Tafilalet, étude d'un secteur traditionnel d'irrigation, Paris, 1969,p 140

- انظر أيضا، لحسن تاوشيخت، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008، ج2، ص 436.

المساكن المسندة بالدعامات ظاهرة معمارية عُرفت كذلك في بعض قصور واحات بلاد المغرب، كقصور درعة وفكّيك، وكذلك في قصور الجنوب الليبي والتونسي والجزائري[583].

وتعتبر الأسوار لدى سكان القصور الفيلالية من المنشآت التي لايمكن لأي شخص مهما كان مستواه الاجتماعي أن يتسبب في إلحاق الضرر بها، فالأعراف المحلية حرصت على منع ذلك ومعاقبة المخالفين، فقد ورد في الشرط 11 من اتفاق قصر الكارة:" وأما من نقب (ثقب) في السور أو طلع عليه يعطي مائة مثقال، سوى من قتل أحدا في داخل القصر وثقبه ليخرج أو طلع عليه فلا شيء عليه"[584]. كما جعلت صائر الأضرار الملحقة بالأسوار على مرتكبيها؛ جاء في الشرط 310 من اتفاق قصر الكارة: "وكل من رمى ميزابه في السور فكل ما خسره فيه يصلحه للقبيلة"[585]، ومنعت أيضا كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأسوار القصر من ماء أو غبار؛ جاء في الشرط 332: "ومن جعل الغبار تحت السور فعليه خمس أواق[586] ويفرق بينهما"[587].

583- يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن، من القرن 10هـ /16م إلى 13هـ/19م، دراسة وصفية، تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر،2001-2002، ص 37

584- Mezzine (labri), le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles, publication de la faculté des lettres et des sciences Humaines, Rabat, série thèse N, 13, 1987.p138.

585 - Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p172.

586- الأوقية هي عملة حسابية تعادل الدرهم الشرعي وهي بذلك تكون عشر 1/10 المثقال وتصرف بأربع موزونات فضية أو 96 فلسا وتستعمل الأوقية اليوم في أسواق الذهب وبقصد بها وزن 31,104 غرام.
- عمر أفا، «النقود المغربية في القرن الثامن عشر. أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس مع تحقيق رسالتين في النقود والأوزان لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.1993، ص 393.

587-Mezzine, le Tafilalet, op, cit. p 417.







صورة رقم (18): نماذج من أسوار القصور الفيلالية

تصوير شخصي 2008

بنيت الأسوار بتقنية الطابية وفي بعض أجزائها باللبن، كم زودت بممرات دفاعية علوية محمية بجدار يرتفع عن السور الأصلي ويسمى هذا الجدار بالساتر[588]، وفيه فتحات طولية للرماية تسمى المزاغل، وقد استخدمت عدة أنواع من المزاغل، يمكن حصرها كالأتي:

- مزاغل بسيطة ذات استطالة رأسية تتساوى فيها الفتحة الداخلية والخارجية.
- مزاغل ذات الفتحة الداخلية الواسعة.
- مزاغل بسيطة مربعة الشكل تتساوى فيها الفتحتان الداخلية والخارجية.

ولم يمنع الجانب الوظيفي للأسوار من وجود لمسات فنيه واضحة في أسلوب تنظيم الفتحات التي تتخللها، أو حتى في أسلوب تصميم السلاليم الموصلة لممراتها. بينما

[588] - وهي القاعدة التي تقام عليها الشرفات أعلى السور.

استعملت في نماذج أخرى من القصور أسوار للدفاع السلبي، بمعنى أنها كانت فقط تحدد المجال الداخلي للقصر، لذلك كانت الدور تلتصق بها ولم تزود بأية خطوط دفاعية في داخلها أو من فوقها.

وطبيعي أن نجد هذا الاختلاف في تحصينات القصور؛ فتلك التي كانت تتخذ كإقامة للسلاطين أو أبنائهم نالت من التحصين ما يوفر لها المناعة والصمود أمام عوامل الاندثار المختلفة، لاسيما وأن إنشاء التحصينات بقدرات الأهالي الإنشائية ينعكس على هيئتها وتصميمها. كما أن لموقع القصر في الواحة والمرحلة الزمنية التي شيد فيها، تأثير على متانة الأسوار، إذ نجد القصور التي تقع في أطراف الواحة، أو تلك التي شيدت في فترة الاضطرابات السياسية قد نالت أهمية تحصينية أكثر من غيرها.

وكانت الأسوار تتلقى العناية خاصة في أوقات السلم، وعن موضوع هذه المسؤولية المشتركة في صيانة السور باعتباره أحد المنشآت الهامة بالقصر، يقول أبو العباس أحمد بن محمد الفرسطائي: "وإن اشتركوا في السور ولو يشتركوا في بيوت، فإنهم يتآخذون كلهم على ما أنهدم من السور، ولو أنه انهدم مما يقابل بيت أحدهم... فإنهم إن اتصلت البيوت بالسور، فليؤخذ كل واحد منهم ببنيان ما أنهدم مما قابله"[589].

وقد استخدمت الأحجار كأساسات في بناء أسوار القصر بأحجام مختلفة وفي مداميك منتظمة. وهذه الأساسات الحجرية كانت تحمل الأسوار المشيدة من الطين كمادة أساسية متوفرة في المنطقة واستخدمت طريقة الطابية في بنائها، كما استعمل في بعض قطاعاتها العلوية الطوب اللبن.

إن التطور الملاحظ في أسلوب تصميم الأسوار وفق المستجدات الحربية، كان سببا في اختلاف سماكة جدرانها وارتفاعاتها بحيث أصبحت صالحة لسير الجنود، ولم يمنع الاهتمام بالجانب الوظيفي للأسوار من وجود اللمسات الفنية الواضحة في أسلوب تنظيم الفتحات التي تتخللها، أو في أسلوب تصميم الشرفات التي تتوج قممها. وفيما يلي قياسات أسوار بعض القصور.

[589] - أبو العباس احمد بن محمد النفوسي الفرسطاني، القسمة وأصول الأرضين، تحقيق وتعليق وتقديم، الشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج، ومحمد صالح ناصر، جمعية التراث، القورارة، الجزائر، 1997، ص 193-194.

جدول رقم (9): قياسات الأسوار ببعض قصور تافيلالت

الرقم	اسم القصر	علو الأسوار (بالمتر)	الرقم	اسم القصر	علو الأسوار (بالمتر)	الرقم	اسم القصر	علو الأسوار (بالمتر)
1	امسيفي	6	35	أولاد بوزينة	5,4	69	كواز	5
2	قصر اسرغين	7	36	سيدي عمر	5,4	70	هوارة	5,4
3	قصيرة اسرغين	8	37	تاحسنونت	5,7	71	ارارة	5,4
4	بني فرح	9	38	تامسكانت	4,5	72	جنان القاضي	10
5	بني يطي	5	39	تاورغت	6	73	قصبة كيغلان	7
6	الشبيلي	5,5	40	تيغدوين	4	74	قصر الغازي بالعربي	5,6
7	القصبة الذهبية	6	41	تيرست	3,6	75	قصيبة الحدب الشرقية	6,3
8	الشقارنة	5,4	42	توجديت	5,4	76	قصيبة الحدب الغربية	7,2
9	الفيضة	8,1	43	أبو القاسم الزياني	4	77	لكراوة	8
10	العنبري	3	44	ابوعام	8,1	78	زاوية من لايخاف	4
11	المنصورية	9	45	الدار البيضاء	5	79	لمطاهرة	6,4
12	حمو داود	5	46	الفرخ	9	80	وشان	7
13	احمني	6	47	هارون	5,4	81	أولاد عيشة	12
14	الجبيل	5,8	48	احياتن	4,5	82	أولاد بوعلي	5
15	الجديد	8	49	قصبة مولاي الطاهر	6,5	83	أولاد الوالي	4,5
16	قصر الجير	4,7	50	قدارة	4	84	أولاد اجميع	5,4
17	قصبة الحاج الهاشمي	7	51	القصر الفوقاني	6	85	أولاد سيدي ابراهيم	8
18	لبطرني	8,2	52	مزكيدة	8	86	أولاد يحيى	5,4
19	لوجارشة	7,2	53	مولاي الشريف	6	87	أولاد سيدي ابراهيم	6,3
20	مانوكة	8	54	مولاي	8	88	سيدي قاسم	5,4

				المستعين				
21	مرزوكة	4,5	55	واد الشرفاء	4,5	89	سيد العازي بلقاسم	6,3
22	مولاي عبد الله الدقاق	6,3	56	سيدي بوبكر الغربي	7	90	تابوعصامت	4,5
23	مولاي عبد الكريم	8	57	سيدي بوبكر الشرقي	10	91	تابوبكرت	7,5
24	مولاي علي الشريف	4	58	تاغكة	7	92	تاغنجاوت	6
25	أولاد عبد الحليم	12	59	تيعرمت	7	93	تازكزوت	4
26	أولاد ليمام	5,5	60	ابار	10	94	تنغراس	7
27	أولاد مسلم	5	61	ابحار	5	95	زاوية وغلان	4
28	أولاد يوسف	5,4	62	عمار	4	96	زاوية سيدي علي	6,3
29	قصيرة أولاد يوسف	5,4	63	بيني ميمون الشرفاء	10	97	زاوية الرمل	5
30	اولاد عبد القادر	3	64	بوزملة	4,7	98	اخنوس	6
31	أولاد عبد الرحمان	6	65	شرفة بحاج	6	99	قصيبة الحاج هارون	6
32	أولاد بيد الله	6	66	الماطي	5,6	100	الحاج هارون	6
33	أولاد كايد	4,5	67	كاوز	6,3	101	سيدي بوزكري	7
34	أولاد سعيدان	6,3	68	كرينفود	7,2	102	سيدي ملوك	6
						103	صوصو	5

المصدر:

Travail coordonné par A. FAKKAK, F.POUGET, A. LAYEC, M. BOUCHARA, M. BOUASSAB, ET A. JMILI. Stage de terrain des étudiants de la LUPSIG de la Rochelle (France) et de la LPGA d'El-Jadida en Janvier – Mars 2012.

وفيما يلي وصف لنموذج من الأسوار التي ما تزال قائمة، حتى تكون لدينا فكرة شاملة عن مكوناتها وخصائصها المعمارية.

- قصر أولاد عبد الحليم

شيد سور هذا القصر والذي يحيط بكل مرافقه من الطابية على أساس من الحجارة، بارتفاع يصل إلى 11 مترا وسمك 1.5 مترا، والسور في غالبيته يتكون من جدارين، الأول

خارجي والثاني داخلي وأقل ارتفاعا، يستعمل كممر يؤدي إلى مختلف الأبراج المعدة للحراسة.

ويحقق ارتفاع الأسوار رؤية كافية لأبعد مسافة ممكنة، في حين يساعد السمك على تماسك وصلابة الجدران، ويسمح بإنجاز ممر للحراس بأعلاه للتنقل بين الأبراج وإطلاق النار من المزاغل التي تمتد على طوله، والتي تبلغ مقاساتها حوالي 25 سنتمتر طولا، و15 سنتمتر عرضا.

يتخلل السور 12 برجا، أربعة أبراج بالناحية الشرقية ومثلها من الناحية الغربية، وبرجين بالجهة الشمالية والجنوبية.





صورة رقم (19): سور قصر اولاد عبد الحليم

أما مدخل القصر فيوجد بالزاوية الجنوبية - الشرقية يعلوه برج للحراسة خال من الزخرفة، والمدخل الرئيسي يشكل ممرا منعرجا مسقفا بخشب النخيل، وداخل رواق المدخل توجد حجرة من الصخور الصلبة المتماسكة تتوسطها حفرة تستعمل لصنع البارود.

تجدر الإشارة إلى أن تحصينات القصر أعيد ترميمها أكثر من مرة، عاينّا آخرها، إذ تم تدعيمها بالحجارة وتكسيتها بالطين، كما أضيفت بعض الزخارف الهندسية من الطوب اللبن لبرج مدخل القصر، وكلها زيادات قد توقع الباحثين في مجال التراث المعماري للمنطقة في أخطاء مالم يتم الانتباه إلى كل عمليات الترميم التي خضع لها القصر.



صورة رقم (20) :استعمال مواد البناء الحديثة في الترميم. بقصر اولاد عبد الحليم

تصوير شخصي: 2011/06/23

2-1. الأبراج: الخصائص المعمارية والفنية

يعد البرج من العناصر المعمارية الدفاعية الأساسية في مجال الاستحكامات العسكرية، فزيادة على عملية التقوية والتدعيم التي يؤديها البرج لجدار السور، فله وظيفتين أساسيتين، وظيفة دفاعية لصد الهجوم ووظيفة المراقبة والإشعار، وكما نجده ملتصقا بجدار السور نجده كذلك منعزلا في نقاط معينة من الواحة.

والملاحظ أن كل تحصينات قصور تافيلالت تضم أبراجا لا تقل عن أربعة، تشغل أركان القصر، ويتفق ذلك والمعنى اللغوي الذي ذكره كل من الجوهري[590] وابن منظور[591]، من أن الأبراج جمع برج وهي البيوت التي تبنى على نواحي أركان القصر، والبرج المحصن ركنه وربما سمي الحصن به، وقيل للبروج، بروج لظهورها وبيانها وارتفاعها. ويصل عدد الأبراج في بعض القصور إلى اثني عشرة برجا، خصوصا بالقصور ذات المساحة الكبيرة كقصر "تابوعصامت"، و "أولاد الوالي"، و"تاغنجاوت".



قصر الفيضة   قصر أولاد عبد الحليم

صورة رقم (21): البرج باركان ووسط السور

تصوير شخصي 2008

---

[590] - الجوهري، الصحاح، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ، ج1، ص 299.

[591] - ابن منظور، لسان العرب، مج 11، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1993، ص 359-360.

ومن الناحية المعمارية يتخذ البرج بمنطقة تافيلالت أشكالا مختلفة، فنجده مستطيل الشكل أو مربعا، عكس ما توجد عليه في واحة فڭيك، إذ تتخذ أشكالا دائرية ونصف دائرية[592]، ويتكون من عناصر بسيطة، فأحيانا تكون ذات بدن ممتلئ يعلوها سطح تحيط به ذروة مزودة بفتحات للرمي، وأحيانا غرفة في مستوى طريق المشاة يصعد إليها عبر سلالم ضيقة وأبواب صغيرة، تتوفر هذه الغرف على فتحات للمراقبة وإطلاق النار. ويربط بين هذه الأبراج ممر ضيق على شكل سور داخلي أقل علوا من السور الخارجي يدعى الممشى أو السقالة[593]، وهي بذلك تختلف عن الصقالة المعروفة كصنف من التحصينات المواجهة للبحر[594].

وقد كان هذا المكون المعماري العسكري يتشابه بين القصور المخزنية، فقد ورد في تقارير أمناء البناء التي كانت ترفع إلى السلطان ما يلي: "اعلم سيدي أن السقالة هي كالتي عندنا بأولاد عبد الحليم وبآبار وبالريصاني وغير ذلك من قصور سيدنا، وفائدة السقالة الدوران على العسة وهي حاصلة بهذه"[595].



قصر ابار



قصر الريصاني



قصر أولاد عبد الحليم

صورة رقم (22): تشابه السقالات بالقصور المخزنية

المصدر: تصوير الباحث 2008

592 - احمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر، ص 56.

593- السقالة: ويقصد بها الممشى المتواجد أعلى السور.

594- السقالة أو الصقالة (skala- scala) تطلق في العمارة المغربية على صتف من التحصينات المواجهة للبحر لأغراض دفاعية وتجارية، والسقالة درج نقال من خشب أو من حديد يمتد داخل الميناء فوق الماء ويستعمل كرصيف للمراكب الصغيرة. راجع عبد الرحيم غلاب، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي –فرنسي-انجليزي، جروس برس، بيروت، 1988، ص252-253.

595 - المملكة المغربية، مديرية الوثائق الملكية، سجل رقم 24008.

تتجلى وظيفة الأبراج في التحصين كما تعتبر مواقع للرماة، ولها أيضا أهمية في التركيبة الإنشائية البيئية للقصبات، وفاعلية تقنية إنشائية في تدعيم الأسوار؛ فعند التقاء جدارين حاملين من التراب المدكوك، تكون منطقة الالتقاء معرضة في الغالب لشقوق وتصدعات نتيجة ضعف الترابط بينهما، لذا فقد عمد البناؤون المغاربة بذكائهم إلى استحداث إطار هرمي من أربعة جدارن لتقوية هذا الالتقاء، فأضاف هذا الاستحداث بعدا جماليا وشكلا يتلاءم مع بيئته الصحراوية[596].

ومن جهة أخرى فالأبراج تظهر بناءات القصر بمظهر المنعة والقوة، وكذا كسر جمود الكتلة البنائية، وتجدر الإشارة إلى أن عدد الأبراج تأثر غالبا بحجم القصر ومساحته، فكلما زادت المساحة زاد عدد الأبراج، إلا أنها لا تقل عن أربعة في القصور الأقل حجما، ويلاحظ أيضا أن المسافة الفاصلة بين أبراج السور متساوية في غالب الأحيان.

إضافة إلى التحصينات الدفاعية، يوجد خارج أسوار القصور، وفي مواقع متفرقة من الغابة أبراج عديدة للمراقبة. تعتبر بقايا النظام الدفاعي التقليدي الذي اتخذته قبائل القصور للدفاع عن نفسها ولحراسة المزروعات والسواقي. وظاهرة أبراج الحراسة هذه لم تكن لتنفرد بها منطقة تافيلالت لوحدها، بل هي ظاهرة معروفة في كل مناطق الجنوب الشرقي[597]، وفي مناطق عدة من المغرب، وتحت تسميات متعددة، ففي درعة تسمى: "أكديم"[598]، وفي الأطلس الكبير تدعى: "بأشبار"[599]، والذي يعني مكان الترصد والحراسة، بينما تسمى بوادي دادس: "ايكدمان"[600].

[596] - فيصل شمشير، "مميزات عمارة القصبات وتكنولوجيا البناء في المغرب" مجلة تقنية البناء، عدد 18 منشورات وزارة الشؤون البلدية والقروية، السعودية، ص 21.

[597] - محمد حمام، جوانب من تاريخ واد دادس وحضارته، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم12، 2002، ص 117.

[598]- البوزيدي، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، م س، ص486.

[599]-Montagne (Robert), Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, ed Afrique Orient Casablanca, 1989, p 151.

[600] - حمام، جوانب من تاريخ واد دادس وحضارته، م س، ص117.



صورة رقم (23): نموذج لأبراج المراقبة الأول بقرب قصر القصبة بالغرفة والثاني بغابة قصر مزكيدة
المصدر: تصوير الباحث 2008

ومن المظاهر المعمارية التي تميز أبراج منطقة تافيلالت المسحة الهرمية التي تظهرها واجهاتها المائلة برفق نحو الداخل كلما ارتفعت إلى الأعلى، وقد تضاربت أراء الباحثين بشأن هذه الظاهرة المعمارية، فهناك من أرجعها إلى التأثيرات المصرية، وشبهها بأبراج مداخل المعابد المصرية[601]، ومنهم من أرجع هذا الشكل إلى أصول محلية تمتد جذورها في ثقافة وتاريخ المغاربة[602]. لأنها أبراج وجدت في العديد من مناطق بلاد المغرب خاصة بالقسم الصحراوي منه، فقد وجدت في واحة سيوة جنوب مصر، وفي جبال نفوسة الليبية، وفي عدد من الواحات الجزائرية وفي الريف المغربي، وامتدت حتى حدود المحيط الأطلسي في مدينة شنقيط بموريطانيا[603].

وفيما يلي عدد أبراج بعض القصور، مع التنبيه إلى أن عدد الأبراج المرصودة في الجدول هو حصيلة البحث الميداني، ولايعني أن بعضا من هذه القصور لم تكن بها أبراج.

[601]-Laoust, L'habitation chez les transhumants du Maroc, op, cit, p161.

[602]-Mercier (M), "Notes sur une architecture berbère saharienne", Hespéris 3et4eme trim, 1928.p 429.

[603] - بوراس، العمارة الدفاعية، م س، ص 47-48.

جدول رقم (10): عدد الأبراج ببعض قصور تافيلالت

الرقم	اسم القصر	عدد الأبراج	الرقم	اسم القصر	عدد الأبراج	الرقم	اسم القصر	عدد الأبراج
1	امسيفي	8	35	أولاد بوزينة	0	69	كواز	4
2	قصر اسرغين	10	36	سيدي عمر	8	70	هوارة	10
3	قصيرة اسرغين	9	37	تاحسنونت	8	71	ارارة	10
4	بني فرح	6	38	تامسكانت	9	72	جنان القاضي	7
5	بني يطي	4	39	تاورغت	4	73	قصبة كيغلان	11
6	الشبيلي	6	40	تيغدوين	6	74	قصر الغازي بالعربي	6
7	القصبة الذهبية	8	41	تيرست	4	75	قصيبة الحدب الشرقية	5
8	الشقارنة	11	42	توجديت	7	76	قصيبة الحدب الغربية	6
9	الفيضة	9	43	أبو القاسم الزياني	8	77	لكراوة	8
10	العنبري	4	44	ابوعام	10	78	زاوية من لايخاف	6
11	المنصورية	4	45	الدار البيضاء	9	79	لمطاهرة	9
12	حمو داود	4	46	الفرخ	5	80	وشان	7
13	احمني	4	47	هارون	6	81	أولاد عيشة	12
14	الجبيل	4	48	احياتن	0	82	أولاد بوعلي	6
15	الجديد	10	49	قصبة مولاي الطاهر	4	83	أولاد الوالي	14
16	قصر الجير	11	50	قدارة	5	84	أولاد اجميع	8
17	قصبة الحاج الهاشمي	8	51	القصر الفوقاني	4	85	أولاد سيدي ابراهيم	8
18	لبطرني	10	52	مزكيدة	7	86	أولاد يحيى	10
19	لوجارشة	7	53	مولاي الشريف	7	87	أولاد سيدي ابراهيم	4
20	مانوكة	4	54	مولاي المستعين	6	88	سيدي قاسم	5
21	مرزوكة	4	55	واد الشرفاء	2	89	سيد العازي بلقاسم	6

22	مولاي عبد الله الدقاق	11	56	سيدي بوبكر الغربي	0	90	تابوعصامت	12
23	مولاي عبد الكريم	4	57	سيدي بوبكر الشرقي	8	91	تابوبكرت	10
24	مولاي علي الشريف	4	58	تاغكة	8	92	تاغنجاوت	12
25	أولاد عبد الحليم	12	59	تيعرمت	6	93	تازكزوت	10
26	أولاد ليمام	9	60	ابار	10	94	تنغراس	6
27	أولاد مسلم	4	61	ابحار	4	95	زاوية وغلان	4
28	أولاد يوسف	6	62	عمار	4	96	زاوية سيدي علي	4
29	قصيرة أولاد يوسف	8	63	بيني ميمون الشرفاء	6	97	زاوية الرمل	8
30	اولاد عبد القادر	4	64	بوزملة	6	98	اخنوس	15
31	أولاد عبد الرحمان	5	65	شرفة بحاج	8	99	قصيبة الحاج هارون	4
32	أولاد بيد الله	7	66	الماطي	9	100	الحاج هارون	0
33	أولاد كايد	4	67	كاوز	11	101	سيدي بوزكري	4
34	أولاد سعيدان	10	68	كرينفود	6	102	سيدي ملوك	6
						103	صوصو	4

المصدر:

Travail coordonné par A. FAKKAK, F.POUGET, A. LAYEC, M. BOUCHARA, M. BOUASSAB, ET A. JMILI. Stage de terrain des étudiants de la LUPSIG de la Rochelle (France) et de la LPGA d'El-Jadida en Janvier – Mars 2012.

لقد انعكست الرؤية الجمالية على أبراج قصور تافيلالت من خلال تنظيم فتحاتها المخصصة لاستعمال البنادق لصد المعتدين، ولم تمنع الوظيفة الدفاعية للبرج من وضع اللمسة الفنية الزخرفية عليه، فالزخارف المحيطة به تكون إطارا يستوعب العملية الدفاعية في صياغة فنية مثيرة[604]. وتتشكل زخارف الأبراج بترتيب وتصفيف الآجر في عدة تصميمات عمودية، شريطة أن يكون كل صف من الآجر بمعزل عن الآخر، وتعطي هذه الطريقة زخارف على شكل إطارات وافريزات، كما يمكن أن يوضع الآجر مائلا ليعطي في هذه الحالة زخارف متعرجة أو أشكال هندسية أخرى كالمعينات[605].

[604] - القصور والقصبات، م س، ص237.

[605] - إدريس الدخيسي، "الفن المعماري الإسلامي الأصيل في قصبات الجنوب المغربي"، م س، ص 57.



صورة رقم (24): صور تظهر الزخرفة الكثيفة ببعض الابراج وغيابها بأخرى

تصوير شخصي 2008

3-1. الأبواب: الخصائص المعمارية والفنية

الأبواب مفرد باب وهو المدخل[606] في سور المدينة أو واجهة مسجد أو جدار بيت أو بين الغرف، وهو أحد العناصر المعمارية الأساسية فهو الذي يوصل بين داخل المبنى وخارجها[607]، وقد زودت قصور تافيلالت بمدخل واحد يتوسط في غالب الأحيان إحدى أسوار القصر[608]، خلافا لما هو عليه الحال بقصور الواحات الأخرى، فقصور مدغرة وفكّيك ودرعة تشتمل على مدخلين[609]، بينما قصور توات لها ثلاثة مداخل. وفي الجزائر زودت قصور ميزاب بمداخل عدة تصل إلى سبعة في بعض الأحيان[610]. ولم تكن وظيفة أبواب القصور تنحصر في الفصل بين الفضاء الداخلي والخارجي، بل أيضا بالوظيفة الدفاعية والأمنية، ولذلك كان مكان بنائها محسوبا بصورة دقيقة، بحيث ينفتح نحو الساحات الخارجية والطرق الآمنة التي تربطه بالقصور الأخرى. وكان الباب مراقبا من طرف حارس من سكان القصر، يقوم بفتحه صباحا وإغلاقه في المساء ومراقبة الغرباء الوافدين على القصر.

وباب القصر له طابع معماري وهندسي شبيه بأبواب المدن العتيقة، وهو جزء من السور المحيط بالقصر، له مميزات وخصائص الحقبة التي بني فيها، وهكذا يمكن أن نميز بين نوعين من الأبواب على مستوى المظهر الخارجي: أبواب بارزة وأخرى ملاصقة للسور.

[606] - هو عنصر معماري يطلق على الفتحة التي يدخل منها إلى المنزل أو القصر أو المدينة، انظر:

- محمد عاصم رزقي، م س، ص 266-267.

[607]- عبد العزيز توري، مادة باب، وسوعة معلمة المغرب، الجزء الثالث، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشرمطابع سلا، 1991، ص 949.

[608] - أحصينا خلال الدراسة الميدانية أن نسبة 60 في المائة من مداخل القصور بمنطقة تافيلالت تتوسط أحد أسوار القصر.

[609] - عبد اللوي، مدغرة وادي زيز، م س، ج 1، ص 216.

- احمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، 1988، ص 55.

- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992، ص131.

610- يحيى بوراس، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، م س، ص67.

- **الأبواب البارزة:** تتكون من كتل بنائية ضخمة ذات أبعاد مهمة، يبرز حوالي ثلث الكتلة البنائية خارج السور، ويتكون من برجين كبيرين يكتنفان ممرا يؤدي إلى باب المدخل، ومنه إلى ساحة مربعة الشكل تتوسط الثلثين الباقيين من كتلة الباب وراء البرجين البارزين، ويوجد على جانبي الباب الرئيسي مدخلين صغيرين متماثلين ومتقابلين زين قسمها العلوي بنقوش هندسية طينية بديعة. نجد هذا النموذج على سبيل المثال لا الحصر بكل من قصور: ابوعام/ابار/اولادعبد الحليم/الفيضة/ اولادعائشة/عمارة. (الصورة:25)


قصر القصبة الذهبية


قصربني مهمون الأحرار


قصرابار


قصر اولاد عبد الحليم


قصرابوعام


قصر الفيضة

صورة رقم (25): نماذج من المداخل البارزة ببعض قصور تافيلالت
المصدر: تصوير الباحث 2008

- **الأبواب غير البارزة:** تحتل هي الأخرى موقعا وسطا في أحد أضلاع القصر، وهي أقل حجما وزخرفة من الأبواب السابقة، كما أنها لا تتوفر على أبراج ولا أبواب جانبية، وهي قليلة بقصور المنطقة.



صورة رقم (26): تظهر نماذج من المداخل غير البارزة
المصدر: تصوير الباحث 2008

وقد سعى المعماري إلى الزيادة في تحصين مداخل أبواب القصور من خلال الاهتمام بتخطيطها وإنشائها اهتماما بالغا يعكس جانبا من طرق الدفاع، وانعكس هذا الاهتمام في استخدام الحجر في بناء عضادتي المدخل. (الصورة 27)



صورة رقم (27): استعمال الحجر كمادة أساسية في تششيد المداخل
المصدر - تصوير شخصي+صفحة تافيلالت حضارة وتراث

ويبلغ متوسط اتساع الباب 2.5م، وارتفاع 2.8م، ولها مصاريع من الخشب مدعمة من الداخل بعوارض خشبية قوية تساعد على متانتها. كما زودت بعضها بساقطات[611] عبارة عن شق طولي في البناء الذي يعلو الباب، يعلوه حوض حجري كان يملأ بالماء لاستخدامه في إطفاء ما قد يضرمه العدو والمهاجم من نار في الباب الخشبي الذي يقع أسفله[612].

ويمكن تقسيم المداخل في منطقة تافيلالت إلى ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول: يفتح في قاعدة برج، أي أن المدخل تعلوه قاعة للرمي أو قاعتين كما هو الأمر بقصر أولاد عبد الحليم والفيضة وزاوية الماطي وغيرها.



مدخل قصر الفيضة — مدخل قصر أولاد عبد الحليم

صورة رقم (28): ابواب ركنية

المصدر: تصوير الباحث 2018

- الصنف الثاني: يفتح في جدار السور مباشرة ويعلوه سطح يصعد إليه عبر سلم من داخل القصر كما هو الأمر بقصري: الجبيل وتاحسنونت.

[611]- الساقطة عبارة عن شرفة صغيرة تعلو المداخل بصورة خاصة محاطة بجدران ومحمولة على دعائم، وفي أرضية هذه الشرفة وجدرانها فتحات ارمي السوائل المحرقة والسهام على المهاجمين.
- يحيى حسن وزيري،"جمالية المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية سلطنة عمان أنموذجا"، ضمن عالم الفكر، العمارة، المجلد 34، سنة 2006، ص 113.

[612] - تم اكتشاف نموذج واحد بقصر توجديت.

- **الصنف الثالث:** يفتح بين برجين في وسط أحد أضلاع سور القصر، ومن أمثلة ذلك قصر ابوعام، وقصبة الزياني، وابار، وتابوعصامت وغيرها.



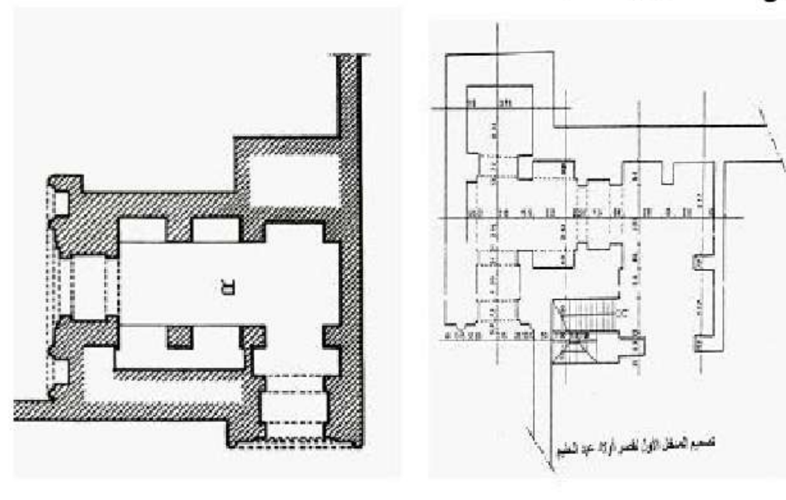


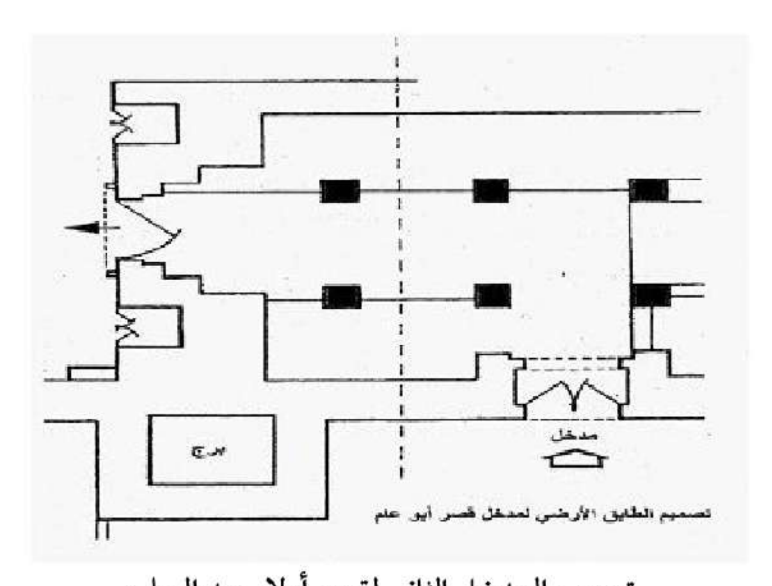
صورة رقم (29): موقع المدخل في السور

المصدر: تصوير الباحث 2018

وتعد الأبواب في البنايات المختلفة، خاصة الحربية منها، من أضعف النقاط التي يمكن اقتحام المبنى منها، وقد تنبه المهندسون المسلمون لذلك واهتموا بتحصينها بأساليب وابتكارات معمارية مختلفة، ولعل أهم ابتكار معماري ونظام دفاعي هو استخدام المداخل المنكسرة. فنادرا ما نجد المداخل التي فتحت بأسوار القصور والقصبات الفيلالية من النمط الذي يتميز بالفتحة المباشرة؛ بمعنى أن الفتحة الداخلية للمدخل تقابل الفتحة الخارجية دون انحراف. بل إن أغلب الأبواب تفتح على رواق بانعطاف أو انعطافين بغرض تحقيق الهدف الدفاعي، ولعل هذا التقليد في نظر "تيراس" يعود إلى فترة القرن

الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي[613]، إلا أن استعمال هذا النوع من التخطيط في أبواب القصور العلوية بمنطقة تافيلالت دليل على تأثرها بتخطيط المدن المغربية الوسيطية. (الشكل 1/ الصورة 30)





تصميم المدخل الثاني لقصر أولاد عبد الحليم

شكل رقم (5): نماذج لتصاميم مداخل القصور يظهر مدخل بانعطاف واحد ومدخل بانعطافين

المصدر : Groupe d'architecte : Khalid El Assal – Jawad El Basri – Hicham Malti. Les Qsours et Qasbah du Tafilalet: Etude architecturale et plan de sauvegarde Direction de l'Architecture. Juin 1998

---

[613] -Terrasse (H), L'Art hispano-mauresque des origines au XIII eme siècle- ,Tome .III : Nouvelle éd Brille .Paris 1971 ‹p294



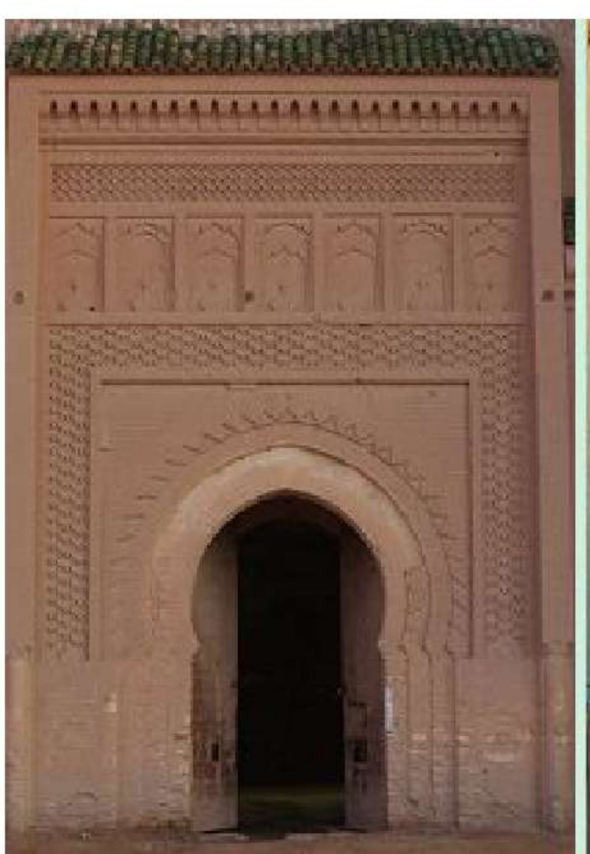
صورة رقم (30): مدخل قصر بانعطافين يظهر أهمية تصميم مداخل القصور بمنطقة تافيلالت.
تصوير شخصي 2008

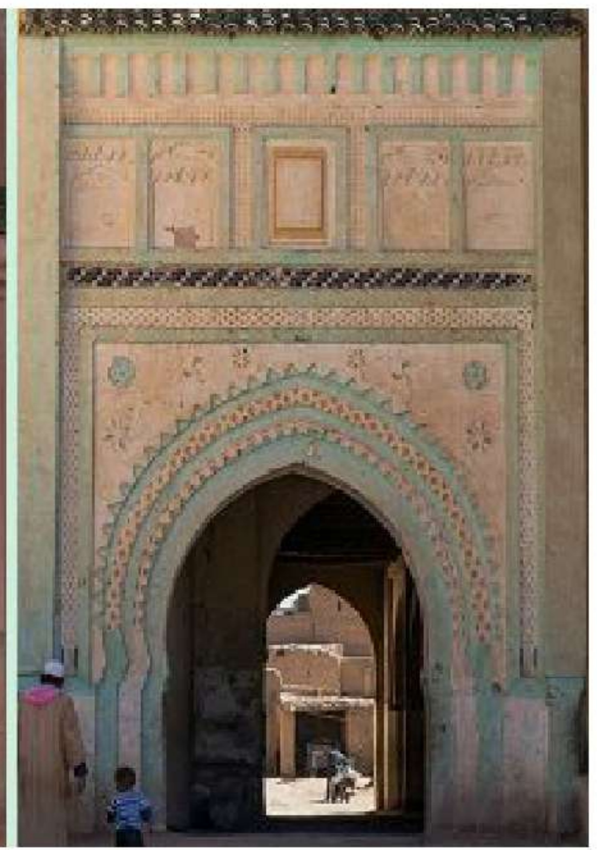
وعلى جانبي المدخل توجد أبراج تضفي نوعا من المتانة والمناعة على الباب، ويزيد ارتفاعها عن ارتفاع السور وهي أبراج ضخمة بارزة عن سمت السور يتم الوصول إليها عبر الدرج الموجود بالرواق.

2 - زخرفة واجهات الأبواب

على الرغم من وضوح الغرض الوظيفي للمداخل على مستوى القصر فإن أسلوب تصميمها لم يخل من لمسة فنية واضحة، تجمع بين الجمال والبساطة، تظهر جليا من خلال استخدام العقود والزخارف، وكذلك من خلال بروز الأبواب وأحجامها.

فمن خلال نماذج الوحدات الزخرفية المتكررة التي تزين الأبواب يتبين أنها تتكون من مجموعة من العقود[614] والإطارات التي تعلوها ستائر من القرميد، تتخلل هذه الإطارات زخارف هندسية متعددة الأشكال (مربعات، معينات، نجمات...) كما تتوجها من أعلى شرفات[615] مختلفة الأشكال، وهو أسلوب تكرر في كثير من نماذج زخارف الأبواب بقصور تافيلالت.





[614] - العقد عنصر معماري مقوس، يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة أو أكثر.
- يحيى حسن وزيري، "جمالية المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية"، م س، ص 103.

[615] - الشرفة بفتح الشين والراء تعتبر أصلا من عناصر العمارة الدفاعية، وقد أقيمت كعنصر زخرفي وليحتمي أيضا من ورائها المدافعون.



صورة رقم (31): صور تظهر نماذج الزخارف التي اشتملت عليها أبواب القصور والشرفات التي تعلوها
تصوير شخصي 2008

يتضح إذن أن القصور بمنطقة تافيلالت أنشأت في الأصل على هيئة حصون، ويبدو أن هذا التخطيط كان سائدا منذ تشييد القصور الأولى. ويكشف وصف الأسوار والأبراج نوعا من التدرج للمحافظة على متانة وتوازن إنشائها، كما يكشف وصف الأبراج عن استخدام أسلوبين من أساليب البناء بالتراب، فقد استعملت تقنية البناء بالطابية في بناء القطاعات السفلى، واستخدم الطوب اللبن في بعض أجزاء القطاعات العليا، كما أبانت الدراسة عن الاختلاف الواضح في درجة وكيفية تحصين قصور المنطقة.

عموما تظهر المكونات المعمارية الحربية لقصور تافيلالت وما تشتمل عليه من عناصر على دراية أهالي المنطقة بالأساليب المعمارية الحربية، التي تساعد على الدفاع عن القصور أثناء تعرضها للهجوم، وتمثل ذلك في متانة إنشاء الأبواب واستخدام الحجر

في بناء أساسات السور، وتصميم المدخل تصميما يضطر الداخل معه إلى الانكسار وعدم دخول أزقة القصر مباشرة.

III - العمارة المدنية

تطلق العمارة المدنية على كل المنشآت التي يستخدمها الإنسان لأغراضه المعيشية العادية، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويعد المسكن أهم مكونات العمارة المدنية والخلية الأساسية المكونة لمختلف التجمعات العمرانية بمنطقة تافيلالت، فهو يعبر عن المأوى الذي يكفل للسكان الأمن والاستقرار، ويحميهم من ظروف الطبيعة ويسمح لهم بتلبية حاجياتهم الاجتماعية.

وتشكل دراسة المسكن بقصور تافيلالت جانبا مهما من جوانب الدراسة المعمارية، باعتبارها تمثل التكوينات المعمارية الخاصة، وبالتالي فهي الوعاء الذي يعكس كثيرا من مظاهر حياة سكان القصور وتفاعلهم مع المؤثرات الدينية والبيئية والاجتماعية والاقتصادية وطرق البناء المحلية ومواد البناء المتوفرة.

لذلك سنركز على دراسة خصائص وسمات التصميم المعماري للمسكن بمنطقة تافيلالت، مع استحضار علاقة المسكن بفقه العمران، والعوامل التي أثرت في صياغة شكله داخل القصور الفيلالية.

1- السمات العامة للمسكن بقصور تافيلالت

يتخذ المسكن في جل قصور منطقة تافيلالت مواصفات هندسية خاصة، فهو منغلق على نفسه وأهله، ولا يفتح إلا على السماء، ليشكل بذلك بيئة مثالية للحياة الخاصة التي تميزها الخصوصية والمحافظة على تقاليد تأصلت في المجتمع الفيلالي عبر العصور.

إن أهم سمة تميز الوحدات السكنية بقصور تافيلالت هو تشكيلها المعماري الذي يتسم بالبساطة والقصد في الاستعمال، وينعكس هذا على واجهاتها الخارجيية التي تكون خالية إلا من فتحة المدخل، كما ينعكس في شكلها الداخلي الذي يطغى عليه مبدأ الاقتصاد في الاستعمال للمجالات المكونة للمسكن. هذا الأخير الذي يتكون من وحدتين مجاليتين: وحدة الاستقرار، ووحدة الخدمات، وتتوزع هاتين الوحدتين أفقيا

وعموديا، وتخضع للتناوب والتعدد في الاستعمال يوميا وموسميا. ففي الصيف يقضي السكان الجزء الأكبر من اليوم في الطابق الأرضي أو الأول، وفي الليل ينامون بالسطح.

فالمسكن القصوري إذن، يغلب عليه الطابع الوظيفي مع الأخذ بمبدأ الحرمة، لتحظى الحياة الأسرية داخله بقدر كبير من الخصوصية المنشودة دينا وعرفا. فكل المساكن تتأقلم مع النظام الأبوي للأسرة، واتسمت واجهاتها بالبساطة مع الغياب التام للفتحات، لتكون بذلك وفية للعمارة السكنية في العالم الإسلامي الملتزمة بالتعاليم الدينية وأعراف البناء.

2- فقه العمران ومسكن القصر

ظهرت أولى التشريعات المهتمة بتنظيم المجال السكني عمرانيا ومعماريا مع الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، فجاءت أحاديث مشددة على عدم تجاوز حرمة المباني الخاصة حدودها على حساب الأراضي الخاصة، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لايأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حق، إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة"[616].

وبتوسع العمران في البلاد الإسلامية تزايدت التشريعات الفقهية المنظمة والضابطة للحياة المدنية[617]، بل جاءت رسائل متخصصة في البناء والعمران كتبت على يد فقهاء وقضاة وبنائيين[618]. وقد اعتمد فقهاء الإسلام في تناولهم لأحكام البنيان عموما آية في القرآن الكريم قال فيها الله تعالى: "**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** "[619]، وذهب المفسرون إلى أن العرف بالنسبة لأحكام البنيان في الآية الكريمة، هو ما جرى عليه الناس وارتضوه، ولم يعترضوا عليه، طالما لايتعارض مع القرآن والسنة النبوية، لذا يجوز القضاء به، وهو قاعدة محتاج إليها في القضاء[620].

[616] - مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري، صحيح مسلم، مج 2، الطبعة الأولى، دار طيبة، 2006، ص 756.

[617] - تذكر تلك المتعلقة بالحسبة مثل: معالم القربة في أحكام الحسبة، لمحمد بن محمد بن احمد القرشي المعروف بابن الإخوة.

[618] - من أمثلة ذلك، موسوعة يحيى بن عباس الونشريسي، المعيار المعرب.

[619] - سورة الأعراف، الآية 199.

[620]- أبو اسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المطبعة العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000، ص 223-224.

بالإضافة إلى الآية الكريمة يعتمد الفقهاء في أحكام البنيان على الحديث النبوي الشريف: "لاضرر ولا ضرار"، وقد احتلت هذه القاعدة بابا واسعا في فقه العمارة الإسلامية، وأثرت في حركة العمارة والعمران الإسلامي بشكل سنتوقف عنده في المساكن التقليدية بمنطقة تافيلالت.

ولانستبعد أن هذه الأحكام أثرت في صياغة الأعراف المحلية لدى سكان القصور. فحسب علمنا لايوجد كتاب أو حتى رسالة تخص أمور العمارة والعمران بالمنطقة، وربما هذا يرجع لسيادة العرف لدى سكان المنطقة الذي يمكن اعتباره نتيجة حتمية للحوار والنقاش بين الأطراف المتنازعة، ويعزز ذلك غياب جهة مسيطرة أو مسؤولة لحل الخلافات.

ويمكن الوقوف على مدى تجاوب الناس مع الأعراف المحلية التي كان يتفق عليها الجميع مالكا أو بناء أو مستخدما، وذلك لوضوح الرؤية في المسؤولية التي أدت إلى ظهور هذه الأعراف، ومن جهة أخرى فطريقة البناء تقنيا، وكيفية توزيع المرافق في المبنى معروفة لدى سكان المنطقة.

وقصور منطقة تافيلالت مثال حي لتطبيق هذه الأعراف، فكيف لقصور عديدة تنتشر على مساحة جغرافية شاسعة أن تكون متشابهة على مستوى التركيبة البنيوية للوحدة السكنية، إن لم تكن هناك أعراف يخضع لها السكان في تشييد مساكنهم، والتي أفضت إلى وجود سمات مشتركة بينها.

3- العوامل المؤثرة في تخطيط المسكن

من المعروف أن العمارة تعبر عن مستوى عيش أصحابها، كما تعد انعكاسا صادقا لطبيعة نشاطاتهم الاقتصادية، وتعكس أوضاعهم استقرارا أو اضطرابا، إضافة إلى التعبير عن ذوقهم وحسهم الفني، وأيضا عن إدراكهم وكيفية معالجتهم للظروف المناخية والبيئية، فالعامل البيئي يعتبر من أهم العوامل تأثيرا على أنماط العمارة، فجغرافية المكان تحدد مادة البناء المعتمدة في تشييد المباني، وباختلاف الطبيعة الجغرافية تختلف خصائص مادة البناء، فكل طبيعة توفر مواد معينة وتوجه عملية البناء برمتها، كما يمثل

المناخ العامل البيئي الأكثر تحكما في عملية البناء[621]. وتركيزنا على العامل البيئي لايعني غياب عوامل أخرى مؤثرة على عمارة مساكن القصور؛ فقد صممت للوفاء بالعادات والتقاليد السائدة، كما راعت الجوانب الاقتصادية للسكان.

3-1. العامل الديني

كان البعد الديني حاضرا على مستوى تخطيط البيوت وتكويناتها وتوجيهها، فنظرا لمكانة الدين وأهميته في حياة أبناء المنطقة، فقد وجهت كثير من بيوت قصور تافيلالت ناحية القبلة، كما ترجم البناءون مبادئ الإسلام في تصميم المسكن الذي ارتبط بالتعاليم الإسلامية التي تنظم حياة الأسرة وأسلوب معيشتها[622]. ويظهر لنا تأثير الدين إلى جانب العوامل الطبيعية في عمارة البيوت من خلال وجود المدخل المنكسر أو ما يصطلح عليه "بالتنكيب"، وكذا في بساطة تلك المباني سواء من ناحية مواد البناء أوالزخرفة.

3-2. العامل البيئي

تفاعل سكان القصور بمنطقة تافيلالت مع المناخ السائد، واستطاعوا أن يكيفوا عمارة مساكنهم وفقا لمعطياته، كما أبدعوا وابتكروا حلول إنشائية ومعمارية كان لها دور هام في التخفيف من قساوة المناخ الحار والجاف، وسرعة الرياح واتجاهاتها.

3-3. علاقة المناخ بالتوزيع الوظيفي للفراغات الداخلية

لعل أهم العناصر المهمة للانسجام البيئي في عمارة القصور هو دور الإنسان في توزيع واستغلال المجالات الداخلية للوصول إلى التوازن البيئي؛ لهذا كان يخضع استغلال المسكن القصوري للمعطيات المناخية الخارجية، مما يحدث حركة داخلية تسمح بها تعدد وظائفها حسب الحاجة، أو بما يناسب التقلب المناخي الفصلي أواليومي، فعمل على خلق فراغات لكل منها ظرف معين، واعتمد على حركته بين هذه الفراغات حيث ينتقل رأسيا وأفقيا. ففي فصل الصيف يقضي السكان الجزء الأكبر من اليوم في الطابق الأرضي أو الأول، ويقضون الليل وينامون بالسطح، فغرف الطابق

[621]- يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة، عدد 304، مطابع السياسة الكويت، 2004، ص 95.

[622] - لمزيد من التفاصيل حول العوامل المؤثرة في تخطيط المسكن بقصور تافيلالت، راجع الفصل الأول من الباب الثاني.

الأرضي تصل درجة حرارتها القصوى إلى فارق خمس ساعات تقريبا عن المجال الخارجي وهذا يجعلها غير محتملة بالليل، ولهذا فالصحن أو المجال المركزي يعمل كمعدل حراري، لأن الهواء الذي تجمع بالطابق الأرضي ليلا لاينتهي من التسرب إلا في المساء[623]، كما صممت السقيفة لحل مشكل التيار الهوائي الحار، وأحدث الصحن (وسط الدار) لتقليص أشعة الشمس التي تصل إلى الأسفل، وتم الاعتماد على الأسطح الأفقية كنظام لتغطية مساكن القصور كلها، ولحل مسألة التساقطات النادرة التي تعرفها المنطقة وظف البناء تقنية تعتمد على الميل النسبي للأسطح لتوجيه حركة مياه الأمطار فوقه في اتجاه الزقاق لتتسرب إليه عبر الميازيب.

3-4.اعتماد مواد البناء المحلية

وظفت في بناء المساكن مواد بناء محلية تتميز بمقاومتها للحرارة، واستند أيضا إلى الزيادة في سمك الجدار الخارجي للمسكن لتحقيق العزل الحراري التام للمسكن، فالجدران والأسقف السميكة تساهم في المحافظة على برودة المبنى نهارا، لامتلاكها قدرة كبيرة على امتصاص الحرارة الساقطة عليها، وتأخذ الحرارة وقتا طويلا للمرور، الأمر الذي يحول دون تسخين الفراغات الداخلية للمبنى في فصل الصيف.

3-5.العامل الاقتصادي

سبقت الإشارة إلى أن أغلب القصور بمنطقة تافيلالت نشأت في بدايتها على قاعدة فلاحية، فانعكس ذلك على تخطيط المساكن بما يتوافق وطبيعة هذا النشاط، كما فرضت طبيعة الأنشطة تخطيطا أوجد حلولا لتخزين محاصيل الواحة من حبوب وتمور، حيث لايخلو مسكن من وجود مخزن.

وأشرنا أيضا إلى أنه بعد اندثار واندراس سجلماسة تحولت أنشطتها إلى بعض القصور والتي احتضنت داخل أسوارها غالبية أنشطة المدينة، إذ كانت تجمع بين السياسة والصناعة والتجارة والثقافة، واختصت أخرى بالصناعة الخزفية، أو الجلدية... وقد رافق هذا التحول تغير في تخطيط بعض القصور التي احتضنت هذه الصناعات بداخلها أو خارج أسوارها.

[623]- عبد الرحمان البلعشي، وآخرون، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، م س 231.

6-3.العامل الاجتماعي

لا يقل العامل الاجتماعي أهمية عن العوامل السابقة تأثيرا على توجيه عملية البناء برمتها، فقد صممت المساكن للوفاء بالعادات والتقاليد السائدة، بما في ذلك الحرص على الاستقلال والخصوصية ليحقق المسكن الأغراض التي أنشأ من أجلها. ولعل كرم أهل الصحراء جعلهم يخصصون فضاء خاصا بالضيوف، وهو عبارة عن قاعة تكون ذات مقاسات كبيرة مقارنة بباقي الغرف، قد تكون منفصلة عن باقي مكونات المسكن الخاص بالعائلة لحفظ خصوصية أهله، فاتخذ لها مكان يوفق بين حسن الضيافة وحفظ خصوصيات البيت وحرمة أهله.

وانعكست الحياة الاجتماعية فيما يتعلق بتكوين الأسرة ونظام الزواج على عمارة الدار، فقد جرت العادة أن يتزوج الإبن ويسكن مع أسرته في ذات الدار، وإذا ما تم الاحتياج لبعض الحجرات الإضافية، كان يتم بناء ما هو مطلوب منها، فكانت الإضافة المعمارية ظاهرة تقليدية معروفة في كل دور القصر.

ويعتمد تنظيم العائلة الفيلالية بنية محورية عمودية مركزها الجد كنواة لهذه العائلة التي تتضمن الأبناء والأحفاد، وترتبط العائلة ضمن منظومة صارمة من تقاليد السلطة الأبوية التي تلزم جميع أفراد العائلة. يتوزع هذا التنظيم العمودي للعائلة في الحيز المكاني الرأسي الذي يتحقق داخل التراتب العمودي للفراغات الداخلية للمنزل، وقد استطاعت المنازل بقصور تافيلالت بما فيها من مرونة تصميمية من احتواء ثلاثة أجيال داخل المنزل الواحد، وأن تحتوي ذلك الكيان الاجتماعي الذي يرتبط أفراده بعلاقة ذات ترتيب هرمي يمنح على ضوئه الإحترام والطاعة للشخص الأكبر.

جاء تعدد الأدوار في المنزل الفيلالي ليحقق الاحتياجات الاجتماعية، لكن بتغير الحياة الاجتماعية تغيرت بعض من العلاقات والروابط وبدأ هذا النظام يتفكك في بعض الأسر الفيلالية بسبب الهجرة والاستقلالية الاقتصادية للأبناء.

4- الوحدة السكنية بقصور تافيلالت: التخطيط العام وتوزيع الفضاءات

4-1. التخطيط العام للمنزل

يعتبر المسكن الخلية الأساسية التي كونت النسيج العمراني للقصر، والجانب المشرق من عمارته، وتصميمه يعكس فكر المجتمع وقيمه، فهو بذلك يوفر الراحة النفسية لقاطنيه، ويحوي مختلف الفضاءات المعيشية والخدماتية بتوزيع منتظم حسب الاستعمال، وفي انسجام مع مبادئ الدين الإسلامي واحترام الأعراف وتأقلم مع الظروف المناخية.

وتشترك المساكن بقصور تافيلالت في عدد من العناصر المكونة للمسكن، وتتكون الدور غالبا من طـــــابق أو طابقين عكس ماهو عليه في درعة التي تكون المنازل فيها مكونة من طابقين إلى ثلاثة طوابق، ولها أروقة تحيط بالساحة المكشوفة وسط الدار (الصحن)، محمولة على سواري تمتد من الطابق الأرضي إلى الطابق العلوي.



صورة (32):تعدد الطوابق بالمنزل الفيلالي

تصوير شخصي 2008

وعلى جوانب هذه الأروقة الأرضية تصطف مجموعة من الحجرات حسب المساحة التي تشغلها الدار، يخصص بعضها لكل ما يتعلــق بأدوات الإنتــاج الزراعــي وبحطب الوقود وعلف الماشية، بالإضافة إلى ما يشبــه حظيــرة الحيوانـــات، ويتميز الطابق الأرضي كذلك بوجود حجرة أكثر اتساعا تخصص لخزن المؤونة يطلق عليها (بيت الخزين). وغالبا ما تحول أحد زوايا الأروقة الأرضية إلى مطبخ شتوي ينصب فيه الموقد الطيني بمدخنته التي يتم بواسطتها سحب الدخان نحو سطح الدار.

وهناك بعض المحددات المنظمة لعملية تصميم المسكن أهمها: أن يخضع التخطيط العام لمبدأ هام من مبادئ العمارة الإسلامية السكنية وهو مبدأ التمييز بين المجال العام داخل المنزل والمجال الخاص، وتتوافق هذه الخاصية مع القوانين والتشريعات والأعراف الاجتماعية، وتعززه المعطيات الاجتماعية، ومنها خصوصية المرأة وعدم اختلاطها بالغرباء، بحيث قسمت الدور إلى جزأين منفصلين، مجال خاص بالرجال وآخر بالنساء، وقد تأثرت المنازل كغيرها من المباني بأحكام البنيان القائمة على الشريعة والعرف.

تميز التخطيط العام لمساكن قصور تافيلالت بالإنتظام إلى جانب تكيف هذا التخطيط مع الظروف المناخية السائدة بالمنطقة، فقد تبين لنا أن نسبة مهمة من المنازل ذات مخطط مستطيل الشكل، ويعزى هذا الانتظام إلى طبيعة أرضية القصر المستوية. وقد نصادف بعض المخططات التي تتداخل فيها المساكن نظرا لالتواء الأزقة.

بل سجلنا خلال زياراتنا الميدانية وجود اختلاف في شكل مخطط الطابق الأرضي والطابق الأول، ليصبح لدينا نوعان من علاقات الجوار الأولى في الطابق الأرضي على مستوى السقف، والثانية في الطابق الأول على مستوى الجدار المشترك.

2-4. العناصر العمرانية

يتكون المبنى السكني النموذجي بمنطقة تافيلالت من عدد من الوحدات المعمارية التي عولج كل منها بطريقة خاصة، تبعا لوظيفتها المحددة وعلاقتها بباقي مكونات المنزل، وقد اعتمد المعماري المحلي في التخطيط الرئيسي للمنزل على وحدة الإطار العام التي تربط المنازل بعضها ببعض، والتي تعد قاعدة لا بد من وضعها كأساس

لتخطيط المنزل، ونقصد بوحدة الإطار العام وجود عناصر معمارية أساسية في التخطيط، مثل عناصر الحركة والاتصال (المداخل والممرات)، وأماكن الاستقبال (غرف الضيوف) وحجرات المعيشة والأفنية، بالإضافة إلى الاعتبارات والمؤثرات التي تتحكم في تخطيط المنزل، وأهمها المكان الذي شيد عليه وقدرة صاحبه المادية، مع تأثير العوامل الدينية والاجتماعية ومواد البناء المستخدمة، ففي ضوء هذه المعطيات انقسمت الوحدات داخل المنزل إلى:

- **الواجهات**

تعتبر واجهة المسكن بقصور تافيلالت مرآة حقيقية تعبر عن مستوى ساكنيها، وتوحي بمبادئ العمارة التي يقوم عليها المسكن، ولهذه الواجهات أيضا أهمية في إبراز أشكال وتكوينات العناصر المعمارية والمسحة الفنية المشتركة بين المباني. وإن كان أهم ما يميز الوحدات السكنية بالقصر هو تشكيلها المعماري الذي يتسم بالبساطة، والذي انعكس على واجهاتها الخارجية (الواجهة الوحيدة على الزقاق).

وبالرغم من ذلك تبقى لهذه الواجهات خصائص معمارية مميزة، فهي أحد مظاهر التجانس بين مختلف المباني بالقصر الفيلالي، وذلك من خلال إبراز أشكال وتكوينات العناصر المعمارية والمسحة الفنية المشتركة وإن كانت على نطاق محدود. فعلى مستوى الاتجاه يعتبر الشرق اتجاها يتفق مع كل معاني الحياة عند المسلم، إلا أن المساكن بحكم تراصفها في شكل حزام معماري، ووجود بعضها في أزقة غير نافذة جعل واجهات المساكن تأخذ أكثر من اتجاه، فهي لاتخضع إلى قانون أو عرف معيّنين، بل تخضع بالدرجة الأولى إلى موقعها ضمن النسيج العمراني للقصر.

- **المدخــــل**

يعتبر مدخل المسكن عنصرا مهما من عناصر الشكل المعماري التقليدي، وهو من النوع المنكسر الذي لايفضي إلى الفناء الداخلي إلا عن طريق ممر فاصل، ولا يوجد بالمباني السكنية لقصور تافيلالت إلا باب واحدة، والسبب في ذلك؛ كونها تطل غالبا على درب واحد. وكان لنظام تخطيط الدروب بالقصر أثر كبير في تحديد مواقع

المداخل، إذ تقع على الأزقة غير النافذة، كما أن معظمها يحترم ظاهرة التنكيب[624]. أما الدور التي لم يراع فيها التنكيب والتي تقابلت أبوابها الخارجية، فيلاحظ أن أبواب الدور المتقابلة يفتح في الاتجاه المعاكس للآخر، مما يساعد على التقليل من ضرر الكشف.

ونلاحظ أيضا أن الباب الخارجي للمنازل بمنطقة تافيلالت يحتل مكانا ركنيا في إحدى زوايا المسكن ليسمح بالتحكم التخطيطي لمرافق المسكن، وتسهيل التوفيق بين تخطيط المجالات وتوفير الخصوصية، ويتميز المدخل الرئيسي للمسكن بالمنطقة أيضا بحجمه الكبير ارتفاعا وعرضا، ليسمح بدخول الدابة التي تكون في العادة محملة بالحطب أو الماء أو المحصول الفلاحي. وهكذا تراوحت مقاسات المدخل في المتوسط مابين 1.30 متر في العرض، و1.90 متر في الارتفاع.

- **البـــــاب**

تميزت أبواب المنطقة بوجود مصراع واحد في أحد طرفي محور دوران الباب، وهذا المحور عبارة عن عمود خشبي مثبت من طرفيه؛ الطرف العلوي في حلقة محدثة بالساكف، والطرف السفلي في حفرة تحدث في العتبة. أما الأبواب فصنعت من خشب النخيل أو الأثل، ولبعضها مدقاة عبارة عن قطعة حديدية صغيرة تتكون من جزأين أحدهما ثابت والآخر متحرك، مثبتان في منتصف الجزء العلوي للباب ليطرق عليها القادم لزيارة المسكن.

[624] - تنكيب الأبواب مصطلح فقهي معماري يعني عدم تواجه الأبواب الخارجية للدور بحيث تكون على محاور مختلفة حتى لا يكشف بعضها بعضا، أنظر، عثمان عبد الستار، الإعلان، م س، ص 217.



الصورة (33): مدقاة بأبواب الدور الفيلالية

تصوير شخصي 2008

تنوعت أشكال وأحجام هذه الأبواب تبعا لنوع وحجم المسكن والمستوى الاجتماعي لساكنيه، فهناك أبواب المباني التقليدية السكنية التي تميزت برشاقتها وجمالها، وهي على شكل مستطيل ينتهي بعقد دائري الشكل، وهناك نوع تتخذ فيه فتحة الباب شكلا مستطيلا ذي زوايا قائمة بسيطة المظهر.



صورة رقم (34): ا لباب الرئيسي لأحد المباني التقليدية، ويظهر فراغ هذا المدخل على هيئة نموذج مستطيل يعلوه عقد نصف دائري.

المصدر: تصوير الباحث 2008

ويبقى الباب بعناصره الإنشائية والزخرفية الجزء الأكثر ترميزا، وإن كان حضوره هندسيا لا يكتمل إلاّ في آخر مراحل عملية البناء، فإنّ تمثّله يبدو واضحا منذ البداية، لا سيما عبر التعامل مع موضع العتبة بكثير من مظاهر الخشية والانفعال، فيتمّ تخصيصه دون غيره من الأجزاء والوحدات المعمارية بطقوس عدّة تختلف العناصر المستخدمة فيها، إلاّ أنّـــها تتجانس في تمثّل ضرب من العلاقة الحتميّة القدرية بين ما يعتقد أنّه "طبيعة العتبة" ومستقبل المسكن وساكنيه[625].

- **السقيفة**

تحتل السقيفة في معظم قصور تافيلالت إحدى زوايا المسكن، وهي ساحة صغيرة مسقفة تأخذ غالبا شكلا مستطيلا، وقد تتخذ شكل ممر متعرج وبذلك يصبح مدخل المنزل منكسرا لايؤدي مباشرة إلى فناء المنزل، ولهذا الممر المنعرج دور مهم في تكسير حركة الرياح والتيارات الهوائية التي تدخل إلى المنزل والمحملة بالرمال والغبار. ولهذا المرفق مهام وظيفية متعددة، فهي من جهة تحافظ على حرمة الدار حيث لا يتمكن المار بالزقاق من رؤية من أو ما بداخل المسكن، وهي مكان لجلوس النساء للقيام بالأعمال المرتبطة بهن. ومن جهة أخرى، تقوم السڤيفة بتلطيف الهواء تدريجيا قبل أن يصل إلى وسط الدار، بالإضافة إلى ذلك، فهي من عناصر الاتصال الرئيسية بين وحدات الدار المختلفة.

وتختلف مساحة السڤيفة من دار إلى أخرى، ويحكمها إلى حد بعيد مساحة الدار نفسها، وكذلك موقع الدرج وعلاقته بمدخل الدار، حيث يراعى أن يتوصل من المدخل إلى الدرج من أقرب طريق عبر السڤيفة.

- **وسط الدار**

ننتقل إليها مباشرة من السقيفة، حيث يعتبر الفضاء الرئيسي في المسكن، ويستمد وسط الدار أهميته من خلال ما يوفره لساكنية من إمكانية استغلاله لأغراض متعددة، ففيه

[625] - عماد صولة، سيرورة الرمز من العتبة إلى وسط الدار: قراءة أنثروبولوجية في السكن التقليدي التونسي، ضمن مجلة انسانيات، عدد28، 2005، ص21.

تقام الأعراس، والمناسبات، ويمثل مجال للعب الأطفال، كما تمارس فيه النساء بعض أعمالهن اليومية.

وتختلف مساحة باحة الدار من بيت لآخر ويحكمها إلى حد بعيد طريقة توزيع الغرف حولها، وكلما زادت ساحة الدار اتساعا اشتملت على أروقة شكلت مجالا فاصلا بين الفناء والغرف، والرواق نظام معماري فرضته الظروف المناخية فهو يهيئ مجالا للانتقال بين الغرف، ويحمي من أشعة الشمس صيفا ومن البرد شتاء. ولم تكن كل البيوت الفيلالية تتوفر على أروقة، إذ انحصر وجودها في الدور الكبيرة.

يغطى وسط الدار بالكامل إلا من خلال فتحة أو فناء تسمى محليا: "عين الدار" تكون صغيرة في الغالب، خلافا لما عرف عن شكل ومساحة هذه الأفنية في البيوت العربية القديمة، وقد وجد هذا النوع من التصميم لتحقيق نوع من الخصوصية وذلك بتوجيه جميع فتحات الغرف على الفناء، وجعل معظم الحوائط الخارجية مغلقة، ويساعد وجود الفناء على تخفيف درجات الحرارة الخارجية العالية وتوفير الإنارة اللازمة لكافة عناصر المبنى دون السماح بالدخول المباشر لأشعة الشمس.

- **الغــرف**

تصطف بجانب الفناء ويختلف عددها من دار إلى أخرى حسب المساحة التي تشغلها الدار، وتمتاز الغرف بقصور تافيلالت باستطالتها وبساطتها، فهي تأخذ مساحة أضلاع المسكن، تتخللها نوافذ تنفتح على الفناء لإمدادها بالضوء والهواء.

تختص بعض الغرف بكل ما يتعلق بأدوات الإنتاج أو حطب الوقود، وتخصص أخرى لخزن المؤونة، وتسمى هذه الغرفة: "بيت الخزين"، ومن محتوياتها الأساسية أواني فخارية لخزن المواد التي تفسد بالحرارة، كالتمور والشحم، بالإضافة إلى الخضر والحبوب والقطاني، وهذه الغرف بدورها تختلف من حيث المحتويات والإتساع تبعا لطبيعة الثروة وحجم ويسر الأسرة[626] (الصورة:35).

[626] - عبد اللوي، مدغرة، م س، ج1، ص 246.




صورة رقم (35): غرف لتخزين المؤن

المصدر: تصوير الباحث 2008

- **الدرج**

هو عنصر معماري هام من عناصر البناء الداخلية، يكتسي أهمية كبرى داخل النسيج المعماري للمنزل الفيلالي، فهو عنصر الإتصال العمودي بين مختلف المستويات المكونة للوحدة السكنية. وتكشف المعاينة الميدانية لنماذج من السلالم وتصميمها في دور تافيلالت على تنوع واضح، فموضع السلم في الدار ارتبط بتحقيق هدف الخصوصية، ومن ثم اختير له الموضع الأقرب إلى الباب، وارتبط هذا الاختيار أيضا بوظيفته كعنصر اتصال بين وحدات تكون أعلى من مستوى الدور الأرضي، وأقل قليلا من الدور العلوي كوجود المرحاض.

يلتف الدرج حول المرحاض أو بمحاذاته تبعا للطريقة المتبعة في تفريغه، فإذا كان التفريغ يتم من داخل السكُيفة فإن الدرج يلتف على المرحاض، أما إذا كان التفريغ يتم في الزقاق فإنه يحاذيه. وتختلف مقاسات وأبعاد وحدات الدرج من بيت إلى آخر من حيث الطول والعرض والارتفاع، وذلك بحسب المساحة المخصصة للدرج ضمن المساحة الإجمالية للبيت التقليدي.

▪ **المرحاض**

يطلق عليه محليا عدة تسميات، مثل: "شيخ الدار"، "بيت الماء"، "الكنيف"[627]، وهو من المرافق الصحية ذات الأهمية القصوى داخل الوحدة السكنية، يقع في منتصف الدرج الرابط بين الطابق السفلي محل الإقامة في الصيف، والطابق العلوي محل الإقامة في الشتاء، وارتبط وجوده بهذا المكان لسببين[628]:

* أولهما تقني، ويتلخص في كون المرحاض يفرغ كلما امتلأ، وبما أن الجهة الخارجية الوحيدة التي تجعل من هذه العملية سهلة هي التي يقع خلفها الدرج، فكان من اللازم أن يحتل هذا الموقع. أما: * ثاني الأسباب فوظيفي، يحكمه تنقل السكان داخل المسكن من الأسفل إلى الأعلى، أو العكس حسب فصول السنة، وهذا يتناسب مع مكان المرحاض في منتصف الدرج، بل ويوفر سهولة في الاستعمال ووقار وحرمة لمستعمليه.

أما معماريا فهو عبارة عن حفرة مربعة أو مستطيلة الشكل تستعمل لجمع الفضلات، يتكون من جزأين: جزء علوي (بيت الراحة)، وجزء سفلي حيث يتجمع الروث والنفايات التي يلقى بها. وهو مغلق تماما إلا من فتحة صغيرة تربطه بالجزء العلوي، أما عملية التفريغ فتتم إما من داخل ممر المدخل أو من الخارج من الزقاق غير النافذ الذي يحاذيه.

وفي بعض الدور وهي قليلة، كان ينشأ المرحاض في الطابق العلوي، ومن ثم فإن بناء الخزان يرتفع إلى مستوى هذا الطابق. ويلاحظ في المسكن الفيلالي تطبيقه للتوجيهات الدينية، حيث التزم بتوجيه المرحاض بوضع لا يواجه القبلة لما لهذه الوجهة من قدسية وحرمة، حيث نجد أن الإتجاه العام في توجيه هذا المرفق يكون نحو الغرب او الشمال الغربي.

---

[627] - الكنيف وهو المرحاض وسمي الخلاء بالفتح والمد وهو موضع قضاء الحاجة.
- الإعلان، م س، ص 207.
- المعجم الوسط، ج2، ص 801.

[628]- القصور والقصبات، م س، ص 166.

إن فائدة وجود مرحاض بكل منزل من منازل قصور تافيلالت لا تنحصر فقط في كونه مكانا لقضاء الحاجة وستره لأهل الدار، بل يضاف إليها الفائدة الكبيرة فيما يوفره من زبول لمعالجة الأراضي الزراعية المستنزفة بقوة الاستغلال، سيما وأن السماد البشري حسب ما يفيدنا به "أبو خير الأندلسي" هو أفضل الزبل، حيث يقول: "وأفضل الزبول زبل بني آدم الذي قد قدم وعتق في الكنف، وفتيت بعض رطوبته، فإنه رطب حار يصلح به جميع الشجر والحبوب، وتصلح به المقاثي والقرع إذا توقفت وصغرت، وله تأثير في شجر الشفرجل إذا شرف وسوس ثمره وفسد واعترته التواليل في أعناق شجره وأغصانه فإنه يصلحه صلاحا بينا[629].

- **السطح**

يضم مجموعة من الغرف متعددة الوظائف، وهو أفضل مكان للنوم في فصل الصيف، ويستخدم كذلك لتجفيف الملابس والسجاد بعد غسلها ولتجفيف بعض المواد الغذائية كالتمر والزرع. تحيط بالسطح سترة[630]، ترتفع بحوالي مترين لتوفير الخصوصية وحجب الرؤية الخارجية. وقد بنيت في السطح مجموعة من الغرف التي تتحدد أهميتها من خلال مساحتها والوظيفة التي تؤديها، إضافة إلى موقعها في الدار، ويمكن تصنيف الغرف إلى صنفين بحسب حجمها وهي:

- **الغرف صغيرة الحجم:** وهي التي تقوم بوظائف خدمية مثل: التخزين، والطبخ، والغرف ذات الوظائف الخاصة. لكل غرفة اسمها الخاص بها والمشتق من وظيفتها.

- **الغرف المتوسطة والكبيرة الحجم:** عادة ما تستخدم الغرف المتوسطة الحجم للنوم، لما يتوفر لها من خصوصية ولانعزالها عن بقية الغرف، يستخدمها الأبناء المتزوجون حديثا. أما الغرف كبيرة الحجم: "المصرية" أو "بيت الضيوف"، فهي أوسع حجرات الطابق العلوي، تستخدم لغرض استقبال الضيوف من الرجال والنساء وإقامة المناسبات الاجتماعية فيها،

[629] - أبو خير لأندلسي، كتاب الفلاحة. فاس 1358هـ. ج1، ص 89.

[630] - السترة بضم السين، ما يستر به، وهو الشيء الذي يحجب ويستر، وسترة السطح ما يبنى حوله للتستر ومنها قوله استأجر حائطا ليبني عليه سترة ومثله حائط بين اثنين عليه خشب وللآخر عليه سترة. وقد نظمت الأحكام الفقهية استغلال السطح للنوم وغيره ومنعت استعماله في هذه الأغراض إذا لم تبن له سترة، وحددت هذه الأحكام ارتفاع السترة بما لا يقل عن سبعة أشبار أي حوالي 1،61 متر.

- ابن الرامي، م س، ص 181.

وقد روعي في اختيار موضعها تجنب نساء المنزل كشف الغرباء من الضيوف، وغالبا ما يحمل سقف هذه الغرفة زخارف ملونة عبارة عن أشكال هندسية. (الصورة :36)



صورة رقم (36): زخارف السقوف

وفي أحد أركان غرفة الضيوف يوجد بناء بارز على سمت الحائط، أو عبارة عن فتحة في الحائط تدعى: "الطارمة" تحاط بزخارف جصية أو رفوف من الخشب، يحتفظ فيها بالشاي والسكر، هذا في وقت كانت فيه هذه المواد نادرة.

5- تصنيف المباني السكنية بقصور تافيلالت

رغم أن بناء المساكن بمنطقة تافيلالت يكون بتكلفة بسيطة، حيث إن المواد تتوفر محليا وتجلب مجانا من البيئة المحيطة، وعملية البناء تتم بالتعاون، مما يجعلها في متناول الجميع، إلا أن عناصره ومكوناته تتأثر بعوامل كثيرة؛ منها الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للمالك، الأمر الذي ينعكس على اختلاف التفاصيل المعمارية والإنشائية، ولم ينحصر هذا الاختلاف بين قصر وآخر، لكنه يظهر ضمن نفس القصر، ويمكن تصنيف المنازل بمنطقة تافيلالت إلى:

- **الرياض:** بالرغم من كون الرياض يشكل نمطا معماريا مميزا للدور السكنية بالمدن العتيقية بالمغرب، إلا أن القصور المخزنية بمنطقة تفيلالت عرفت هذا النوع من السكن الذي تتوسطه حديقة ذات أزهار ونباتات، وقد سمي في بعض الوثائق السلطانية بـ:

"العرصة"، كتلك التي تحدثت عن عرصة قصر ابار[631]. والعرصة كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء[632]. ومن مميزات رياضات القصور المخزنية أنها تشترك في نفس العناصر المعمارية المعروفة في عمارة الرياض بالمدن التقليدية المغربية، كالغرف والمنزه والدويرية والمصرية والحمام.

- **المنزل الكبير:** هي المساكن التي بنيت لتفي بمتطلبات فئة ميسورة من المجتمع، مثل الدور الكائنة بالقصور المخزنية أو بالقصبات التي ملك بها أبناء السلاطين دورا لهم، بحيث احتوت هذه الدور على أقسام للاستقبال وأخرى لخزن المؤن، وحمام خاص يحتوي على مجموعة من الغرف، وقد صممت هذه الدور بعناية، بحيث احتوت على زخارف كثيرة في مداخلها وممراتها وغرفها، لتعكس الحالة المادية والاجتماعية لأصحابها، كما اشتمل بعضها على نظام مائي يتناسب وفخامة البناء، وتعتبر القصور بوادي يفلي وتانيجيوت المجال الأكثر احتضانا لهذا النوع من الدور.

ضم هذا النموذج أيضا مجموعة من الدور الكبيرة التي اشتملت العديد من السمات العمرانية، ببواباتها الفخمة، وتخصص فراغاتها الوظيفية بشكل يميزها عن بقية المساكن.

- **المنزل ذو الرواق:** انتشرت هذه المساكن بقصور قليلة، خاصة تلك التي يقطنها التجار كقصر أبوعام، وتابوعصامت، وقد احتوت على أقسام مختلفة، قسم للاستقبال وقسم للخدمات، وقسم خاص بالعائلة، كما روعي في بنائها استعمال الزخارف.

- **المنزل ذو الأعمدة:** وهو الأكثر انتشارا، حيث يعكس مخططها المكون من مجموعة من الغرف: الحالة المتوسطة ماديا لفئة المزارعين البسطاء.

يرتكز المسكن في هذا النموذج على مجموعة من الأعمدة تتراوح بين العمود الواحد والأربعة حسب شساعة المساحة الداخلية للمسكن (وسط الدار) التي تصل حسب الدراسة التي قمنا بها.

- ما بين 50 و60 متر مربع بالنسبة للمنازل ذات أربعة أعمدة.

[631]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19059.

[632]- ابن منظور، لسان العرب، م س، المجلد الرابع، باب العين، ص 301.

- ما بين 20 و25 متر مربع بالنسبة للمنازل ذات العمودين.

- أقل من 20 متر مربع بالنسبة للمنازل ذات العمود الواحد.

- **البيت الخالي من الدعامات الداخلية:** وهي مساكن صغيرة من حيث المساحة، كانت مخصصة للعبيد أو بعض الفئات الاجتماعية التي كانت في خدمة الأغنياء.

6- العناصر الوظيفية للمنزل ومميزات البناء فيه

ارتبط الفلاح الفيلالي منذ القدم بمهنته وبيئته، حيث شكلت وصاغت الزراعة وما ارتبط بها من صناعات أسلوب حياته ومسكنه، والذي احتوى بصفة عامة على جزء خاص بالأنشطة الزراعية سواء في صورة حظيرة للمواشي، أو بيوت للتخزين، أو فراغات لتربية الدواجن، وأخرى لتصنيع منتجات تقليدية مرتبطة بنشاطه. وتشكل المسكن الفيلالي على مدار التاريخ وحتى القرن العشرين، من عناصر ثابتة تتغير بتغير الإمكانيات الخاصة بكل فلاح على حدة، زيادة أو نقصانا، لكنها في مجملها تمثل ملامح عامة يمكن رصدها في العناصر الآتية:

أ- المجال المخصص للزوار: تتم فيه استضافة الزائرين، ويتكون، في الغالب، من غرفة تسمى: "المصرية" أو "بيت الضياف"، وقد تكون المصرية أوسع من باقي الغرف، منفصلة بمدخل خاص عن باقي عناصر المسكن لتحقيق الخصوصية، بينما يكون اتصالها المباشر بالمدخل الرئيسي للمسكن، وتتم تهويتها عن طريق فتحات تطل على الفناء.

ب- مجال المعيشة والنوم: حيث ترتبط معيشة الفلاح الداخلية بغرفة نومه ارتباطا وثيقا، وتختلط الفضاءات اللازمة لمعيشته حيث يصعب تحديد وظيفة وحيدة لكل مجال، لأن الفلاح يمارس العديد من الأنشطة مع أسرته دون تحديد مجال كل نشاط، فيتكون فضاء المعيشة والنوم من غرف النوم المغلقة التي ترتبط إما بفراغ مغلق أو بفراغ يرتبط بالفناء، وتكون هذه الفراغات محيطه بالفناء، كما توجد غرف النوم والمعيشة بالدور العلوي للمنزل في حال وجود طابق علوي.

ت- المجــال الخدمـاتـــي.

يحتوي في الغالب على جزأين:

- **جزء الخدمات:** ويتكون من المرحاض والمطبخ وكذا غرفة الخزين وحظيرة المواشي، حيث تتجمع هذه العناصر حول الفناء الرئيسي، وأحيانا يخصص لها مدخل خاص جانبي.

- **الفناء الداخلي:** يمثل الفناء الفراغ الرئيسي الذي تمارس فيه كافة الأنشطة الإنتاجية داخل المنزل، من عمليات تصنيع بسيطة لبعض الأدوات المستخدمة في الأعمال الزراعية، كتصنيع القفاف أو الحصير أو تصنيع بعض منتجات الألبان وغيرها، كما يمثل الفناء في نفس الوقت الفراغ الرئيسي لتجمع أهل البيت، فإليه تفتح أغلب العناصر المعمارية للمسكن، فقد وفر الفناء العديد من المتطلبات الاقتصادية، كونه أصبح الفراغ المنتج داخل المسكن، فضلا عن وظيفته التي حققت العديد من المتطلبات الاجتماعية الأخرى، فهو مصدر ضوء وهواء معظم حجرات المسكن، الأمر الذي قلل من وجود الفتحات الخارجية، فحافظ بذلك على حرمة المسكن وحماية سكانه من الدخلاء، ووفر الفناء المكان الملائم لمزاولة الأنشطة الاجتماعية، فضلا عن الأنشطة الإنتاجية مما ساعد على تقوية الروابط والصلات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة، وساعد على بث روح التكافل والتعاضد.

خلاصـــة:

شكل المسكن أهم مكونات النسيج العمراني لقصور تافيلالت، وله سمات تعكس ملامح الفكر التصميمي والوظيفي، ليؤدي أدواره النفعية، والاجتماعية، والتقنية، والبيئية، كما أنه يتسم بوحدة الشكل الخارجي والداخلي، وتتشابه واجهاته مكونة شخصية واحدة للقصر، واقتصرت الاختلافات بين المنازل في المتغيرات الأساسية وهي المساحة والارتفاع، بسبب تفاوت المستوى الاقتصادي والمكانة الاجتماعية بين ساكنة القصر الواحد.

ولايخفى أهمية العامل البيئي والديني والاجتماعي والاقتصادي في التأثير على تصميم ساكن القصور الفيلالية، إذ إن تصميمها يعد حصيلة تكيف طويل للإنسان مع هذه العوامل. كما تعكس هذه المساكن في بعض خصائصها ومكوناتها البعدين الأمني والتخزيني لتأمين الأنفس والممتلكات.

كما نجد المسكن بمعظم القصور الفيلالية ذو مواصفات هندسية خاصة، مغلق تماما من الخارج، مفتوح على السماء، يمثل الإطار المثالي للحياة التقليدية في المنطقة المتميز بخصوصية الحياة الأسرية، كما يتأقلم مع النظام الأبوي للأسرة وأهمية الحرمة لسكان المنزل، لارتباطه بالأعراف المحلية من جهة، والثقافة العربية الإسلامية من جهة ثانية.

أما من حيث الشكل العام فأغلب مساكن قصور تافيلالت مربعة الشكل ومؤلفة من طابقين تضم المرافق الأساسية لعيش السكان، وتميزت واجهات هذه المساكن بالبساطة والغياب التام للفتحات والزخرفة، لتكون بذلك وفية للعمارة السكنية في العالم الإسلامي، وأكثر إلتزاما بالتعاليم الدينية وتقاليد وأعراف البناء بالمنطقة.

الفصل الثالث

مواد وأساليب البناء والزخرفة بقصور تافيلالت

لقد شكل المعمار بالواحات المغربية أحد حصون الذاكرة التي بدأت بالتلاشي والإندثار، إذ يفاجىء الدارس للتراث المعماري للقصور والقصبات بشح إشارات المؤلفات المحلية حول المعارف والمهارات والحرف اليدوية المرتبطة بهذا التراث. لكن المتمعن في الناتج المعماري يدرك حذق وذكاء وفطنة خبراء البناء الذين شيدوا تلك المعالم، رغم أنها لم تتميز كلها بطابع فني مميز، إلا أنها استجابت لمتطلبات معيشية وحتمية فرضها المجتمع وتعامل معها المعماري بنسق عمراني دقيق. لذلك فمعمار القصور يمثل نتاج ثقافة شاملة في هذا المجال، تكون من خلال خبرة أجيال من البنائين عن طريق التجربة والتطوير، مما جعلهم يراكمون معارف ومهارات مرتبطة بخصائص مواد البناء وطرق معالجتها واستعمالها.

ولا شك أن توفر هذه المعارف والخبرات الهندسية والحرف اليدوية المرتبطة بالتراث المعماري، جعلت تخطيط وتصميم المباني عملية أكثر يسراً وسهولة. ففي الماضي كان الإعتماد على فنيين حرفيين لصناعة البناء، وكانت الخبرات والمعلومات تتوارث من جيل إلى جيل، وكان الحرفي الماهر يجمع في شخصه المعماري المصمم، والمهندس الإنشائي، والفني المنفذ، ويكون كل تصميم وتنفيذ استجابة مباشرة لمواد البناء المتوفرة محليا ووفقاً لأغراض المبنى الوظيفية.

إن هذه العمائر التقليدية المتمثلة في القصور والقصبات أظهرت نمطا معماريا متميزا ارتبط بالزمن والمكان، وعكست الهوية المعمارية التي حاول المعماري من خلالها صياغة علاقته بالمحيط والموارد المتاحة وذاكرته ببعدها التاريخي والحضاري والبيئي، وعبر من خلالها عن أفكاره وقيمه ونظمه ومهارات الحرفيين والصناع، ذلك بأن الهوية المعمارية للعمران الصحراوي، يمكن قراءة ملامحها المعمارية المعبرة عن القصور والقصبات؛ من خلال شكلها العام، ومواد وتقنيات بنائها، وفضاءاتها وعناصرها الزخرفية وغيرها.

وفي هذا الفصل نحاول استعراض مواد البناء المستخدمة في عمارة القصور وطرق الإنشاء المتبعة، والتعريف بها وبيان مدى قدرتها على التلاؤم مع العوامل المناخية والبيئية، وكيفية الحصول عليها وإعدادها. إضافة إلى الوقوف عند المعلومات القيمة التي تحملها والمتعلقة بالجانب التقني والثقافي والاجتماعي. فضلا عن بعض المعارف والمهارات المتعلقة بمبادئ الهندسة المعمارية بالقصور والقصبات، لضمان نقلها إلى الأجيال المقبلة، وإبراز دورها في حفظ الهوية المعمارية والذاكرة الجماعية.

I- مواد وتقنيات البناء في عمارة قصور تافيلالت

1-مـــواد البنــاء

لكل أثر معماري مادته التي تميزه، وهي التي تحدد هوية المبنى، وإذا حاولنا أن نتفحص المواد المستخدمة في بناء القصور من حيث طبيعتها، نجدها لاتخرج عن ثلاثة أصناف، إذ يشكل الطين والحجارة وخشب النخيل المصادر الرئيسية لمواد البناء المستعملة في عمارة القصور، ويمكن تصنيف هذه المواد إلى مجموعات رئيسية، بحسب طبيعتها، أو بحسب مجال استعمالها.

1-1. التراب

يعد التراب من أقدم مواد البناء النى شاع استخدامها في معظم بلدان العالم، خصوصا في المستوطنات العمرانية التي تقع في بطون الأودية ووسط الواحات والمناطق الصحراوية وغيرها من المناطق التي تتوفر فيها التربة المناسبة. وهو أساس تحضير عجينة الطين التي تنوعت طرائق وكيفيات وأغراض إعداده واستعماله في البناء.

ونحصل على الطين من مادة التراب[633]، التي تعد المادة الأساسية الأكثر استعمالا في تشييد المنشآت المعمارية بمنطقة تافيلالت، فهو يستعمل في حالته الطبيعية بعد

---

[633]- تعود الإشارة الأولى لاستعمال التراب في عملية البناء بالمغرب إلى الفترة ما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد، راجع:

-Touri (Abd el Aziz), "Le patrimoine architecturale au Maroc", Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée. Histoire et perspectives, Publication Faculté des Lettres et Sciences Humaines /Université Mohamed V; n 80, imprimerie Najah EL Jadida 1999, Casablanca, p 469.

خلطه بمواد أخرى أهمها الماء والتبن، فتنتج عنه أنواع أخرى من مواد البناء، منها الملاط والطوب المجفف.

واكتسب التراب مكانته كمادة أساسية في البناء بمنطقة تافيلالت من سهولة الوصول إليه والحصول عليه، إذ يستخرج عادة من المجال القريب من البقعة المراد البناء فوقها، كما يجلب في بعض الحالات من مواقع بعيدة لجودة تربتها أو جمال لونها. وقد قامت على التراب أغلب صناعة البناء وموادها، كالطابية والطوب، والطين والآجر والزليج والقرميد. ومن تم تبرز أهمية هذه المادة في تشييد القصور بمنطقة تافيلالت إذ يمكن أن نصفها بالعمارة الطينية أو الترابية.

وتتوقف جودة البناء على التربة التي تصنع منها، ولهذه الغاية كان يستخرج التراب بعد إزاحة الطبقة السطحية الغنية بالمواد العضوية والنباتات، ويشترط في التراب الجيد أن تكون نسبة المواد العضوية به قليلة[634]، وأن يحتوي على نسبة ملائمة من الطين والطمي والرمل. وقد ساعدت هذه المادة سريعة الاستعمال والتي لا تعتمد على أدوات معقدة أو باهضة الثمن[635]، من تشييد مباني كثيرة بطريقة سريعة وتكاليف قليلة، وهذا ما يؤكد نجاح أرباب هذه الصناعة في الاستخدام الأمثل للمواد المحلية والبيئية[636].

ومن التراب المبلل نحصل على الطين الذي يعد أعرق مادة بناء عرفتها الإنسانية[637]، فقد استخدمت هذه المادة منذ ما يزيد من عشرة آلاف سنة، وانتشر استعماله لدى العديد من الحضارات؛ كبلاد الرافدين ووادي النيل، والحضارة الرومانية والهندية، وحضارة الهنود الحمر والحضارة الإسلامية، ولا يزال البناء بالطين مستعملا في الكثير من مناطق

[634] - عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات، م س، ص 258.

[635]-Bazzana (André), "L'Architecture de terre au moyen-âge considérations générales et exemples andalous" Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée :Histoire et perspectives, Publication Faculté des Lettres et Sciences Humaines /Université Mohamed V, n 80 imprimerie Najah EL Jadida, Casablanca 1999, p 202.

[636] - حسن حافظي علوي، "مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي"، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80، 1999، ص 56.

[637] - فضلي آمنة، "الفن المعماري بالطين بين الأصالة والمعاصرة" ضمن البيئة المحلية والتنمية بواحة فكيك، منشورات جمعية النهضة، فجيج، 1987، ص 129.

العالم، وخاصة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية[638]، وللطين خصائص ومكونات تختلف باختلاف أماكن وجوده، فمعرفة مكوناته وخصائصه ضرورية لفهم التقنيات التي يسمح بها وتلك التي لا يسمح بها في عملية البناء[639].

والطين الصالح للبناء هو ذلك النوع الذي يمتاز بالليونة ونسبة الطمي العالية، ومن الخصائص التي يجب توفرها في الطين الجيد اللدانة، وهي خاصية تسمح له بالتشكل واحتفاظه بشكل القالب، ويصبح الطين لدِناً بإضافة الماء إليه. ومن الخواص أيضا خاصية الانكماش وتتأثر هذه الخاصية بنسبة الطمي في الطين، فكلما زادت نسبة الطمي، زادت قدرة الطين على امتصاص الماء وبالتالي زادت نسبة انكماشه[640]، وبإمكان البنّاء المحترف أن يكتسب التجربة ويستطيع التعرف على الطين المناسب بواسطة حواسه.

ويتم إعداد الطين عن طريق جلب الأتربة النقية وتخليصها من الشوائب وذلك من أماكن معروفة يختارها البنّاء بدقة بِناءً على تجاربه. وتحمل الأتربة في أكياس كبيرة تنقل بواسطة الحمير أو البغال يصطلح عليها محليا: "الزنبيل". تجمع هذه الأتربة على هيئة أكوام هرمية ذات قاعدة متسعة وتنشر قطع التبن الصغيرة على الكومة وتخلط جيدا مع التراب ويصنع تجويف أعلى الكومة، أو ما يسمى محليا: "بالعجنة"، ثم يصب الماء فيه وتخلط هذه المكونات بالأرجل والفؤوس، وقد تترك يوما أو يومين حتى تختمر جيدا. (الصورة:37).

[638]-Capot-Rey (R) .Greniers domestique et Grennier fortifiées au Sahara, le cas de Gourara, TIRS T14, Paris 1956, p 9.

[639] - المرجع نفسه، ص 129.

[640] - وصف مقدم من طرف أحد معلمي البناء.



صورة رقم (37): طين جاهز للإستعمال بعد عملية التحضير.

3- الاستخدامات المتنوعة للطين في بناء القصور.

بالنظر لما يتمتع به الطين من مميزات (الوفرة - السهولة - الملاءمة - المتانة...) فقد تعددت طرق استخدامه تبعا لنوع المنشآت والغرض منها، ويمكن للمتأمل في عمارة الطين بمختلف المناطق في العالم أن يحصي طرائق عديدة للتشييد بهذه المادة، نذكر منها: استعماله لصناعة الطوب النيئ/استعماله في صناعة الطوب المحروق/ الاستعمال المباشر لعجينة الطين في البناء سواء بوضعه مباشرة في الجدران، أو استعماله لتكسيتها وحمايتها.

- **الطوب الطيني النيئ**[641]: الآجر المحلي "القالب": وهي كلمة عربية أدخلت إلى اللغة الإسبانية والتي بدورها دخلت إلى الأمريكيتين، ويطلق هذا المصطلح على الطوب الطيني الذي يشكل في قوالب ويجفف في الشمس[642]. يصطلح عليه محليا اسم

[641] - اتبعنا التسمية المستعملة في كثير من المراجع، حيث يستعمل الطوب النيئ لتمييزه عن بقية أنواع الطوب مثل الطوب الأسمنتي والزجاجي وغيرها، والنيئ تمييزا له عن المحروق، راجع: محمد علي بركات، مواد البناء واختباراتها القياسية، دار الراتب، بيروت، 1990، ص 21.

[642]- علي حملاوي، "البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة وادي ريغ نموذجا"، ضمن مجلة آثار، العدد7، عدد خاص بالملتقى الدولي للآثار والبيئة، الجزائر، 2008، ص 62.

"القالب" وهو من أقدم التقنيات وأكثرها انتشارا في العالم القديم[643]، يمثل أساس العمارة الطينية بمنطقة تافيلالت، تتم صناعته محليا بتجهيز الطينة التي يصنع منها بخلط التراب الذي تزيد فيه نسبة الطمي عن المواد العضوية، بعد ذلك تهيئ التربة في شكل عجين مشبع بالماء ومخمر إلى أن يصبح لينا. وتمر عملية صناعة الطوب التي يتجند لها مجموعة من العمال بعدة مراحل:

- **تحضير التربة المناسبة**

تجلب عادة من مكان يكون قريبا من موقع البناء، إذ تنزع الطبقة السطحية التي تحتوي المواد العضوية والحصى ومختلف الشوائب، ثم يتم الشروع في الحفر في التربة الجيدة باستخدام الفؤوس. بعد تحضير التربة يتم عجنها بالماء ودلك الخليط بالأرجل ويقلب بالفأس حتى يذوب ويصبح عجينة متماسكة، وكلما أعاد البنّاء عجن الطين كلما تجانس أكثر وصار صالحا للتشكيل، فالماء هو الذي يعطي للعجينة لزوجتها بعد عملية التخمير، ويجعل جزئياتها ومكوناتها قوية ومتماسكة نتيجة التفاعل الفزيائي بين مختلف المكونات[644]. وينصح بعدم استعمال الماء المالح لأن الملح أحد أسباب تدهور الطوب بعد تبلوره.

- **القولبة**

ظهرت هذه التقنية في المشرق منذ القديم وعنهم أخذها الإغريق، ثم عرفت في المغرب الإسلامي منذ مطلع القرن 4هـ/10م[645]، فبعد تحضير العجينة تأتي مرحلة القولبة وتتمثل في تشكيل عجينة الطين على هيئة قوالب مناسبة للبناء أو الزخرفة، بوضعها في قالب خشبي يسمى "القالب" يأخذ شكل الطوبة النهائي، ليتم صب القوالب على أرضية مستوية مرشوشة بالتراب الجاف أو الرمل ليمنع التصاق الطين بالقالب الخشبي، وتسمى هذه العملية في الاصطلاح المحلي "ضرب القالب". (الصورة:38). ويمكن لفريق مكون من ثلاثة أفراد أن يصنع حوالي 1000 طوبة في اليوم.

---

643 - فضلي أمينة، الفن المعماري بالطين، م س، ص 131.

644 - أرزقي بوخنوف، تشخيص الطوب المشكل لهياكل قصري النزلة وتماسين ولاية ورقلة، أطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012، ص135.

645 - حملاوي، البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة، م س، ص63.



صورة رقم (38): صورة تظهر طريقة تحضير الطوب

المصدر: تصوير الباحث 2008

- **التجفيف**

بعد الانتهاء من العملية السابقة يترك الطوب المشكّل في الشمس لبضعة أيام، وتتم مراقبته وقلبه إلى الجهة الأخرى حتى يجف ويكسب صلابة ومتانة، عندها يصبح صالحا للاستعمال. ويستحسن أن تتم هذه العملية خلال الأيام غير الممطرة، كما يفضل فصلا: الربيع أو الخريف حتى تكون درجة حرارة أشعة الشمس أقل بكثير مما هي عليه في الصيف، وذلك تفاديا لتشققه.

تتوقف جودة الطوب على مكونات التربة وطريقة الإعداد، ونسبة المواد الأولية المستعملة في خليط التربة ويمكننا أن نميز فيها بين ثلاث حالات:

- زيادة نسبة الطين: وفي هذه الحالة تكون نسبة تقلص قطع الطوب كبيرة، فبعد التجفيف تظهر تشققات والتي تتسبب في تخفيض المقاومة الميكانيكية للقطع.
- زيادة نسبة الرمل: والتي تؤدي إلى تخفيض تماسك عجينة التربة.

- زيادة نسبة المواد العضوية: وفي هذه الحالة يكون التأثير والتغير في خصائص قطع الطوب على المدى البعيد، فبعد تحلل هذه المواد بفعل الماء، تشكل مسامية تؤثر على المقاومة الميكانيكية لمادة الطوب وديمومتها[646].

لهذا كان صانع الطوب يلجأ قبل تحضير الطين إلى اختيار التراب المناسب واستخراجه من الحدائق والسواقي التي تعرف ترسبات الطمي بنسبة كبيرة، واشتهر البنّاء بهذه الطريقة لكثرة الطين، ولأنه مادة مرنة لها قابلية التشكيل، إضافة إلى سهولة الحصول عليه وقلة تكاليفه وقدرته على العزل الحراري وهو أمر مرغوب فيه في هذه المنطقة.



صورة رقم (39): تظهر مراحل تحضير الطوب

المصدر: تصوير الباحث 2008

646 - أرزقي بوخنوف، تشخيص الطوب المشكل لهياكل قصري النزلة وتماسين ولاية ورقلة، م س، ص.93.

وبدراسة خاصية التوصيل الحراري للطوب، اتضح أنه يعادل أربع مرات التوصيل الحراري للجص ومرتين للخرسانة العادية، ومن ثم فإن تحقيق خاصية العزل الحراري في المباني المشيدة من اللبن كانت تتأتى بالزيادة في سمك الجدران[647].

وجدير بالذكر أن هناك ثلاثة أحجام مختلفة من الطوب النيئ تختلف باختلاف مجالات الاستخدام، فهناك القالب صغير الحجم (10/18سنتمتر)، وهناك القالب المتوسط (12/22سنتمتر)، فضلا عن القالب كبير الحجم (14/26سنتمتر)[648]، ويستخدم النوع الكبير في الجدران الحاملة والأساسات، خاصة الأدوار الأرضية، بينما يستعمل الحجم المتوسط في الجدران الفاصلة والطوابق العليا، أما النوع الصغير فيستخدم في التشكيلات الهندسية مثل العقود والافريزات كما تسمح بتناسق الأشكال[649]، ويرى "مونيي" أن الطوب عنصر زخرفي انتقلت تقاليده الهندسية إلى المغرب وسجلماسة عبر القيروان[650].

- **التراب اللدن**

في هذه الحالة يضاف إلى التربة نسبة قليلة من الماء ليكسب التراب لدونته ويتم نقله بعد ذلك لاستعماله في البناء بتقنية الطابية. ويتم تحضير هذا النوع من الطين بمنطقة تافيلالت عن طريق سقي حقل أو جزء منه بعد معاينة جودة تربته، ثم يترك لبضعة أيام إلى أن يصبح لدنا، ثم ينقل على ظهر البهائم إلى مكان البناء.

- **استعمالات أخرى**

إلى جانب استعماله في البناء يستخدم الطين بعد خلطه بالألياف النباتية، كمادة لاحمة للربط بين وحدات البناء، ويعتمد عليه في التسقيف؛ حيث يوضع على شكل طبقة سميكة فوق الطبقة الخشبية المكونة من جذوع وجريد النخل، دون أن تضاف إليه الألياف النباتية. أما استعماله في التكسية فيتطلب خلطه جيدا إما بالتبن أو الرمل أوالجير ثم يخمر لمدة لاتقل عن يوم، ويسوى على شكل طبقة على الجدران من أجل حمايتها.

647 - عبد العزيز العوهلي، "الخواص الحرارية للطوب النيئ"، مجلة عالم البناء، س8، ج44، الرياض، 1988، ص 18

648 - لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص107.

649 - Terrasse(H), Kasbah berbère de l'Atlas op. cit. p 51.

650 - Jacque Meuniè, Le Maroc saharien, op, cit, p146.

2-1. الحجارة ومشتقاتــها

استخدم الحجر في بناء المنشآت المعمارية بمنطقة تافيلالت في مواضع محدودة وفي منشآت بعينها، خصوصا في بناء الأساسات ومداخل القصور، سيما إذا كان المبنى الطيني قريبا من مخاطر مياه الأمطار والسيول، حيث تشيد أساسات تلك المباني من الحجارة المرصوصة بدقة وإحكام.

ويتوفر الحجر بمنطقة تافيلالت بالقرب من قصر الجبيل وكّاوز، إلا أن قلته والحاجة إلى استعماله للحصول على الجص والجير دفعت السكان لجلبه من مناطق بعيدة، كمنطقة أرفود الواقعة إلى الشمال من موقع سجلماسة[651].

يتميز الحجر الجيري المستخدم في بناء قصور تافيلالت بصلابته ودقة مسامه، وقد اختلفت مقاييس الأحجار المستعملة في عملية البناء، لكن أكبرها حجما تلك المستعملة في بناء عضادتي المداخل.

يُرجع أحد الباحثين سبب قلة استخدام الحجارة في البناء إلى ارتفاع تكاليفها، ولهذا السبب ظل البناء بالحجارة حكرا على الأمراء ومن هم في مستواهم الاجتماعي[652]، لكن واقع المعمار بمنطقة تافيلالت لا يساير هذا الطرح، فوجود قصور كثيرة في ملكية السلاطين وأبنائهم بمنطقة تافيلالت والمشيدة من الطين، لا يمكن تفسيره إلا بكون تقنيات البناء بالتراب لا تقل جودة وفعالية عن البناء بالأحجار.

3-1. الأخشـــاب

يعد الخشب من المواد الأساسية في عمارة القصور، وقد أشار ابن خلدون لأهميته فقال: "فهو يتخذ وقودا للنيران في معاشهم، ودعما لما يخشى ميله من أثقالهم...فأما أهل البدو فيتخذون من العمد والأوتاد لخيامهم...أما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والإغلاق لأبوابهم"[653].

[651] - حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 112.

[652] - حافظي، مواد البناء ببلاد المغرب، م س، ص641.

[653] - ابن خلدون، م س، ص 514.

يشكل الخشب مادة أساسية بالنسبة للمعمار المبني بالتراب، ويمكن القول إن هذه المادة ملازمة لهذا النوع من المعمار منذ أن اعتمد كأساس للاستقرار في منطقة تافيلالت، وقد استخدم في عمل الأبواب والسقوف والمنابر، والمحاريب الخشبية، والأشرطة الكتابية، وفي ربط القوائم والأعمدة بعضها ببعض، فما مصدر هذه المادة وما هي طرق توظيفها؟

- **خشـــب النخيـــل ومميزاته**

تمثل شجرة النخيل أهمية خاصة في منطقة تافيلالت، ولا تنحصر هذه الأهمية فيما يثمره النخيل من أنواع التمور، ولكن في استخدام أجزاء منها كمادة مهمة لا غنى عنها في البناء والعمارة، حيث استعملت كلما دعت الحاجة إلى البحث عن وسيلة لرفع الأحمال فوق الفراغات المختلفة، وكانت سيقان النخل تجهز لهذه الاستخدامات حسب مكان استعمالها سواء في التسقيف أو الدعامات أو السلالم أو الأبواب والنوافذ، وأيضا وفق أشكال هندسية تتناسب والمكان المراد تسقيفه، كما أن هذه الأشكال تختلف حسب أهميتها وجودتها وجماليتها[654]. وأهم هذه الأشكال:

* **المادة:** سميت بذلك لامتداد طولها ما بين ثلاثة إلى سبعة أمتار، ويمكن أن يتراوح قياس ضلعها ما بين 30 و40 سنتمتر أما إذا كانت مختلفة الأضلاع فإن مقياس الضلع يتراوح ما بين 18 و30 سنتمتر[655]، ومقياس خشبة المادة مرتبط بشكل عام بمساحة السقف المهيأة من أجله، وغالبا ما تستعمل في الحجرات التي يزيد اتساعها عن ثلاثة أمتار من أجل تقسيم سقف الحجرة إلى قسمين.



صورة رقم (40): بعض نماذج الأخشاب المستعملة في أسقف الدور

654 - لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص 110.

655 - لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص 110.

ويلاحظ الاهتمام بجمالية سقف بعض حجرات المنازل الفيلالية، سيما المصريات التي كان يستعمل في تسقيفها أخشاب المادة المزخرفة بأشكال هندسية، لكن ارتفاع تكلفة هذا الصنف من الأخشاب كان يحد من استعمالها الواسع في السقوف.

* **الكّايزة:** وهي شكل مصغر للمادة المربعة، لكن بمقاييس أقل، إذ يتراوح طولها بين مترين ومترين ونصف، وسمك ضلعها ما بين 10 و16 سنتمتر، وقد شاع استخدام هذا النوع من الخشب لقلة تكلفته مقارنة مع خشب "المادة" ولجماليته وتناسب مقاييسه مع عرض القاعات، ففي القصور المخزنية كان المسؤولون عن عملية البناء يفضلون هذا الصنف من الأخشاب، فقد ورد في إحدى المراسلات السلطانية: "...فقد جعل سقفه بخشب النخيل وأن ليس لسيدي جعله من الكّايزة فهي أولى"[656].

ولم تستعمل هذه الأخشاب في عملية البناء قبل أن تجف، كما كان بالإمكان التمييز بين الجيد منها والرديء بثقلها، فكلما زاد ثقلها كلما كانت أجود[657].

* **الورقة:** من الأخشاب التي تستعمل لتغطية الفراغات بين أخشاب الكايزة، ويرجح الباحث "لمراني" أن تكون هذه التسمية راجعة لرقة سمك هذه الخشبة، والذي لا يزيد على 3 سنتمتر ولا يقل عن 1.5 سنتمتر[658]. أما استعمالها فيتم عن طريق تصفيفها وإلصاقها بأخشاب الكّايزة.



صورة رقم (41): خشب الكايزة

656- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24008/ وثيقة رقم 1 بالملحق.

657- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19912/ وثيقة رقم 22 بالملحق.

658- لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص 111.

* **التشبيكة:** هي أجزاء من الخشب يتراوح طولها ما بين 12و18 سنتمتر وسمكها ما بين 6 و8 سنتمتر تستعمل للربط بين أخشاب الكَايزة فيما بينها ولذلك سميت «تشبيكة الربط".

* **الفرد:** يتخذ هذا الصنف شكل مستطيل يتوصل إليه بشق جذع النخلة إلى نصفين، يحدد طوله بحسب المكان المراد استعماله فيه، وخاصة السقوف ومداخل المنازل.

* **الكَنطرة:** هي خشبة ذات شكل مستطيل يكون عرضها ما بين 20 و35 سنتمتر، تستعمل في الأسقف العلوية لأن درجة تحملها أقل من باقي الأصناف.

* **السعف والجريد:** السعف مفرده سعفة وهي ورقة النخل المركبة، أما الجريد فهو نصل السعفة بعد نصل الخوص عنه، والخوص واحدته خوصة، وهي وريقة النخل الإبرية عندما تكون على السعف. استخدم الجريد في الأسقف عوض الورقة، لكن استعمالها كان ينحصر في الممرات والغرف والبيوت ذات الاستعمالات الثانوية. أما السعف فيستعمل بعد ترتيبها في سقوف البيوت المخصصة لخزن المؤن والأثاث.

***القصب:** يستعمل في الأسقف العلوية عوض سيقان الجريد، لكن استعماله يبقى محدودا مقارنة بخشب الورقة وسيقان الجريد.

***خشـــب الأثـــــل:** يعتبر الأثل من أهم الأشجار التي تنمو بمنطقة تافيلالت، وهي إلى جانب شجرة النخيل من الأشجار التي استطاعت التأقلم مع البيئة الصحراوية بالجنوب الشرقي[659]، وقد اعتمد عليها في توفير الأخشاب اللازمة للبناء حيث استخدمت في التسقيف وفي صنع الأبواب والنوافذ والميازيب الخشبية. ومن ميزات هذه الشجرة استقامة جذوعها ومتانتها بالشكل الذي يتناسب مع استخدامها في البناء، وهي أكثر متانة إذا ما قورنت بخشب النخيل، استخدمت في المواضع التي تتطلبها الضرورة الإنشائية، وقد توفر النجارون المحليون الذين كانوا يقومون بنجر هذه الأخشاب بقصر تابوعصامت على وجه الخصوص.

[659]- Mezzine (Labri), le Tafilalet op, cit. p 266.

2- أساليب البناء والإنشاء

إن الأساليب المتبعة في بناء قصور منطقة تافيلالت هي نتاج ثقافة شاملة في هذا المجال، تكونت من خلال خبرة أجيال من البنّائين عن طريق التجربة والتطوير، إذ لم يكن هناك أشخاص متخصصون في تصميم البنايات في ذلك الوقت، بل كان التصميم والبنَاء يتمان في آن واحد بالتعاون إما بين المالك والبنائين التقليديين المحترفين، أوبالتعاون بين المالك وبعض الأشخاص الذين لهم خبرة سابقة في البناء، ويعرف البنّاء المحترف "بالمعلم". الذي يقوم بتخطيط وتقسيم الموقع ليس نقلا من تصميم معماري، وإنما من تصميم غير مرسوم متفق عليه، مع مراعاة أن يتوفر هذا المبنى على حاجيات صاحبه، وأن يراعي التوجهات الدينية والمعالجات البيئية والمناخية، وهذا ما جعل أغلب البيوت ذات تصميم موحد، وإن وجدت بعض الاختلافات الطفيفة في التفاصيل، لكن الإطار العام للبناء وأنظمته الإنشائية ودلالته الثقافية يبقى واحدا.

لم تكن فكرة التصميم بالنسبة للمعلم البنّاء في الفترات السابقة تعني ما تعنيه بالنسبة إلينا، بل إنهم لم يستعملوا الكلمة ذاتها أساسا، وربما لم يعرفوا المفهوم نفسه كما نعرفه اليوم كمفهوم مستقل[660]، بل كانوا إذا أرادوا بناء منزل أو نحو ذلك، ينتقل المعلم البنّاء إلى المكان فيقسمه في ذهنه ويرتبه حسب ما يقترح عليه.

وفي فترة لاحقة استعمل مصطلح: "الفصالة"، كما ورد ذلك في إحدى الوثائق التاريخية المتعلقة ببناء أحد قصور تافيلالت، حيث ورد مانصه: "فيرد عليك كتاب ورد من عند مولاي إدريس بن الصديق جْواب ما كتبنا له في شأن بناء كحايك وتجديد ما تلاشى من سوره لرغبة أهله في ذلك، وقد أذن في بنائه على نحو ما أشار في كتابه وبيّن في الفْصالة الواصلة صحبته"[661].

إن هذه الإشارة دليل على أن أعمال البناء لم تكن تمارس بطريقة عشوائية بل كانت أكثر دقة، فتخطيط الأرض وقياس الوحدات وقطع الأحجار وإعداد مواد البناء وما سواها من الأعمال الحرفية كانت تتم في نفس الوقت.

[660] - ناصر الرباط، "مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية، م س، ص15.

[661]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 18626/ وثيقة رقم 7 بالملحق.

ويميز التقنيون بين العناصر الإنشائية والمعمارية، فالعنصر الإنشائي هو الذي لا يقوم المبنى إلا بوجوده، أما العنصر المعماري فدوره إعطاء المبنى شكله المتميز، وقد يختلف دور العنصر الواحد حسب أسس استعماله، فمثلا الجدران الحاملة هي عنصر إنشائي، ولكن الجدران في البناء الهيكلي هي مجرد عناصر معمارية.

2-1. العناصر الإنشائية

أ- الأساســات

الأساس هو ذلك القسم من البناء الذي يشيد عادة تحت مستوى الأرض، وعلى عمق معين وبمواد مختلفة تكون القاعدة الحاملة للجدران الخارجية والداخلية، فعليها يقع ثقل البناية. فبعد تنظيف الموقع، تبدأ أعمال الحفر للأساس حتى أقوى طبقة، ويختلف عمق الأساس باختلاف طبيعة الأرض المقام عليها البناء، وغالبا ما يتراوح ما بين 0.5 متر و0.8 متر. أما في حالة موقع حجري أو أرض صلبة فيتم الاعتماد على الأساسات السطحية، وهذا نادر جدا في منطقة تافيلالت باستثناء قصر الجبيل.

وقد روعي أن تكون الأساسات أكثر أجزاء الجدار متانة، فتم تقويتها من حيث نوعية المواد المستعملة ومن حيث سمكها، وعموما نجد بمنطقة تافيلالت أساسات من مواد مختلفة تبنى بمواد أكثر مقاومة؛ فأحيانا نجد جدار من الطوب على أساس من الحجارة، وتستعمل لهذه الغاية الأحجار حتى ارتفاع 0.5 متر عن سطح الأرض، وفي حالة انعدام الأحجار تستعمل التربة المدكوكة جيدا، إلا أن مساوئ هذا الأساس تكمن في قدرته الضعيفة على مقاومة الرطوبة، وبالتالي انخفاض متانة المبنى.

ب- الجدران

تشيد الجدران إما بطريقة الطابية أو الأجر، ويصل علو الجدران إلى أربعة وحدات اعتمادا على وحدة قياسية مرتبطة بارتفاع الطابية، وهو ما جعل أغلب المباني تدخل في وحدة قياسية واحدة. وارتبط سمك الجدران في قصور تافيلالت بمقاييس الطوب المستخدم في البناء، حيث يبنى الجدار بعرض طوبة واحدة، ورص الطوب في هيئة مداميك منتظمة باستخدام الطين كمادة لاحمة أفقيا أو رأسيا، ويحقق استخدام الطين

ربط جميع القوالب بعضها ببعض وجعلها كتلة واحدة متماسكة، كما أنها تكون بمثابة مادة عازلة لنفاذ الحرارة والرطوبة والصوت من خارج الحائط إلى داخله[662].

تلبس الجدران من الداخل والخارج بطبقة من ملاط الطين، ويستخدم لهذا الغرض طين مجهز تجهيزا خاصا عن طريق تخميره لمدة طويلة حتى يسود لونه، ويعتبر سواده علامة على أنه وصل درجة التخمير المطلوبة، وتساعد نعومة ملمس هذا النوع من الطين بعد تمليط الحوائط به على مقاومة تسرب مياه الأمطار التي تسقط على الجدران الخارجية للدور.

وتعكس مقاييس الجدران على أن هؤلاء البنائين كانوا يتبعون قواعد شبه متعارف عليها في هذا الخصوص، فقد تساوت جدران الدور الأرضي في معظم المنازل بارتفاع خمس طابيات، كما يلاحظ أنها ترتفع نسبيا إذا ما قورنت بجدران الطابق العلوي، وربما يرجع ذلك إلى ما كان يوضع في الاعتبار من ارتفاع أرضية الدور الأرضي مع مرور الزمن.

ت- تقنيات البناء

تعرف التقنية من الناحية المعمارية بطريقة تجميع مواد البناء بعضها البعض، وكيفية تداخلها، كما تعتبر أول عنصر يعطي للمبنى مظهره المعماري الخاص، وعمارة قصور تافيلالت اعتمدت على تقنيتين وصفتا بوضوح في المصنفات التاريخية والأركيولوجية والمعمارية هما: تقنية الطابية، أي ما يدعى ب "اللوح" أو "التابوت"، وتقنية البناء بالطوب.

4- تقنية الطابية

عرف بناؤو منطقة تافيلالت خصائص الطين المعمارية من متانة وسهولة تشكيل ومقاومة لانتقال الأصوات والحرارة عبر الجدران، فاستعملوه بذكاء مما أدى إلى جعل مبانيهم الطينية أكثر ملاءمة لطبيعة المنطقة الصحراوية، فالاستعمال الأمثل للمواد المتوفرة محليا مثل الطين وأخشاب النخيل يدل على الخبرة والتوظيف الأمثل للمواد

[662] - عزيز شهوان محمد احمد عبد الله، الهندسة المدنية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1982، ط 4، ص 28.

التي توفرها الطبيعة الصحراوية، وعليه استخدم في إنشاء المباني المعمارية بمنطقة تافيلالت طريقتان للبناء هما طريقة البناء بالطابية والبناء بالطوب اللبن.

يقصد بالطابية تقنية البناء التي تقوم على وجود قالب بمقاييس محددة يملأ بتراب ذو خصائص معينة وبطريقة محددة ومعروفة، فيتم تثبيت القوالب على الجدران المراد تشييدها، فيفرغ فيها التراب وتدك بقدر كاف. واختلفت تسميتها من منطقة لأخرى ففي المغرب الإسلامي عموما تسمى الطابية وجمعها طوابي، وتحرف تسميتها في بعض المناطق حسب اللهجة المحلية السائدة بين سكانها[663]. أما في المغرب الأقصى فسميت باللوح أو تلوحت[664]، نسبة للقالب الخشبي الذي يستخدم في البناء بها.

استخدم التراب في منشآت القصور على صور مختلفة، فقد استخدم مباشرة بطريقة البناء بالألواح الخشبية وهو "الركز" حسب التسمية المحلية والطابية بتعبير ابن خلدون، وهي بناء الجدران مباشرة بالتراب المبلل وليس عجينا، لتكتسب التربة لدونة تسهم في انضغاطها بقدر جيد، يصب التراب في قالب كبير من الخشب منصوب في مكان البناء، ثم يدك بواسطة مدكة يدوية تسمى "المركزة"[665] بالتعبير المحلي.





صورة: (42): قالب تقنية الطابية بعد تركيب أجزائه.

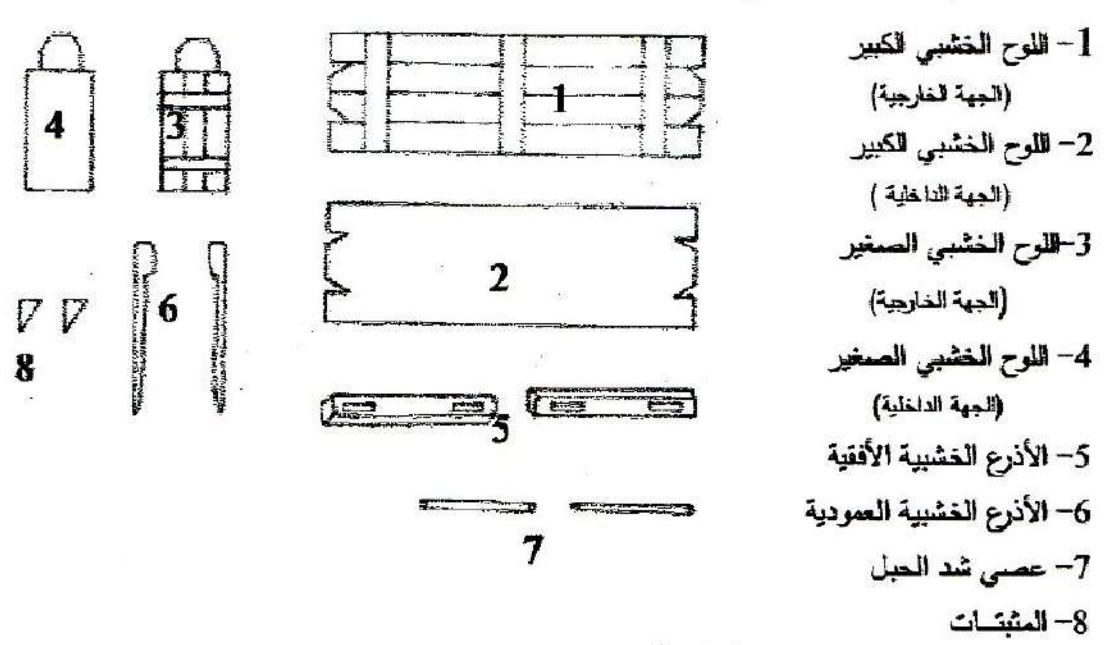
المصدر: تصوير الباحث 2008

[663] - إسماعيل بن نعمان، البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، م س، ص19.

[664] - Erebati (Larbi), "La terre dans la construction maghrébine au moyen âge, le cas des murs in tabiya" dans le jardin de Hespéris, N 2, Rabat .Juillet 2005, p 34.

[665] - قطعة خشبية مثبت على سطحها زراع خشبية طويلة بما يكفي لاستعمالها في وضعية الوقوف حتى تكون قوة الدفع إلى أسفل.

تستخدم هذه التقنية في عدة مناطق من العالم وصفها ابن خلدون بقوله: "ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير، وأوسطه أربعة أذرع، في ذراعين فينصبان على أساس، وقد بوعد بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليهما بالحبال، ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين ثم يوضع فيه التراب مخلطا بالكلس ويركز بالمراكز المعدة حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاؤه"[666]. (الشكل 5)



شكل رقم (6): الأجزاء التي يتكون منها قالب تقنية الطابية

المصدر: بن نعمان: البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، م س، ص 21

يأخذ المعلم مكانه بين دفتي هذا التابوت فيعمل على توزيع التراب بداخله ثم يدك دكات من سمك صغير قد لا يتجاوز 0.2 سنتمتر، وتدك كل طبقة على حدا حتى يصعب دك أكثر من ذلك، وهكذا حتى يصل إلى العلو المرغوب فيه، ثم ينصب هذا التابوت من جديد حتى يمتد الجدار إلى أن يحيط بالبناية، وترتفع الأسوار على قواعد متتابعة فتجد في الجدران أثار الأعمدة التي تشد الألواح وفق المساحة المطلوبة[667].

[666] - ابن خلدون، م س، ص511.

[667] - Terrasse(H), Kasbah berbère de l'Atlas, op. cit, p 51.

ويتوقف البناء عند أعتاب النوافذ والأبواب ويتم تدعيمها بقطع من خشب النخيل أو الإثل وبعدها تكتمل عملية البناء، وقد ذكر ابن خلدون هذه الطريقة في المقدمة ووصفها وصفا دقيقا: "ويستخدم في الطابية لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا. يختلف مقاسهما باختلاف المناطق، لكن أوسطه أربعة أذرع في ذراعين. ينصب اللوحان على أساس الحائط، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب، ويربط عليها بالحبال، وتشد الجهتان الباقيتان بلوحين آخرين صغيرين، ثم يتم وضع التراب والحصى والجير بين تلك الألواح الأربع، ويركز بالمراكز الخشبية حتى تختلط أجزاء تلك المواد، وتتابع العملية إلى أن يمتلئ الفراغ بين الألواح ثم يعاد نصبها على الصورة السابقة. وهكذا إلى أن تنظم الألواح سطرا من فوق سطر وينتظم الحائط كله ملتحما كأنه قطعة واحدة ويسمى صانعه الطواب"[668]. وهي تقنية قديمة، يعترف الباحثون بصعوبة تحديد تاريخها[669].

تجدر الإشارة أن هناك عدة طرق للتأكد من جودة جدار الطابية نذكر منها، حفر حفرة فوق الجدار وهو مازال رخوا وملؤها بالماء وتركها مدة يوم وليلة، فإذا ظل الماء على حاله ولم ينقص فان الجدار جيد، أما إذا تسرب الماء كليا أو جزئيا فإن الجدار غير صالح ويستحسن إعادته[670].

ولتكون عملية البناء متقنة ومحكمة لابد من توفر البناء(الركاز) على المعرفة التقنية وبعض الأدوات الضرورية كالميزان الذي يقول عنه ابن الرامي، بأنه الآلة التي تستخدم لضبط استقامة ارتفاع الجدران وعدم دخولها أو خروجها عن السمت الذي بدأ منه

---

[668]- المقدمة، م.س، ص 511 – 512.

[669]-El-mghari (Mina), "Reflexion sur les matériaux de construction des Monuments Almohades de Rabat", Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée : Histoire et perspectives, Publication Faculté des Letters et Sciences Humaines, Université Mohamed V ; n 80 , imprimerie Najah EL Jadida Casablanca, 1999. p162

[670] - عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات، م س، ص 260.

أساس الجدران، وهذا الميزان عبارة عن ثقل من الحديد يربط به خيط وينظم في الخيط قطعة من الخشب تحرر على الحائط في أعلى بناء الجدران[671].

والتراب المستعمل في الطابية غالبا ما يستخرج وبسهولة من عين المكان، كما أنه لا يستعمل في حالته الطبيعية، بل تخدم وتحول مكوناته الفيزيائية لضمان استقرار المادة عبر خلطها بمواد نباتية كانت أو معدنية، مما يقلل من عوامل التجفيف ويساعد على مقاومة المادة ضد الكسر[672]،كما أن عملية البناء هاته تحتاج إلى الأجر المحلي أو بعض قطع الخشب عند الانتقال من ركز إلى آخر أو من طابية إلى أخرى، لأن مادة الخشب أوالأجر تمكن من إحداث بعض الفراغات أسفل الألواح، وذلك لسحب وإدراج الأذرع التحتية، وهذه التقنية هي التي تفسر كثرة الثقوب في بناء "الركز" أو الطابية[673].

وتعتمد جدران الطابية على وحدة قياسية يبلغ طولها 1,8 متر وارتفاعها 0,8 متر، هذه الوحدة ساهمت في تركيب مقاسي للمجالات المنجزة، حيث نجد أن الارتفاع في الغرف في الطابق الأول يساوي أربعة ألواح في الغالب، هذا التركيب يجعل كل المساكن تدخل في وحدة قياسية واحدة، وهذا ناتج عن استعمال نفس القالب في الإنجاز[674].

5- جدار الطوب

يتخذ البناء بالطوب تقنيات كثيرة، حسب طريقة رص اللبنات أو ما يعرف بشكل الأربطة، وهي طريقة ربط اللبنات إلى بعضها البعض في الحائط بحثا عن أفضل وضعيات المتانة، حتى تشكل كتلة واحدة. ولها تقنيات معروفة منذ القديم وان كانت بتسميات مختلفة، فقد وصف الشيخ عبد الحي الكتاني في كتابه "نظام الحكومة النبوية"، المسمى بـ: "التراتيب الإدارية والولايات الدينية" طريقة بناء اللبن في حوائط المسجد النبوي، مشيرا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بناه ثلاث مرات، الأولى بالسميط: وهو لبنة أمام لبنة، والثانية بالضفرة: وهي لبنة ونصف في عرض الحائط،

[671] - الإعلان، م س، ص219.

[672] - Bazzana, op. cit .p 179.

[673]- لمراني، المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، م س، ص 105.

[674]- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات، م س، ص 268.

والثالثة بالأنثى والذكر، وهي: لبنتان تعرض عليهما لبنتان[675]. وهذه التقنية نفسها استعملت في بناء القصور والقصبات.

يستخدم الطوب أيضا بكل أحجامه في بناء سواري المنازل والأقواس، والأبراج والشرافات، كما تستعمل لأغراض زخرفية بفضل تقنيات مختلفة للترتيب وانعكاسات الأضواء والظلال الناجمة عنها، ويستغل كذلك كحزام وستار فوق الأسوار، وكمادة بنائية لاحمة بين مختلف طبقات السور المعتمد في بنائه على الطابية[676].

يذكر طيراس أن الطوبية المشمسة تصلح لبناء الأروقة الداخلية وتستعمل أيضا في التوسعات والارتفاعات، وعندما نريد إدخال تشكيلات مثل العقود، وهي التي تسمح بالتناسق[677]، كما اعتبرتها "مونيي" عنصرا زخرفيا شرقيا انتقلت تقاليده الهندسية إلى المغرب وسجلماسة عبر القيروان[678].

إذا كانت طريقة صناعة الطابية والطوب معروفتان بشكل جيد فإنه يصعب تحديد أصل هاتين التقنيتين، وقد تعود لعهود ضاربة في القدم[679]. لكن الثابت أن إفريقيا الرومانية عرفت استخدامها في عمليات البناء، وأنه الأسلوب الأكثر استعمالا في المناطق الجنوبية لكل بلاد المغرب منذ أقدم العصور[680]، أما الباحث "عبد اللوي" فيرجع تاريخ البناء بالطابية إلى العهد الفاطمي اعتمادا على إشارة ابن حماد الذي أوضح أن بناء مدينة المنصورة كانت سنة: 334هـ/946م، وذكر أن سورها بني بالطوابي، واستمر البناء بها في المغرب وانتقلت إلى بلاد الأندلس[681].

[675]- خالد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، ع58، مركز البحوث والمعلومات، الدوحة، 1997، ص 112

[676]- لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص 108.

[677] - Terrasse, Kasbah berbère, op, cit, p 51.

[678] - Meunié, sur l'architecture de Tafilalt et de sijilmassa, op, cit, p146.

[679] - حافظي، مواد البناء م س، ص 54.

[680] - Revault, op. cit. p 31.

[681] - عبد اللوي، م س، ج1، ص 220.



صورة رقم (43): تقنية البناء بالطوب اللبن

المصدر: تصوير الباحث 2008

2-2. العناصر المعمارية

أ- الأعمدة والدعامات

العمود هو ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد اخذ العمود تسميات عدة فهو عمود في المشرق وسارية في المغرب وأسطوانة[682]. أنشأت الأعمدة لعمل سقف الطابق الأرضي، واستخدام الأعمدة ظاهرة معمارية واضحة في عمارة قصور تافيلالت، وربما ارتبط استخدامها بالرغبة في إنشاء قاعات ذات اتساع كبير لعدم وجود أخشاب طويلة لحمل السقوف.

وتبنى هذه الأعمدة بالحجر أو الطوب، وتستعمل في بعض الحالات جذوع النخل بمقاييس وأشكال مختلفة، في هيئة كتل أسطوانية أو مربعة، وهي التي ترتكز على أخشاب الجوائز ويبلغ قطر العمود في المتوسط حوالي 40 سنتمتر، بينما يصل ارتفاعها بحدود ارتفاع علو الدور الأرضي.

[682] - وزيري، جمالية المفردات المعمارية، م س، ص 41.

ويعتبر المسجد المجال الأكثر استعمالا للأعمدة بينما تنحصر أعمدة الدور في أربعة، ونجد ثلاثة أنواع من الأعمدة بمنطقة تافيلالت.

- أعمدة من الطوب لها قواعد مربعة تتوج بتاج خشبي يكون حاملا للجوائز التي يرتكز عليها السقف.
- أعمدة خشبية دائرية عبارة عن جذع نخلة متكامل، أو نصف جذع نخلة.
- أعمدة من الحجارة ذات شكل أسطواني.





صورة رقم (44): بعض أنواع الأعمدة المستعملة بقصور تافيلالت

المصدر: تصوير الباحث 2008

ب- العقود

العقد أو القوس عنصر إنشائي ومعماري مقوس يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة كما هو الحال في العقد النصف الدائري، ونقطتين في العقد المتجاوز المنكسر. استخدم ابن الرامي مصطلح العقد في كثير من المواضيع للدلالة على ارتباط الجدران بعضها ببعض[683]، وقد استعملت نوعين من العقود بقصور تافيلالت، وتتمثل في العقود نصف الدائرية وعقود متجاوزة منكسرة.

يتم تشكيل العقد بوضع هيكل خشبي مقوس توضع عليه القطع الأجورية ابتداء من أسفل إلى أعلى بطريقة منتظمة، ثم بطريقة مائلة في الأجزاء المقوسة وفي أعلى العقد فراغ يسمى بمفتاح العقد يتم غلقه بقطعتين أو أكثر من الأجور بطريقة شاقولية. وللعقد أهمية كبرى فهو يستعمل لحفظ توازن المبنى وتخفيف الضغط العلوي والثقل وتوزيعه

683- ابن الرامي، م س، ص 203.

على الأعمدة والدعامات، مما يجعله يساهم مساهمة كبيرة في الحفاظ على المباني قائمة. ومن دون شك فإن المعماري الفيلالي كان يدرك ذلك كله. (الصورة:45)

ومن العقود التي استعملت بقصور تافيلالت:

- **العقد نصف الدائري ذي الفصوص**، هو عقد بسيط على شكل نصف دائري لا انكسار فيه، وهو من أقدم أنواع العقود وأوسعها استعمالا في العمارة الإسلامية، لكن استعماله تراجع مع ظهور عقود أخرى أكثر جمالا[684]، وربما لسهولة تشكيله كان هو الأكثر في مباني قصور المنطقة خاصة المدنية منها.

- **العقد المسمى حذوة الفرس**، وهو عقد يرتفع مركزه عن رجلي العقد، ويتألف من قطاع دائري أكبر من نصف دائرة، أي أن مركز دائرته موجود بمستوى أعلى من الكتف.



صورة رقم (45): نماذج من العقود بقصور تافيلالت

تصوير شخصي 2008

[684] - حسني شحادة، العمارة في العالم الإسلامي، مجلة الدوحة، نونبر، الدوحة، 1985، ص77.

ت- الأسقف

بعد الإنتهاء من بناء الجدران والأعمدة يأتي دور عمل السقف بشكل أفقي مسطح، أما طريقة انجازه فتكاد تكون متشابهة في مختلف واحات بلاد المغرب، بالاعتماد على خشب النخيل. وتتم عملية التسقيف بقطع الخشبة من الطرفين حسب الطول المطلوب ووضعها على الجدار مباشرة بالنسبة للغرف الصغيرة، أما الغرف الكبيرة المساحة فتوضع أخشاب "المادة" ثم يتم ترتيب خشب "الورقة" من فوقها ويوضع الخشب بطريقة متعارف عليها بحيث يفصل بين كل خشبة والتي تجاورها مسافة تتراوح بين 30 و40 سنتمتر. وبعد الإنتهاء من وضع الخشب تفرش فوقه طبقة من التراب الجاف المخلوط بالتبن ثم ترش بالماء وتدك جيدا، وبعد ذلك يتم وضع الطين المخلوط بالتبن ولياسته.

وقد استخدمت الأسقف المستوية، لتناسب هذا النوع من التغطية مع قوة تحمل الحوائط الحاملة التي أنشأت من الطوب اللبن أو من الطابية، واعتمد سكان المنطقة هذا النوع من الأسقف لبساطته وتناسبه مع مواد البناء المتوفرة ولملاءمته للعوامل المناخية، حيث إن طبقات السقف المختلفة تساعد على الوقاية من حرارة الشمس.

وتتركب سقوف الدور بمنطقة تافيلالت حسب ثلاثة أشكال مرتبطة بمقاسات المجالات المغطاة[685]، ويمكن التمييز بين:

- **السقوف العادية:** تقام على المجالات التي يقل عرضها عن ثلاثة أمتار وتنجز هذه السقوف بصف عوارض خشبية بين الجدران الحاملة بشكل متعامد معها.
- **السقوف ذات جوائز وسطية:** توجد هذه السقوف في الغرف ذات المقاسات المهمة، بحيث توضع الجوائز في الوسط وتوضع أطرافها على الجدران الحاملة، وعلى هذه الجوائز توضع العوارض بشكل متعامد معها. (الصورة 46).

[685]- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات، م س، ص 274.



صورة رقم (46): الجايزة كمكون وكمادة مفضلة لتسقيف الغرف

تصوير شخصي 2008

- **الاسقف الأعمـــدة**

تقدم هذه الطريقة بصف عمودين أو أربعة في خط مستقيم وفي موضع مركزي لحمل الجوائز لكي لا تنحني، أما إذا كانت الأعمدة على شكل مربع فإن هذا يجعل الجوائز تقسم السقف إلى مساحات مستطيلة يتم تصفيف العوارض فيها. (الصورة:47)



صورة رقم (47): استعمال خشب المادة والورقة في التسقيف

3-2. موسم وتقاليد البناء

في فصل الصيف تنشط حركة البناء لأن البناء بالطين يحتاج إلى شمس حارة وأجواء ليست ممطرة وأيد عاملة متفرغة، وفي هذا الفصل يستطيع الفلاح قطع جريد النخيل دون الإضرار بها أو بثمرها، ولأن قطع جريد النخيل في الشتاء لا يستفاد منه في البناء الذي يتم في الصيف، وكذلك الأثل الذي لا يمكن قطعه في الصيف واستخدامه مباشرة لأنه يكون ثقيلا على من يحمله، وهو معرض للتقوس، لكن قطعه في فصل الشتاء يجعله يجف بشكل طبيعي.

كما أن الطين يكون معرضا للرطوبة ولا يمكن حمله أو استخدامه في البناء، ومن هنا يتضح أن للبناء بالتراب موسم كباقي المواسم.أما بالنسبة لما يرافق عملية البناء من عادات وتقاليد فتتجلى في الوليمة التي يقيمها صاحب البناية في اليوم الذي تبدأ فيه أعمال البناء، وكذا الأهازيج التي يرددها العمال أثناء عملهم.

ويتكون فريق البناء التقليدي من المعلم الذي يرأس العمال ويشرف عليهم، يساعده حمال ينقل مواد البناء المجهزة أو الخام إلى موقع البناء، ومن يقوم بإعداد الطين، وكان المعلم عادة ما يختار عمال البناء الذين يود ضمهم إلى فريقه وهم في سن مبكرة، ويعنى بأبنائه عناية خاصة حتى يتعلموا أسرار الصنعة، وكان لكل معلم أسلوبه الخاص في التعامل مع العمال وطريقة تدريبهم، وعندما يرى المعلم أن أحد العمال قد وصل إلى مرتبة عالية من حيث الخبرة والمهارة، وأن بالإمكان الاعتماد عليه في تحمل مسؤولية إنشاء البيت، فإنه يعهد إلى ذلك العامل ببعض المسؤوليات.

II- العناصر الزخرفية

اشتملت المنشآت المعمارية بمنطقة تافيلالت على العديد من العناصر الفنية والجمالية بعضها جاء في شكل عناصر زخرفية كتابية أو هندسية أو نباتية، وبعضها الآخر في شكل عناصر زخرفية معمارية، ذات مضامين تعبيرية ناتجة عن تراكم معارف ومهارت وتجارب الأجيال السابقة، ومجموع هذه الأشكال هو انعكاس لأحاسيس السكان وتصوراتهم. وبالرغم من كون معمار الواحة يتسم بنذرة زخارفه وبساطتها، إلا أن البعض يقف مندهشا أمامها لحمولتها الجمالية والرمزية، وقد سعى البناء أن يربط بين تلك الجماليات ورمزيتها للوصول لمدلولات تحوم في عالم غير ملموس أقرب منه إلى عالم الأرواح، حيث نجح في التوفيق بين الجانب الرمزي الجمالي والجانب الوظائفي البحث[686].

ولتنفيذ هذه الأنواع من الزخارف كان المعلم الفيلالي يستعمل الجبس والخشب والطين، مما يسمح لنا بتقسيم هذه الأشكال حسب المواد الحاملة لها إلى زخارف طينية، وزخارف جصية، وزخارف خشبية. كما يمكن تصنيفها من حيث طبيعتها إلى عناصر زخرفية منقوشة أو مصبوغة، كما يمكن التمييز بين الكتابات المنقوشة والزخارف الهندسية والأشكال النباتية.

1- مواد الزخرفة

لا تختلف المواد المستخدمة في النماذج الزخرفية التي توجد بقصور تافيلالت عن المواد المعروفة في العالم الإسلامي، فإضافة إلى الزخارف الطينية نجدها على:

- **الجـــــص:** عبارة عن حجارة رسوبية كلسية تجلب من المقالع في شكل كتل يتم حرقها في أفران معدة خصيصا لهذا الغرض، تحت درجة حرارة جد مرتفعة تتراوح ما بين 800 و900 درجة مئوية ليفقد بعد ذلك غاز الكربون[687]، وتستعمل مادة الجير كملاط لاحم أو في طلاء الجدارن مباشرة بعد استخراجها من الأفران بعد أن تكون فقدت كل

[686]- بلقاسم التخي، الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الاغواط، ضمن مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الثاني، ماي 2016، ص 292.

[687]- حملاوي، البيئة الصحراوية وأثرها على العمارة والعمران، م س، ص 67.

رطوبتها وصارت سهلة للطحن، وبعد عملية الطحن تغربل لتكون صالحة للاستعمال، لنحصل على مادة رخوة ناعمة تستعمل في تلبيس جدران بعض الوحدات المعمارية من دور ومساجد وأضرحة، وتنفذ على هذه التكسيات زخارف كتابية وهندسية. وتتم عملية تحضيره عن طريق حرق الحجر الجيري، وكان بمنطقة تافيلالت مختصون بهذه العملية التي لا تزال أثارها ببعض القصور إلى اليوم. وقد وصف ابن خلدون طريقة تحضيره بقوله: "يحل الكلس في الماء ويخمر أسبوع أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه..."[688].

وللحصول على مادة صالحة للتشكيل والنحت لابد من خلط مقدار الثلث من الجص مع الثلثين من الماء[689]، ولعل التشكيلات الزخرفية بالمنطقة دليل على إتقان الحرفيين لعملية تحضيره واستخدامه. ومادة الجير إحدى أهم مواد البناء المستخدمة في العمارة الطينية، حيث يستخدم في اللياسة والبياض، ولعل أهم ما يجعله مميزا كونه يستطيع التغلب على بعض عيوب الطين وسلبياته أمام عوامل التعرية من رطوبة ورياح، كما أن له دور في تحسين الخواص الفيزيائية للطين بسبب عزله للحرارة وقدرته على تقليل الإشعاع الشمسي وقد استعملت هذه المادة منذ القديم، حيث وجد خليط الجير بكثرة في أبنية الرومان[690] التي لا تزال شاهدة على براعتهم في ذلك إلى اليوم.

▪ **الزليـــــج**: يوجد على شكل قطع صغيرة مربعة أو نجمات تستعمل أساسا في تزيين الأرضيات والجدران ومداخل الحجرات والمساجد، وحسب "مارسيه" فإن الزليج الذي بقي المغرب وفيا له يحتل مكانة أكثر أهمية في هذه البنايات[691].

إن استعمال الزليج في البيت الفيلالي له دلالة سوسيو اقتصادية مهمة إذ يعكس المكانة والوضع الاجتماعي والاقتصادي لكل أسرة من أسر القصر، وحضوره يعني الغنى والترف، وغيابه يعني التواضع في سلم الهرم الاجتماعي.

[688]- ابن خلدون، المقدمة، م س، ص. 512.

[689]-Andre (Paccard), Le Maroc et l'artisanat traditionnel dans l'architecture, édition, Atelier 74 TI p 69.

[690]- سميرة الرباطي، معجم البناء والعمران في كتاب العبر لا بن خلدون، بحث لنيل دبلوم السلك الثاني من المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، السنة الجامعية 1993-1994. ص 40.

[691]-Marcais(Georges),L'architecture musulmane d'Occident:Tunisie, Alger, Maroc ,Espagne, Sicile ,édition Arts et Métiers Graphiques, Paris ,1954, p 415.

▪ **القرميـــــــد:** استعمل في عمارة القصور في أماكن محددة خصوصا مداخل القصور والدور والمساجد، وتتم صناعته بعد غمر الصلصال في الماء مدة أربعة وعشرين ساعة ثم يوضع الصلصال في القالب للحصول على الشكل المطلوب، ويعرض لأشعة الشمس المدة الكافية لتبخر الماء منه، وتوضع القراميد بعد تجفيفها في الفرن لتجري عليها عملية الحرق لتصبح جاهزة للاستعمال[692]، وقبل استعمالها يتم طلاؤها باللون الأخضر.

2- أنواع الزخارف

2-1. الزخارف العمائرية

تنوعت الزخارف المعمارية بقصور تافيلالت في تصاميمها وموضوعاتها وأساليبها، واختلفت مواد تنفيذها وأشكالها حسب المكان، إذ عمل البناء (الفنان) المحلي على زخرفة مختلف مبان القصر باستعمال عناصر معمارية تقلل من جمود منشآته وتضفي عليها نوعا من الحركية وأحيانا حسا جماليا.

▪ **التجويفات:** ازدانت جدران القصور بكوات مختلفة الأشكال والأحجام محلاة من الداخل بزخارف رائعة، وكان استعمال الحنيات في العمائر الإسلامية يهدف إلى تحقيق مجموعة من الأغراض، فعلاوة على وظيفتها كمكان توضع به وسائل الإنارة، فهي من جهة تخفف من ثقل البناء وبواسطتها يتم توزيعه عبر كافة أجزاء الجدار، ومن جهة أخرى تعتبر عنصرا زخرفيا يقطع الملل الذي يحس به الناظر من جراء نظرته إلى جدران ممتدة وعلى مسافة طويلة[693]، وجاءت أغلب التجويفات بقصور تافيلالت بسيطة جدا لاتخرج عن نطاق المستطيل يعلوه أحيانا عقود نصف دائرية.

▪ **الشرفات:** يقصد بها تلك الزوائد التي توضع في أطراف الشيء تحلية له[694]، وفي الإطار المعماري الشرفة ما يوضع في أعلى القصور والمدن، ويقال شرف الحائط أي جعل له شرفة، أي شرافة[695]. واستعملت الشرافة للدلالة على النهاية العلوية للأسوار،

---

[692]-Andre (Paccard), Le Maroc et l'artisanat traditionnel dans l'architecture, op.cit. p 357-358.

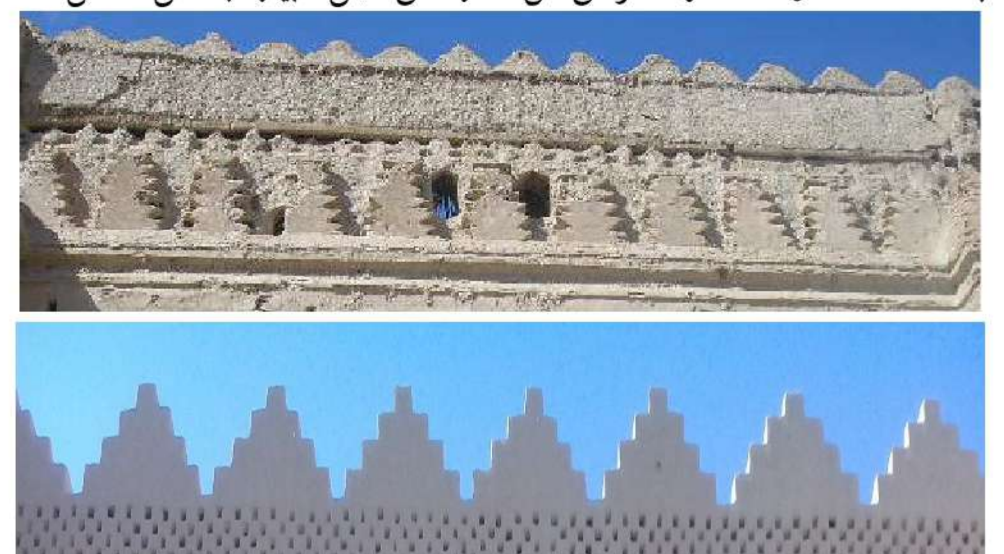
[693] - حملاوي، نماذج من قصور، م س، ص 319.

[694] - انيس ابراهيم المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، 1985، ص 480.

[695] - ابن الرامي، م س، ص 195.

وكانت تبنى بمواد مختلفة منها الخشب والتراب وغيره وكانت قاعدتها أعرض من قمتها، وقد استخدمت الشرفات في عمارة القصور الفيلالية على مستوى الأسوار والمداخل، بعضها كان لغرض عسكري والبعض الآخر زخرفي. ويمكننا التمييز بين أربعة أنواع من الشرفات بقصور تافيلالت:

- الشرفات الهرمية (merlons prismatique) نجدها في الأبراج والأبواب وهي الأكثر انتشارا.
- شرفات هرمية مشطوفة الرأس (merlons prismatique aigues).
- شرفات بسيطة (merlons simples).
- شرفات مسننة (merlons dentelés) عبارة عن خطوط منكسرة بشكل متموج عرفت بأسنان المنشار، قاعدتها أعرض من قمتها من أجل تثبيتها بشكل أفضل.



صورة رقم (48): نماذج من الشرفات التي تتوج أسوار ومداخل القصور الفيلالية
تصوير شخصي 2008

2-2. الزخارف الهندسية

تضفي الزخرفة الهندسية أهمية خاصة في التشكيل الفني للقصور، فهي تعكس جهدا إبداعيا وتحكما تقنيا عال، فالزخارف المحيطة بقمم الأبراج وزخارف الستر تكون إطارا يستوعب العملية الدفاعية في صياغة فنية مثيرة، لذا جاءت هذه الزخارف الطينية كتاج بالغ التشكيل بتقاطعات خطوطه الهندسية ودقة أشكاله المستلهمة من الطبيعة.

ولم تقتصر الزخرفة الهندسية على الستر والأبراج، بل شملت أيضا أبواب وجدران بيوت الصلاة بالمساجد معتمدة في ذلك على الجص والطين والخشب، لتضفي على هذه المنشآت نوعا من الجمال، مما يبعث في نفوس السكان والزوار نوعا من الإرتياح والسرور، ويمكن إنتاج هذه العناصر الهندسية من العلاقات الخطية والأشكال الهندسية، وباعتماد مبدأي التناظر والتماثل من جهة والتوازن والتناسق والتناغم بين الأشكال من جهة ثانية، ومن هذه العناصر نذكر:

- **الزخارف الطينية:** تتركز في الجزء العلوي للأبواب والأبراج والستر، وتكون إطارا يعكس الهدف الدفاعي في صياغة فنية مثيرة. وتعتبر الزخرفة الطينية الأكثر انتشارا في هذا الصنف؛ وتقوم على ترتيب وتصنيف الأجر في عدة تصميمات عمودية، شريطة أن يكون كل صنف من الأجر بمعزل عن الأخر، وقد تعطي هذه الطريقة زخارف على شكل إطارات وافريزات، كما يمكن أن يوضع الأجر مائلا ليعطي في هذه الحالة زخارف متعرجة أو أشكالا هندسية أخرى كالمعينات. وأحيانا تقتصر الزخرفة على نقوش تتبع الحلل" Les joints" الرابطة بين الطوب، أو نقوش تكسية سميكة تغطي حائطا من الطابية.

كما نجد مقعرات وثقب ناتجة عن تراكيب مختلفة للطوب، مكونة من مسطحات عمودية متداخلة فيما بينها، بها رسوم اختطت فوق شبكة متعامدة الخطوط، تصطف هذه المصطحات بشكل طولي مكونة شرائط وافريزات وعقيدات كاذبة " des Arcarures Aveugles" تختلف من واجهة إلى أخرى[696].

هذا الترتيب الطولي الأفقي يضفي قيمة فنية واستقلالية على العناصر الزخرفية المكونة له. (العقيدات الكاذبة، النخروب، المعينات)، ويتولد عن تعاقبها المتسق وتواتر الظل والضوء بفعل تكوينها المقعر والمفرغ الذي يعطي إيقاعات شكلية تستلزم قدرا من التركيز للإحاطة بمجموع النموذج الزخرفي المشكل من عدة وحدات إطارية، ويشكل الكل إيقاعا جماليا يتناسق فيه الجزء مع الكل[697].

[696]- عبد الرحمان البلعشي، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات، م س، ص 239.

[697]- المرجع نفسه، ص 239.

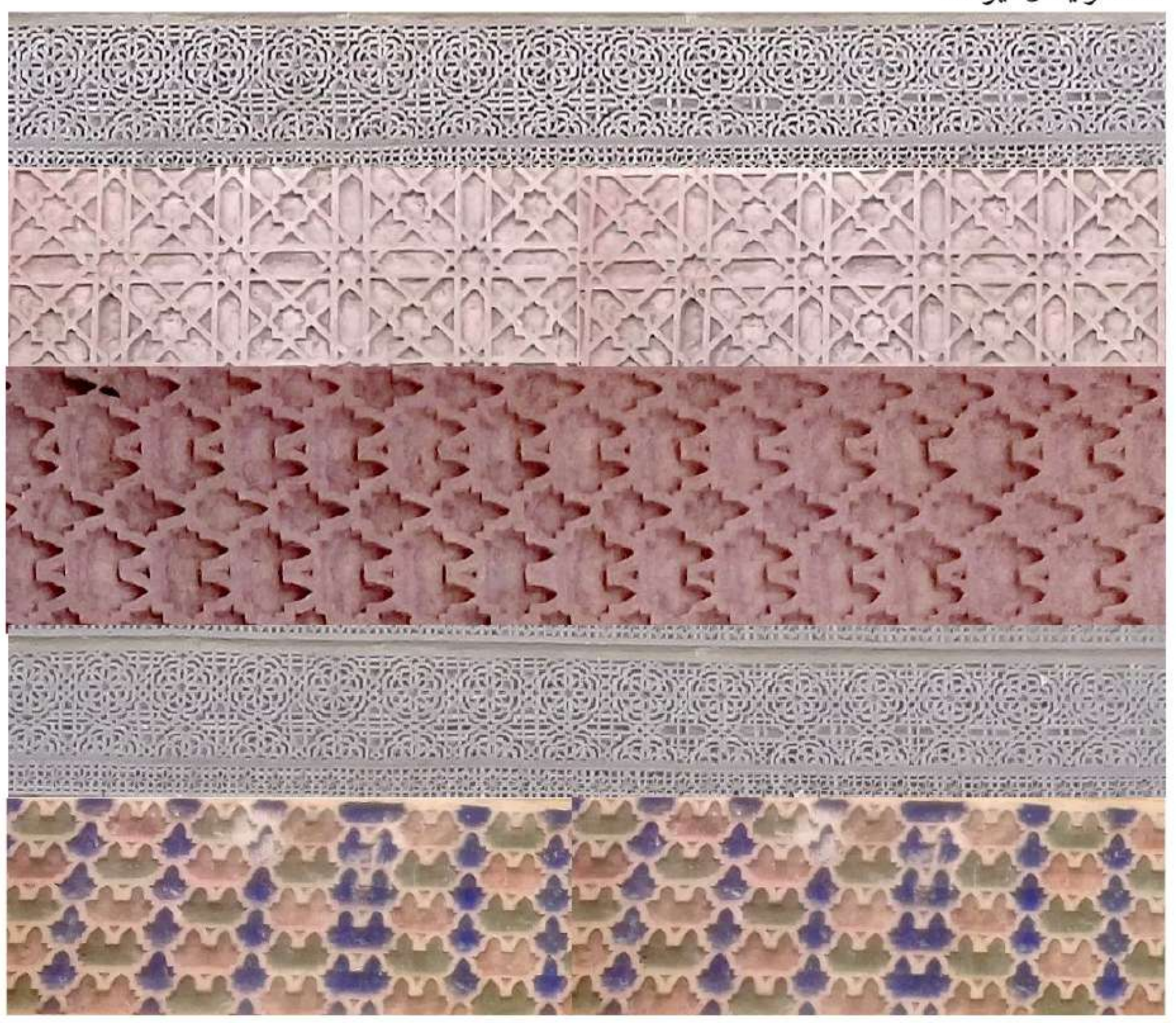


صورة رقم (49):الزخارف الطينية بالقصور الفيلالية

تصوير شخصي 2008

▪ **الزخرفة الجصية:** لم تنحصر الزخارف الهندسية على الزخرفة الطينية بل اعتمدت على كل ما تسمح به الإمكانيات المتوفرة وخصوصا مادة الجبس الذي أبدع به الفنان أشكالا مختلفة من الزخرفة الإسلامية المغربية وما يرتبط بها من أشكال زخرفية، كالشبكات (les grille) والظفائر (les moeuds)ودرج وكتف (marche et épaule) وقد نفذت هذه الأشكال مع اتباع خاصية التكرار في تشكيلها، ومن أبرزها الأطباق النجمية التي تنتج عن تشابك الزخارف الهندسية المختلفة والتراكيب الهندسية المتعددة

الأضلاع، كالسداسي والثماني والمثلثات والمستطيلات والأشكال المتفرعة منها. وتغلب على هذه الزخارف شبكة المعينات، حيث تتشابه هذه المعينات في واجهات الأبواب، وتختلف في طريقة توزيعها، فنجدها ضمن أشرطة في أبواب القصور على جانبي العقد وفوقه، وفي بيوت الصلاة. ومن الأمثلة الجيدة لتلك الزخارف الهندسية النجمات الثمانية الأضلاع التي تزين قبة مسجد تابوعصامت، وزخارف مداخل القصور المخزنية وغيرها.



صورة رقم (50):الزخارف الجصية بالقصور الفيلالية

تصوير شخصي 2008



صورة رقم (51):تبين استخدام الزخارف بأشكال هندسية على مستوى الأبواب
تصوير شخصي 2008

3-2. الزخارف الكتابية.

تعتبر الكتابات المنقوشة من أبرز العناصر التي تشكل جزءا من المنظومة الزخرفية التي أبدعتها أنامل الفنانين- النقاشين بتافيلالت، وهي من الوثائق التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها لتأريخ القصور والقصبات. وقد حملت التكوينات الزخرفية الكتابية الآيات القرآنية والأدعية والأبيات الشعرية، واستعملت على نطاق واسع في مختلف البنايات والمعالم التاريخية كعنصر لتزيين وتنميق المعالم التاريخية إلى جانب العناصر

الهندسية والنباتية، حيث يراعى التناسق والتكامل بين مختلف هذه المكونات الزخرفية. وقد نقشت غالبيتها على الجبس، فيما غابت بعض المواد المستعملة في زخرفة المعالم التاريخية كالرخام والحجر، وهو أمر يؤكد على فقر الواحة للمحاجر التي تستخرج منها هذه المادة. ويمكن تصنيف الكتابات بقصور تافيلالت حسب مضامينها إلى الأنواع الآتية:

- ❖ **الكتابـات ذات المضمـــون الدينـــي**

ونعني بها الكتابات التي تتضمن نصا قرآنيا أو حديثا شريفا أو أذكارا أو أمداحا (eulogie)، وتعد الكتابات ذات المضمون الديني من العناصر الزخرفية الأكثر حضورا في المعالم الدينية والمدنية بمنطقة تافيلالت، ومن المواضيع الأكثر تداولا كلمة: "**العافية الباقية**" و"**العز لله**" و"**الملك لله**"، ولعل دلالة هذه الكلمات تؤكد تمسك المجتمع الفيلالي بدينه الإسلامي. وقد نقشت هذه الكتابات في شكل افريزات وأشرطة على مادة الجبس بشكل واسع، كما أن توظيف الخط الكوفي كان حاضرا بشكل لافت للنظر.



العزلله العزلله العزلله العزلله العزلله



العافية الباقية العافية الباقية العافية الباقية العافية الباقية العافية الباقية

صورة رقم (52): نماذج من الكتابات المنقوشة ذات المضمون الديني بقصور تافيلالت

تصوير شخصي 2008

- **مسجد قصر تابوعصامت**

الكتابة رقم1: وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ. الحج، الآية: 76.

الكتابة رقم 2: بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد واله وسلم.

الكتابة رقم 3: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. وما بكم من نعمة فمن الله.

الكتابة رقم 4: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا. الإسراء، الآية: 78.

الكتابة رقم 5: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

الكتابة رقم 6: اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. البقرة، الآية: 254.

- **مسجد ضريح زاوية سيدي بوبكر بن عمر**

الكتابة رقم1: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الفاتحة، الآية:1.

الكتابة رقم2: "العز لله"

الكتابة رقم3: السميع الحي الصمد

الكتابة رقم4: العز لله

- **مسجد قصابي مولاي الشريف**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

- **مسجد قصبة الحدب الغربية**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

- **مسجد قصر مزكيدة**

الكتابة رقم1: "العز لله"

الكتابة رقم2: العافية الباقية

- **مسجد قصبة سيدي ملوك**

الكتابة رقم1: بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير مفهوم.

الكتابة رقم2: الملك لله

الكتابة رقم3: العز لله

- **مسجد قصر اخنوس**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

الكتابة رقم2: العز لله

- **مسجد قصر الفيضة**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

الكتابة رقم2: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. البقرة، الاية: 136.

الكتابة رقم3: العز لله

الكتابة رقم4: الملك لله

- **مسجد قصر أولاد رحو**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

- **قصر الفيضة**

الكتابة رقم1: سبحان من قضى وحكم على الإنسان ما لم يعلم.

ألا يا داخلا باليمين أبشر وبالإقبال في وقت أنت سعيد وأبشر بما يهوى الفؤاد وتشتهي العينان، أنظر بديع صنعتي قد زخرفت كزخرف الأزهار في البستان، من يدخل والله أكبر بشرى من فضل تريح مولاك.

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا فالله حافظه من كل منتقم

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير منهزم.

- وفي شهر القعدة عام إحدى وسبعين ومائتين وألف

- **مدخل الدار الكبيرة بقصرمزكيدة**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

الكتابة رقم2: العافية الباقية/ العز لله

- **مدخل الدار الكبيرة قصبة أبي القاسم الزياني**

الكتابة رقم1: بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير مفهوم

- **قبة الضياف بقصر مولاي أحمد الذهبي**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

- **الدار الكبيرة بقصر آبار**

الكتابة رقم1: العافية الباقية

الكتابة رقم2: يا داخلا(...) أتسير بهناك أبشر بما تريد الله أعطاك

الكتابة رقم3: في 4 شوال عام 1204

- **باب غرفة الضيافة بقصر أولاد عبد الحليم**

الكتابة رقم1: الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

- **مدخل القصبة الجديدة**

الكتابة رقم1: الحمد لله وحده. اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيم. البقرة، الآية: 254.

❖ **الكتابات ذات المضمون التاريخي**

لم يكن هذا النوع من الكتابات سائدا بالمنطقة إذ لا يتعدى مجموع الكتابات التي تم جردها خمس كتابات تاريخية يعود أقدمها لسنة 1131هـ، أما خصائصها الخطية فلا تخرج عن تلك التي تميز الكتابات ذات المضمون الديني، وتكمن أهمية هذه النصوص التاريخية في المعلومات التي تزودنا بها عن تاريخ العمارة بالمنطقة.

- **مسجد قصر أخنوس**

الكتابة رقم1: نشأ هذا المنبر المبارك فاتح 1134 على يد قائد مولانا إسماعيل أمير المؤمنين أيده الله، القائد محمد الصغير خال مولانا الحاكم وفقه الله أمين.

- **أركان الحمام بقصر الفيضة**

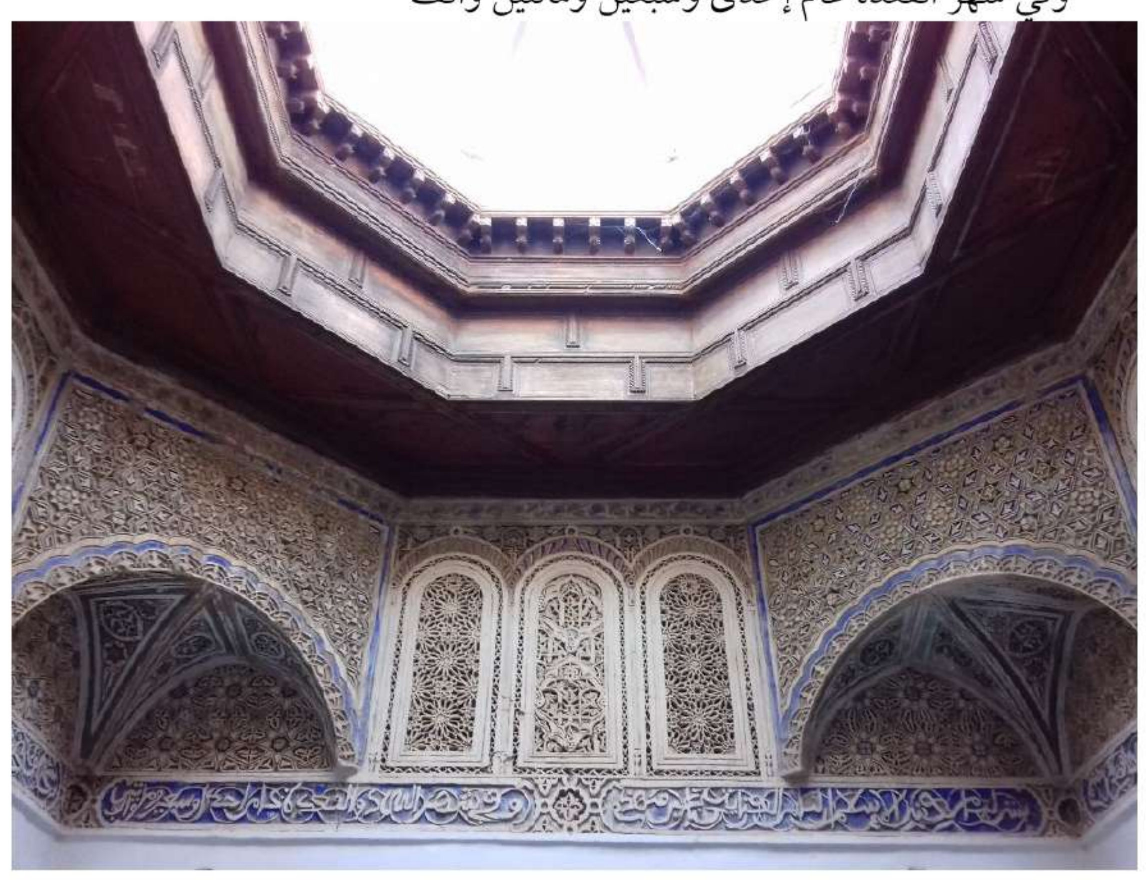
الكتابة رقم1: سبحان من قضى وحكم على الإنسان ما لم يعلم

ألا يا داخلا باليمين أبشر وبالإقبال في وقت أنت سعيد وأبشر بما يهوى الفؤاد وتشتهي العينان، أنظر بديع صنعتي قد زخرفت كزخرف الأزهار في البستان، من يدخل والله أكبر بشرى من فضل تريح مولاك.

من يعتصم بك يا خير الورى شرفا فالله حافظه من كل منتقم

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنا غير منهزم.

وفي شهر القعدة عام إحدى وسبعين ومائتين وألف





صورة رقم (53): نماذج من الكتابات المنقوشة ذات المضمون التاريخي بأركان الحمام بقصر الفيضة

تصوير شخصي 2008

- **الدار الكبيرة بقصر آبار**

الكتابة رقم1: في 4 شوال عام 1204

- **منبر مسجد قصر أبو عام**

الكتابة رقم1: لا الاه إلا الله في 13 ربيع الثاني عام 1314 محمد رسول الله.

- **مدخل مسجد قصر أولاد عبد الحليم**

الكتابة رقم1: "الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده أمر مولانا الهمام سيدي محمد نجل الإمام المؤيد مولانا عبد الرحمان بن هشام أبقاه الله رحمة للأنام ببناء هذا المسجد المؤسس لتقام فيه الصلوات والعلوم تدرس والخطابة بالمواعظ والتذكار وتلاوة القرآن والاستغفار رجاء لما في الحديث لمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ...تاريخه في 2 من جمادى الثانية عام 1263 والسلام"



صورة رقم (54): نموذج من الكتابات المنقوشة على الزليج

تصوير شخصي 2008

❖ الكتابـــــات الشاهديـــة

تعتبر الكتابات الشاهدية أحد مصادر التاريخ المهمة، ومصدرا لدراسة الخطوط والكتابات العربية، لهذا حظيت باهتمام كبير من لدن المؤرخين وعلماء الكتابات. وتحتفظ قبور الأولياء بمنطقة تافيلالت بشواهد جديرة بالدراسة الفنية الكفيلة بإبراز أهميتها، باعتبارها وثائق لشخصيات، وصيغ دينية لها دلالاتها المهمة، فضلا عن تضمنها لكنى وألقاب وأنساب ذات قيمة تاريخة.

- **ضريح زاوية عبد الله الدقاق**

الكتابة رقم1: بِسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحِيم

الكتابة رقم2: وصلى الله على مولانا محمد

الكتابة رقم3: وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَة

الكتابة رقم4: رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً

الكتابة رقم5: رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِين، رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

الكتابة رقم6: بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وسلم تسليما

الكتابة رقم7: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (107) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (108) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا

الكتابة رقم8: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

الكتابة رقم9: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، عمل هذا التابوت المبارك للولي الصالح العلامة السيد عبد الله الدقاق نفعنا الله ببركاته على يد الشريف الحسن مولانا الحران بن مولانا الشريف أحاطه الله بلطفه، فاتح اثنين وثمانين وألف وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

- **ضريح زاوية الحاج علي بوزينة**

الكتابة رقم1: الملك لله

الكتابة رقم2: العافية الباقية

الكتابة رقم3: العز لله

الكتابة رقم4: العافية الباقية

- **قبر الحاج علي بوزينة**

الكتابة رقم1: الحمد لله وحده، توفي الولي الصالح أفضل الله علينا بركاته سيدي علي بن أبي زينة ليلة الأحد عند صلاة العشاء ودفن يوم الاثنين بعد صلاة الظهر، وذلك ثان شعبان عام ستة عشر ومائة وألف، لا الاه إلا الله محمد رسول الله.

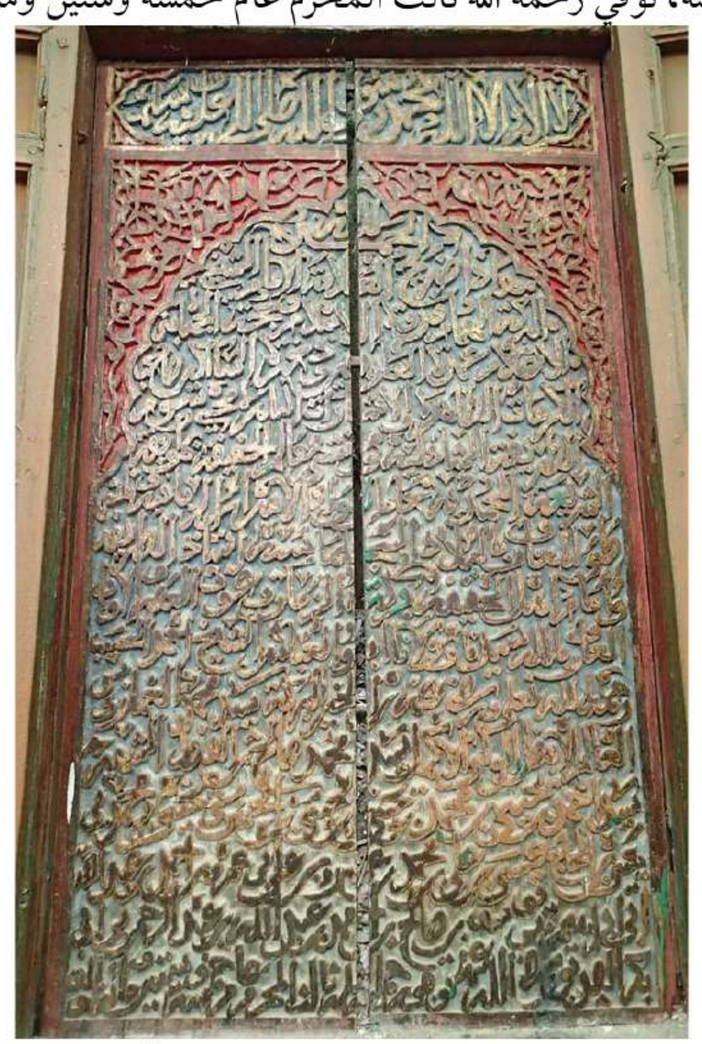
- **قبر ابن الحاج علي بوزينة**

الكتابة رقم1: لا الاه إلا الله محمد رسول الله.

- **ضريح الشيخ أحمد الحبيب بزاوية الماطي**

الكتابة رقم1: لا الاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحمد لله هذا ضريح العلامة الإمام الشيخ البركة الهمام قدوة الإسلام وحجة الجهابذة الأعلام، عهدة

العارفين وذخيرة السالكين صاحب الكرامات الظاهرة والإشارات الباهرة محيبي رسوم الطريقة الشاذلية ومنشئ معالم الحقيقة بموافقة الشريعة المحمدية، حامل لواء الأسرار الربانية وناشئ طي المعارف بالبلاد السجلماسية، وغوت العصر والأوان، العارف بالله مجدنا ومولانا أبو العباس الشيخ الحبيب رحمه الله تعالى ورضي عنه، ابن الخير البركة سيدي محمد الغماري بن العالم الأفضل الولي الأكمل سيدي محمد بن صالح القطب الشهير سيدي أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن محمد بن يحيى بن الحاج عيسى بن علي بن محمد بن عمرو بن علي بن عمرو بن أحمد بن عبد الله بن إبراهيم بن يوسف بن صالح بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، توفي رحمه الله ثالث المحرم عام خمسة وستين ومائة وألف.



صورة رقم (55): كتابة منقوشة على الخشب بضريح الشيخ أحمد الحبيب بزاوية الماطي

تصوير شخصي 2008

- **ضريح سيدي أحمد بن علي الحفيان**

الكتابة رقم1: الحمد لله وحده، صلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، هذا ضريح أو قبر الولي الصالح رافع راية البركة الهاشمي المحمدي الذي كراماته (...) لم يحتج تبيينها إلى برهان الساطعة لم يختلف عندها اثنان. شيخ الوفد الأحمدي أبي (...) سيدي أحمد ابن علي الحفيان أسكنه الله تعالى فسيح الجنان (...) المقربون بالكرامات وكانت وفاته رضي الله تعالى عنه عام ألف ومائتين وكتب في أواخر محرم فاتح ثمانية عشر ومائتين وألف.

- **ضريح الشيخ أحمد الحبيب بقصر زاوية الهلالي**

الكتابة رقم1: لا الاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. الحمد لله هذا ضريح العلامة الإمام الشيخ البركة الهمام قدوة الإسلام وحجة الجهابذة الأعلام عمدة العارفين وذخيرة السالكين صاحب الكرامات الظاهرة والإشارات الباهرة محي رسوم الطريقة الشادلية ومنشئ معالم الحقيقة بموافقة الشريعة المحمدية حامل لواء الأسرار الربانية وناشئ طي المعارف بالبلاد السجلماسية، أستاذ الطريقة وإمام أهل الحقيقة. وبركة الزمان وغوث العصر والأوان العارف بالله سيدنا ومولانا أبو العباس الشيخ أحمد الحبيب رحمه الله تعالى ورضي عنه بن الخير البركة سيدي محمد ألغماري بن العالم الأفضل الولي الأكمل سيدي محمد صالح بن القطب الشهير سيدي أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن الحسن بن يحيى بن محمد بن يحيى بن الحاج عيسى بن علي بن محمد بن صالح بن أحمد بن عمرو بن أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه توفي رحمه الله ثالث المحرم عام خمسة وستين ومائتين وألف.



صورة رقم (56):نموذج للكتابة الشاهدية (قبر سيدي أحمد بن علي الحفياني بالزاوية الحفيانية)

تصوير شخصي 2008

مما لا شك فيه أن النقوش الكتابية المسجلة على العمارة بمنطقة تافيلالت قد لعبت دورا كبيرا في تحديد القيمة التاريخية للمنشآت، لأن بعضها يحمل تاريخ بنائها، واسم مشيديها. ومن أبرز القيم المرتبطة بالنقوش الكتابية المسجلة على العمارة بمنطقة تافيلالت نوع الخط، إذ سجلت تلك النصوص الكتابية بالخط الكوفي والنسخ المغربي وهي تمثل مراحل زمنية مختلفة، وتسجيل النصوص الكتابية على هذه المنشآت ساعد في تأريخ الآثار بشكل دقيق كما أنه يمكن الاستفادة من النصوص الكتابية المؤرخة المسجلة على بعض المعالم لتأريخ أخرى.

وقد وصلتنا نماذج كثيرة من هذه النقوش الكتابية تحمل مضامين مختلفة وهي منقوشة على الجبس والخشب والزليج، أما مواضعها فقد أعدت لها أماكن تبدو واضحة لزائر هذه المنشآت لإبراز قيمة المبنى.

جدول رقم (11): تصنيف الكتابات حسب مادة النقش

نوع الكتابة	الجبس	الخشب	الزليج	الرخام	المجموع
معمارية	32	1	1	2	36
شاهدية	10	45	-	-	55
المجموع	42	46	1	-	91

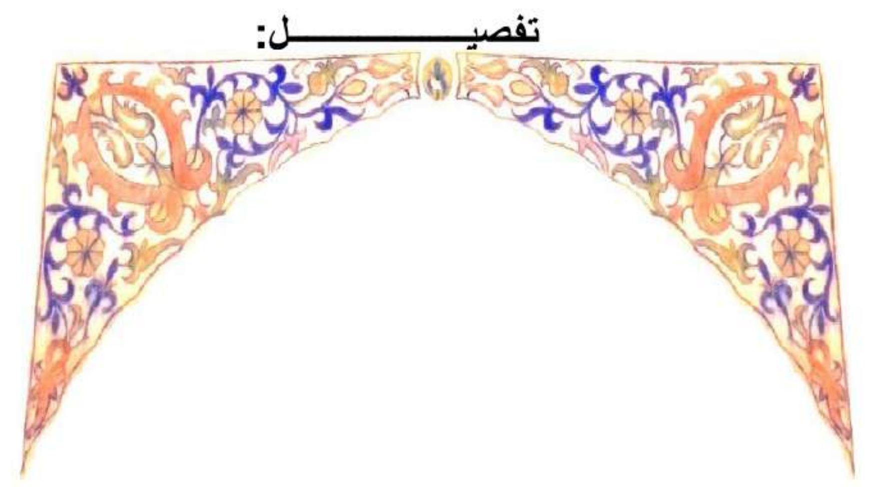
4-2. الزخارف النباتية:

يعد هذا النوع من أجمل الزخارف المستعملة بالمنطقة، وتكون من أغصان ونخلات وزهور، وقد غطت هذه الزخارف أجزاء من مداخل القصور والمحارب. ومن حيث طبيعتها يمكن تصنيفها إلى عناصر زخرفية مصبوغة ومنقوشة ومركبة.





تفصيـــــــــــــل:



صورة رقم (57): نموذج للزخارف النباتية

تصوير شخصي 2008

خلاصة

يتضح أن سكان القصور استغلوا ما توفر لديهم من مواد أولية في بيئتهم المحلية استغلالا جيدا، ويعد التراب والحجر والخشب أهم المواد التي استخدمت في بناء القصور نظرا لتوفرها وسهولة استعمالها وانخفاض تكلفتها وتوافقها مع معطيات البيئة المحلية. وقد استخدمت بطرق شتى؛ يشمل ذلك الاستخدام المباشر أو بعد إدخال تعديلات بسيطة عليها، وأحيانا بعد معالجتها وتحويلها، وتمتاز أغلب هذه المواد بوفرتها وسهولة الحصول عليها، إضافة إلى أنها ذات خصائص عالية في الانسجام مع الظروف المناخية. وقد أثبتت هذه المواد مدى صلاحيتها وكفاءاتها وفعاليتها كحلول معمارية وتصميمية ملائمة للمعطيات المناخية، وتناسبها مع متطلبات السكان واحتياجاتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

أما أساليب وتقنيات البناء بالقصور فقد خضعت لطبيعة المواد المستعملة والضرورات المناخية، وجمعت مميزاتها بين البساطة والإحتياجات المختلفة للساكنة، ولم تخل عمارة القصور رغم بساطتها من لمسة زخرفية.

ورغم أن المواد المستعملة لاتتيح إلا إمكانيات محدودة للتشكيل الزخرفي، لم تخل عمارة القصور من لمسة زخرفية تضفي عليها مسحة جمالية. فالسجل الزخرفي لهذه العمارة يمتاز بتنوعه، بين أشكال هندسية ونباتية ورمزية وأخرى كتابية زينت واجهات القصور ومساجدها وأضرحتها ووحداتها السكنية، ففيما يتعلق بمضامين الكتابات، ميزنا بين الكتابات ذات الفحوى الديني والكتابات ذات الفحوى التاريخي، ويمتاز النوع الأول بتزايد عدد عبارات الذكر والدعاء، ومن العبارات حظيت بإقبال كبير من قبل نقاشي القصور: "**العافية الباقية**"، والتي استخدمت في تزيين مساحات واسعة داخل المعالم. وتعتبر المساجد أهم فضاء ديني تم تزيينه بمختلف النصوص الدينية التي تحتاج إلى دراسة ابيغرافية من شأنها أن تقدم وجها آخر لحضارة المنطقة في شقها الإخباري والفني.

إن الزخارف التي استخدمت في عمارة القصور تترجم المستوى الثقافي لأهالي القصور، وتعبير عن فكر إسلامي أصيل بما تحمل بين طياتها من رموز تعبر عنها، كما أن هذه الزخارف لم تكن عشوائية في أشكالها وفي أماكن تواجدها، حيث يلاحظ أن بعضها كرر في نفس الأماكن الوظيفية في قصور أخرى.

الفصل الرابع

أصنـاف القصـور بمنطقـة تافيلالـت

تعريفها ودراسة وصفية لنماذج منها

إن الزائر لمعظم قصور وقصبات منطقة تافيلالت يخرج بانطباع مؤداه أن هناك تشابها كبيرا فيما بينها، سواء على مستوى الشكل الخارجي أو التخطيط الداخلي أوالمكونات المعمارية، لكن الحقيقة أن هناك مجموعة من أوجه الشبه والإختلاف، لذلك وضعنا عددا من المحددات الأولية التي تجعلنا نميز بين هذه القصور والقصبات، وتسمح لنا بوضح مجموعة من المعايير لتصنيفها؛ إذ يمكن التمييز بينها على مستوى التخطيط العام والمكونات المعمارية والأبعاد الوظيفة، والخدمات التي يقدمها القصر والدور الذي ميزه تاريخيا. فقد اشتهر بعضها بارتفاع عدد سكانها وحجم بناياتها التي تفوق المعتاد في القصور الأخرى، وامتازت أخرى بأهميتها السياسية أو الاقتصادية أوالدينية أو الاجتماعية، أو الحرفية، كما يمكن التمييز بين قصور رئيسية وأخرى ثانوية، الأولى؛ تستقطب أغلب الأنشطة داخل المشيخة التي تنتمي إليها، بينما تؤدي الثانية وظيفة سكنية محدودة. وعرفت المنطقة هذه الأصناف تبعا للظرفية التاريخية والأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة، إذ إن كل حقبة تاريخية في هذه العمارة لها سمات خاصة، وإن كانت ثنائية (البناء والهدم، الخراب والتجدد) المرتبطة بهذا النوع من المعمار، وقلة المعطيات التاريخية لا يساعد على رصد هذا التطور.

سبقت الإشارة في الفصل الأول من هذا الكتاب إلى المحاولات السابقة التي قام بها مجموعة من الباحثين لتصنيف القصور الصحراوية والتي لم تمكنهم من وضع سلم زمني مضبوط يساعد الدارسين على وضع محددات كل نمط. وما دمنا في إطار الدراسة التاريخية والمعمارية لقصور تافيلالت، فقد اعتمدنا تصنيفا يركز أساسا على الجانب التاريخي والوظيفي والاختلافات الموجودة على مستوى التخطيط العمراني، وبذلك أمكننا تقسيم هذه القصور إلى أربعة أصناف رئيسية، فما هي إذن مميزات كل صنف على مستوى المكونات المعمارية والأهمية الوظيفية والعمق التاريخي؟ وما هو التطور الذي لحقها عبر المراحل الزمنية المختلفة؟

I- الصنف الأول: القصور والقصبات السلطانية

تذكر المصادر التاريخية، بشكل لافت، القصور والقصبات السلطانية (المخزنية) بمنطقة تافيلالت ضمن المنشآت الرسمية للسلطة المركزية. وتعد هذه المنشآت من بين الشارات الرسمية والتقليدية لأي نظام سياسي، فهي التي تعبر عن سلطته باعتباره قوة كبرى يتم من خلالها استحضار العظمة، وفرض الهيبة التي تميزه وتضفي على وجوده في المجال صفة التفرد، التي لا محيد عنها لتكريس تفوقه على المحكومين. فالمعمار "الرسمي" بالرغم من أبعاده الاجتماعية والمادية، يكشف في المقام الأول عن رموز الحكم القائم وتصوراته، التي تسعى لإقرار السيادة، ولتأكيد المشروعية. على أن الحمولة الثقافية لذلك المعمار، ومدى توسع دائرة انتشاره، وموقف القوى الاجتماعية منه، كل ذلك ارتبط ارتباطا وثيقا بدرجة قوة المؤهلات الشخصية للحاكم[698].

ومن هذا المنطلق، شكل بناء القصور والقصبات بمنطقة تافيلالت أحد الانشغالات الرئيسية للسلاطين، المولى إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله ومولاي عبد الرحمان بن هشام، وهي منشآت تردد ذكرها في الكتابات الإخبارية التي تحدثت عن فترات حكمهم. فماهي الأبعاد العامة لتشييد هذه القصور والقصبات؟ وما الغرض من الإكثار منها؟ هل يدخل ذلك ضمن ما اعتبره أحد الباحثين بالحضور المادي الثابت الذي يؤكد تبعية المجال الفعلية للسلطة المخزنية، أم أن عددها يجسد طبيعة السياسة السلطانية ومدى إرادتها في مراقبة البلاد وتكريس الحضور المخزني بأبعاده المختلفة[699]. أو أن ووظفها مراقبة البنيات الاجتماعية ومحاصرتها في سياق هاجس الإخضاع الكلي للبلاد، بهدف توفير الأمن وضمان حرية مرور السلع[700].

---

[698] - محمد جادور، مؤسسة المخزن في تاريخ المغرب، سلسة أبحاث، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز-الدار البيضاء، 2011، ص 198-199.

[699] - المرجع نفسه، ص 89.

[700] - نفسه، ص 90.

1- القصور المخزنية

هي القصور التي تدخل ضمن المنشآت الرسمية للسلطة المركزية، شيدها السلاطين العلويون وسكنوها ومارسوا فيها مهامهم السياسية، أو اتخذوها مقرات للأشراف والأمراء العلويين خاصة خلفاء السلطة المركزية على منطقة تافيلالت.

تتميز القصور المخزنية كما نعتتها بذلك المراسلات السلطانية[701] بتخطيطها المعماري شبه الموحد؛ إذ توفرت على جل المرافق الأساسية، فإلى جانب دار المخزن، توجد مرابض الخيول والمنتزهات والدور السكنية التي كانت مخصصة للعائلات الشريفة والخدم وبعض الأحلاف القبلية[702]. وهي من أجود معالم المعمار المبني بالتراب بالمنطقة، من ناحية التزيين والزخرفة، ومن حيث صلابة البناء وصموده أمام مختلف عوامل التدهور.

أما من حيث موقعها فيوجد جلها بمشيخة واد يفلي، نظرا لأهمية هذا المجال من الناحية الاقتصادية والاجتماعية؛ فغالبية الشرفاء العلويين كانوا يسكنون قصور هذه المشيخة، لما لها من شهرة تاريخية في ممارسة وتعاطي التجارة، سواء الداخلية أوالخارجية مع بلاد السودان أو غيره[703].

يرجع تشييد القصور المخزنية إلى فترة حكم الدولة العلوية، باستثناء قصر أولاد عبد الحليم الذي تشير بعض الدراسات أنه يعود للفترة المرينية، ذكر حافظي: أنه لما استقل أبناء أبي علي عمر المريني بسجلماسة في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ 14م، انعكس ذلك على تطور فن معمار القصور بهذه المناطق، وبنى عبد الحليم بن أبي علي الذي حكم سجلماسة ما بين 762-763هـ/ 1361-1362م، هذا القصر الذي مازال يحمل اسمه إلى اليوم[704].

وقد رافق هذا الاهتمام بالمنطقة نهضة عمرانية، أعطت لهذه القصور وظائف عديدة سياسية وإدارية، فكانت مركز القرار السياسي على مستوى منطقة تافيلالت، خصوصا

701 - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 23266/ وثيقة رقم 18 بالملحق.

702- لمراني، المعمار المبني بالتراب، م س، ص 103.

703- المرجع نفسه، ص 103.

704- حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 122.

قصور: الفيضة، أبار المخزن، أولاد عبد الحليم، ففي هذا الأخير سكن المولى الرشيد[705]، ومارس مهامه كخليفة في عهد السلطان محمد الرابع (1859-1873م/ 1276-1290هـ) والمولى الحسن الأول (1873م-1894/ 1290- 1312هـ) خصوصا وأن المنطقة كانت في حاجة لتجسيد الحضور المادي والمؤسسي للدولة، وتكمن أهميتها أيضا في ضبط الدينامية الاجتماعية لمختلف المجموعات القبلية ومراقبة المجال مراقبة دائمة وفعالة[706].

أ- الخصائص العمرانية والمعمارية للقصور المخزنية

تتميز القصور المخزنية بالتشابه في تخطيطها ومكوناتها المعمارية، فقد ورد في العديد من المراسلات الصادرة عن السلطان أو الواردة عليه، إشارة إلى تشابه المكونات المعمارية لهذا الصنف من القصور؛ ففي إحداها إشارة إلى تشابه السقالة بين قصر الفيضة وبعض القصور الأخرى "وأعلم سيدي أن السقالة هي التي عندنا بأولاد عبد الحليم، وبأبار وبالريصاني وغير ذلك من قصورنا..."[707]. (راجع الصور:20). وينطبق الأمر نفسه على الدور حيث كانت تنقل تصاميمها من قصر إلى آخر، بل إن جل المكونات المعمارية للدار الكبيرة لقصر الفيضة أخذت من قصر أولاد عبد الحليم، فقد ورد في نفس المراسلة ما يؤكد ذلك "إن ظهر لسيدي أن يجعل في ذلك بناء كدار وصيف سيدنا محمد الصريم التي بنيت في وسط الوسعة بقصبة سيدنا بأولاد عبد الحليم، وكذا بناء قبة بنبحها كالتي في الوسعة بالقصبة الحلومية" [708]. (الصور:58-59).

705 - عين الخليفة السلطاني مولاي رشيد العلوي بتافيلالت عن عمر يناهز العشرين سنة، واضطلع بهذه المهمة لمدة طويلة في ظل العديد من السلاطين، انطلاقا من عهد أبيه محمد الرابع، ومرورا بالسلطان الحسن الأول، وابنيه السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ إلى أن توفي يوم 19 محرم الحرام 1330هـ/10 يناير 1912م، عن عمر يناهز اثنين وثمانين عاما، ينظر: - استيتيتو، م س، ص 102.

706 -Brignon et autre, op. cit p.224.

707- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24008/ وثيقة رقم 1 بالملحق.

708- المصدر نفسه.



قصر أولاد عبد الحليم



قصر الفيضة

صورة رقم (58): تشابه صحن الدار الكبيرة بين قصر أولاد عبد الحليم وقصر الفيضة

تصوير شخصي 2008



قصر الفيضة



قصر أولاد عبد الحليم

صورة رقم (59): تشابه الأروقة بين قصر أولاد عبد الحليم وقصر الفيضة

تصوير شخصي 2008

وكان تشييد هذا الصنف من القصور يتم بعد وضع تصميم مسبق لها، ويشرف على بنائها الأمناء[709]، كما كانت تعرف بعض الزيادات والتوسعات حسب رغبة السلطان، ففي رسالة موجهة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد يأمره فيها بشراء قطعة أرضية لزيادتها في عرصة دار السلطان بآبار، وقد حمل هذه الرسالة الطالب علال الشامي، أما مبلغ الشراء فبلغ 750 مثقال. "فيصلك صحبته كتاب ورد من عند سيدي الأمين بن الطاهر ومولاي إدريس بن الصديق على شأن قطعة كنا أردنا تعويضها من أربابها لموافقتها للزيادة في عرصة دارنا بابار، ولم يوجد ما يوافي لتعويضها حتى الآن يسره الله، فبوصول كتابنا هذا إليك، مر خديمنا الطالب علال الشامي أن يوجه الثمن المذكور في الكتاب وهو تسعمائة وخمسون مثقالا لدار عمنا سيدي الأمين بن الطاهر، ليتولى تعويض ذلك والعقد على أربابه والشهادة عليهم وحيازته لجانبنا العالي بالله"[710].

وانطلاقا من معاينتنا الميدانية تم التأكد مما تشير إليه الوثائق، مع اختلاف بسيط في المساحة والأشكال الزخرفية، وعليه يمكن أن نقدم الوصف المعماري التالي.

1-1. الوصف المعماري

السور الخارجي: تحيط بالقصور المخزنية أسوار عالية متصلة دون انقطاع، تتخللها أبراج مربعة يتراوح عددها بين 9 و 13 برج، يزيد عرض قاعدة أبراج الأركان عن الأبراج الواقعة وسط السور، كما تحمل الموجودة منها بالواجهة الأمامية زخرفة طينية، وقد حرص السلاطين على ضمان حماية فعالة لقصورهم حيث شيدت الأسوار على نحو يجعلها في مأمن من كل الأخطار، إذ أسست على قاعدة حجرية وبارتفاع وسمك مهمين، يكاد يكون موحدا في كامل أجزائه، هذه الهيئة جعلت "مونيي" يشبه بعضها بأسوار مدينة الصويرة[711]، وقد نفذت بطريقة فنية، أي أنها تمثل عنصرا معماريا يبرز جمال وفخامة القصر.(انظر الصورة:60)

[709] - نذكر هنا الحاج عبد السلام المقري، والطالب محمد بن محمد، ينظر:
- سجل رقم 29241 بالوثائق الملكية.
[710] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19059.
[711] - Jacques- Meunié (Djinn) et Meunié (Jacques), Abbar.op. cit.p 13.



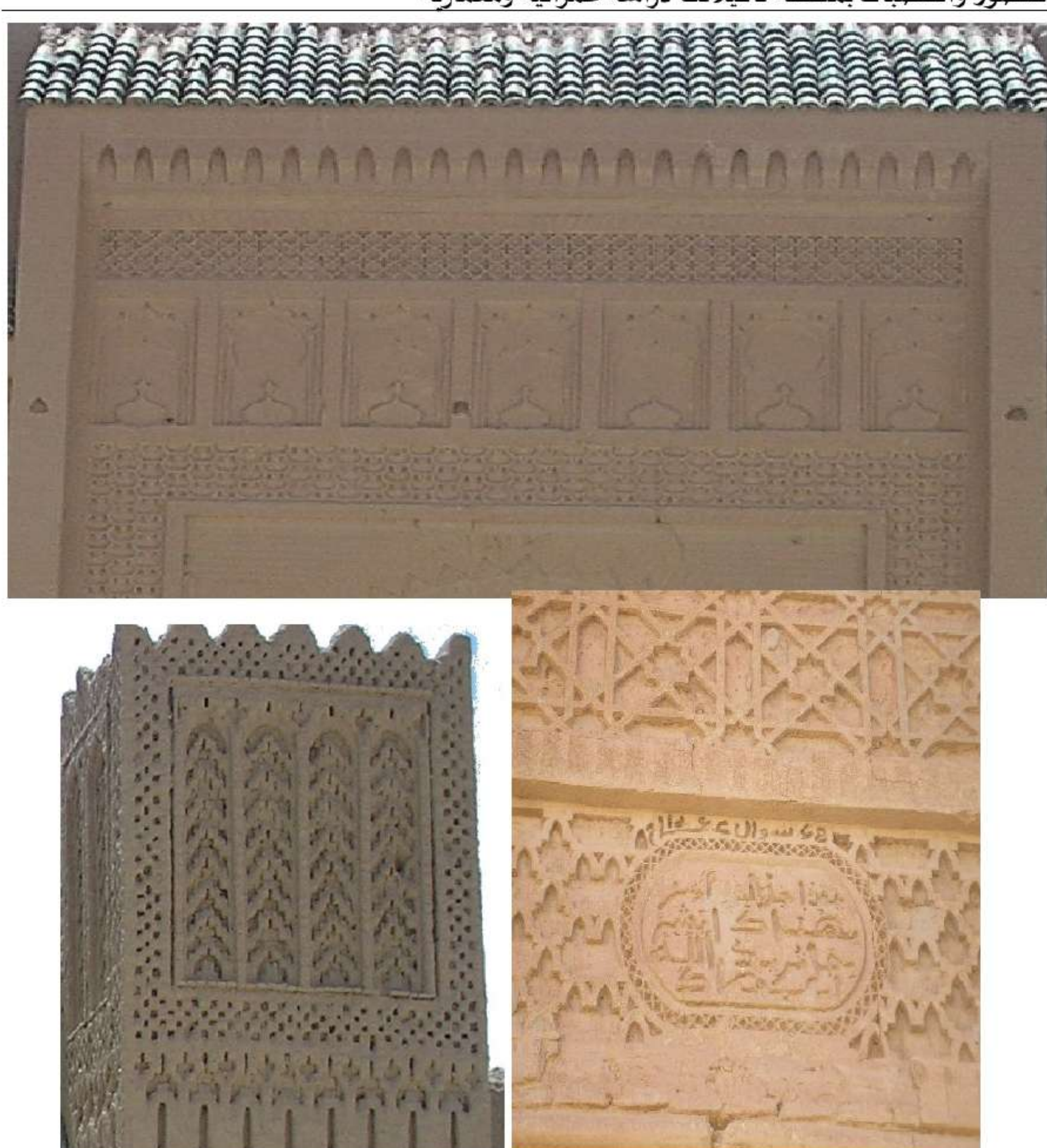
قصر الفيضة



قصر أولاد عبد الحليم

صورة رقم (60):المظهر الخارجي للقصور المخزنية

- الأبـــواب: تميزت جميع القصور بأبوابها الفخمة وهي غالبا مكونة من قوس نصف دائري كبير يحيط به برجان بارزان يمينا ويسارا في غاية الضخامة والمناعة، فضلا عن بوابات صغيرة، ينفتح هذا الباب على رواق مغطى يسمى محليا "الدكانة" مخصصة للحراسة، كما يعلو هذا الباب برج للمراقبة يصعد إليه من درج داخل الرواق. وقد روعي في تصميم الأبواب الجانب الدفاعي. كما زينت مداخل القصور المخزنية وأبراجها بزخارف نفذت على حوامل مختلفة (خشب، حبس، طين...) وبأشكال متعددة (هندسية، نباتية، مجسمة، خطية...) ولتؤدي وظائف مختلفة (البعد الجمال، الدفاعي، الوقائي من الأضرار الطبيعية...)



صورة رقم (61): نماذج لزخارف مداخل القصور المخزنية

المصدر: تصور شخصي 2008

- **المشور**: وهو فضاء شاسع يفصل بين المدخل الرئيسي والمدخل الثاني، مخصص لمراسيم الاحتفال والاستقبال، أنشأت في أحد جوانبه مرابض للخيول.

- **المسجد**: يتكون عموما من صحن مكشوف وخمس بلاطات وثلاث أساكيب، إضافة إلى منبر ومحراب، كما بجانب قاعة الصلاة بئر وميضأة وغرفة لتحفيظ القرآن.

المحج أو النهج: وهو عبارة عن زقاق طويل يحيط بالسور الخارجي، أو يكون متعامدا مع مدخل القصر وعنه تتفرع الدروب.

- **الساحة الداخلية**: وهي أقل مساحة من المشور وتفصل بين الباب الثانية وباب الدار الكبيرة والمجال السكني.

- **الدار الكبيرة**: من المصطلحات المتداولة في البيئة الحضرية المغربية، وهذا المعنى يكتسي دلالة تاريخية، حيث تخصص هذه التسمية في المغرب للإقامات الكبرى، وهي بالقصور المخزنية مقر سكنى السلطان أو من يمثله، تشغل الجزء الأكبر من مساحة القصر، يوجد بها مختلف مرافق الحياة اليومية من قاعات للضيافة ومخازن وحمام وبساتين.

- **مدخل الدار الكبيرة**: عبارة عن قوس بارتفاع مهم ينفتح على رواق يختلف طوله وعرضه من دار لأخرى، وهو مخصص للحراسة يؤدي مباشرة إلى الصحن.

- **الصحن**: مجال شاسع مكون من مجموعة من الأقواس تصل إلى عشرين تعلوها ستائر من القرميد تشكل هذه الأقواس أروقة تفضي إلى قاعة الاستقبال.



صورة رقم (62): قاعة الإستقبال بقصر الفيضة

المصدر: تصور شخصي 2008

- **قاعة الإستقبال**: عددها أربعة وهي ذات مساحة مهمة بحيث يصل طولها إلى عشرة أمتار وعرضها إلى ثلاثة أمتار ونصف.

- **الحريم**: عبارة عن قبب يتوسطها صحن مكشوف غني بالأشكال الزخرفية على مستوى الجدران والسقوف وإطارات الباب.

- **الرياض**: عبارة عن بستان تتخلله ممرات وصهاريج تتفرع عن القنوات المائية المؤدية إلى أحواض، وتطل على الرياض غرف الاستقبال فضلا عن وجود بئر لجلب المياه وأشجار من مختلف الأنواع وجباح لتربية النحل.

- **الحمام**: عبارة عن قبة مشيدة من الحجارة والأجر، متواضعة القياسات، وهو نموذج للحمام التقليدي العمومي. يضم فضلا عن القبة غرفا أخرى مزلجة ومزينة بنقوش، وبئرا ومسخنا.

- **المطبخ**: يتكون من مجموعة من الغرف متباينة الأحجام والوظيفة.

- **العرصات:** توجد خارج أسوار القصور وهي تابعة له، مخصصة لتزويده بما يحتاجه من المؤن.

-**الحصن:** يطلق عليه محليا الصومعة يقع خارج أسوار القصر تتمثل وظيفته الأساسية في حراسة القصور المخزنية من الإعتداءات الخارجية.

1-2. جداول بأسماء وبعض ما وصلنا من أخبار القصور المخزنية بتافيلالت.

بناء على الوصف المعماري السابق وانطلاقا من الإشارات المصدرية والمعاينة الميدانية، يمكن التمييز بين ثلاث فترات زمنية شيدت فيها هذا القصور المخزنية.

- **في عهد المولى إسماعيل**

خص المولى إسماعيل منطقة تافيلالت بعناية خاصة، فعين أحد أبنائه مكلفا بتسيير أمورها، وقام ببناء عدة قصور وقصبات قصد إيواء بعض أبنائه الذين كانوا يفضلون الاستقرار بها، إذ يعد بحق المشيد الأول لمعظم القصبات والقصور بالمنطقة، ويندرج ذلك أيضا في إطار سياسته الهادفة إلى تقوية الدولة الناشئة، وقد ورد ذكر هذه القصور متفرقا بالمصادر التاريخية، نجملها في الجدول التالي:

جدول رقم (12): القصور المخزنية المبنية في عهد المولى إسماعيل

اسم القصور	موقعه	ما وصلنا عنه من معلومات	مصدر المعلومات
قصر مزكيدة	يقع بمشيخة تانيجيوت على بعد ست كلمترات إلى الشمال من مدينة الريصاني	بناه السلطان المولى إسماعيل لإبنه المولى عبد الله	ابن زيدان: المنزع ص 336
قصر المنصورية	يقع بمشيخة واد يفلي إلى الشمال من خراب سجلماسة	بناء السلطان المولى إسماعيل لإبنه مولاي الحران.	ابن زيدان: المنزع، ص 337
قصر أولاد عيشة	يوجد إلى الضفة اليسرى من واد زيز بمشيخة واد يفلي يحده شرقا قصر أولاد عبد الحليم وغربا أولاد رحو وقصبة عمارة شمالا وقصر ابحار جنوبا	بناه السلطان المولى إسماعيل لإبنه زين العابدين بداية ق 18م وقد رممه فيما بعد المولى رشيد بن سيدي محمد بن عبد الله خلال النصف الثاني من ق 19م	تاوشيخت، عمران سجلماسة ص 514
قصر مولاي مبارك	يقع بمشيخة واد يفلي إلى الشمال الغربي من قصر أولاد عيشة.	شيده زين العابدين بأمر من والده المولى إسماعيل	المنزع، ص 337
قصر بني ميمون الشرفاء	يوجد بمشيخة واد يفلي يحده قصر منوكة شمالا وقصر جنان القاضي جنوبا وقصر عمارة شرقا.	شيده المولى المامون بأمر من أبيه المولى إسماعيل	-المنزع، ص 387 -عمران سجلماسة ص 516

▪ **في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.**

من المؤكد أن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله شهد نهضة عمرانية شملت أغلب مناطق المغرب، وقد حظيت منطقة تافيلالت بمكانة خاصه لديه، فقام بزيارتها مرتين: الأولى مابين 27 رجب وشهر ذي الحجة عام 1197هـ/1782م، والزيارة الثانية كانت مابين جمادى الأولى و15 جمادى الثانية عام 1201هـ/1786م[712] "وكان خروج المولى سليمان صحبة والده إلى سجلماسة سنة 1197هـجرية وسنه 18 سنة، حيث نصب خليفة لوالده بها وترك أخاه مولاي الطيب وأغدق عليه من العطايا العظيمة والدخائر الثمينة وأعيان الفقهاء والأدباء..."[713]، وقد رافق هذه الزيارة اصلاحات وبناء قصور جديدة لفائدة أبنائه منها قصبة الحدب لمولاي عبد السلام، وقصر الدار البيضاء لمولاي سليمان، وقصبة الزياني أو الريصاني، وقصبة مولاي المستعين، وقصر أولاد بيد الله وضريح مولاي علي الشريف.

جدول رقم (13): القصور المخزنية المبنية في عهد سيدي محمد بن عبد الله

اسم القصر	موقعه	ما وصلنا عنه من معلومات	مصدر المعلومات
قصر الدار البيضاء	يقع في الطرف الشرقي لواحة تافيلالت بمشيخة واد يفلي، على بعد حوالي خمسة كلمترات من مدينة الريصاني، يحده شمالا قصر هارون وغربا قصر دار مولاي الطالب وشرقا هارون وجنوبا قصر الغرفة.	بني هذا القصر نهاية ق 12هـ/ 18م لإيواء ابن السلطان مولاي مبارك بهدف التحكم في تحركات القبائل. وهو من أكبر قصور المنطقة.	- الناصري ج8 ص: 69 - الدرر البهية، ص 169 Abbar.p.60-61

712 - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج2، ص 520.

713 - عبد الكريم الفلالي، التاريخ المفترى عليه، م س، ص 117-118.

قصر مولاي المستعين	يقع بمشيخة واد يفلي على بعد 400متر من سوق الريصاني	شيد من طرف المولى أحمد بن المولى المكتفي عام 1192هـ - 1778م	لوحة التأسيس الموجودة على المدخل
قصبة الحدب	تقع بمشيخة واد يفلي إلى الطرف الجنوبي من خراب سجلماسة.	شيد من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله لابنه المولى عبد السلام ينقسم القصر إلى شطرين، القسم الأول يسكنه الشرفاء والقسم الثاني يسكنه خليط من الحراطين والعرب.	- الدور البهية ص 170-171
قصبة أبي القاسم الزياني	توجد بمشيخة واد يفلي بجوار قصر أبو عام	تسمى أيضا بقصبة الريصاني أو بلقاسم النكادي، كان هذا القصر مقر الإدارة المحلية لإقليم تافيلالت يرجعها البعض إلى الفترة المرينية.	Abbar .p :56 عمران سجلماسة ص 521.

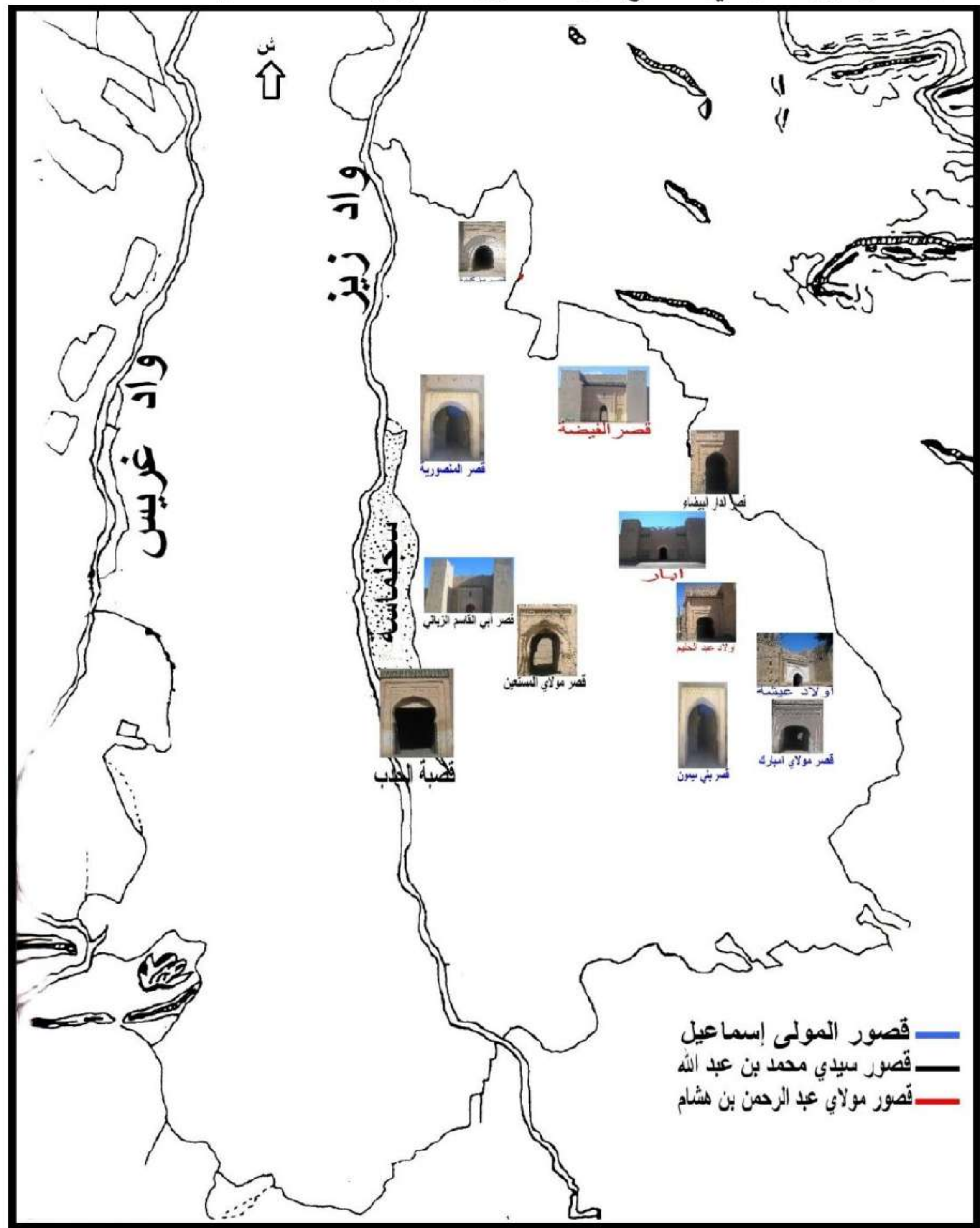
- **في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام.**

جدول رقم (14): القصور المخزنية المبنية في عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام

اسم القصر	موقعه	ما وصلنا عنه من معلومات	مصدر المعلومات
قصر أبار	يقع على الضفة اليسرى لوادي زيز بمقاطعة واد يفلي يحده شمالا ضريح مولاي علي الشريف وقصر حمو داود وجنوبا قصر منوكة	شيد هذا القصر حسب الكتابة المنقوشة على إطار مدخل الدار الكبيرة في شوال عام 1243هـ /1830م، أسسه السلطان مولاي عبد الرحمان لأولاده المولى عبد الله ولالة رقية والمولى الحسين.	-ابن زيدان: اتحاف أعلام الناس، ج5، ص 562. - النقيشة الموجودة في مدخل الدار الكبيرة - الوثائق الملكية سجل 19612

قصر أولاد عبد الحليم	يوجد على الضفة اليسرى من واد زيز بمقاطعة واد يفلي إلى الجنوب الشرقي قصر بني ميمون الأحرار وغربا قصر أولاد عيشة وشمالا قصر عمارة.	يعتبر هذا القصر من الإقامات الفخمة بالمنطقة وحسب لوحة التأسيس فوق الباب الخلفي لمسجد القصر فقد سيد في 2 جمادى الثانية عام 1263 هـ /1847 م وهو التاريخ نفسه الذي أورده ابن زيدان، وانتهت أشغال بناء هذا القصر على يد الفقيه الحاج محمد الزياني في 22 مارس عام 1264-1848م	- السوسي محمد المختار. ج 16 ص 348. - لوحة التأسيس - ابن زيدان ج 5 ص 238.
قصر الفيضة	يقع بمشيخة تانيجوت على بعد 4 كلمتر شمال مدينة الريصاني، يحده شمالا قصر مزكيدة وجنوبا قصبة مولاي الطاهر، وغربا قصر الشقارنة وشرقا قصر أولاد يوسف.	شيد هذا القصر حسب النقيشة الموجودة بقبة الحمام في شهر ذو القعدة عام 1271 هـ -1854م وتذهب الرواية الشفوية أن القصر شيد من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بإيعاز من أبيه لفائدة ابنه المولى أبي الغيث.	- النقيشة الموجودة بقبة الحمام. - الرواية الشفوية. - عمران سجلماسة، ص 560.

1-3. التوطين المجالي لنماذج من القصور المخزنية لمنطقة تافيلالت.



خريطة رقم (3): التوطين المجالي لأهم القصور المخزنية بمنطقة تافيلالت

من خلال التوطين المجالي للقصور المخزنية بمنطقة تافيلالت يتبين أنها منشآت سكنية ذات ميزة خاصة، فهي من جهة توجد في مناطق إستراتيجية، بعضها يتحكم في أطراف الواحة كقصر مزكيدة والفيضة والدار البيضاء، والبعض الآخر بالقرب من مركز سجلماسة وهو ما يجعلها محطات للقوافل التجارية ومقرات لدار المخزن. وهذا يدل على أهميتها الكبيرة من الناحيتين الاقتصادية والإدارية.

يتبين أيضا من خلال توزيع هذه القصور على المقاطعات المهيكلة لمجال واحة تافيلالت أن جل القصور المخزنية أنشأت بمشيخة واد يفلي باستثناء قصري الفيضة ومزكيدة، وهو ما يؤكد الثقل الاجتماعي لهذه المشيخة، فأغلب الشرفاء يسكنون قصورها، كما أنها المشيخة التي تضم أكبر عدد من القصور التي تمثل الخزان البشري المكلف بأداء الخدمات لدار المخزن[714]، إضافة إلى جودة أراضيها وخصوبتها، لقربها من مجرى وادي زيز، وقربها من مركز سجلماسة الأثري مما أهلها لأن ترث مجموعة من أنشطة المدينة المندرسة.

1-4.أهمية القصور المخزنية ومكانتها

- **الأهمية التاريخية**

تعد قصور تافيلالت ذات أهمية تاريخية[715]وتراثية، فهي تعكس جانب من الهوية الوطنية، وذلك من خلال إبراز دورها التاريخي، ويمكن قياس الأهمية التاريخية من خلال مؤشرين أساسيين هما:

[714]- لمراني، التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت، م س، ص 103.

[715] - وهي من معايير الحفاظ على التراث المعماري، هذا المعيار يفترض وجود قيمه تاريخية للمبنى أو الجزء المراد المحافظة عليه. لذلك يدور سؤال هل للمنطقة – أو مبنى معين – صلة بحضارة المجتمع أو بمرحلة تاريخية معينة أو ذو اتصال بمعنى ديني أو تختص بإبراز أنشطة ذات طابع تراثي ويخشى أن تندثر ويهجرها الناس. ويمكن قياس القيمة التاريخية للأبنية باستخدام مؤشرين أساسيين:

المؤشر الزمني: ويعبر عنه تاريخ إنشاء الأثر أو المبنى، وكلما كان تاريخ الأثر أو عمر الأثر كبيرا كلما زاد هذا المؤشر وكلما أصبح الأثر ذا قيمة أكبر.

المؤشر الرمزي: ويتأثر هذا المؤشر بعدد من المؤثرات أهمها:

•مدى تعبير المبنى الأثري عن عصره وتاريخه.

•قياس الندرة للأبنية كلما كان نادرا زادت قيمته.

•قوة وتأثير الحدث المرتبط بالأثر وأهميتها العلمية.

•مدى أصالة المواد الموجودة في المبنى الأثري، وعدم وجود إضافات أو تغيرات لاحقة.

•أهمية الفترة التاريخية التي ينتمي إليها الأثر.

- **المؤشر الزمني:** ويعبر عنه تاريخ إنشاء القصور؛ إذ تزداد الأهمية التاريخية للقصر أوالقصبة حسب قدمه.

- **المؤشر الرمزي:** ويرتبط بعدة عوامل، مثل تعبير القصور المخزنية عن دلالات سياسية مرتبطة بعصرها، وتميزها مقارنة بقصور أخرى في الواحة.

- **الأهمية السياسية**

تعود هذه القصور إلى العائلات الحاكمة للمنطقة فقد كان السلاطين وأبناؤهم حريصين على تشييدها، وقد كانت الوظائف العسكرية وتسيير أمور المنطقة يتم من خلال عقد الاجتماعات واللقاءات التي تتم داخل القصر، وهذا أثر في طريقة وأسلوب بنائها، وإحاطتها بالأسوار العالية للحماية والتحصين.

- **الأهمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية**[716]

نظرا لكون هذه القصور كانت مملوكة من قبل السلاطين وأبنائهم وممثليهم فقد احتلت مكانة اجتماعية، فكانت تعقد فيها الاجتماعات وتنظم بها المناسبات، وقد أثر هذا العامل في تميز هذه القصور عن باقي القصور من حيث المساحة والتصميم وجودة مواد البناء.

- **الأهمية المعمارية والجمالية**

انعكست أهمية هذه القصور التاريخية والسياسية والاجتماعية على التصميم المعماري والجمالي، فجاءت تصاميمها مميزة ذات تفاصيل وزخارف معمارية كثيرة.

نظرا لأهمية هذه القصور وانفرادها بتصميم خاص، سنختار نموذجا لدراسته دراسة معمارية.

[716] - وهي من معايير الحفاظ على التراث المعماري، حيث ترتبط بعض المباني أو المناطق التاريخية بمورثات اجتماعية أو أحداث اجتماعية مهمة أو ثقافية أو بشخص له انجازات تجعله شخصية لها دورها في المجتمع فيكون بيته جزءًا من التراث الذي يجب المحافظة عليه كما أن بعض الأبنية والمواقع تكون لها قيمة دينية بحسب الثقافة المرتبطة بها وبحسب القوة العقائدية لدى الناس.

5-1. نماذج من القصور المخزنية

- **قصر أولاد عبد الحليم**

يأتي اختيارنا لقصر أولاد عبد الحليم كنموذج لدراسة معمار القصور المخزنية بالمنطقة لاعتبارات كثيرة، كونه من أجمل القصور بالمنطقة التي لازالت أغلب مرافقه قائمة رغم التدهور الكبير الذي لحق بها، في الوقت الذي تم فيه ترميم بعض هذه القصور مما يجعل عملية التوثيق لمكوناته ذات أهمية كبرى، ومن جهة ثانية لأن بعض هذه القصور تمت دراستها من طرف باحثين أجانب خصوصا قصر أبار.

- **وصف القصر من خلال المصادر المراجع**

لم تقدم المصادر العربية، التاريخية منها أو الجغرافية، وصفا دقيقا ومفصلا حول العمارة والعمران بقصور تافيلالت باستثناء الإشارة إلى بعض الأحداث التاريخية، كما أن معظم قصور المنطقة تعرضت لإصلاحات وإضافات وهدم وتخريب، لكن لحسن الحظ لم تكن لمثل هذه العمليات أثر على جوهرها.

ومن المؤرخين الذين أوجزوا في ذكر المنطقة الحسن الوزان مع استحضار صعوبة الحصول على هذه المعطيات في المصادر التاريخية، وحتى إن وجدت فهي قليلة وتهم قصور دون أخرى، فيما تكاد تكون منعدمة بالنسبة لأغلب القصور. فالمصادر التاريخية لاتمدنا بالكثير من المعلومات عن عمارة القصور، ما عدا بعض الحالات التي لفتت فيها هذه الأبنية نظر المؤرخين بعظمتها، أو بكبر مساحتها أو عدد سكانها أو أبنيتها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الإفراني: أن قصر تابوعصامت حصن منيع من حصون سجلماسة[717]، أو ما أشار إليه الوزان من أن قصر المأمون كان كبير حصين كثير السكان[718].

وبخصوص قصر أولاد عبد الحليم فبعض الباحثين يرجعون تاريخ تشييده إلى الفترة المرينية "فجاك مونيي" اعتبره من الإقامات التي بقيت موروثة عن آخر ملوك

717- الافراني الصغير، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998، ص 234.

718- الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط.2، الشركة المغربية للناشرين المتحدين-الرباط، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1983، ج 2، ص 126.

سجلماسة[719]، وهو الاتجاه الذي سار عليه"حافظي" الذي اعتبر هذا القصر من بناء عبد الحليم بن أبي علي الذي حكم سجلماسة ما بين 762-763هـ / 1361-1362م، وعزى ذلك إلى احتفاظ مدخل القصر بزخرفة تعبر عن الفن الرائع الذي ساد المغرب خلال الفترة المرينية [720]، لكن صاحب المعسول يرى عكس ذلك ويرجع تاريخ بنائه إلى سنة 1263 هـ/1847م[721]، وهو الشيء الذي أكده مؤرخ الدولة العلوية ابن زيدان حين أشار إلى أن أعمال البناء انتهت بقصر أولاد عبد الحليم على يد الفقيه الحاج محمد الزياني بتاريخ ربيع الثاني عام 1264هـ / 26 مارس 1848م[722].

أما الدلائل الميدانية فتشير لوحة التأسيس المنقوشة فوق الباب الخلفي لمسجد القصر إلى تشييده في جمادى الثانية عام 1263هـ / 1847م، ومنذ هذا التاريخ أصبح القصر المقر الفعلي لسكنى خليفة السلطان بتافيلالت المولى رشيد بن عبد الرحمان.

لكن بالعودة إلى المراسلات السلطانية التي رافقت سير أعمال البناء بهذا القصر، يتضح أن الشروع في بنائه قد تم قبل هذا التاريخ أي سنة 1228هـ، ونستبعد أن يستغرق بناء هذا القصر أكثر من ثلاثين عاما[723]، لذلك فالمرجح أن أشغال البناء قد توقفت بهذا القصر لمدة ولأسباب غير معلومة.

ولا نستبعد أن يكون القصر قد شيد بهذه التسمية وفي هذا المكان منذ العهد المرينين، قبل أن يشيد مكانه أو بالقرب منه القصر الحالي، الذي من دون شك يعود إلى الفترة العلوية لتشابه تخطيطه مع بعض القصور الأخرى التي تعود لنفس الفترة، ولتطابق المعلومات الواردة في المراسلات السلطانية بشأن سير الأعمال بهذا القصر وما هو موجود حاليا في الميدان.

[719]- Meunie :Le Maroc Saharien, Vol 2, op.cit, p 295

[720]- حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص 122.

[721]- السوسي، المعسول، م س، ج 8، ص 348.

[722]- عبد الرحمان ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، مطابع إديال، الدار البيضاء، الطبعة الثانية،1990، الجزء ج5، ص 238.

[723] - مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24009/ وثيقة رقم 2 بالملحق.

○ **المكونات المعمارية للقصر**

▪ **الباب الرئيسي:** يوجد بالركن الشمالي الشرقي للقصر وهو عبارة عن قوس منكسر مشيد من الحجارة والآجر خال من الزخرفة[724]، يبلغ عرض فتحة الباب 2.15 متر وارتفاع 3.15 متر ويشتمل على ممر منكسر بانعطاف إلى اليمين مرتين، زينت واجهته الخارجية بشرفة من الخشب رصفت فوقها صفوف من القرميد، أما باب المدخل فصنع من خشب الصفصاف المغطى بالقصدير، ينفتح على بهو مستطيل يصل طوله إلى 8.5 متر وعرض يقدر ب3.75 متر، بنيت فوقه مصرية خاصة بالبواب، ويتكون هذا البهو من عدة عقود منكسرة فضلا عن الدرج الذي يؤدي إلى الطابق العلوي.



قبل الترميم   بعد الترميم

صورة رقم (63): الباب الرئيسي لقصر أولاد عبد الحليم

المصدر: تصوير شخصي 2008

عموما يتخذ هذا الباب شكلا مستطيلا يصل طوله إلى 15متر وعرضه إلى 8.5متر، كما يعكس تخطيطه المنكسر الرغبة في تحقيق الهدف الدفاعي عبر إعاقة كل من يتقدم للهجوم على القصر، وهو تخطيط يعكس شخصية ومهارة المهندس البناء.

▪ **الأسوار والأبراج:** يحيط بكل مرافق القصر سور خارجي يصل إلى11متر وعرض 1.50متر، شيد من الطابية على أساس من الحجارة، يتخلل السور الخارجي ثمانية أبراج

[724]- تجب الإشارة إلى أن الزخارف الطينية الموجود بالمدخل أضيفت أثناء الترميمات التي شهدها القصر سنة 2011.

إضافة إلى برجي المدخل الرئيسي وبرجي مدخل الدار الكبيرة، تتميز هذه الأبراج بشكلها المربع إذ يبلغ عرض واجهتها الخارجية ما بين 6.30 م، و6.70 م متر، وارتفاعها 13 متر، وزينت الأبراج المحيطة بالمدخل والمتواجدة بوسط السور أو أطرافه بأشكال زخرفية من الطين وإلى الأسفل من هذه الزخرفة توجد فتحات مستطيلة عموديا وصغيرة تستعمل لإطلاق البارود، يربط بين هذه الأبراج ممشى يصل عرضه إلى 0.60 سنتيمتر، كما تتوفر على بوابة صغيرة من الداخل.



صورة رقم (64): صور قصر أولاد عبد الحليم الواجهة الخلفية

تصوير شخصي: 2008

▪ **المشور**: هو ساحة مستطيلة الشكل شاسعة تحتل ما يقارب سدس مساحة القصر تقريبا وهي مخصصة للاستقبالات والاستعراضات، شيدت في جهتها الشرقية مرابط للخيول على هيئة غرف صغيرة، تم بناؤها على نفقة أبناء السلطان لربط خيولهم، وهو ما تؤكده إحدى المراسلات التي كانت ترفع إلى السلطان لاطلاعه على سير عملية البناء بالقصر: "فلينهي لكريم علم سيدنا أن سيدي مولاي رشيد وسيدي مولاي العباس

وسيدي مولاي أحمد أصلح الله الجميع قد بنو روايات ثلاثة لربط خيولهم[725] وبنوا ذلك في الوسعة التي أحدث سيدنا أمام القصبة وكل واحد منهم أصلحهم الله بنوا ذلك من عند نفسه بل كانوا يبيعون زرعهم ويصيرون على ذلك"[726].



صورة رقم (65):المرابض المخصصة للخيول بقصر أولاد عبد الحليم

تصوير شخصي 2008

▪ **الباب الثاني**: يوجد في وسط الواجهة الشرقية وهو باب بارز بحجمه، عبارة عن عقد منكسر مشيد من الحجارة والأجر، تحيط به أربعة أقواس، زين إطاره وجنباته بزخرفة طينية وصفوف من القرميد. (الصورة:66).





بعد الترميم **قبل الترميم**

صورة رقم (66): المدخل الثاني لقصر أولاد عبد الحليم

المصدر: تصوير شخصي 2008

[725] - كان تحت يد الخليفة مولاي رشيد قوة مخزنية مهمة وله حاشية بينها من العبيد اللازمين له ولموكبه نحو مائة من الفرسان والمشاة.
- السوسي، المعسول، م س، ج16، ص 348.

[726]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24009/ وثيقة رقم 2 بالملحق.

يحيط بهذا الباب برجين بارزين عن المدخل ب 3.50 متر، تتخذ شكلا مربعا يبلغ طول ضلعه 11متر ينعطف انعطافا واحدا إلى جهة اليسار ويوصل مباشرة إلى ساحة أخرى صغيرة يوجد بها المسجد. زين المدخل بزخارف طينية رائعة وبلوحة جصية منقوشة بشبكة من المعينات والتشبيكات، كما تعلوه ستارة مغطاة بالقرميد الأخضر رصعت فوق أخشاب نقشت بإتقان.

▪ **المسجد**: يقع إلى يسار مدخل الدار الكبير، يضم مدخلين؛ الأول رئيسي في الجهة الشمالية يبلغ ارتفاعه 2.5م وعرضه 1.5م يؤدي إلى قاعة الصلاة، تعلوه كتابة على الزليج تتضمن ما يلي: "الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده أمر مولانا الهمام سيدي محمد نجل الإمام المؤيد مولانا عبد الرحمان بن هشام أبقاه الله رحمة للأنام ببناء هذا المسجد المؤسس لتقام فيه الصلوات والعلوم تدرس والخطابة بالمواعظ والتذكار وتلاوة القرآن والاستغفار رجاء لما في الحديث لمن بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ...تاريخه في 2 من جمادى الثانية عام 1263 والسلام". أما المدخل الثاني فيقع في الجهة الغربية. والمدخلان معا عبارة عن عقد منكسر تعلوه ستارة من القرميد الأخضر.

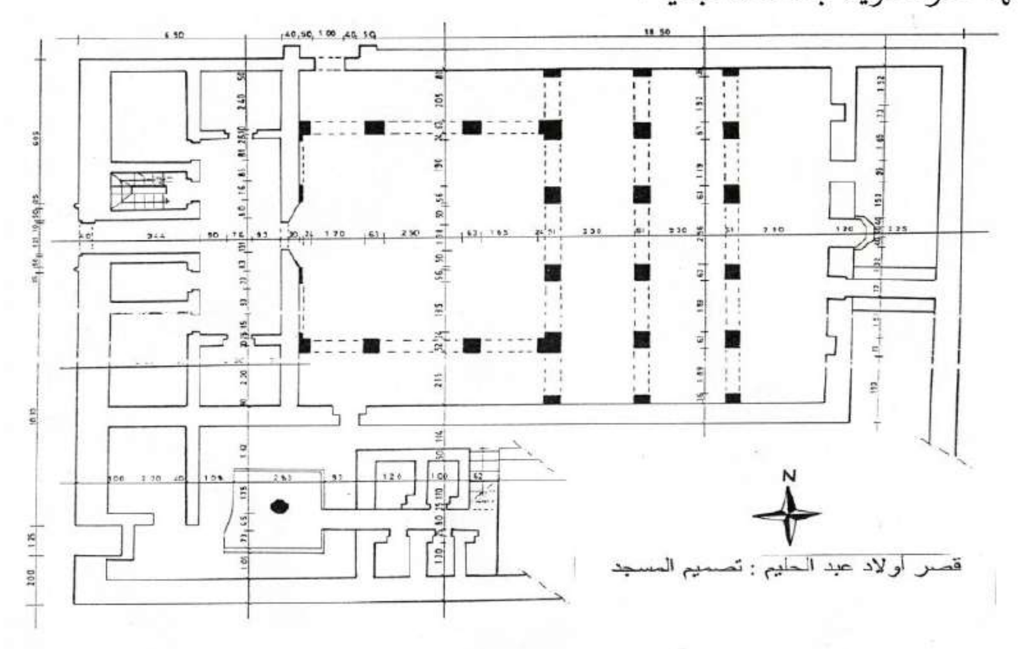
يكون المسجد وملحقاته مجمعا معماريا تقدر مساحته ب 610 متر مربع، ويتكون من المرافق التالية:

-**الرواق**: عبارة عن ممر صغير يبلغ طوله 4 متر وعرضه 1.20متر مغطى بسقف من الأرز المزخرف، ويؤدي إلى الكتاب القرآني تم إلى بيت الصلاة.

-**قاعة الصلاة**: يتكون من صحن مربع يبلغ طول ضلعه خمسة أمتار وهو غير مغطى، زينت جوانبه بستار من القرميد الأخضر، يحتوي المسجد كذلك على ثلاثة اساكيب وخمس بلاطات، أما السقف فقد شيد من خشب النخيل خاصة الجايزة، وقد روعي في عملية البناء الإتقان، فقد ورد في مراسلة سلطانية أن بناء المسجد جاء على أحسن حال وإتقان[727]. أما المحراب فهو على شكل قوس صغير زخرف إطاره بنقوش خطية وهندسية، تتخللها افريزات كتبت عليها عبارات: **"العافية الباقية" و"العز لله"**، أما تجويفة

[727]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24008/ وثيقة رقم 1بالملحق.

المحراب فقد زينت بشبكة من الخطوط الهندسية المتساوية مشكلة مربعات توجد على جنباتها عقود مزينة بأشكال نباتية.

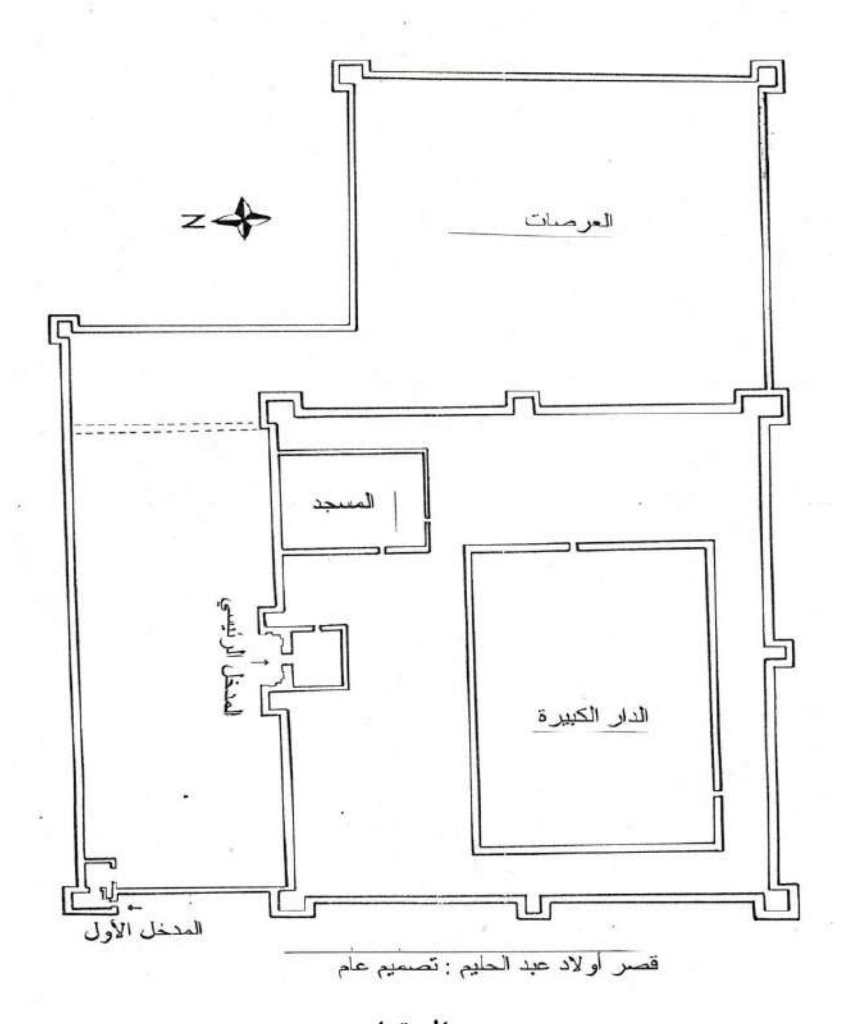


شكل رقم (7): قصر أولاد عبد الحليم : تصميم المسجد

المصدر: تاوشيخت، عمران سجلماسة،ج2، ص.557.

▪ **الساحة الداخلية:** نصل إليها بعد اجتياز المدخل الثاني، تتفرع عنها الأزقة التي توصل إلى مختلف مرافق القصر خاصة الزقاق المحيط بالدار الكبيرة والدور السكنية.

▪ **الدار الكبيرة:** تحتل أزيد من نصف مساحة القصر يقع مدخلها إلى الجهة الجنوبية، يتكون هذا الأخير من عقد منكسر زين إطاره بنقوش نباتية وهندسية يعلوها ستار من القرميد، اعتمد في بنائه على الحجر والأجر الصلب، يفتح هذا المدخل على رواق مغطى بخشب الجايزة، يبلغ طوله عشرة أمتار وعرضه مترين ونصف، يفضي في مرحلة أولى يمينا إلى ساحة دار الخدم ثم شمالا إلى دار مولاي المهدي، ثم يمينا مرة ثانية إلى دار الشريفات، وبعد انعراجه ينفتح على الدار الكبيرة المشتملة على صحن مستطيل الشكل طوله 12مترا وعرضه 10 أمتار. ويحيط بكل جهة من هذا الصحن خمس أقواس متقابلة في نسق متواز، وأمام كل قوس أوسط منها ينفتح باب غرفة كبيرة المساحة، زين المدخلين معا بزخرفة جصية هندسية مؤطرة بشريط من الجبس كتبت عليه عبارة العز لله أو العافية.



المقياس:

شكل رقم (8): قصر أولاد عبد الحليم: تصميم عام

المصدر: تاوشيخت، عمران سجلماسة، ج2، ص 549

- **الحريم:** وهو مجموعة من الغرف يتوسطها صحن مكشوف وهو مزخرف من كل واجهاته.
- **قاعات الضيافة:** عبارة عن أربع قاعات مستطيلة الشكل وهي في حالة متدهورة أغلب سقوفها مهدمة وقد زين إطار مدخلها بنقوش جصية هندسية ونباتية تتخللها افريزات كتب عليها عبارة: "**العافية الباقية**" تنفتح هذه الغرف على صحن مكشوف مربع الشكل يتكون من عشرين قوسا تعلوها ستائر من القرميد.

يتكون هذه المرفق من ثلاث قباب، وعلى مخازن وممرات توصلها بالمدخل الرئيسي والدار الكبيرة ودار الخدم، هذه الأخيرة المشتملة على ساحة مستطيلة وعلى بيت واحد للسكن، ويعد فضاؤها مجالا متعدد الاستعمالات.

▪ **الرياض**: نصل إليه مباشرة بعد المرور بقاعة الضيافة، وهو عبارة عن بستان مستطيل الشكل تجزؤه ممرات إلى أربعة أحواض يتوسطها صهريج دائري الشكل يسقي الرياض عن طريق جلب المياه عبر قنوات تحت الأرض من قصر مزكيدة، وتعلو هذا الصهريج قبة مضلعة الشكل صنعت من خشب الأرز يطلق عليها: **"المامونية"**.

▪ **غرف الاستقبال:** هما غرفتان تقع إحداهما بالجهة الشرقية وأخرى بالجهة الغربية وهما ذات شكل مستطيل، زين إطار مدخليها بنقوش جصية، يوجد إلى يمين ويسار هاتين الغرفتين مكتبات حائطية. لكن وضعيتها الحالية جد متدهورة.

▪ **الدويرية**: عبارة عن قاعة توجد في مدخل الدار الكبيرة ذات شكل مربع تتكون من مجموعة من الأقواس (نباح) وهي مجال مخصص لتدريس العائلة السلطانية، هذا ما نستشفه من الوثيقة السلطانية: "وكذا المشور المحدث معها وكذا زليج الدويرية البرانية التي يقرؤون فيها فقد قام جله واحتاج ذلك سيدي إعادته"[728].

▪ **جناح الحمام**: عبارة عن مجموعة من الغرف غاية في الزخرفة تتخللها أفاريز كتبت عليها آيات قرآنية، وقاعة الحمام تتخللها قنوات مائية لنقل الماء الطاهر وأخرى لتصريف المياه المستعملة، كما تحتوي على رفوف لوضع الملابس وأفران للتسخين.

خلاصة القول، إن قصر أولاد عبد الحليم من القصور ذات المكانة الفنية والحضارية التي روعي في تشييده الجودة والمتانة، والمتابعة من طرف السلطان بنفسه حيث كانت ترفع له تقارير عن سير أعمال البناء وتكلفته، كما كان يقف على ذلك العدول والمعلمين.

[728]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 24008/ وثيقة رقم 1 بالملحق.

كما كانت تتم مراقبة جودة مواد البناء ويرفض الفاسد منها، "أما الجايزة التي أتى بها أولاد سيدي أبي موسى فهي قبيحة جدا حتى أن "الفرد" منها لا يساوي اثنا عشر أوقية بل يحمله حتى الصبي المراهق فقد غشوا فيها "[729].

إن هذا الحرص على جمالية وجودة مواد بناء هذا القصر، وحضور كل المرافق الضرورية جعلت منه تحفة عمرانية فريدة بمنطقة تافيلالت، لكنه ظل طوال العقود الأخيرة معرضا للتدهور، أما اليوم فتجرى عليه عمليات ترميم تشوبها بعض النقائص ولا تحافظ على معالمه العمرانية، مما يستدعي من الغيورين والمهتمين بإنقاذ التراث الوطني التدخل العاجل للحد من هذه الممارسات في حق هذه المعلمة التاريخية وغيرها.

2- القصور القصبات

يقصد بها ذلك الصنف من القصور الأكثر تحصينا والذي شيد للاستجابة للأغراض الحيوية للدولة سواء تعلق الأمر بإقرار السلطة الأمنية أو الحد من مظاهر التسيب القبلي، أو لتكريس هيبة الدولة وقدرتها التأطيرية للمجال.

شيدت أغلب هذه القصور القصبات[730] في أماكن مرتفعة نسبيا، كالتلال المجاورة لمجاري المياه وفي محيط القصور المخزنية حتى تقوم بأدوارها المختلفة، فهي بمثابة الخزان البشري لخدمة القصور المخزنية، وهذا ما تداولته الوثائق والمراسلات السلطانية؛ فقد طلب السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام من إبنه أن ينقل قبيلة البلاغمة المتواجدين بفاس الجديد لمنطقة تافيلالت، جاء في نص المراسلة: "...فيرد عليك أبا حنيني ولد البشير البلغمي وجهناه بقصد جمع إخوانه البلاغمة الذين بفاس

[729]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19912/ وثيقة رقم 22 بالملحق.

[730]- يقصد بالقصبة في المغرب بناية محصنة بأسوار متينة، وهي التي تقابلها في المشرق العربي كلمة قلعة.وما تزال الكلمة أيضا مستعملة في شبه الجزيرة الأيبيرية للدلالة على بقايا حضرية وسيطية: Alcazaba بالاسبانية و Alcazov بالبرتغالية. وتستعمل كلمة قصبة للدلالة على أشكال معمارية قاسمها المشترك هو التحصين إلا أنها تختلف في بعض التفاصيل. ففي الأصل تعني -بحكم وظيفتها-أهم بناء في المدينة وتتميز بتحصينها ومناعتها إذ توفر مكانا صالحا للمقاومة مدة زمنية طويلة. فهي تشكل ملجأ أمنا لممثل المخزن في حالة هجوم طارئ أو ثورة محلية. وكثيرا ما يكون موقع القصبة استراتيجيا يمكن من الدفاع عنها"

مادة قصبة، معلمة المغرب ج 19، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، مطابع سلا، 1425هـ/2004م.

وتوجيههم جهة تافيلالت، فقد كتب بشأنهم ولد عمنا سيدي الأمين ابن الطاهر وذكر أنهم يصلحون هناك للقيام على أصولنا وعمارة قصورنا..."[731].

كما كانت بمثابة الدرع العسكري الواقي للقصور المخزنية بما اشتملت عليه من تحصينات ومعدات عسكرية ومحاربين، فقد أشار أحد الدارسين إلى أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قام في سنة1814هـ/1225م بإنشاء مخزن للبارود بالمكان المعروف بالمصرية بقصبة الزياني[732]، وهذا ما تعكسه أيضا الأحجار الموجودة في مداخل عدد كبير من القصبات والتي كانت تستعمل لدك البارود.



صورة رقم (67): نموذج لجحرة كانت تستعمل في دك البارود

المصدر: تصوير شخصي: 2008

هكذا يمكن اعتبار هذا الصنف من القصور بمثابة ملحقات للقصور المخزنية وهي صنفان: قصبات سكنية اتخذتها بعض الأسر في الواحة سكنا لها أو قصبات تستعمل لخزن المؤونة وإقامة الباشا المكلف بتنفيذ الأوامر والإشراف على الأملاك المخزنية[733]، أو مقر لسكن الخدم المكلف بأداء مجموعة من الخدمات المخزنية.

[731]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19114.

[732] -Dastugne (h), Quelque note sur le sujet de Tafilalet, op.cit, p 208

[733] -Abbar, op, cit, p 61.

ولعل عهد السلطان المولى إسماعيل يظل شاهدا على تأسيس أغلب القصبات بمنطقة تافيلالت، حيث عمل طيلة فترة حكمه (1672-1727) على إنشاء نظام دفاعيّ فعّال قائم على تشييد وترميم قصبات وحصون تمسح كامل تراب المغرب، هذه القصبات التي ماتزال تشكل مظهرا بارزا في تاريخ المغرب وتراثا شاهدا على أحوال ووقائع الماضي وتجلياته الراهنة.

ويندرج تشييد القصبات في المغرب في عهد السلطان المولى إسماعيل في إطار مشروع إعادة توحيد أطراف البلاد، وضبط الأمن وتسهيل حركة مرور القوافل والمسافرين بفضل الشبكة الأمنية التي بثها في مختلف أرجاء البلاد والتي كان قوامها الحصون والأبراج والقلاع والقصبات، بعد فترة من التصدع السياسي والإنفلات الأمني.

يأتي هذا الإجراء كخيار استراتيجي يستهدف تكريس سلطة الدولة وضبط الدينامية الاجتماعية لمختلف المجموعات البشرية سواء بالمدن الكبرى أو على امتداد الطرق التجارية أو في المناطق الواحية.

كما تحكمت مجموعة من الأبعاد الإستراتيجية في تشييد السلطان المولى إسماعيل للعديد من القصبات بالمنطقة، لعل أبرزها ماشهده القرنين 16 و17م من تحركات قبلية واسعة النطاق غيرت إلى حد بعيد الخريطة البشرية لمغرب هذه المرحلة؛ لذلك صار لزاما على المولى إسماعيل أن يعد استراتيجية عسكرية وسياسية تتناسب مع حجم هذه التغيرات الجهوية والتحديات القبلية الصعبة، كما أن رغبته في الحفاظ على ولاء القبائل للسلطة جعله يشيد العديد من القصبات لسكن أبنائه بقصد استخلافهم على إدارة بعض المناطق الواحية[734].

وتشير المعطيات التاريخية إلى أن قبائل الرحل التي كانت تجوب المراعي الممتدة جنوب الأطلس الكبير استغلت أحداث النصف الأول من القرن 11هـ/17م، وما نتج عنه من انهيار اقتصادي واضطراب اجتماعي، وانشغال الدولة العلوية بمشاكل المناطق الشمالية، فاندفعت في عمليات غزو واسعة لتركيز وجودها في المجال الممتد من تافيلالت شرقا إلى حوض وادي درعة غربا، ومن السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الكبير

[734]- يعتبر موضوع الأبعاد العامة لتأسيس القصبات في الواحات على عهد المولى اسماعيل، ومقارنها من الناحية العمرانية والمعمارية من المواضيع الجديرة بالبحث، والتي سنفرد لها دراسة خاصة.

شمالا إلى التخوم الصحراوية جنوبا. وتشكل اتحادية آيت عطا[735] نموذجا لتشكيل هذه القبائل الصنهاجية[736].

وقد كانت قبائل آيت عطا مصدر تعب وفزع لسكان الواحات والجبال من مناطق توات إلى جبل باني ومن بلاد واد درعة إلى بلاد توب ها [737]، والحقيقة أن منطق القوة هو الذي كان يحكم علاقة القبائل الرعوية بالأهالي المستقرين في الواحات خصوصا بعد انضمام قبائل بني معقل المنحلة وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى للاتحادية العطاوية[738]. ولم يستطع السلطان مولاي إسماعيل من وضع حد لهذه التهديدات التي تشكلها قبائل آيت عطا بالنسبة لسكان القصور، نظرا لانشغاله بمشاكل الثوار الخارجين عن سلطة الدولة، واكتفى بتعيين خليفة له من أبنائه على سجلماسة. ويبدوا أن عامل سجلماسة في مطلع القرن 12هـ/17م، مولاي المأمون بن إسماعيل قد عجز عن ضبط حركة قبائل الرحل من بقايا بني معقل وآيت عطا[739].

ونستشف من إحدى رسائل الحسن اليوسي إلى السلطان مولاي إسماعيل، أن قبائل آيت عطا، قامت بمهاجمة القصور بواحات وادي درعة وتافيلالت، وهذا نص الرسالة: "وأما قطع الطريق فإنما كانت في آيت عطا ... وما تركوا ذلك قط ولا دخلوا في الطاعة دخول غيرهم، وإنما يخادعون تارة على التمر وتارة على الزرع وسراياهم سارية في كل أرض من هاهنا ـ يعني بلاد آيت يوسي، إلى درعة لا في هذه الأرض وحدها، وما تحركوا هنا حتى قضوا الغرض في الصحراء، فقتلوا الفقراء من أولاد من لا يخاف، خارج النخل واستباحوا تلك البلاد كلها كما بلغكم"[740].

وتعد واحة تافيلالت من بين الواحات التي خصها السلطان المولى إسماعيل بعناية خاصة، وفضلها لإبعاد أبنائه عن مجال الحكم المركزي، والاستفادة من مزاياها، ذاك ما

735 - تتشكل من القبائل الصنهاجية الصحراوية وبعض فلول قبائل بني معقل وبقايا القبائل الصحراوية الأخرى، ينظر-التقي العلوي:"اتحادية آيت عطا"، مجلة البحث العلمي، عدد 23، 1974، ص 116.

736 - حول ظروف تشكيل الاتحادية العطاوية ينظر:

- Spillman (Capitaine Georges), les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa, Rabat, 1936, p 40.

737 - مولاي التقي العلوي، "أصول المغاربة القسم البربري"، مجلة البحث العلمي، ع 33، سنة 1982، ص 118.

738 - المرجع نفسه، ص 116.

739 - البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17، م س، ص 110.

740 - خليل القبلي، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، م س، ص211-212.

عبر عنه صاحب الاستقصا بقوله: "فكان رحمه الله (أي المولى إسماعيل) سديد النظر في نقل أولاده بأمهاتهم من مكناس إلى تافيلالت مع بني عمهم من الأشراف ليتدربوا على معيشتها التي تدوم لهم، فكان ذلك صونا لهم من نكبات الدهر وفضيحة الخصاصة بعد موته وزوال النعمة وانزواء رداء الملك الساتر لهم بين العامة"[741]. وهو الكلام نفسه الذي أورده صاحب المنزع اللطيف بقوله: "وأسس الدور والقصور العديدة لأولاده بسجلماسة، كل واحد قصرا أو دارا، وأعطى لكل على حدة نخلا وأرضا للحراثة والغراسة ومن يقوم به من المماليك، كل على قدر رتبته ومكانته لديه..."[742].

وقد ناهز عدد هذه القصبات حسب صاحب الاستقصا مائة وخمسة، وكل واحد من هذه الدور المائة والخمس التي بسجلماسة لواحد من أولاد صلبة[743]، وكانت تخصص هذه القصور القصبات للأمراء بواسطة ظهير سلطاني من أجل الاستقرار بها واستغلال ممتلكاتها[744]، وقد عدّد صاحب الدرر بعض هذه القصبات وأشار إلى أبناء السلطان المولى إسماعيل الذين كانت لهم قصور مستقلة في المنطقة، حيث يقول: "ومنهم الشريف النزيه المتوكل على الله نزيل مزكيدة، والسيد أحمد الذهبي نزيل قصبة الشهيرة، والسيد علي نزيل الشقارنة، والسيد المأمون، والسيد المهدي نزيلا قصبتهما الشهيرة بهما، والسيد زيدان بالقصر الفوقاني، والسيد الحفيد بقصبته بحياتن، والسيد مروان بقصبة الحرمل، والسيد يوسف نزيل قصبته الشهيرة قرب اخنوس، والسيد ابو فارس ..."[745]، وقد عدّ تسع وأربعين من أبناء السلطان وقال هؤلاء كلهم سكان سجلماسة بقصور متفرقة في أنحائها ولكل منهم قصر خاص به وبعياله وحشمه.

كما قام المولى إسماعيل خلال زيارته لمنطقة تافيلالت بتشييد وإعادة بناء مجموعة من القصبات أهمها القصبة السجلماسية التي كانت بمثابة الإدارة المحلية، وكانت محاطة بسور قوي، وتضم القلعة والمسجد الجامع فضلا عن المدارس القرآنية، ومنازل

741 - الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، م س، ج 7، ص 102.

742 - ابن زيدان، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، م س، ص387.

743 - المصدر نفسه.

744 - ابن زيدان، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، م س، ج5، ص 336-338.

745 - الدرر البهية، م س، ص 193-194.

الموظفين الساميين[746]، وجدد سقوف المنازل الواقعة بداخل القصبة...وأسس مخزنا للبارود...وشيد المدارس لدراسة القرآن وباقي فروع التعليم الإسلامي[747].

وفيما يلي جرد للقصور والقصبات القائمة منها أو المندرسة، والتي شيدها السلطان المولى إسماعيل بمنطقة تافيلالت (مجال دراستنا).

1-2. القصور القصبات الإسماعيلة القائمة بمنطقة تافيلالت

خص المولى إسماعيل - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - منطقة تافيلالت بعناية خاصة، فعين أحد أبنائه مكلفا بتسيير أمورها، وقام ببناء عدة قصور وقصبات قصد إيواء بعض أبنائه الذين كانوا يفضلون الاستقرار بها، إذ يعد بحق المشيد الأول لمعظم القصبات والقصور بالمنطقة، وهو ما يدل على أن تشييد القصبات بتافيلالت لم يكن خيارا عسكريا أمنيا وحيد الجانب للسلطان، بل كان خيارا يستهدف تكريس سلطة الدولة وإعادة إنتاج منظومتها النسقية داخل المجال، وهو ما يدل على أن المفهوم الوظيفي للقصبة في السياسة الإسماعيلية لم يكن محكوما بالهاجس العسكري دون سواه، بل غدا يعتبرها مؤسسة قائمة بذاتها عبر فضاءات المجال، تضطلع بأدوار متعددة، تجمع في آن واحد بين الأغراض العسكرية - وهي الأصل في منشئها- وأغراض أخرى مدنية[748]. وقد ورد ذكر هذه القصبات متفرقا بالمصادر التاريخية، نجملها في الجدول التالي:

746 - تاوشيخت، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، م س، ج2، ص461.

747 - Dastugue (Henri), « quelques mots au sujet du Tafilalet et Sijilmassa », Bulletin de la Société de Géographie. Paris, Tome XIII, avril 1867, p.371 .

748- الفقيه الإدريسي" القصبات الإسماعيلية واستراتيجيات احتواء المجال "، منشورات كلية الآداب، بني ملال ع 5 س، 2002، ص 91.

جدول15: القصبات الإسماعيلية بمنطقة تافيلالت

اسم القصر أو القصبة	موقعه وما وصلنا عنه من معلومات
قصبة لبطرني	تقع بمشيخة بني امحمد على بعد كلمتر شمال غرب سجلماسة، كانت مقرا لسكنى مولاي عبد الله[749].
قصبة الشقارنة	تقع على بعد ثلاث كلمترات غرب مدينة الريصاني بمقاطعة تانيجيوت، بناه السلطان، المولى إسماعيل لإقامة ابنه علي[750].
قصبة مولاي أحمد الذهبي	تقع بمقاطعة تانيجوت، بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي أحمد الذهبي[751].
قصبة القصر الفوقاني	كانت مقرا لسكنى السيد زيدان ابن السلطان المولى إسماعيل[752].
قصبة المولى المكتفي	تقع بمقاطعة واد يفلي، شيدها السلطان المولى إسماعيل[753].
قصبة مولاي إسماعيل	توجد بمقاطعة السفالات.
قصبة أولاد رحو	يقع على بعد ثلاث كلمترات جنوب مدينة الريصاني، اتخذه مولاي المهدي بن مولاي الشريف بن علي سكنا له ومن بعده زين العابدين ابن السلطان مولاي إسماعيل[754].
قصبة جنان القاضي	حسب ما أمدتنا به الرواية الشفوية فان القصر أسس في القرن السابع عشر وفيه ولد ابن أبي محلي.
قصبة أولاد عدو	يوجد هذا القصر بواد ايفلي بناه السلطان مولاي إسماعيل لابنه زين العابدين[755].

[749]- المنزع، م س، ص 336.

[750]- الدرر البهية، ص 193.

[751]- المنزع، م س، ص. 336/ الدرر البهية، ص 193.

[752]- مطالع الزهراء، م س، ص 231.

[753]- المنزع، م س، ص 338.

[754]- مطالع الزهراء، م س، ص 231.

[755]- المنزع، م س، ص 387.

قصبة أولاد المودن	تقع بمشيخة تانيجيوت كان مقرا لسكن ابن السلطان مولاي إسماعيل مولاي المودن.
قصبة الفرخ	توجد هذا القصر بواد ايفلي، سكنه أحد أبناء مولاي الشريف بن علي[756].
قصبة عمارة	تقع بمشيخة واد ايفلي بالقرب من قصر أولاد عبد الحليم، وحسب ما استقيناه من الرواية الشفوية فالقصر شكل خزان للحبوب في عهد السلطان مولاي إسماعيل.
قصبة مولاي سليمان	تقع بواد ايفلي نسبة إلى مولاي سليمان ابن محمد الرابع.
قصبة مولاي الهادي	يوجد هذا القصر بواد ايفلي بناه السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي الهادي[757].
قصبة مولاي الحران	يوجد بواد ايفلي بناها السلطان مولاي إسماعيل لإبنه مولاي الحران.
قصبة تعرمت	يوجد بوادي ايفلي، أسست خلال القرن 17الميلادي[758].
قصبة مولاي عبد الكريم	تقع قرب ضريح مولاي علي الشريف بنيت لإقامة مولاي الشريف بن مولاي محمد[759].
قصبة مولاي مستعين	تقع بواد ايفلي أسست في القرن السابع عشر[760].
قصبة سيدي ملوك	تقع على بعد كلمتر ونصف شرق موقع سجلماسة.
قصبة كحايك	تقع على بعد كلمترين شرق الريصاني.
قصبة مولاي أحمد الذهبي	بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي أحمد الذهبي[761].

[756]- مطالع الزهراء، م س، ص 231.

[757]- المنزع، م س، ص 387.

[758] - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج2، ص 692.

[759]- مطالع الزهراء، م س، ص 230.

[760]- تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج2، ص 692.

[761]- المرجع نفسه.

قصبة أولاد يوسف	تقع بمشيخة تانيجيوت على بعد ثلاث كلمترات شرق الريصاني، كان مقر سكنى
قصبة ترست	يوجد على الضفة اليمنى لواد زيز بجوار قصبة توجديت أسسها مولاي إسماعيل لابنه مولاي الحران[762].
قصبة توجديت	تقع على الضفة اليمنى لواد زيز على بعد سبع كلمترات شمال مدينة الريصاني.
قصبة كرينفود	تقع في الجهة الجنوبية لموقع سجلماسة.
قصبة الجديد	تقع بمشيخة الغرفة عل مسافة خمس كلمترات جنوب شرق الريصاني.
قصبة حمودة	يقع بواد ايفلي وهو اسم لعلم لم نهتد لدلالة الإسم.
قصبة اسرغين	تقع بمشيخة الغرفة عل مسافة خمس كلمترات جنوب شرق الريصاني، بناها السلطان مولاي إسماعيل لإبنه مولاي بالنصر[763].
قصبة الحاج الهاشمي	يوجد هذا القصر في الجنوب الشرقي لمدينة الريصاني على بعد ست كلمترات يحده شمالا قصر أسر غين وجنوبا زاوية الماطي.
قصبة لوجارشة	يوجد بمشيخة بني امحمد على المرتفع الذي يتواجد عليه قصر الجبيل بناها السلطان مولاي إسماعيل لابنه مولاي المعتضد.
قصابي مولاي الشريف (قصبة مولاي الهادي، مولاي الحران، مولاي الشريف)	تقع بمقاطعة واد ايفلي يحدها شرقا قصر جنان القاضي وبني ميمون الشرفاء وغربا أولاد رحو وجنوبا أولاد عدو وشمالا قصر صوصو[764].

[762]- المنزع، م س، ص 388.

[763]- مطالع الزهراء، م س، ص 246.

[764]- تاشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج 2، ص 506.

قصبة بني ميمون	تقع بمشيخة واد ايفلي، أسسه السلطان مولاي إسماعيل لابنه زين العابدين[765].
قصبة حياتن	تقع بواد ا يفلي بجوار قصبة الزياني.
قصبة الريصاني	أسست في القرن 17م، تقع بمجال واد يفلي.

2 – 2.القصور القصبات الإسماعيلة المندرسة بمنطقة تافيلالت.

من خلال تفحصنا لما استطعنا الإطلاع عليه من مادة وثائقية مصدرية كانت أومرجعية، وما عايناه من خلال زياراتنا الميدانية، تبين لنا أن العديد من القصبات اندرست ولم تعد حاضرة إلا من خلال اسمها في المصادر التاريخية، أو أن بعضا منها شيدت بدلها قصبات في مراحل زمنية لاحقة وتحمل نفس الاسم. كما أن اغلب هذه القصبات توجد بمقاطعة واد يفلي. ومنها قصبة الفيضة العليا التي خربت من طرف قبائل دوي منيع[766]، وقصبات كنبدار/ ابي رقاصة/ جنان مولاي الشيخ/ قصبة المدرسة/ اجارتي/ اطرطار/ الجار/ قصبة اولاد عيشة/ قصبة تخلفين/ قصبة حمني/ تغدوين/ القصبة السجلماسية/قصبة المدرسة/الفيضا العليا.

2-3. قصبة سيدي ملوك كنموذج للدراسة المعمارية

الموقع: تقع على بعد كلمتر ونصف شرق موقع سجلماسة، على مساحة تقدر ب 21000 متر مربع[767]، يعود تاريخ تأسيس القصبة حسب الرواية الشفوية إلى القرن 17م.

- **المكونـــات العمرانيـــة.**

- الســـــور الخارجـــــــي:

لسور القصبة مخطط مستطيل ارتفاعه في المتوسط لا يزيد عن 6 أمتار وعرض قاعدته تقارب 1.30م ويتضاءل بالتدريج كلما ارتفع ليصل إلى متر واحد في أعلى نقطة، وذروة السور لا تتخللها شرفات ولا فتحات، بل إن فتحات الرمي أو ما يصطلح علي في العمارة العسكرية بالمزاغل نجدها فقط في الأبراج. يتوفر السور كذلك على ممشى من

[765]- المنزع اللطيف، م س، ص 387.

[766]- انظر الوثيقة 15بالملحق، سجل رقم23266. الوثائق الملكية.

[767]- منوغرافية بلدية مولاي علي الشريف، 2009، ص23.

الجهات الأربع، وقد ترك فضاء بين جدار السور وبين أظهر المنازل يتراوح بين 3 و3.5 متر، يستعمل هذا الفضاء بمثابة زقاق يصل بين أجزاء القصر من جهة، ويسهل على المدافعين في حالة الهجوم الخارجي التنقل بين الأبراج المدمجة في السور من جهة ثانية. أما مواد بنائه فهي التراب المشيد بتقنية الطابية.



صورة رقم (68): الواجهة الداخلية لسور قصبة سيدي ملوك.

المصدر: تصوير شخصي:2008

عرف سور القصبة عدة إصلاحات، إثر تصدعات وشروخ مست بعض أجزائه في فترات سابقة، بلغت تكلفتها حوالي 200 مثقال[768]، إلا أن وضعية سور القصبة الحالي لا تبعث على الارتياح نتيجة تعدي الساكنة عليه بفتح الأبواب، وإقامة المنازل الإسمنتية داخل القصر وفتح أبواب لها في السور.



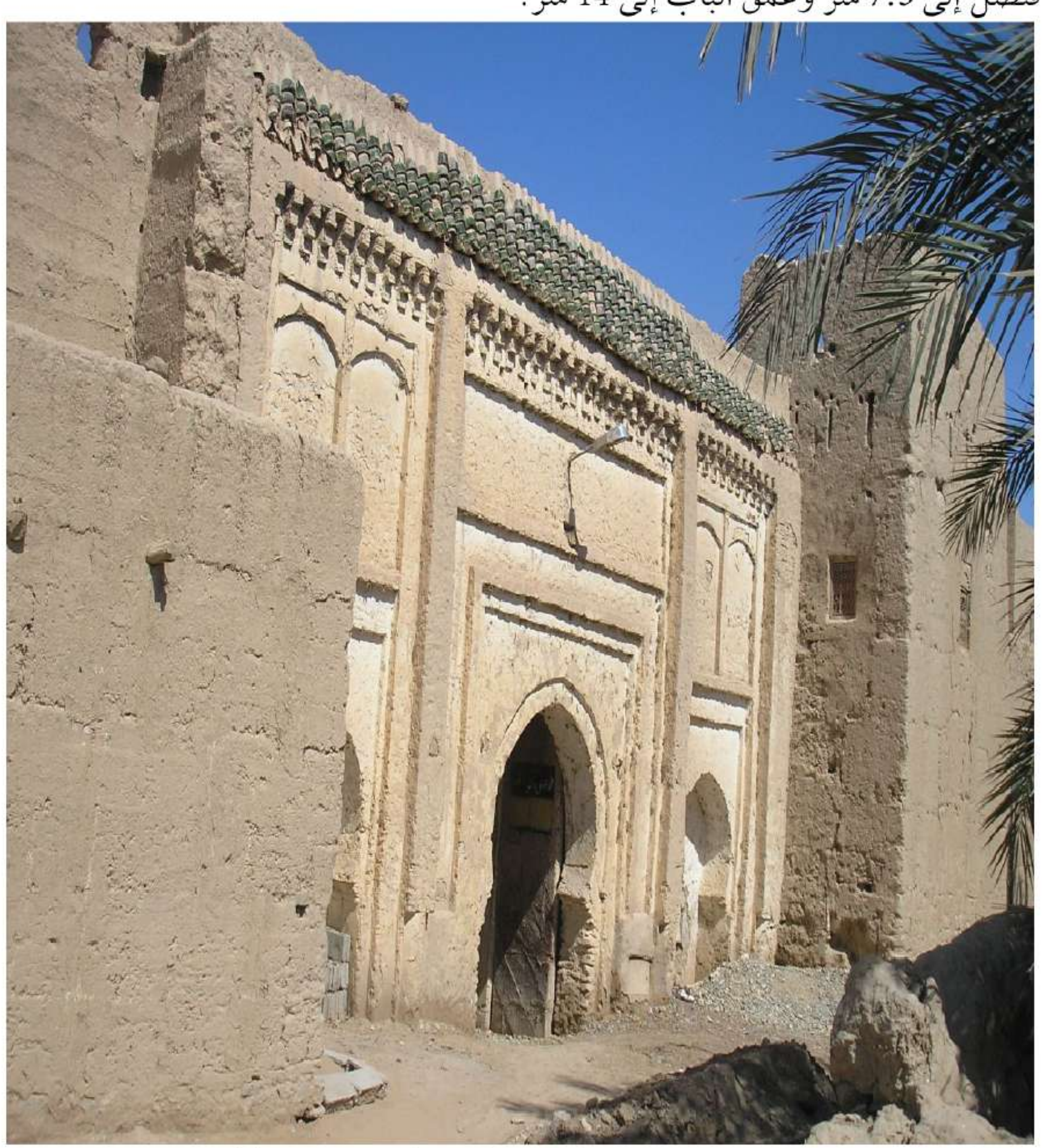
صورة رقم (69): تشييد بنايات إسمنتية داخل القصر.

المصدر: تصوير شخصي:2011

[768]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19795/ وثيقة رقم 8 بالملحق.

- البـــــــاب:

يوجد بوسط السور الشرقي، وهو الجزء الوحيد من السور المبني بالحجر، يفتح بين برجين مربعين، عرض كل واحد منهما 5 متر بعلو يصل إلى 8.5 متر، يتخذ المدخل شكل قوس منكسر يبلغ علوه 3.30م، وعرضه 2,30 متر، أما ارتفاع واجهة المدخل فتصل إلى 7.5 متر وعمق الباب إلى 14 متر.



صورة رقم (70): المدخل الرئيسي لقصبة سيدي ملوك.

المصدر: تصوير شخصي:2008

- **الأبـراج:**

يمكن تقسيم الأبراج التي تتخلل سور قصبة سيدي ملوك إلى قسمين:

أبراج ركنية: وعددها أربعة يحتل كل واحد منها ركن من أركان القصبة، تتألف هذه الأبراج من طابق أرضي وطابق علوي، أما تخطيط الأبراج فإنه يكاد يكون متشابها، ويتميز بالضخامة مقارنة مع أبراج القصبات بالمنطقة، إذ يصل عرضها إلى 8.5 متر.



صورة رقم (71): البرج الشمالي الغربي لقصبة سيدي ملوك المصدر:
المصدر: تصوير شخصي:2008

أبراج وسط السور: وهي أبراج عادية تحتل وسط السور من جميع جهاته يصل عرضها إلى 4.30 م مشيدة من الطابية، تشتمل على طابقين، وقد تعرض بعض منها للهدم وتشييد منازل اسمنتية مكانها.

- **المسجد:** يقع أمام مدخل القصبة، يتكون بالإضافة إلى دار الوضوء من بيت للصلاة ذات شكل مربع بمقاسات 14×14م، يتكون من خمس بلاطات وخمسة أساكيب

وهي مغطاة بسقف من خشب النخيل محمول على عدد من الأقواس، المحراب عادي وهو عبارة عن قوس مجوف تعلوه قبة صغيرة خالية من أي عنصر زخرفي.



صورة رقم (72): قاعة الصلاة بمسجد قصبة سيدي ملوك.

المصدر: تصوير شخصي:2011

II – الصنف الثاني : القصـــــــور الزوايـــــــا

1- تعريفها:

هي القصور التي نتجت عن تطور تلك الخلايا الدينية المتمثلة في الخلوات التي أسسها أصحابها، وكانت وظيفتها الأساسية منحصرة في نشر العلم الديني وتحفيظ الأوراد والأذكار الصوفية وتأطير المجاهدين وغيرها، فتطورت وظائفها وكثر مريدوها فتجمع الناس حولها وتحولت إلى قصور كبيرة، لا تختلف في بنيتها الداخلية عن باقي القصور، فجاء بعض هذه القصور الزوايا مختصا في دراسة العلوم، وأخرى لاستقبال الزوار وتهيئ المأوى والطعام وعقد الصلح بين القبائل، وهو ما أشار إليه "العروي" حين اعتبر الزوايا الريفية مكانا يأتي الناس للتداوي فيه ولحسم خلافاتهم ولتبادل المنتوجات وللترفيه، فهي في ذات الوقت فندق ومحكمة وسوق ومدرسة ومعرض[769].

ظهرت مجموعة من الزوايا بمنطقة تافيلالت خلال النصف الأول من القرن 5 هـ/11م، إلى غاية أواخر القرن 11 هـ/17م، على إثر وصول تيار الطريقة الجزولية إلى المنطقة وكانت مهمة الزوايا في الحقبة الأولى تنحصر في تأطير المجاهدين كما اختص أصحابها بمجموعة من الكرامات، فقد ثبت أن جل الزوايا الموجودة في هذه الأصقاع

[769] -Laroui (Abd ellah), Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain 1830-1912, Edition Maspero, Paris, 1977.p 150.

كانت زروقية في أصلها ترتبط بالجزولية من جهة اتصال الطريقتين معا بالشادلية[770]، وقد انتهت المهمة التأطيرية لهذه الزوايا بعدما تصدى لها سلاطين الدولة السعدية، يقول صاحب الاستقصا: كان لعلي الشريف زاوية عظيمة بتافيلالت، وكان له ولدان، محمد ويوسف وتولى هذا الأخير زاوية أبيه من بعده، وعظم أمر الزاوية العلوية بناحية سجلماسة على عهد الدولة السعدية، واشتهرت منذ ذلك الحين بزاوية الامراني، وأسس علي الشريف زاوية أخرى لم تلبث أن أقبل الناس عليها وعظم نفوذها بسجلماسة ودرعة وبلغ خبرها المنصور السعدي فضاق بها درعا "فلما استفحل أمر الزاوية أمر بهدمها وأمر بإخراج الشرفاء ذوي الأقدار منها"[771].

ولا نستبعد أن تكون بعض الزوايا القصور بتافيلالت تطورت عن الربط التي كانت بالمنطقة، فكل القرائن التاريخية تدل على أن الرباط[772] كمكان لإطعام الجوعى والفقراء[773] أسبق إلى الوجود من الزاوية، فقد انتشرت بمنطقة تافيلالت ظاهرة الربط، جاء في مخطوط مطالع الزهراء، أن مولاي علي الشريف لما رجع من حجه ووصل بلاده اشترى الأصل المجاور لمركونة من رباط الحجر إلى الوادي وبنى على شاطئ الوادي قصرا وسكن به عاما واحدا فسمي ذلك القصر بوعام[774].

وقد كان رواد هذه الربط يعرفون بالمرابطين في مناطق الواحات يقومون بنشر العلم وبث مبادئ التصوف، الأمر الذي ميز هؤلاء المرابطين عن عامة الناس[775]، بل صار المرابط يشكل النموذج البشري الذي تجاوز بعلمه وتصوفه ومساعدته للمعوزين مستوى

[770]- الاستقصا، م س، ج6، ص21.

[771]- المصدر نفسه، ص. 16.

[772]- الرباط لغة مصدر رابط يرابط، بمعنى أقام ولازم المكان، ويطلق في اصطلاح الفقهاء والصوفية على شيئين أولهما البقعة التي يتجمع فيها المجاهدون لحراسة البلاد ورد هجوم العدو عنها والثاني عبارة عن المكان الذي يلتقي فيه صلحاء المؤمنين لعبادة الله وذكره وتدارس أمور الدين.

- محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، 1988، ص 21.

[773]- المرجع نفسه، ص 23.

[774]- مطالع الزهراء، م س، ص213.

[775]- البوزيدي، م س، ص 122.

الإنسان العادي[776]. وبهذه الميزة نال هؤلاء قبول الناس وتجمعوا حولهم وبنوا قصورا بالمنطقة.

وينحدر المرابطون من رجال معروفين بالورع والتقوى، وبصفة الأولياء الصالحين، ويكون أبناء هذا الولي الصالح مسؤولين عن رعاية ضريحه وتقبل الهدايا النقدية والعينية التي توهب له، وتقيم عائلات الأولياء أحيانا مراكز للتعليم ومقرات للطرق الدينية، ويهيئون أماكن الزيارة، ويقومون بالوساطة السياسية والتحكيم بين الناس، وتقوم بعض الزوايا بكل هذه الوظائف وتقوم أخرى بواحدة منها أو اثنين فقط[777].

2- وظيفتـــــــــها

بعدما كان دور الزوايا الصغيرة التي شكلت النواة لنشأة زوايا القصور، منحصرا في نشاط التعليم الديني وبث الأوراد والأذكار الصوفية وتأطير المجاهدين، انتقل دورها إلى نشر مبادئ التصوف والعلوم الفقهية والدينية بصفة عامة بين سكان المنطقة، فأنشئوا لهذه الغاية مجموعة من الزوايا على شكل قصور مستقلة، كانوا ينعزلون فيها بأتباعهم وطلابهم بعيدين عن الصراعات القبلية والمماحكة اليومية بين القبائل الرحل أوالمستقرين.

وانطلاقا من الوظائف التي كانت تمارسها هذه الزوايا يمكن التمييز بين صنفين منها، زوايا علمية متخصصة في دراسة العلوم القرآنية، وأخرى مهمتها فقط استقبال الزوار وتهيئ الطعام والمأوى للضيوف[778]، وهذا يتوافق مع التعريف الذي أعطاه محمد حجي للزاوية المغربية[779].

واعترافا من سلاطين الدولة العلوية لأصحاب هذه الزوايا بما كانوا يقومون به من نشر للتعليم الديني ومساهمتهم في التخفيف من الأزمات الاجتماعية والسياسية، وبدورهم التصالحي بين القبائل في المنطقة، كانت تسلم لهم ظهائر التوقير والاحترام

[776]- البوزيدي، م س، ص 122.

[777]- ادان روس، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للامبريالية الفرنسية، 1881-1912، ترجمة احمد بوحسن، مراجعة عبد الأحد السبتي، منشورات زاوية، 2006، ص45.

[778]- الإيواء: هذا العنصر مرتبط بالإطعام حيث توفرت الزوايا على عدة بيوت للوافدين والمقيمين من فقهاء وزوار وطلبة وغيرهم وقد حرص شيوخ الزوايا على توفير كل شروط الاستقرار والإقامة الملائمة حتى لا يشعر ضيوفهم من أهل الحضر بكثير تغيير في أسلوب حياتهم الاجتماعية المتطورة مقارنة مع هذا الوسط القروي.

[779]- حجي، الزاوية الدلائية، م س، ص 24.

والمعونات[780]، وهو ما كان يعزز من الوضعية الاجتماعية والاقتصادية للمرابطين. ومن الزوايا التي نالت هذه الحظوة نذكر: زاوية من لايخاف، سيدي بوبكر الهلالي، زاوية عمار، زاوية القاضي، سيدي أحمد ين الحبيب...[781].

كان للزاوية أدوار كثيرة في المجتمع المغربي، كتوعية الناس بأمور دينهم من خلال دروس الوعظ والإرشاد، وتلقينهم مفاهيم الطريقة من حيث الأوراد والأذكار التي تميزها عن باقي الطرق الأخرى، وفضلا عن هذه المهام الدينية كانت الزاوية تقدم دروسا في الآداب والحكمة. أما في المناطق التي بها تمثيل ضعيف للسلطة المخزنية أو غياب لها، فإن الزوايا كانت تقوم فيها بالأدوار التحكيمية في النزاعات والخلافات بين القبائل[782]، إضافة إلى الدور التطبيبي[783].

وكانت الزوايا تملأ الفراغ السياسي الذي يخلفه غياب السلطة المخزنية، وخاصة في المناطق الحدودية النائية، مثل مناطق الجنوب الشرقي، حيث لعبت هناك أدوارا طلائعية في تأطير السكان واستنهاضهم ضد الغزو الفرنسي للأراضي المغربية، كما كان للزاوية حضور هام في تحديد مجالات الرعي والانتجاع وتوزيع المياه في المناطق الصحراوية، ولذلك تم الإعتراف بها كمكان مقدس، له حرمة لا يمكن انتهاكها بأي حال من الأحوال.

3- التخطيط العمراني

يتكون القصر الزاوية من المرافق الخاصة والعامة التي تشتمل عليها باقي قصور الواحة، إلا أنه يتميز باشتماله على مقر الزاوية الذي يتكون من الضريح ومرافقة، والدار الكبيرة، والدويرية، وساحة الحضرة، والمكتبة، وغرف الإيواء.

[780]- يشير الضعيف مثلا أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله عند زيارته لتافيلالت في 13 جمادى الأولى عام 1201هـ " فرق على الشرفاء أموالا كثيرة من الذهب والفضة، وعم عطاؤه قبائل الشرفاء من الخنق إلى آخر تافيلالت.
- الضعيف، م س، ص 191.

[781]- مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 19500/ وثيقة رقم 14 بالملحق.

[782]- أحمد التوفيق، إينولتان، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط.2، 1983، ص 368.

[783]- من المعلوم أن الأزمات التي ضربت المغرب وعجزه عن إيجاد حل لها، وما نتج عن ذلك من أمراض دفع الناس إلى التوجه لشيوخ الزوايا قصد التبرك بدعائهم وطلبا للاستشفاء.

*ضريح مؤسس الزاوية: وهو عبارة عن حجرة يختلف شكلها وحجمها من زاوية إلى أخرى، تتخللها أقواس وتعلوها قبة مشيدة من الأجر والطابية، يتوج هذه القبة الجامور المكون من كويرات خضراء، ومن المآثر التي نجدها بالضريح، كالقبور المغطاة بدرابيز من الخشب، وشواهد القبر، وغالبا ما تكون الأضرحة مزينة بنقوش هندسية وكتابات قرآنية.

*الدويرية: هو المسكن الذي يقطن فيه الوالي مؤسس الزاوية ويستقبل فيه الضيوف الذين يريدون الفتوى، ولا يدخلها إلا المقربين، وهي مشكلة من المرافق التالية:

*قاعة الاستقبال: وهي فناء يحتوي على غرفتين مخصصتين لاستقبال الطلاب والزوار، وتلاوة القرآن وترديد الأذكار، وهي مكونة من المرافق التالية:

-الحمام: وهو عبارة عن غرفتين صغيرتين مشيدة من الأجر والحجر ومملطة بالجبس، تحتوي على سقف مقبب وعلى مكان لتسخين الماء.

*المكتبة الحائطية: وهي عبارة عن رفوف في الحائط ذات شكل مستطيل تشمل مجموعة من الكتب في مختلف المجالات خصوصا الفقه.

*البهو: عبارة عن قوس بعمق حوالي متر ونصف يوجد بقاعة الاستقبال وهو مخصص للنسخ والكتابة.

*الدار الكبيرة: وهي مجاورة لقاعة الاستقبال، تتوفر على غرفة مخصصة لإيواء الوافدين من فقهاء وزوار وطلبة وغيرهم، ويبدو أن شيوخ الزاوية حرصوا على توفير كل شروط الاستقرار والإقامة الملائمة حتى لا يشعر ضيوفهم من أهل الحضر بأي تغير في أسلوب حياتهم الاجتماعية المتطورة مقارنة مع هذا الوسط القروي. توفرت هذه الدار أيضا على فناء واسع يسمى ساحة المحضرة تقام فيه الحضرة وفق طقوس الزاوية.

*البقيع: هو المكان المخصص لدفن الموتى من أولياء الزاوية وذريتهم.

4- التعريف بالقصور الزوايا بمنطقة تافيلالت.

- **زوايا الشرفاء الحسنيين السجلماسيين**

من أعظمها وأكثرها شهرة، زوايا مولاي علي الشريف الملقب بأبي المغازي، الذي أسس العديد منها بتافيلالت، كالزاوية التي تعرف بحارة الشريف بالمصلح[784]، وأخرى بتاحسنونت، والحاج علي، وزاوية انبدور قرب جنانه المعروف ببرج الحمام[785] وزاوية الحجر جوار أهل مركونة، عند اشترائه أصولا من بني مرداس، من ربط الحجر إلى الوادي[786]، وزاوية خنوس التي سميت باسم وصيفه[787]، بها قبة ومسجد وزاوية، فكانت البلدة الموقرة لساكنة تافيلالت، بحيث لا ينطقون بهذا الاسم إلا بكل احترام، ويحج إليها كل الشرفاء[788]. وقد أسس أبو المغازي معظم زواياه عند عودته من غزاوته بالجزيرة الخضراء[789].

لكن أحب الزوايا عنده هي زاوية تغمرت، من بلاد بني مولود التغمرتي، التي بها خلوته ومسجده[790]، التي أنشأها بعد عودته من الجزيرة الخضراء، فأشترى أصولا وبنى بها قصورا بالجهة الشرقية، وحبس جلها على الزاوية[791]، فكان منصوبا للطعام وإقراء الضيوف حتى اشتهرت بلدته بالزاوية، وحبس على ذلك أحباسا وأوقافا كثيرة[792]، فتوافد عليه المتعلمون يجتمعون بمسجده وروضته لقراءة القرآن العظيم، والأحاديث النبوية والأوراد[793].

---

[784]- العربي بن عبد السلام، سلسلة لجين صيغ من معدن الوفا والصفا وجوهر شفاف في ذكر نسب الشرفاء، مخ، خ، ح، الرباط، رقم 11768، ورقة 4-ب

[785] - نفس المصدر والصفحة.

[786] - العربي بن عبد السلام بن احمد الفيلالي، المعروف بابن دفين طيبة، الدرة المكنونة في أخبار الدولة الميمونة، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، ص4.

[787] - حمدون السلمي الفاسي، الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن، مخ-خ-ح، الرباط، رقم:12184، ج،5، ص 102.

[788] - Abbar, op. cit, p 23.

[789] - الفضيلي، الدرر البهية، م س، ص 118.

[790] - بن هاشم العلوي المدغري السجلماسي، الشجرة الزكية، م س، ص 312.

[791] - العربي بن عبد السلام، سلسلة لجين، م س، ورقة 5-أ

[792] - بن هاشم العلوي المدغري السجلماسي، الشجرة الزكية، م س، ص 119.

[793] - المصدر نفسه، ص 113.

كما عرف عن شرفاء تافيلالت تأسيسهم للعديد من الزوايا، اشتهرت بما تقدمه من خدمات اجتماعية لروادها، كزاوية حمو داود[794]، وزاوية الحسن الشريف، وسيدي أبي القاسم بن محمد بن علي الشريف[795]، وزاوية المرانيين[796].

▪ **زاوية قصر تابوبكرت:** أو الزاوية الغازية البوبكرية، تقع بقصر تابوبكرت جنوب تافيلالت بمشيخة السفالات، وهي من أهم الزوايا التي عملت على تنشيط الحركة الفكرية بالمنطقة، بفضل شيخها ومؤسسها أبو محمد سيدي أبي القاسم بني أحمد الدرعي الفلالي دارا وقرارا ومزارا[797]، الملقب بالغازي[798]، وهي من أشهر الزوايا بالمنطقة نظرا لكثرة مريديها وزوارها وأهمية مكتبتها. ونظرا لشهرة الزاوية كانت لها فروع ببعض المدن المغربية، كالزاوية الغازية بحومة الشراطين بفاس. كما كان لها أتباع في كل ناحية، كروضة تلميذه سيدي مسعود الفيلالي خارج باب المحروق بفاس، وأبي

[794] - العربي بن عبد السلام، سلسلة لجين، م س، ورقة 13أ.

[795] - مولاي ادريس الفضيلي، م س، ص 170.

- الافراني، نزهة الحادي، م س، ص 421.

- الناصري، الاستقصا، ج6، ص 16.

[796] - نسبة إلى أهل الامراني بتافيلالت، من ذرية مولاي محرز بن علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف، يتصلون بأبناء عمومتهم العلويين ملوك المغرب في جدهم علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف، وهي زاوية مباركة بتافيلالت لها حرمتها العظيمة وشرف باذخ، لا ترى أحدا من أشرافها إلا وتوسمت فيه الخير والصلاح. لهم غير هذه الزاوية في مواطن عديدة من تافيلالت: بواد ايفلي، تاحسنونت، الرتب وأولاد عميرة. كما استوطنوا الأطلس المتوسط خاصة افران، حيث توفي هناك الوالي مولاي محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز سنة 1085هـ/1674م وبقي أبناؤه مقيمين هناك.

- ابن دفين طيبة، الدر المكنونة، م س، ص7.

- عبد الرحمان بن زيدان، اتحاف أعلام الناس، م س، ج2، ص 41-42.

-الفضيلي، الدرر البهية، م س، ج1، ص 169-170.

[797]- ولد بقبيلة هرغة من ناحية سوس عام901 هـ.1495م هاجر هو وعائلته في اتجاه تافيلالت واستقر بتابوبكرت بمشيخة السفالات، وأسس بها مسجدا لإقامة الصلاة، وتعليم أصول الدين، والفقه، فعمرت زاويته، توفي في 22 شعبان 981هـ 1573م.

- محمد أمين العلوي، زيارة تافيلالت للمؤرخ ابن زيدان تقديم تخريج م، س، ص. 220، هامش 42.

- أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط 1979، ج 2 ص 142.

- محمد المهدي بن احمد الفاسي، تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: 2990 ك، ص 28.

[798] - سمي بالغازي لكونه أغاث بعض من استغاث بأولياء الله الصالحين المجاهدين في سبيل الله، فأغاثه وأعانه على قتل مبارزه ورجع وقد أصاب يده من دم الكافر، وجد شيخه سيدي علي بن عبد الله ينتظره فجاءه وبيده دم فقال له: تبارك الله فيك أيها الغازي.

- أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي، رحلة الحضيكي، مخ، خ، ح، الرباط، رقم: 405 ص11.

- الحسن اليوسي، المحاضرات، ج 1، ص101.

العباس أحمد بن محمد الفيلالي دفين "بوزرا" من بلاد غمارة، وجل علماء الزاوية الناصرية فهو إمام طائفتهم[799].

▪ **زاوية كـــاوز**: تقع قرب قصر تنغراس التاريخي، من تأسيس سيدي محمد بن العربي المزداد بقصر مدغرة عام 1801هـ/1216م، ينحدر من أسرة شريفة لها مكانتها بمنطقة تافيلالت[800]، كان قد توجه إلى فاس للتبصر في العلوم والاحتكاك بشيوخ القرويين، وبعد دراسته وعودته، صار له صيت قوي في المنطقة، مما جعل الطلبة والمريدين يتوافدون عليه من كل نواحي الجنوب الشرقي المغربي، بل إن شهرته وصلت إلى بلاد ما بين النهرين ومصر، إذ توافد عليه أهالي بغداد في زاويته للأخذ عنه والاغتراف من مناهله، فصار وحي منطقته على مستوى الأتباع والشهرة، كما أضحى تلامذته يعدون بالآلاف[801].

ومع مرور الوقت أصبح لهذه الزاوية شأن كبير بمنطقة تافيلالت لذلك لم تتوان السلطة المخزنية بتافيلالت في مغازلة الزاوية الدرقاوية في كـاوز[802]، وخاصة بعد ما انتقل ثقلها إلى داخل القصور الفيلالية، وبات لها العديد من الأتباع هناك، فلم يعد بالإمكان الفصل بين أدوارها السياسية والروحية[803].

▪ **زاوية سيدي القاضي**: نسبة إلى أسرة آل القاضي[804]، التي تعرف بأولاد السبع، وتشتهر في الوسط الفيلالي بأهل زاوية القاضي[805]، بسبب شهرة الأسرة بالقضاء بحاضرة سجلماسة ومجالاتها منذ العهد المريني[806].

---

[799] - واحيحي، سجلماسة/تافيلالت، م س، ص213.

[800] -Dragué(G), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris, 1951, p 285.

[801]-Odinot(Paul), L'importance politique de la confrérie Drqaoua, Résidence générale, n°.5, Mai, 1929, p 294.

[802] -De Foucauld (Charles),Reconnaissance au Maroc 1883, 1884, Challemel, 1888, p 352.

[803] -Odinot, op.cit, p 293-295

[804] - ينتسب آل القاضي إلى الولي الأشهر والقطب الأنور سيدي محلي، ولهذا يعرفون في سجلماسة والنواحي بأولاد أبي محلي.
- حمدون السلمي الفاسي، الدر المنتخب، م س، ج5، ص 143.

[805] - ابن أبي محلي، اصليت الخريت، م س، ص212.
- العباس ابن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، ج2، ص301-302.

تقع الزاوية بمقاطعة السفالات، وتضم ضريح سيدي أبي محلي.كانت الزاوية مكانا للقراءة وتعليم القرآن، ففيها تلقى أحد أفرادها الفقيه الثائر أحمد بن أبي محلي السجلماسي المبادئ الأولية للقراءة قبل انتقاله لفاس[807].

امتد إشعاعها خلال العصر السعدي، ففي رسالة السلطان أبي المعالي زيدان لأحمد بن أبي محلي يقول فيها"...وزاويتكم المباركة أعظم زوايا عمرها الله على الدوام بالذكر ولا أخلاها من عظيم الثواب والأجر آمين"[808].

لم تحافظ الزاوية على مكانتها بسبب الخلافات بين أفراد العائلة، فانقسمت عام 960هـ/1560م إلى زاويتين[809]، استطاع والد بن أبي محلي الثائر القاضي أبو محمد عبد المالك الاحتفاظ بمكانة وتراث الزاوية، لما عرف عنه أنه كان فقيها وقاضيا[810]، حتى زج بها ابنه الفقيه الثائر ابن أبي محلي في مستنقع السياسة والحكم، فجعلها تعيش وضعا متأزما فيما بعد[811].

▪ **زاوية سيدي بوبكر بن عمر اللمتوني**: يقع هذا القصر بالقرب من قصر مزكيدة على بعد 5 كلمتر من مدينة الريصاني بمقاطعة تانجيوت وتعتبر من أقدم زوايا منطقة تافيلالت، إذ يعود تأسيسها إلى القرن 5 هـ/11م[812].

لا نملك المعطيات التاريخية التي تنسب هذه الزاوية إلى أبي بكر بن عمر اللمتوني المرابطي الذي قاد الحركة بعد عبد الله بن ياسين، وإن كنا لا نستبعد إمكانية وصول هذه الشخصية إلى المنطقة من أجل السيطرة على المحور التجاري الرابط بين سجلماسة وبلاد السودان.

[806] - محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق مريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمد بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية، النصوص والدراسات التاريخية5، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1401هـ/1981م ص 162.

[807] - بن أبي محلي، اصليت الخريت، م س، ص 116.

[808] - العباس بن إبراهيم السملالي، الإعلام بمن حل مراكش، م س، ج2، ص 301-302.

[809] - بن أبي محلي، اصليت الخريت، م، س، ص 214.

[810] - احمد بن أبي محلي، م س، ص 217.

[811] - واحيحي، سجلماسة – تافيلالت، م س، ص 210.

[812]- تاوشيخت، الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت، م س، ص 30.

يعتبر هذا القصر الزاوية من أهم المعالم العمرانية إذ يشمل المرافق التالية: قبة الوالي ومسجد ومدرسة ومقبرة وكل المرافق مشيدة بالطابية على أساس من الحجارة ومزينة بنقوش جبصية تتكون أساسا من أفاريز ذات تشبيكات ومعينات هندسية وكتابات منقوشة.

- **زاوية الماطي**: تقع بقصر الماطي إلى الجنوب من واحة تافيلالت بمقاطعة السفالات تأسست الزاوية من طرف أحمد الحبيب بن محمد بن صالح بن أحمد بن يحيى بن محمد بن يحيى الصديقي السجلماسي اللمطي نسبة للمط وهو رهط من سجلماسة ولمط أيضا قرية بالمدينة العامرة من سجلماسة[813]، ولد ونشأ بها سنة 1090هـ/ 1679م حفظ القرآن وأخذ مبادئ العلم عن شيوخها ثم رحل لطلب العلم في فاس ومراكش ودرعة والصحراء[814]، وبها أكمل تعليمه ثم عاد إلى تافيلالت حيث أحيى بها ما اندثر من رسوم العلم والدراسة وبقي على صلة مستمرة بالزاوية العياشية ورجالها، يفد عليها وعليهم بين حين وآخر[815]. وصفه تلميذه العلامة أحمد عبد العزيز الهلالي بقوله: "فريد العصر والمآثر لا يدركها الحصر، المتضلع من المعقول والمنقول المتحلي من الفضائل والفواضل بما يبهر العقول المحلي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء وسائر أرباب العلوم الغراء"[816]، توفي في الرابع من محرم عام 1165هـ /1751م، وهو دفين زاوية الماطي[817].

يقع ضريح الوالي في الجهة الشرقية من القصر، وهوعبارة عن حجرة مربعة تتخللها أربعة أقواس مشيدة من الأجور على قاعدة حجرية.

استطاع الشيخ أبو العباس أحمد الحبيب أن يجعل من زاويته قطبا إشعاعيا بامتياز، نظرا إلى ما جمعه بخزانتها من نفائس المخطوطات والكنانيش والرسائل والكتب، مما جعلها قبلة لزوارها، عرفت الزواية إبان التغلغل الفرنسي بالمنطقة بنشاطها فتعرضت لتهديم كبير على إثر الغارات الجوية المكثفة والقصف المدفعي العنيف الذي أصابها

[813]- العباس ابن إبراهيم، الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام المطبعة المكية 1974، ج 2 ص 383.

[814]- أعلام المغرب العربي، م س، 1998، ص 325.

[815]- المرجع نفسه، ص 325.

[816]- السملالي، الأعلام بمن حل مراكش من الأعلام، م س، ج8، ص 384.

[817]- تاوشيخت، الحركة العلمية، م س، ص 29.

خلال هجوم النصارى يوم 15 يناير 1932م/1351هـ، وبذلك انكمشت هذه الزاوية على نفسها وتراجع دورها[818].

▪ **زاوية عمار**: تقع داخل قصر عمار، وهي من تأسيس الشريف الإدريسي المراكشي الأصل العلامة الزاهر سيدي الساسي[819] جد شرفاء قصر عمار، كانت من الزوايا المشهورة بالمنطقة خلال القرن 18م/12هـ[820]، تفد عليها الوفود وتستقبل الهدايا والعطاءات التي يتبرع بها مريدوها، خاصة ذوي منيع، وأولاد بلقيس، وأولاد جرير وأيت خباش[821].

▪ **زاوية سيدي علي بن أبي زينة**[822]: تقع على بعد كلمترين من مركز سجلماسة بالواد المالح غرب واحة تافيلالت، وهي من تأسيس الوالي سيدي علي بن زينة المتوفي أول شعبان عام ستة عشر ومائة وألف كما هو مبين في النقيشة الموجودة أمام قبره حيث دفن إلى جواره أحد أبنائه.

يتكون الضريح من قبة جنائزية ومنها ومرورا برواق مغطى نصل إلى قبة ثانية مشيدة من الآجر المحلي فوق سواري وجدران من الطابية، وقد زينت بنقوش جصية تتكون من تشبيكات زهرية ومعينات هندسية تتخللها افريزات من الكتابات العربية، وبالإضافة إلى القبتين الجنائزيتين يوجد المسجد الذي كان مخصصا للصلاة وتدريس العلوم الشرعية.

دفن بالقبة الثانية العالم الفلالي سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي[823] المتوفى يوم الثلاثاء 21 ربيع الأول عام 1175هـ.

▪ **الزاوية الحفيانية**: تقع وسط قصر كوغلان على بعد ثلاث كلمترات جنوب غرب مدينة الريصاني في مشيخة السفالات وقد أسس هذه الزاوية الوالي وعلامة عصره الشيخ

[818] - استيتيتو، م س، ص 137.

[819]- تاوشيخت، الحركة العلمية، م س، ص 29.

[820] - تاوشيخت، الأوضاع العامة بتافيلالت خلال العهد العزيزي، م س، ص35.

[821]- تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج 2 ص 472.

[822]- هو الولي أبو الحسن علي بن أبي زينة، الولي الفقيه العالم، مقبرته بالزاوية التي تعرف باسمه بازاء وادي غريس بواد المالح في الجنوب الشرقي لتافيلالت، وهو من أسرة الهلاليين المعروفين، بل هو جد العالم أبو العباس احمد بن عبد العزيز الهلالي من جهة الأم، ومن كلامه انه فرج الكرب على الفقيه التاجموعتي أبو مروان عبد الملك حيث وجد عنده هذا الأخير جواب سؤال سأله عنه السلطان الحسني مولاي إسماعيل، ينظر: -عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، م س، ج6، ص357.

[823]- التقاط الدور، م س، ص 20.

محمد علي الحفياني في أواخر ق 12هـ 18م[824]. اشتهرت الزاوية بتنظيم ركب الحجيج، حيث كان شيخها عند اقتراب موسم الحج من كل سنة يقوم بضرب الطبل إيذانا للراغبين بالاستعداد للرحيل، تتوفر الزاوية على خزانة غنية بالمخطوطات[825] من مختلف الفروع المعرفية، ومن الناحية المعمارية، تشغل الزاوية مساحة مهمة تقع إلى اليسار من مدخل القصر قبالة المسجد.

▪ **زاوية سيدي إبراهيم بن هلال:** تقع الزاوية بقصر أولاد سيدي إبراهيم، وهي من تأسيس العالم المفتي إبراهيم بن هلال بن علي السجلماسي، ولد بسجلماسة سنة 817هـ، وتوفي بها عام 903هـ، ألف في الحديث والفقه مؤلفات عديدة مازالت عمدة الفقهاء والمفتين إلى الآن، كما خلف بتافيلالت خزانة عظيمة من الكتب[826] ضمت أهم مؤلفاته، ككتاب المناسك وشرح البخاري في أربعة أسفار وشرح مختصر خليل والدر النثير، وبالرغم من تخصصه في مجال الفقه فإنه برع في الآداب والنثر والشعر وغير ذلك من العلوم، وقد أخذ عن العديد من الأشياخ من جملتهم محمد القوري مفتي فاس وعلي بن أملال[827]، كما أخذ عنه أبو الفرج محمد بن أحمد الطنجي[828].

أما من الناحية المعمارية فالزاوية تتكون من قبة جنائزية ومكتبة ومسجدا لتدريس العلوم الشرعية. كل معالم الزاوية في وضعية متدهورة تحتاج إلى تدخلات للحفاظ على قيمها المعمارية والتاريخية.

▪ **زاوية من لايخاق**: تقع جنوب قصرالغرفة وهي من تأسيس سيدي عبد الرحمان بن علي بن يوسف تسميته "من لايخاف" لقبا[829]، رأس في الورع والدين، توفي سنة:

---

824 - تاوشيخت، الأوضاع العامة بتافيلالت خلال العهد العزيزي، م س، ص33.

825- الزاوية الحفيانية من المؤسسات الدينية التي لازالت محتفظة بجزء من ذاكرتها التراثية المكتوبة في شكل مخطوطات وكتب رغم ما نهب منها، كما أن المتبقي معرض بدوره للإهمال.

826- عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، م س، ج1، ص142.

827- نفسه، ج1، ص 142.

828- ابن القاضي المكناسي أحمد، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ج1، ص 97.

829 - إبراهيم بن هلال السجلماسي هو الذي لقبه باسم "من لايخاف" ويحكى أنه كان يذهب خفية من الزاوية البوبراهيمية للقراءة ويرجع عشية خوفا من قطاع الطرق والجهال، فتأخر يوما فقال الطلبة لأستاذهم إبراهيم بن هلال: لعله نزل به أمر، فقال مجيبا: علي بن يوسف لايخاف، فصار ذلك لقبه عليه وعلى أولاده وبه اشتهر. وقد ترك أربعة من الأولاد وهم: الفقيه محمد، السيد احمد، المرابط أمبارك، والفقيه السيد عبد الرحمان الذي اشتهرت الزاوية باسمه.
- ابن ابي محلي، اصليت الخريت، م س، ص211.

1002هـ[830]. أما عن سبب تسميته بمن لايخاف، فمرد ذلك حسب الرواية الشفوية إلى أنه كان في زيارة أحد الصلحاء، وفي طريقه إلى بيته حالت الفيضانات بينه وبين منزله. فعاد من توه إلى شيخه فشكا له أمره فأعطاه الشيخ هيدورة (أي جلد شاة) فقال له اركبها ولاتخف، فركبها وقطع الوادي إلى قصره ومن حينها سمي بمن لايخاف.

كانت له وجاهة عند علماء العصر وملوكها، خاصة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، لورعه وديانته[831]، خصص زاويته لطلاب العلم فتوافدوا عليه من كل الأنحاء من أجل التعلم، كالفقيه الرحالة يوسف بن عابد أثناء زيارته الحجية مر عليه ونزل عنده: فقرأ على يديه من أول سورة البقرة إلى قوله تعالى: "إن الله لايستحيي أن يضرب مثلا (الآية)"[832]، والذي يقول عن طريقة تدريس عالمه: "...وأنا وإياه في صوت واحد ويرون كيف تكون مخارج الحروف من أفواههم وصيغة المد وغير ذلك"[833].

أما اليوم فتزار زاوية هذا الولي ليلة الخميس ليقضي الزوار الليل بداخل ضريحه خصوصا أولئك المصابين بالجن، حيث يتم ربط المصاب في أحد الأعمدة المخصصة لذلك.

▪ **زاوية مولاي عبد الله الدقاق[834]**: تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الريصاني، ذكرت هذه الزاوية ضمن الزوايا التي زارها السلطان سيدي محمد بن بن عبد الله عند قدومه لتافيلالت[835]، كما ذكره أحمد الشباني الإدريسي[836]، نقلا عن صاحب

[830]- التقاط الدرر، م س، ص 20.

[831] يوسف بن عابد الإدريسي الحسني الفاسي، ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، حقق المخطوط وقدم له وعلق عليه الدكتور أمين توفيق الطيبي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، شركة النشر والتوزيع، البيضاء،1988، ص 88.

[832] - سورة البقرة الآية 26.

[833] - يوسف بن عابد الإدريسي الحسني الفاسي، ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، م س، ص 90.

[834] - من كبار مشاييخ الصوفية واحد أشياخ أبي مدين.

- أبو يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أحمد التوفيق.ط.1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1984، ص 156-157.

[835]- الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، ج1، ص346.

[836]- احمد الشباني الإدريسي، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص69.

الدرر البهية: سجلماسة أول بلاد درس فيها العلم بالمغرب وقد تخرج منها أئمة كثيرون كالدقاق وابن القطان وابن القاسم وشيخه سيدي أحمد بن عبد الله.

إلا أن شخصية الدقاق هذه تطرح لنا إشكالا فقد ذكر صاحب التشوف أنه من أشياخ أبي مدين ومن أصحاب أبي عبد الله الأصم أبي عمر التلمساني[837]، وأشار ابن قنفد وصاحب الجذوة أنه توفي بفاس وهو دفين باب الجيسة[838]، فهل فعلا عبد الله الدقاق الوارد في المصادر هو دفين تافيلالت أم هو شخصيةلم نهتد إلى ترجمتها.

تضم الزاوية غرفتين جنائزيتين تتخللها مجموعة من الأعمدة تعلوها قبة ثمانية الأضلاع مشيدة من الأجر ومزينة بفرشة من الجبس، كما تزينها نقوش هندسية، وتضم الغرفة مكتبة حائطية.

▪ **زاوية سيدي علي**: تقع بمحاذاة زاوية من لا يخاف، لم يكن لهذه الزاوية إشعاع علمي إذ اقتصر نشاطها على استقبال الزوار اللاجئين وكذلك قاصدي الزاوية للتبرك، تنسب الزاوية لسيدي علي بن عبد الله، من الزهاد العارفين بالله، وصفه الحضيكي بقوله: "هو الولي الصالح القطب المشهور الغوث الغياث في البر والبحر، حجة الله وآياته، جبار التلايف والقلوب المنكسرة"[839]، عرف بعزوفه عن الدنيا، يروي عنه سكان المنطقة عدة كرامات. توفي سنة: 940هـ[840]، ودفن بزاويته.

▪ **زاوية مولاي عبد المومن**: يوجد بقصر كاوز، يقال إنه كان مزارا للعديد من الأشخاص الذين يرغبون في العلاج من الأمراض المستعصية لم نعثر على ترجمة لصاحب الزاوية، في الوقت الذي يقول المشرفون عليها أنه جاء من المشرق منذ القرن الخامس عشر الهجري، واستقر بهذا القصر.

▪ **زاوية سيدي المدني**: هو شيخ مقاوم كان يقوم بدور الوساطة بين القبائل المتصارعة، يروي سكان المنطقة أن أصله من قصر النجا بوادي الساورة، وقد خرج هذا الرجل من قصره مرغما بعد التحرشات الفرنسية فاستقر أول الأمر بقصر الطاوس الواقع

[837] - ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، ص 156.

[838] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ج 1، ص259.

[839] - محمد بن احمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، تحقيق وتقديم احمد بومزكو، م س، ج2، ص376.

[840] - المصدر نفسه.

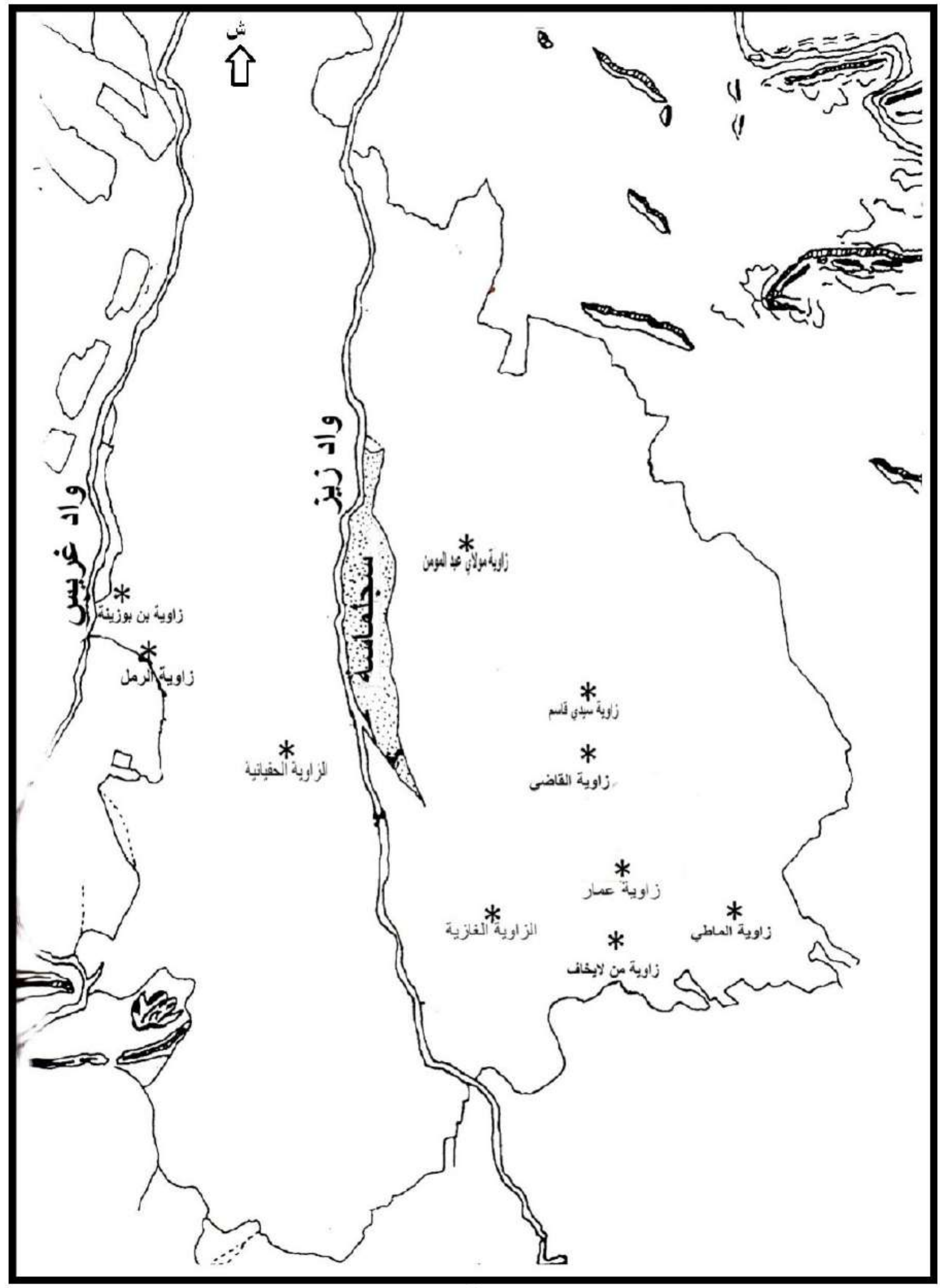
على بعد 60 كلم جنوب مدينة الريصاني، ثم انتقل بعدها إلى قصر مقطع الصفا قرب وادي غريس فأقام زاويته.

5- التوطين المجالي للقصور الزوايا

انطلاقا من الخريطة المجالية لمنطقة تافيلالت يلاحظ أن القصور الزوايا تتركز في مقاطعة السفالات، كما أن أغلب شيوخ هذه الزوايا هم غرباء عن المنطقة من أصل غير فيلالي وفدوا إليها حين رأوا فيها المكان المناسب جغرافيا وثقافيا وسياسيا لممارسة مهامهم الدينية والدنيوية.

وقد ساعدت طبيعة المنطقة الخشنة والملائمة لحياة التقشف أغلب الأولياء والمتصوفة لتحقيق رغباتهم كما أن مجال المقاطعة (السفالات) كان المجال الأقل تعميرا بالنسبة لمنطقة تافيلالت مما أضفى عليها طابع الهدوء والسكينة، وهو ما يرغب فيه الأولياء والمتصوفة بغرض الإنقطاع عن الناس والعمران[841].

[841]- الفضيلي، م س، ج1، ص 64.



خريطة رقم(4): التوطين المجالي لأهم للقصور الزوايا بمنطقة تافيلالت

6- الدراسة الوصفية لقصر زاوية سيدي الغازي[842] كنموذج للقصور الزوايا

▪ **وصف الزاوية من خلال المصادر والمراجع**

أسس هذه الزاوية العلامة الزاهد الفقيه الصوفي أبو القاسم بن أحمد الدرعي ثم السجلماسي، وكان رجلا صالحا، ولد بقبيلة هرغة من ناحية سوس عام 901هـ، وانتقل إلى سجلماسة وعرف فيها باسم سيدي الغازي، وتنوسي اسمه الأول[843]، يقول عنه الحضيكي: "قطب الأقطاب وشيخ المشايخ، وإمام العارفين وقدوة المتقين، الولي الكبير والصالح الشهير، العالم الجليل، غوث الأغوات، محيي السنة والطريقة، كان رضي الله عنه من آيات الله ورحمته في أرضه"[844].

▪ **التخطيط العمراني للقصر**

- البـــــــاب

يقع الباب في الضلع الشرقي من جدار السور وهو عبارة عن فتحة مستقيمة في جدار السور ذات مسقط مستطيل يصل عمقها إلى 4,6م، له بروز خارجي عن جدار السور يقدر ب 2.4م، وعرض الكلي من الجهة الخارجية ب 6.60م، أما ارتفاعه فيبلغ 7.30 م، عرض الفتحتين الداخلية والخارجية يصل إلى 2.20م.

842- تنسب الطريقة الغازية إلى الشيخ أبي القاسم بن احمد بن عمرو السوسي الهرغي ت 982 دفين تابوبكرت من تافيلالت، ويتصل سند الطريقة الغازية بالطريقة الشاذلية عن طريق احمد زروق، انظر:
- البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، م س، ص 130.

843 - عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، 1979، ج2، ص 138.

844 - الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج1، ص 123.



صورة رقم (73): الباب الرئيسي لقصر زاوية سيدي الغازي

المصدر: تصوير شخصي:2011

- أسوار زاوية سيدي الغازي.

مخطط أسوار هذا القصر تشكل شبه مستطيل توجد بأركانه الأربع أبراج ذات مسقط مستطيل، وقد بقي من أبراج هذا السور برجان اثنان، أحدهما بالجهة الشمالية الغربية، والثاني في الجهة الجنوبية الغربية، بروزهما عن سمت جدار السور يصل الى 3.10م، وعرضهما حوالي 5 م، تتكون من غرفتين مشيدتين بالتراب يصعد إلى الثانية من ثقب في سقف الأولى.

محيط السور يصل الى حوالي 400 م يقدر سمكه ب 1,10 متر في الجهة الشمالية الغربية، بارتفاع يقدر ب6.60 م، يحتوي في قسمه العلوي على طريق للمشاه توصل إلى الغرف العلوية للأبراج(الصورة رقم:74).



صورة رقم (74): الواجهة الداخلية لسور قصر زاوية سيدي الغازي.

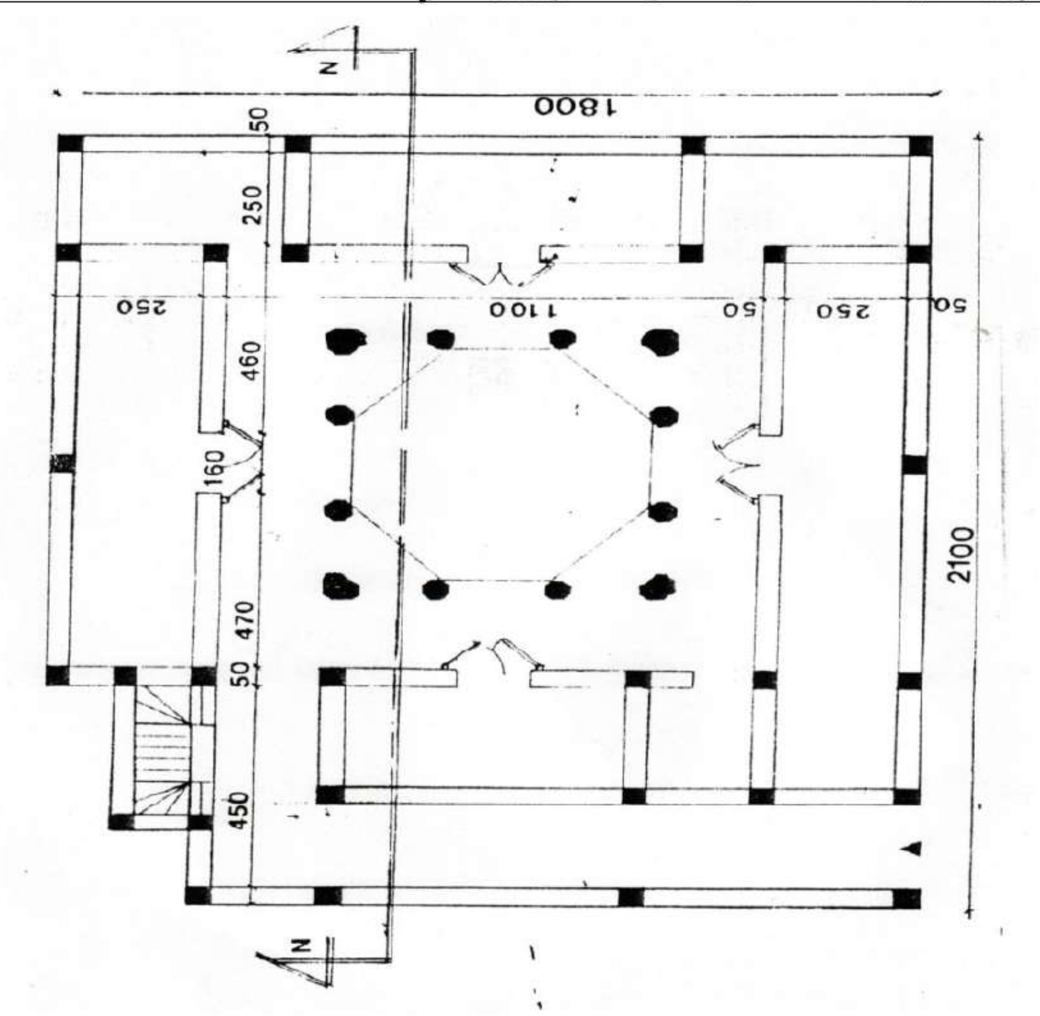
المصدر: تصوير شخصي:2011

- **التخطيط العمراني للزاوية.**

تتكون الزاوية، بالإضافة إلى الدور السكنية من المرافق التالية:

- **الدار الكبيرة:** مدخل هذه الدار عبارة عن ممر طويل ينعرج يمينا لينفتح على فناء مربع تحيط به أروقة محمولة على عقود منكسرة، شيدت بنسق متواز ومتماثل، فالأوسط منها بكل جهة أكبر حجما من العقدين الجانبيين، زينت هذه العقود بستائر من القرميد الأخضر.

يبلغ طول الدار 21متر وعرضها 18متر، تتوفر على مخزنين وأربع غرف لإيواء الزوار سواء الوافدين أو المقيمين من طلبة وفقهاء، وقد حرص شيخ الزاوية على توفير كل شروط الاستقرار والإقامة الملائمة للضيوف. أما الساحة الداخلية فتخصص لإقامة الحضرة مرة في السنة.

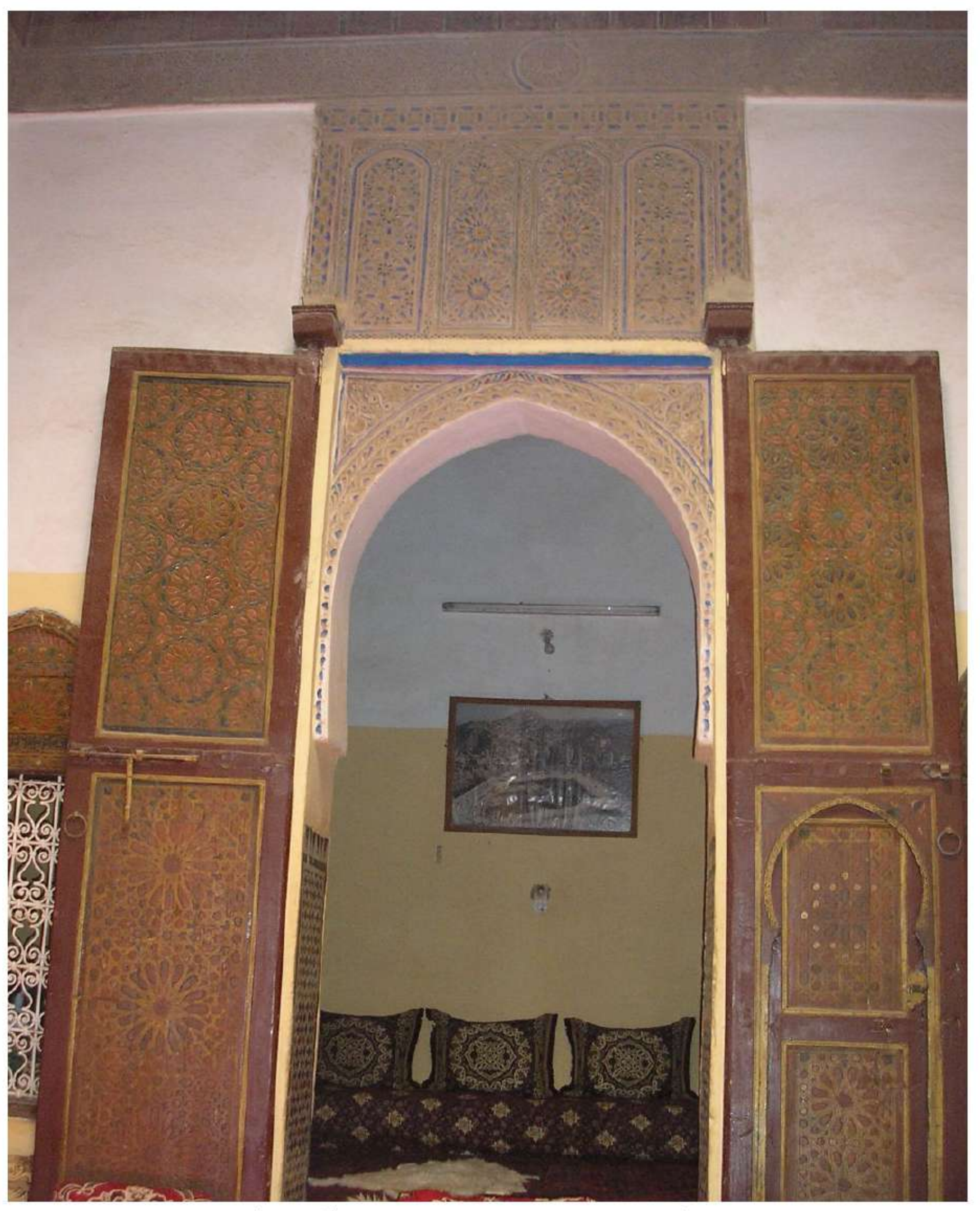


شكل رقم (9): تصميم الدار الكبيرة بزاوية سيدي الغازي

المصدر: تاوشيخت، عمران سجلماسة، ص.590-591.

أ- **الدويرية**: (أو الزاوية) وهو المجال المخصص لسكن الولي واستقبال الضيوف يبلغ طولها 17متر وعرضها 10.40متر وتضم المرافق التالية:

- **قاعة الاستقبال**: على خلاف الدار الكبيرة تتميز الدويرية بفناء مغطى بسقف من الخشب المزين برسوم هندسية وزهرية، يتوسطه منفذ مربع للإضاءة والتهوية. تبلغ مساحتها الإجمالية 48متر مربع، تتكون من قاعتين متقابلتين، مخصصتين للضيوف. الأولى يصل طولها إلى 7.80م، وعرضها 2,70م، أما الثانية وهي أقل مساحة فطولها يبلغ 4.50م، وعرضها لا يتعد 2,10م.

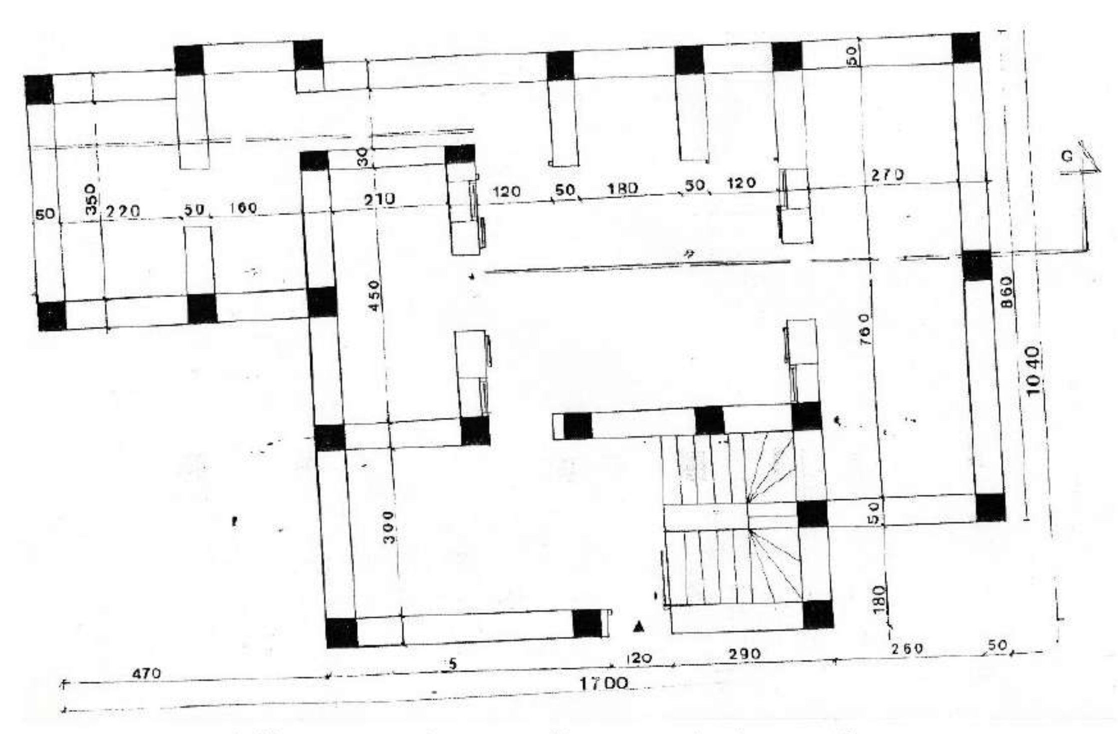


الصورة: (75):رقم: مدخل قاعة الاستقبال

المصدر: تصوير شخصي:2011

- **المكتبة الحائطية**: وهي عبارة عن قاعة صغيرة ذات شكل مستطيل يبلغ طولها 1.5 متر وعرضها 1.20 متر، تشتمل على رفوف حائطية بها مخطوطات ووثائق ذات محتوى صوفي وغيرها.

- **الحمام**: مكون من غرفتين يبلغ طول الأولى 2.10 متر، وعرضها 1.6 متر، أما الثانية فطولها 3,5 متر وعرضها 2.2متر، وهما عبارة عن قبتين مشيدتين من الحجارة والآجر.



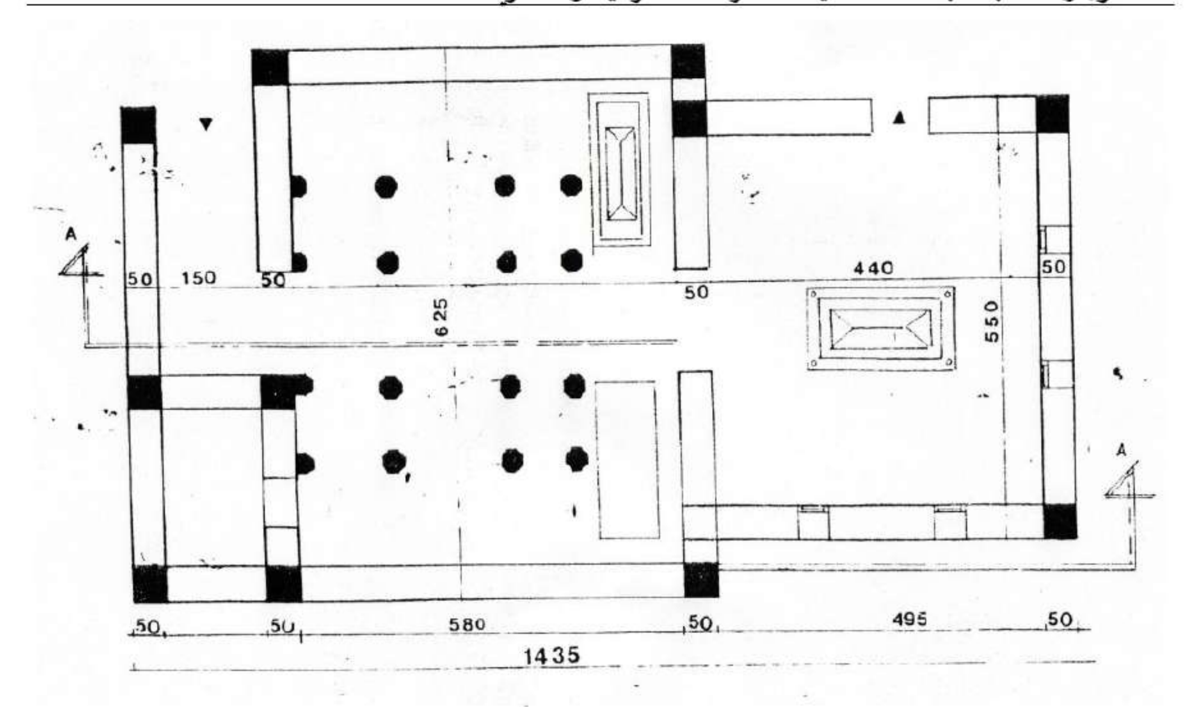
شكل رقم (10): تصميم الدويرية بزاوية سيدي الغازي

ج- **الضريح**: يضم المرافق التالية:

- **القبة**: وهي عبارة عن قاعة كبيرة ذات ارتفاع مهم تضم قبر الوالي سيدي الغازي، تعلوها قبة متعددة الأضلاع، مزينة بنقوش هندسية وكتابات قرآنية.

- **المسجد**: يمتد على مساحة كبيرة حالته متدهورة نتيجة التساقطات الغزيرة لسنة 2009.

- **البقيع**: وهو مجال يجاور هذه المرافق مخصص لدفن الموتى من عائلة الشريف سيدي الغازي، ويتكون بدوره من مجوعة من المرافق:



شكل رقم (11): تصميم الضريح زاوية سيدي الغازي



صورة رقم (76): تدهور ضريح سيدي الغازي بسبب التساقطات المطرية

المصدر: تصوير شخصي:2008

- **المسجد:** انطلاقا من المعاينة الميدانية فإن حالة المسجد جد متدهورة يصعب معها تحديد تصميم المسجد، وأهم الشواهد المتبقية عبارة عن جزء من صومعة شكلها يميل الى هيئة الأبراج المتواجدة بالمنطقة. وخلف المسجد توجد بقايا لغرف الطلبة.

- **الخلوة:** تتخذ شكل بيت صغير تعلوه قبة، كانت الخلوة المجال الذي يخلو فيه شيخ الزاوية بنفسه قصد التعبد كما كانت المجلس الذي يستقبل فيه الفقهاء.

- **الضريح المجاور للخلوة:** عبارة عن بناية مستطيلة، ذات سقف محمول على أقواس منكسرة، يضم هذا الضريح جثمان ثلاثة مشاييخ وهم: سيدي أحمد زروق، وسيدي أحمد بن عبد الكريم، وسيدي الغازي.

III- الصنف الثالث : القصور (القبلية) الشعبية

1- تعريفها

هي طراز معماري مدني في سماته من حيث التخطيط والوظيفة والحجم والتفاصيل، وهي قصور أسست على مراحل زمنية مختلفة، أغلبها في مراحل متأخرة. أسست من طرف أعضاء من قبيلة أو أكثر، يرتكز نشاطهم على الزراعة والحرف، يتميز هذا الصنف من القصور بأهميته الإنتاجية، انتشر أغلبها في مجال تغلب عليه الحقول الزراعية، خصوصا بمشيخة بني امحمد.

تكمن الوظيفة الأساسية للقصور الشعبية في السكن وحماية الحقول الزراعية واستغلالها، إضافة إلى اختصاص بعضها في مزاولة الحرف التقليدية والأعمال التجارية، فهي على عكس الأصناف الأخرى اعتمدت في نشأتها وبقائها على مصادر المياه وما تدره زراعة الواحة واقتصادها التجاري، الشيء الذي أهل بعضها للنمو والتطور إلى درجة أنها أصبحت تحتل الصدارة في الحركة الاقتصادية، خصوصا أن قصور المنطقة اشتهرت بتصدير الجلد والأسلحة وبعض المعادن والشاي والتوابل والزيت والسكر إلى منطقة توات[845]. ومن القبائل التي كانت تقوم بهذه الوساطة قبيلتا بني امحمد وآيت خباش التي تسكن هذا الصنف من القصور.

امتازت بعض القصور الشعبية بعدد سكانها وحجم بناياتها التي تفوق المعتاد في القصور الأخرى، كما احتضنت بعض المرافق الخاصة كالدكاكين، والساحات الفسيحة المخصصة لاستقبال القوافل، كما زاول سكان بعض قصور هذا الصنف مهنا أخرى كصناعة الجلد والفخار وبعض الحرف المرتبطة بالمجال الفلاحي.

[845]- اعفيف، توات، م س، ص 146.

2- الوصف المعماري.

بحكم الوظائف التي أقيمت من أجلها هذا القصور الشعبية، فقد اشتمل على المرافق التي تؤمن:

- إسكان العائلات.
- إسكان الحيوانات الأليفة.
- خزن المحاصيل الزراعية.
- الدفاع عن السكان والممتلكات أيام الغزوات القبلية.
- ضمان الحياة الاجتماعية والاقتصادية.
- ضمان الحياة الدينية والثقافية.

وبذلك يكون هذا الصنف متكاملا من حيث مكوناته، بل إنه يعكس مرحلة من التطور التي وصل إليها فن إعمار القصور، وهي درجة متقدمة تضمن للساكنة حياة جماعية منظمة.

3- جرد القصور الشعبية بمنطقة تافيلالت.

جدول رقم (15): القصور الشعبية بمنطقة تافيلالت

اسم القصر	موقعه
أولاد ليمام	يقع في مجال مشيخة بني محمد على بعد ثمان كلمترات شمال الريصاني، شيد في مطلع القرن العشرين بعد خراب القصر الذي كانت تتجمع فيه غالبية سكان قبيلة بني امحمد
قصر الجير	يقع على الضفة اليمنى لواد زيز على بعد كلمتر واحد شمال قصر أولاد ليمام، يشتغل جل سكانة بالزراعة وهم خليط من الأحرار والحراطين وأقلية من العبيد
أولاد سعيدان	يقع على الضفة اليسرى لواد غريس على مسافة كلمتر غرب خراب سجلماسة
دار مولاي الطالب	يقع بمشيخة واد يفلي، تعود دلالة اسمه إلى أحد الشرفاء
منوكة	يقع بمشيخة واد ايفلي على بعد مائة متر جنوب شرق قصر ابار، اشتهر سكانه بممارسة الدباغة
تنغراس	من قصور السفالات يرتبط اسمه بمجال غراسة النخيل أساسا

أولاد يحيى	تقع ضمن مجال مشيخة السفالات ارتبط القصر بالنشاط الزراعي
سيدي عمر	اسم أحد أولياء تافيلالت، يقع بمشيخة بني محمد
جراوة	ترتبط اسم القصر بقبيلة صنهاجية[846]
الشبيلي	يوجد شرق مركز الريصاني غرب قصر أولاد يوسف
امسيفي	إحدى قصور مشيخة الغرفة
أولاد القايد	يقع بمرتفع الجبيل ضمن مجال مشيخة بني محمد، عل مسافة ست كلمترات من الريصاني
تابوعصامت	سبق ذكره
تاغكة	تعود دلالة اسمه إلى أحد السواقي[847]، يتواجد بمجال مشيخة بني امحمد
احيحير	يقع بمقاطعة واد يفلي وهو من القصور الصغيرة المساحة
مرزوكة	يقع على الضفة اليمنى لواد زيز على بعد ثمان كلمترات شمال الريصاني
بني فرح	يقع بجوار قصر الجبيل ضمن مجال مشيخة بني امحمد
أولاد جميع	يقع بالجنوب الغربي للواحة على الضفة اليمنى لواد غريس
شرفة بحاج	يقع جنوب الواحة اختص سكانه بمزاولة الحرف المرتبطة بالصوف والجلد
ابادو	يقع ضمن مشيخة واد يفلي
ايرارة	يقع على الضفة اليمن لواد زيز على بعد كلمتر جنوب شرق قصر تابوعصامت
لمطاهرة	صر يسكنه عرب السفالات
أولاد ولال	قصر يسكنه بعض قبائل بني امحمد، يقع بمشيخة السفالات
سيدي بوبكر	يقع بمقاطعة الغرفة على مسافة خمس كلمترات من الريصاني
تامسكانت	تقع على الضفة اليمن من واد غريس على بعد ثلاث كلمترات من مركز سجلماسة
تغكة	تسكنه قبائل عربية ارتبط اسم القصر بإحدى سواقي المنطقة
حدب الجحام	يقع بالغرفة، وهو من القصور التي تسكنها قبائل دوي منيع
اخنوس	يقع على بعد مائة وخمسين مترا غرب ضريح مولاي علي الشريف ترجع تسميته إلى اسم مملوك مولاي علي الشريف[848]

[846]- تاوشيخت، م س، ج 2، ص 691.

[847] - المرجع نفسه، ص 693.

تزكزوت	يقع على الضفة اليسرى لواد زيز، علب بعد تسع كلمترات جنوب الريصاني
شرفة بحاج	تقع بالسفالات غرب قصر تابوعصامت
أولاد عبد الرحمان	يقع بمشيخة الغرف وهو من أهم قصوره
سيدي عمر	يقع على الضفة اليسرى لواد غريس شرق الريصاني وفيه تسكن مجموعة من قبائل بني امحمد.
أبو عام	قصر ملتصق بخراب مدينة سجلماسة على واجهتها الشرقية، اضطلع بمهمة تجهيز القوافل التجارية قبل انطلاق رحلتها عبر الصحراء الكبرى كان يشهد رواجا كبيرا لسلع بلاد السودان[849].
تاوراغت	اسم امازيغي يعني الصفراء يقع بمشيخة الغرفة[850].
الملاح	يقع بمشيخة واد يفلي، أسس في القرن 20م كان يسكنه اليهود.
الحاج الهاشمي	اسم علم من عرب المعقل، يقع القصر بالغرفة[851].
تاحسنونت	تقع على بعد سبع كلمترات شمال موقع سجلماسة، اسس هذا القر بالقرب من القصبة المندرسة التي تحمل نفس الاسم.
مولاي الطاهر	يقع على بعد 500م جنوب قصر الفيضة.
ابحار	يقع جنوب قصر أولاد عبد الحليم، رجح الأستاذ تاوشيخت أن يكون تأسيس القصر يعود للقرن 17م وأنه القصر الذي ولد فيه المولى إسماعيل[852].
عمارة	يقع بمشيخة واد يفلي على مقربة من قصر أولاد عبد الحليم، يعود تأسيس القصر إلى عهد السلطان مولاي إسماعيل[853].
اخنوس	يقع بجوار القصر المندرس المعروف باخنوس الكبير بالقرب من ضريح مولاي علي. الشريف
أولاد محمد الشرفاء	يقع على بعد أربع كلمترات إلى الجنوب الشرقي لموقع سجلماسة، وعلى بعد 500 متر عن قصر أولاد عبد الحليم.

[848]- الأنوار الحسنية، م س، ص 59.

[849] -Gendre, «Tafilalet», op,cit, p 53 -54 .

[850] - تاوشيخت، عمران سجلماسة، م س، ج2، ص693.

[851] - المرجع نفسه، ص693.

[852] - المرجع نفسه، ص 692.

[853] - المرجع نفسه، ص517.

سيدي بوزكري	قصر صغير يقع شرق موقع سجلماسة ويبعد عنه بحوالى 1.5كلم.
أولاد مسلم	يقع بمشيخة وادي يفلي.
تبوبكرت	يقع بمشيخة السفالات، مشتق من كلمة امازيغية نسبة إلى أبي بكر[854].
لمطاهرة	قصر يسكنه عرب السفالات، يقع على بعد كلمتر ونصف جنوب قصر تابوعصامت.
تزكزوت	يقع بمقاطعة السفالات الكلمة امازيغية تعني الخضرة.
هوارة	يقع بمقاطعة السفالات، يقع على مسافة ثلاث كلمترات جنوب غرب خراب سجلماسة.
تاغنجاوت	نسبة إلى كلمة امازيغية تعني الملعقة والقصر يقع على مسافة كلمتر ونصف غرب سجلماسة.
هارون	قصر يسكنه الشرفاء، يقع بمقاطعة واد يفلي.
وطارة	من القصور حديثة النشأة، بمعنى الذئاب.
سيدي أحمد بن المداني	نسبة لأحد أولياء المنطقة، يقع بمقاطعة السفالات.

4- الدراسة المعمارية لقصر أولاد ليمام كنموذج للقصور الشعبية.

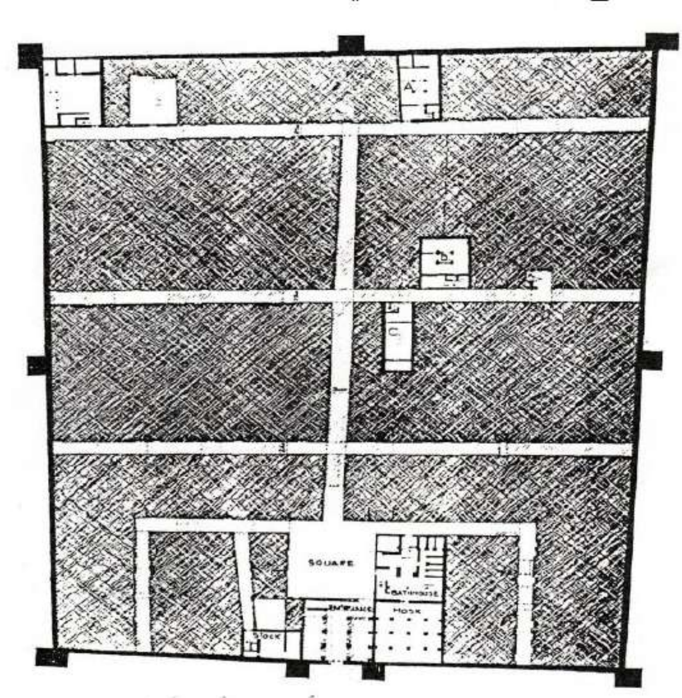
يأتي اختيارنا لهذا القصر، نظرا لكونه من القصور المشيد في مطلع القرن العشرين، ولطابعه الهندسي المختلف عن النماذج السابقة: إضافة إلى أنه لم يرتبط لا بالوظيفة الدينية ولا الإدارية ولا التجارية بقدر ما هو تجمع سكني ارتبط نشاط ساكنته بالمجال الفلاحي.

- **التصميـــم العـــام:**

يتخذ هذا القصر شكلا مربعا طول ضلعه 70 متر يشتمل على سبعة أبراج مربعة يبلغ ارتفاعها7،5متر وعرضها3،7متر، إضافة إلى برجي المدخل، يتميز بانبساط موقعه واستقامة أزقته وإضاءتها.

[854] -المرجع نفسه، ص691.

إن هذا النوع من التصميم يعكس التطور الذي لحق تصميم القصور، الذي اتجه نحو الانفتاح خصوصا مع استتباب الأمن في المنطقة.



شكل رقم (12): تصميم عام لقصر أولاد ليمام



صورة رقم (77): الزقاق الرئيسي للقصر والدروب التي تتفرع عنه الأزقة.

المصدر: تصوير شخصي:2008

▪ **العناصر العمرانية**

- **المسجـد:** يقع على يمين الداخل للقصر بعد اجتياز المدخل والمصرية: يشتمل على جناحين أحدهما مخصص للطهارة والأخر لأداء الصلوات وتعليم الصبيان. على مساحة تقدر بحوالي مائة متر مربع.

قاعة المسجد مربعة الشكل تضم أربع بلاطات وأربع اساكيب، يحمل السقف عل مجموعة من العقود، مشيدة من الطابية كما هو الشأن بالنسبة لكل مكونات القصر رغم حداثته.



صورة رقم (78): صورة من الداخل لمسجد قصر أولاد ليمام.

المصدر: تصو ير شخصي:2008

- **الوحدة السكنية بالقصر:** يشتمل القصر على ثمانين منزلا تتوزع بشكل متساوي على أزقة القصر، كما أن المساكن صممت بطريقة متشابهة إلى حد كبير من حيث المساحة والأحجام والمكونات ماعدا بعض الاختلافات الطفيفة على مستوى توزيع الغرف، وقد توافق هذا التقسيم مع الشكل الذي اتخذه القصر واستقامة أزقته، ناهيك عن

الرغبة في التوزيع العادل لمساحة القصر بين السكان الذين استوطنوه بدلا من قصرهم المهدم والكائن بجواره.

يخصص الطابق السفلي في بيوت هذا القصر، الذي يشتغل كل سكانه بالقطاع الفلاحي، سكنى الحيوانات وإيداع المعدات الفلاحية وتخزين المحاصيل الزراعية، أما الغرف فقد جاءت متشابهة ومتقاربة المساحة لكون المنازل أقيمت على نفس المساحة.

خلاصة

يتضح مما سبق، أن تشابه أفكار التخطيط والمؤثرات، لم تؤد بالضرورة إلى تشابه الأشكال والوظائف، فجاءت القصور بمنطقة تافيلالت مختلفة ولم تكن قالبا جامدا التزمت به كل القصور، وهو ما يعكس حرية المجتمع الذي شكلها.

وانطلاقا من دراسة القصور الفيلالية يتبين أن القاسم المشترك الأكثر حضورا في أصناف القصور هو كونها أفقية التخطيط، وصممت تبعا لحاجيات الأسر ذات الارتباط الوثيق بالنشاط الفلاحي، بالإضافة إلى الاستفادة مما هو موجود بالبيئة المحيطة من مواد بناء واستخدامها الأمثل. فيما يظهر التباين والاختلاف بينها على مستوى الوظائف، نظرا للظرفية التي أسس فيها كل قصر ومتطلبات واحتياجات سكانه، وقد أدى اختلاف هذه الحاجيات إلى تنوع العناصر والتفاصيل المعمارية، وجاء كل منها منسجما مع احتياجات ساكنته، كما اختلفت هذه الأصناف على مستوى جودة بناءاتها، وتزيينها وزخرفتها.

وانطلاقا من الجرد والتوطين المجالي خلصنا إلى أن غالبية القصور المخزنية تركزت بمقاطعة واديفلي، وأنها القصور الأكثر تشابها في المجال لأنها كانت تخضع لتصميم مسبق، كما أنها الأكثر تحصينا وزخرفة في قصور المنطقة.

بينما القصور الزوايا عرفت بأدوارها المتعددة من تعليم وبث الأفكار الصوفية وتأطير للمجاهدين والصلح بين القبائل وملا الفراغ السياسي، أما معماريا فإنها تتميز بوجود مقر للزاوية يشغل حيزا مجاليا داخلها وربما تواجدها يهيكل التخطيط العام للقصر.

أما القصور القصبات التي تعد من أكثر القصور انتشارا بمجال تافيلالت، فتميزت بتخطيط خاص، إذ يغلب على أزقتها طابع الالتواء كما أنها الأكثر تحصينا لتلبية أهدافها المتمثلة في إقرار السلطة الأمنية والحد من مظاهر التسيب القبلي وتأطير المجال، ويجد غالبيتها بمحيط القصور المخزنية لتكون درعا عسكريا واقيا لها، كما ميزنا بين نوعين من القصبات قصبات سكنية إما للأمراء بعدما تخصص لهم بظهير سلطاني أو إقامة المكلفين بتنفيذ الأوامر والإشراف على الأملاك المخزنية، وقصبات لخزن المؤن والأسلحة الخاصة بالقصور المخزنية، وشيدت غالبية هذا الصنف من القصور خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين.

ويعد الصنف الرابع من أبسط القصور في مجال تافيلالت تحصينا كما أن تخطيطه جاء لتلبية متطلبات السكن، وغالبية هذا الصنف يتواجد بمقاطعة بني امحمد التي يغلب على نشاط ساكنتها الاشتغال بالعمل الزراعي، أما زمنيا فهي الأحدث فتأسيسها يعود لفترات متأخرة.

خاتمـــــة

إن الدراسة التي قمنا بها حول قصور وقصبات منطقة تافيلالت مكنتنا من استخلاص مجموعة من النتائج، منها ماهو خاص بموضوع ومجال الدراسة ومنها ما هو شامل ويمكن تعميمه على جل قصور واحات بلاد المغرب.

لقد خصصنا الباب الأول لدراسة الإطارين الطبيعي والتاريخي باعتبارهما المحددين الأساسيين لكل المنتجات الحضارية، وقد انطلقنا في مستهل هذا الباب بضبط مفهوم القصر وخلصنا إلى حقيقة مفادها أن التعريفات التي قدمت للقصر اعتمدت على دراسة حالة بعينها، واختلفت حسب الزاوية التي ينظر منها كل باحث للقصر، وقد تأثرت في مجملها بمجموعة من المحددات الرئيسة، تأرجحت بين الاعتماد على الوظيفة أو الموقع أو الشكل، كما أنها لم تشمل كل القصور المنتشرة بشمال إفريقيا لتقدم لنا مفهوما موحدا. لذلك يجب تحديد مفهوم القصور انطلاقا من مرجعيته التاريخية والأهداف والوظائف التي أنشـأت من أجلها.

كما أن الملاحظ للمجال الذي تواجدت به القصور بمنطقة تافيلالت يدرك أنها تتمركز في منطقة تتوفر على قدر من الموارد المائية والنباتية والأراضي الصالحة للزراعة، التي تمكن الساكنة من توفير عيشها، وأن تواجدها على مشارف الصحراء جعلها تحتضن أهم الممرات والمسالك المعروفة منذ القدم، وعبرها كانت تسير القوافل التجارية. لذلك فإن ظهور هذه القصور لم يكن عفويا بقدر ما كان مستمدا من ظروف طبيعية توفر الشروط الضرورية للحياة، وهي في الحقيقة تشترك في كثير منها مع تلك التي يتم مراعاتها عند إنشاء المدن الإسلامية.

إن البيئة الطبيعية شكلت العامل الرئيسي في صياغة مكونات التراث العمراني بمنطقة تافيلالت، فالقصور تشكلت في الواحة على ضفاف الأودية الرئيسة (زيز وغريس)، كما أن هذه البيئة وما يرتبط بها من مكونات جغرافية لها تأثيرها الواضح على التخطيط العمراني والمكونات المعمارية للقصور والقصبات؛ تأثير ينسجم مع معطيات الوسط البيئي والظروف الطبيعية المحيطة، وشكلت الموارد البيئية المحلة عماد مكونات مواد البناء.

ولم يكن العامل الجغرافي وحده العامل المتحكم في الاستقرار وتشييد القصور، بل كان للأحداث التاريخية أثرها الفعال في هذا الاستقرار، فالأمن الذي عرفته المنطقة خلال فترات معينة من الزمن، فسح المجال لتدفق موجات بشرية ذات أعراق مختلفة قدمت من مناطق شتى وانصهرت ضمن مجال تافيلالت، ولم يتمكن أحد منهم أن يطبعها بطابعه الخاص ولم يكن لأحدها أي تأثير عمراني أو معماري عن الأخرى. وقد رافق هذا التعمير تشييد القصور نظرا لما توفرت عليه المنطقة من عوامل الاستقرار للعناصر التي كانت لها القدرة على التكيف مع ظروفها الطبيعية، أو للعناصر التي كانت لها دراية بالهندسة المعمارية للقصور.

وقد التحقت بالعناصر التي شيدت القصور الأولى عناصر أخرى شاركتها سكنى القصور التي تواجدت قبل تأسيس مدينة سجلماسة، والتي استمرت معها تلبي حاجياتها من مواد التموين، وقد انعكست هذه الهجرات على النسيج العام لسكنى القصور.

ولم يكن إشعاع مدينة سجلماسة ليقضي على سكنى القصور بل استمر تعمير المنطقة بهذا النمط بموازاة معها وإلى حين سقوطها أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، بل شكل أفولها منعطفا حاسما في الإكثار منها واتساع عمرانها.

وبالرغم من أن دراستنا لماضي هذه القصور ووجه بعمق الضياع الذي عشى الذاكرة، خصوصا بالنسبة لمراحل التأسيس، باعتبار أن المصادر المتاحة لاتقدم لنا معلومات كافية لتتبع تطور القصور بالمنطقة، فقد أمكننا التمييز بين ثلاث مراحل تاريخية أساسية لنشأة القصور وتطورها، مرحلة أولى شكلت البدايات الأولى لظهور هذا النمط المعماري بمنطقة تافيلالت، استتبعت بمرحلة ثانية عايشت فيها هذه القصور مدينة سجلماسة، إذ زيد في أعدادها وأصبحت تربطها بالمدينة علاقة تبادل. ومن هذه القصور التي أفصحت المصادر التاريخية عن أسمائها، قصور الغرفة واخنوس وصوصو وأولاد عبد الحليم وغيرها. أما المرحلة الثالثة، فترافقت مع اندراس مدينة سجلماسة وما استصحب ذلك من هجرة لسكانها وتعميرهم للمنطقة بالقصور الكبيرة والصغيرة، والمتعددة الوظائف (سياسية، وفكرية ودينية، واقتصادية)، إذ أصبح بالإمكان أن نميز داخل مجال تافيلالت بين قصور تحتضن كل وظائف المدينة وتسكنها مجموعات بشرية شبيهة بما كان عليه الأمر بسجلماسة، وبين قصور يشكل كل واحد منها حيا من

أحيائها، يحتضن نشاطا من أنشطتها ومجموعة بشرية من ساكنتها. وخلال هذه المرحلة أيضا كان للدولة العلوية اهتماما خاصا بتشييد القصور والقصبات لتحقيق مجموعة من الأهداف منها ما هو اقتصادي وما هو ثقافي واستراتيجي.

ومن خلال تتبعنا للحياة العامة داخل القصور الفيلالية خلصنا إلى أن التمايز الاجتماعي كان قائما على الإنتماء النسبي، مع أن هذا الإنتماء لا يمكنه أن يحجب الفوارق المادية الحاصلة بين الأفراد داخل نفس الفئة والذي انعكس على الجوانب العمرانية والمعمارية للقصر، وعلى بعض القصور التي تحمل أسماء تبدو عليها المسحة الأمازيغية "كتاوراغت" أو نوع التركيبة البشرية التي تسكنه "كبني ميمون الحرار" أو"الملاح".

وقد سمحت طبيعة التشكيلة الاجتماعية داخل القصر بظهور مؤسسات اجتماعية وسياسية تتكلف بضبط وتسيير الحياة اليومية لساكنة القصر بالاعتماد على منظومة عرفية كآلية لتدبير الاختلاف والتنوع، ومجابهة القهر الثقافي، لتحقيق التعايش والسلم الاجتماعي -داخل فسيفساء إثنوغرافي ووسط يزخر بالتنوع والتعدد- وضمان المصالح الفردية والجماعية والعمل على تضييق دائرة العنف، وتوزيع نطاقات السكن الخاصة ونظام بناء الأزقة بكل سلالة، ومنع كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بمرافق القصر أو يؤدي إلى نزاع الأفراد من سرقة واعتداء على حرمة النساء. وبقيت الجماعة العرفية المكونة من الشيوخ وجماعة القصر طيلة وقت طويل هي صاحبة القرار، فهي التي تسيره بحكمة ورزانة، وتسهر على راحة أفراد المجتمع، ولذا فإن اغلب القصور إن لم نقل جلها حافظت على عمقها التاريخي البعيد.

وتبين من خلال البحث أن الحياة الفكرية بقصور تافيلالت نالت أهمية كبرى، إذ هيئت لها المرافق الضرورية من مساجد ومدارس داخل مختلف القصور، أو داخل الزوايا التي قادت المجتمع الفيلالي بما توفر لشيوخها من إمكانيات مادية وعلمية، لتبرز فيه أسر وشخصيات عملت على تنشيط الحركة الفكرية هناك وامتد إشعاعها إلى خارج المنطقة.

بينما كانت الحياة الاقتصادية بقصور تافيلالت تقوم على الزراعة والرعي والتبادل التجاري، حيث لم يستطع النشاط الزراعي أن يتجاوز طور الإنتاج المعاشي. لكن في

المقابل حافظت بعض القصور الفيلالية على الأهمية التي كانت لمدينة سجلماسة في المجال التجاري والحرفي، رغم ما كان يتتابها من تراجع بين الفينة والأخرى، إما لأسباب أمنية أو لتحول في المحاور التجارية.

وانطلاقا من الدراسة العمرانية للقصر توصلنا إلى معرفة المحاور الأساسية التي قام عليها تخطيط القصر وكيف أن هذا التخطيط شمل جوانب التخطيط العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وفق الأهداف التي أنشأ من أجلها؛ أي أن تخطيطه يستمد أصالته من خصائص البيئة المحلية والثقافة الاجتماعية، وأن هذا التخطيط تأثر بالمنفعة والغرض المخصص للبناء ومن مزايا الموقع الطبيعية. فجاء مستجيبا لغالبية الشروط الواجب اتخاذها عند تخطيط المدينة، وابتكروا حلولا للتغلب على الصعب منها كندرة المياه، وبذلك شكلت نمطا معماريا يعكس الهوية المحلية وخصائص ومميزات البيئة الاجتماعية والمكانية، وأهمها الارتباط بالمناخ وخصائصه وطبوغرافية الموقع.

إن الوحدة الجغرافية والبيئية التي تشترك فيها قصور تافيلالت كانت من الأسباب الرئيسية التي تمخضت عنها وحدة تصميم هيكلها العام، وتصميم عناصرها الإنشائية ومادة البناء وطريقته، فهي من حيث تخطيطها العمراني المتراص والمتميز بتلاحم أجزائها تترجم تلاحم ساكنتها، كما تعكس حذاقة وذكاء وفطنة المهندس أو البناء الذي شيد تلك المعالم، رغم أنها لم تتميز كلها بطابع فني مميز، إلا أنها استجابت لمتطلبات معيشية فرضها المجتمع وتعامل معها المعماري بنسق عمراني دقيق. لذلك فالمعمار الواحي يمثل نتاج ثقافة شاملة في هذا المجال، تكون من خلال خبرة أجيال من البنائين عن طريق التجربة والتطوير، مما جعلهم يراكمون معارف ومهارات مرتبطة بخصائص مواد البناء وطرق معالجتها واستعمالها. ولا شك أن توفر هذه المعارف والخبرات الهندسية اللازمة تجعل من عملية تخطيط وتصميم المباني عملية أكثر يسراً وسهولة، فالمعماري تعامل مع الصيف الحار والشتاء البارد والرياح الهوجاء بحنكة وبراعة مستغلا كل ما يوجد حوله استغلال جيدا، فحفر الآبار وأقام السدود وزرع الأراضي الصالحة بمنتوجات تتكيف معها، كما استغل جذوع أشجارها وتراب أرضها فشيد به مبان فخمة تقيه من الرياح والحرارة والبرودة، وصمم أزقة قصوره بطريقة تخدم أغراضه

الدفاعية وتحميه من قساوة الظروف الطبيعة التي تحيط به فبدت متعرجة وملتوية مغطاة أحيانا بمواد محلية بسيطة حتى يتفادى حرارة الشمس وحركة الرياح غير المرغوب فيها.

إضافة للمؤثرات الطبيعية هناك أيضا مجموعة من العوامل الثقافية التي أثرت على عمارة القصور، إذ يبرز البعد الديني والاجتماعي فيها من خلال احترام البناء الاجتماعي والهرمية الاجتماعية، وتعزيز أهمية النسق العائلي واستيعاب النظام القبلي الذي يستند إلى روح الولاء للقبيلة والارتباط بالعشيرة. إذ يعتبر القصر نتاجا عفويا أوجده مجتمع منظم ومتماسك لتلبية حاجاته من السكن وهو بذلك إبداعا جماعيا يؤكد دور الأهالي في بناء القصور، وتدبير شؤونها العمرانية. كما أن حياة الفرد بمنطقة تافيلالت تنطلق من تعاليم الدين الإسلامي التي كان لها انعكاسا مباشرا على عمارة وتخطيط القصر.

وساهمت العوامل السياسية والاقتصادية بدورها في تشكل عمران القصور، فقد تولد عن الوضع السياسي غير المستقر كالحروب والنزاعات-في ظل ضعف حضور الدولة المركزية-حلول عمرانية للحفاظ على أمن القصر، كتقليص المساحة وبناء الأسوار وتوفير مساحات لتخزين المؤن.

وتأثر توزيع القصور بنمط الحياة المعيشية السائدة انذاك، وبنوع نشاط سكانها الذي شمل الزراعة ورعي الماشية والتجارة، لذلك انتشرت القصور حول الأراضي الصالحة للزراعة والصالحة للرعي، وبالقرب من مواقع الأسواق التجارية التي كانت ترتبط بالطرق التجارية البرية.

واتضح من خلال التحليل المعماري للمنشآت والمرافق العامة وكذلك التكوينات المعمارية السكنية أثر العرف والتقاليد كمحور مهم من المحاور التي أثرت أيضا في التشكيل المعماري لهذه التكوينات.

ومن خلال الدراسة المعمارية والعمرانية لقصور تافيلالت تبين لنا العديد من أوجه الشبه والاختلاف بينها، إذ إن القصور كانت تؤدي وظائف مختلفة ترتبط بالغاية من تشييدها، ومتطلبات واحتياجات السكان، فالاعتبارات الإنسانية كانت حاضرة في تخطيط فضاءاتها لتؤدي وظيفتها الاجتماعية، فكان لذلك انعكاس على اختلاف العناصر والتفاصيل المعمارية بها.

كما تبين لنا الاختلاف في أحجام القصور واتساعاتها وجودة بناءاتها، ومستوى تزيينها وزخرفتها. وإن كانت في مضمونها قصور مندمجة تتميز بالتصاق مبانيها بعضها بالبعض وتخترقها أزقة ضيقة تربط بين مختلف فضاءاتها. كما يعكس شكلها ونمط تخطيطها العمراني أحد الأساليب التي لجأ إليها سكان المنطقة للدفاع عن قصورهم وأنفسهم بسبب حالة الفوضى والخوف التي كانت تسود المنطقة قديما، نتيجة الحروب القبلية وما رافقها من أعمال السلب والنهب.

وأوضحت دراسة المنشآت والمرافق العامة مدى استيعاب القصر لهذه النوعية من المنشآت استيعابا يوفق بين متطلبات وحاجيات المجتمع المادية والروحية وبين التقاليد الاجتماعية والعرف السائد، والتمسك بالمبادئ والقيم الإسلامية، فبينت دراسة موضع المسجد ومكوناته انعكاس النشاط الاجتماعي وظروف المنطقة مع هذا الاختيار، كما عكست البساطة المعمارية لعناصر المسجد مدى التمسك بالمبادئ والقيم الدينية.

وتبين من دراسة تخطيط الأزقة أهمية البعد الاجتماعي وما يتصل بذلك من رغبة في تحقيق الخصوصية. وأثرت العوامل البيئية على قياساتها وطرق الوقاية من الأمطار وكيفية التخلص منها.

ولم يغفل المعماري المحلي لحماية نفسه وممتلكاته بأن أقام الأسوار العالية المنيعة وزينها بشرفات ودعمها بأبراج محكمة البناء، ثم زودها بمداخل ضخمة اتبع في تخطيطها نظام المداخل الملتوية التي يكتنفها برجين لحاميتها أحيانا، وتشتمل على مزاغل تكون متسعة من الداخل وضيقة من الخارج. كما أن مخطط أسور القصور أخذ أشكالا مختلفة أملته طبوغرافية الموقع، وأنها ذات مقاسات كبيرة، تحتوي ببعض أقسامها على طريق للمشاة، في حين نجدها أقل سمكا في القصور الحديثة.

ونظرا لما تكتسيه الواحة من أهمية فإنه تم تحصينها بأبراج منعزلة خصصت للمراقبة، انشأت في نقاط محددة في الواحة، وزودت بعناصر معمارية حتى تفي بالغرض الذي بنيت من اجله، كالمزاغل والفتحات الواسعة للمراقبة.

ومن خلال تحليل خصائص العمارة السكنية تبين أنها من المنشآت الأساسية التي حافظت على حرمة الفرد وقيمه الإسلامية، كما روعي في تصميمها الحرية المطلقة لمالكيها دون الإخلال بالقواعد العامة للمجتمع، والمنصوص عليها في أحكام الشريعة

والمتفق عليها من طرف الجماعة التي تسكن القصر، كما تميزت بخصائص معمارية وفنية وجمالية، وحلول إبداعية أصيلة تتناسب مع خصائص البيئة المحلية وتمثل مدرسة معمارية مستمدة من تجارب محلية اكتسبها المعمار الفيلالي مع توالي الأزمنة. وأن تكامل الفراغات وتداخلها من أهم القيم التصميمية والمعمارية التي تميزت بها عمارة القصور، حيث تتأكد هذه الظاهرة في العلاقات الفراغية بين الفضاءات المغلقة والمفتوحة في المبنى.

وتمكنا من التمييز بين ثلاثة أنماط من الدور تختلف من حيث مسقطها الأفقي ومساحتها، استخدم البناء الفيلالي في تشييدها وما يحيط بها من مرافق أخرى على مواد بناء متوفرة في محيطه الطبيعي، كالتراب والحجر، واستخدم خشب النخيل كعوارض لحمل الأسقف أو في صنع الأبواب.

وقد دلت الدراسة على أن البناء الفيلالي يمتلك معارف وخبرات ومهارات يدوية وكفاءات أهلته لبناء مختلف المنشآت المعمارية بالواحة، بدءا باختيار مواقعها وانتهاء بزخرفتها، مرورا بمعالجة مواد البناء واستعمالها بكفاءة عالية. لتحقق هذه العمارة المواءمة وتؤمن منافع وحاجات السكان الحياتية والاجتماعية، وتفي بالمتطلبات الإنسانية وتؤدي وظيفتها في البيئة التي نشأت فيها وبطريقة اقتصادية. فقد استعمل كل ما تتيحه له بيئتة من تراب وحجر وأشجار وشكلها حسب رغبته ووظفها توظيفا محكما في البناء والزخرفة، أما الأساليب والتقنيات التي اعتمد عليها في إنشاء مختلف العناصر المعمارية والإنشائية فهي خاضعة بشكل أساسي لظروف البيئة والإمكانيات التي تتيحها مواد البناء. وتنم العناصر المعمارية المستعملة في المباني الدينية والمدنية والعسكرية من عقود ودعامات وأعمدة وفتحات عن أصالتها وانتمائها إلى الحضارة الإسلامية. فالمعماري المحلي رغم بعده عن المراكز الحضرية فقد جمعته معها علاقة تبادل ويشترك معها في بيئة لها نفس الخصائص وهو ما نتج عنه وحدة في التفكير والإنتاج.

ولم تخل عمارة القصور رغم بساطتها من لمسة زخرفية، فقد استطاع البناء المحلي أن يتعامل مع بيئته ووظف مواردها توظيفا محكما فجاءت متقنة الصنع رائعة

الجمال. وإذا كانت بعض القصور تفتقر إلى العناصر الزخرفية التي بإمكانها أن تضفي عليها مسحة جمالية، فإن بعضها الآخر، وخصوصا القصور المخزنية، تتوفر على زخارف جميلة ومتنوعة.

ويمتاز السجل الزخرفي لهذه العمارة بتنوعه بين أشكال هندسية ونباتية ورمزية وأخرى كتابية زينت واجهات القصور ومساجدها وأضرحتها ووحداتها السكنية، ففيما يتعلق بمضامين الكتابات، ميزنا بين الكتابات ذات الفحوى الديني والكتابات ذات الفحوى التاريخي، ويمتاز النوع الأول بتزايد عدد عبارات الذكر والدعاء، ومن العبارات حظيت بإقبال كبير من قبل نقاشي القصور "**العافية الباقية**"، والتي استخدمت في تزيين مساحات واسعة داخل المعالم.

إن الزخارف التي استخدمت في عمارة القصور تترجم المستوى الثقافي لأهالي القصور، وتعبير عن فكر إسلامي أصيل بما تحمل بين طياتها من رموز تعبر عنها، كما أن هذه الزخارف لم تكن عشوائية في أشكالها وفي أماكن تواجدها، حيث يلاحظ أن بعضها كرر في نفس الأماكن الوظيفية في قصور أخرى.

وانطلاقا من الدراسة العمرانية والمعمارية للقصور الفيلالية ودراسة أوجه الشبه والاختلاف بينها، أمكننا تحديد مجموعة من المعايير أبنى عليها تصنيفنا للقصور إلى ثلاثة أصناف: قصور وقصبات مخزنية، وقصور زوايا، وقصور شعبية، اختلفت من حيث أحجامها ومكوناتها ووظائفها وظروف نشأتها.

فالقصور والقصبات المخزنية: أسسها سلاطين الدولة العلوية، وتركزت غالبيتها بمقاطعة واد يفلي لأهمية هذا المجال فلاحيا ولقربه من موقع سجلماسة، وجاء بناء هذا النوع من القصور في إطار الإستراتيجية الرامية إلى توحيد المغرب وتقوية نفوذه والتصدي لقبائل الرحل التي كانت مصدر إزعاج للمخزن، والعناية بالمنطقة باعتبارها مسقط رأس الدولة الحاكمة، أما القصبات المخزنية، فشيدت في أماكن عالية كالتلال المجاورة لمجاري المياه وفي محيط القصور المخزنية، حتى تقوم بأدوارها المختلفة، فهي بمثابة الخزان البشري لخدمة القصور المخزنية والدرع الواقي لها، لما اشتملت

عليه من معدات ومحاربين. ويعد القرن 16و17 أهم فترات تشييد القصور القصبات لما عرفته المرحلة من تحركات قبلية واسعة النطاق، غيرت إلى حد بعيد الخريطة البشرية لمغرب هذه المرحلة، كما كانت رغبة السلاطين في الحفاظ على ولاء القبائل للسلطة أن أكثروا من بناء هذه القصبات وجعلوا بعضها سكنى لأبنائهم للاستفادة من مزايا المنطقة، ويعد هذا الصنف الأكثر تواجدا بالمنطقة، أما فيما يتعلق بتخطيطها ومكوناتها فجاءت أزقتها ضيقة متعرجة وتحصيناتها أكثر ضخامة واتقانا.

أما على مستوى التخطيط والمكونات العمرانية لهذا الصنف، فتميز بتصميمه شبه الموحد ومتانة وجمالية بنائه، وتوفره على معالم مرتبطة بمزاولة الأنشطة السلطانية كالمشور والسكن الفاسح المتعدد المرافق الذي يشغل جزءا كبيرا من مساحة القصر ويهيكله، أما من حيث التحديد التاريخي لنشأة هذا الصنف فبدأ منذ العهد المريني واستمر إلى فترة حكم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام، وأن فترة حكم المولى إسماعيل هي الفترة التي نشطت فيها الحركة العمرانية لهذا الصنف من القصور بالمنطقة.

أما القصور الزوايا، فتعود نشأتها إلى القرن الخامس الهجري، بعضها كان على شكل زوايا صغيرة شكلت أنوية للقصور الزوايا الحالية، وبعضها رباطا، وقد ارتبطت هذه الزوايا بمجموعة من الوظائف أهمها الجانب الثقافي وما يرتبط بذلك من إقامة للطلبة وتهيئ الطعام والمأوى للضيوف. وكان لاعتراف الدولة بهذه المؤسسة، أن ملأت الفراغ السياسي الذي يخلفه ضعف التمثيل المخزني بالمنطقة.

وبخصوص تكوينها العمراني فقد اشتمل على المرافق الكفيلة بأداء المهمة التي وجدت من اجلها، كقاعة الاستقبال والمكتبة، وغرف إيواء الطلبة وغيرها، وعلى عكس القصور المخزنية، يلاحظ أن منطقة تجمع القصور الزوايا هي مقاطعة السفالات، كما أن أغلب شيوخ هذه الزوايا هم غرباء عن المنطقة من أصل غير فيلالي وفدوا إليها حين وجدوا فيها المكان المناسب جغرافيا وثقافيا وسياسيا لممارسة مهامهم الدينية والدنيوية.

أما القصور القبلية، فبعضها قديم ومنها ما تعود نشأته إلى القرن العشرين، شيدت من طرف قبائل المنطقة إما كبديل لبعض القصور التاريخية التي تراجعت وظيفتها

الأساسية، أو تعرضت للهدم، أو نتيجة تفرق مجموعة من القبائل التي كانت تستوطن قصرا واحدا في مجموعة من القصور بعد تهدم القصر الذي كانوا يجتمعون فيه.

يمتهن غالبية سكان القصور الشعبيةالنشاط الزراعي والحرفي، أما مكوناتها المعمارية فهي بسيطة مقارنة بالقصور المخزنية، وأضعف تحصينا مقارنة مع سابقاتها.

إن العمارة الطينية بمنطقة تافيلالت ماتزال في حاجة لمزيد من الأبحاث، فكل قصر يستحق دراسة مستقلة من الناحية التاريخية والمعمارية، للكشف عن الهوية المعمارية والعناصر الجمالية، والقيم التي تحملها هذه العمارة، وآليات الحماية والحفاظ عليها، وامكانيات دمجها في التنمية المحلية.

ملحـــق الوثائـــق

رقم الوثيقة بالملحق	رقم الوثيقة بسجل الوثائق الملكية	محتوى الوثيقة
1	24008	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر عليه بعض التأثيرات المقتبسة من الخط الزمامي (المسند) حول سير الأعمال بقصر الفيضة تحمل تاريخ 1228هـ.
2	24009	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر عليه بعض التأثيرات المقتبسة من الخط الزمامي، حول سير أعمال البناء بقصر أولاد عبد الحليم خصوصا بناء "الروايات" والمصرية، تحمل تاريخ 1228هـ.
3	21405	رسالة من الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن في شأن بعض النفقات المتعلقة بقصر الفيضة وخطارة جنان الاجهال خلال شهري شعبان ورمضان من عام 1228هـ .
4	19612	رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام إلى الفقيه مولاي عبد الهادي مؤرخة في 16 ذي الحجة عام 1248هـ، تبرز العلاقة التي كانت تجمع بين المخزن وآيت عطا وبعض الأحوال الاقتصادية والعمرانية بالمنطقة
5	18333	رسالة جوابية مؤرخة في 29 ربيع الثاني عام 1261هـ، من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي مكتوبة بالخط المجوهر الجيد، في شأن بعض أوضاع تافيلالت السياسية والاقتصادية.
6	19059	رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد مكتوبة بالخط المجوهر عليه بعض التأثيرات المقتبسة من الخط الزمامي، في شان الزيادة في عرصة قصر أبار. مؤرخة بعام 1262هـ.

7	18626	رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد مكتوبة بالخط المجوهر عليه بعض التأثيرات المقتبسة من الخط الزمامي، في شأن بناء قصر كحايك وتجديد سوره وشراء دور للخدم. الرسالة تحمل تاريخ 19 شوال،1262هـ.
8	19795	رسالة في شأن إصلاح سور ومقبرة قصبة سيدي ملوك، مؤرخة بتاريخ 2 رجب الفرد،1263هـ.
9	20055	رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ولده سيدي محمد مكتوبة بالخط الزمامي، في شأن نفقة جنان بوعمار قرب قصر بني ميمون الشرفاء وإصلاح قنطرة وبناء 271 منزل بالشقارنة وتقويم ماوراء عرصة قصر ابار لفائدة مسجدي حمو داود ومنوكة، تحمل تاريخ 28 جمادى الثانية،1263هـ.
10	19627	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر الدقيق، حول انهيار القصور. تحمل تاريخ 1302هـ.
11	28290	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر الجلي، يطلب من خلالها مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك مساعدة من السلطان لبناء ما تهدم من سور بلدته وداره، مؤرخة ب سنة1303هـ.
12	بدون رقم	رسالة مكتوبة بالخط الزمامي، حول ترميم وإصلاح القصور التي هدمها الوادي وصائر ذلك، مؤرخة بتاريخ 1305هـ.
13	29241	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر الجيد، حول مصاريف وسير أعمال بناء قصبة تغمرت، مؤرخة بعام 1307هـ.
14	19500	رسالة مكتوبة بالخط المجوهر الدقيق، من أشياخ زوايا تافيلالت، بخصوص زيارتهم لملاقاة السلطان، الرسالة مؤرخة بتاريخ 1311هـ.
15	18440	رسالة من علي الراشدي الخليفة السلطاني تحمل تاريخ 4 شوال عام 1311هـ، تتضمن طلب رسال من يقف على سير أعمال البناء بتافيلالت

16	18472	رسالة مؤرخة بتاريخ 5 شوال الأبرك بتاريخ 1311هـ، وهي نسخة من كتاب وجه للسلطان مولاي الحسن الأول من خليفته في موضوع دفعه لمبلغ مالي قدر بألف ريال كبير للأمين الحاج عبد السلام المقري الذي سيوجهه بدوره للأمين الشراط بقصد بناء قصر تيغمرت
17	18698	رسالة مكتوبة بالخط الزمامي، حول صائر بناء قصبة تغمرت، تحمل تاريخ 1311هـ.
18	23266	رسالة مكتوبة بالخط المسند الثخين، حول الصراع الذي دار بين الفرق(الأضداد) المكونة لقصر اخنوس خصوصا أولاد سيدي بلغيت وأولاد سيدي محرز وأولاد سيدي أحمد وأولاد سيدي علي حيث تحالف الكل على أولاد سيدي بلغيت، تحمل تاريخ 1309هـ.
19	17470	رسالة مكتوبة بالخط الزمامي، حول أهم المرافق التي يتوفر عليها قصر تغمرت، وما وصلت إليه أشغال البناء به، تحمل تاريخ 1315هـ
20	بدون رقم	رسالة مكتوب بالخط الزمامي، حول اختطاط سوق ابوعام
21	19114	رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد في شأن ترحيل بعض البلاغمة بفاس إلى تافيلالت لخدمة الأصول وعمارة القصور، تحمل تاريخ 1263هـ.
22	19912	حول سير أعمال البناء بقصر أولاد عبد الحليم



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

رسالة تحمل تاريخ 8 شوال عام 1228هـ، من الوصيف مسعود الشباني إلى الأمير سيدي محمد حول سير أعمال البناء بقصر الفيضة وتقويم حاجيات بناء بعض المرافق به.

الوثيقة رقم: 1

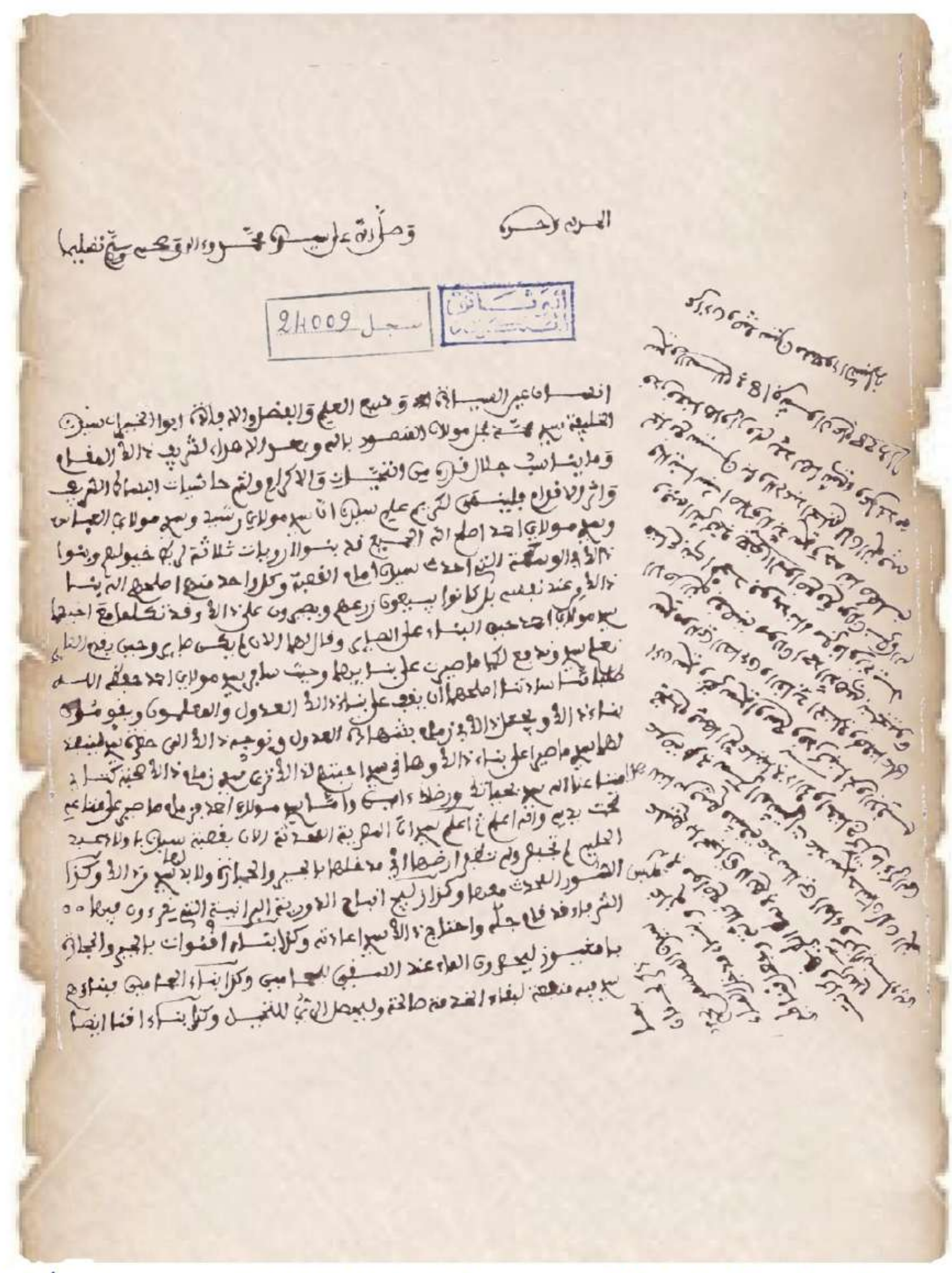
تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

إنسان عين السيادة ومنبع العلم والفضل والإفادة سيدنا الخليفة سيدي محمد نجل مولانا أدام الله وجوده وعزه، وبعد الإهداء الشريف في ذلك المقام وما يناسب جلال قدره من التحيات والإكرام. فلينهي لكريم علم سيدنا أنه قد وصلنا كتاب سيدنا لنجل سيدنا مولانا رشيد أصلحه الله على تقويم بناء المواضع الذين كتب عليهم وصيف سيدنا القائد أحمد الفيضي، ثم اعلم سيدي أن السقالة هي كالتي عندنا بأولاد عبد الحليم وبأبار وبالرصاني وغير ذلك من قصور سيدنا، وفائدة الصقالة الدوران على العسة وهي حاصلة بهذه. أما السور فهو مملس وليس فيه إلا شيء تافه سقط تمليسه وذلك صانع فنهار فقط، فلا يحتاج إلى تقويم، وأما دار أحمد الفيضي فقد قومت موضعا موضعا بالعدول كما أمرت سيدي، وكذا أيضا قومت كشينتها اللصقة بها وقدر ما وجب لكل موضع مبين في الزمام الموجه لحضرة سيدنا. إلا أن وصيف سيدي أحمد المذكور أخبر على لسان سيدي أنك قلت له اجعلها في البناء كدار وصيف سيدنا محمد الصريم رحمه الله من زليج وجبص وغير ذلك، وها نحن قومناها على تلك الحالة وخارج عن تقويمها دفوفها وليس فيها الآن إلا دفتها البرانية، وكذا قوم قواديس البروج والمصرية والمسجد وتمليس سطح المسجد بل إعادة تمليسه وقرمود فم المسجد وتجبيصه وكذا قوم أيضا بناء ظفر أرض المصرية وما بين بروجها وغير ذلك بالجير والحجارة وكذا قوم أيضا بناء المشور[855] الدخلاني بحضرة سيدي مولانا سليمان بجعل الأنباح بالتقاوس على الأوجه الأربعة وتجصيص أرضه وظفر المدخل الذي بينه وبين باب الدار بالجير والحجارة وقد جعل سقفه بخشب النخيل وأن ليس جعله من الكايزة فهي أولى وكذا قوم أيضا إتمام بناء الاروى وتسقيفهم، ثم اعلم سيدي أن باب الدار السعيدة مقابل لكل من دخل قصبة سيدي والمسجد. ولابد سيدي من جعل ذلك سترة على باب الدار وعقد باب آخر كما فعل بدار سيدي بالقصبة الحلومية، وفي ذلك ستر لباب الدار ومنفعة لسادتنا أصلحهم الله وتوسعة لهم وها نحن قومناها على حدتها تراها سيدي في الزمام ونظر سيدي أوسع. وإن جعلت هذه السترة فيكون خارجها عن تربيعها مقدار ما جعل

[855] - يطلق هذا الاسم على الساحة الكبرى التي بباب القصر السلطاني، وتسميتها من المشاورة، إذ في هذه الساحة تتم جميع المراسيم التي لا يتسع لها داخل القصر ولكنها على الخصوص، ساحة انتظار الأفراد والجماعات من الوفود المهنئة أو المنتظمة التي تطلب مقابلة السلطان فيشاور عنها علما بان هذه المشاورة أو الرد على النازل في ساحة "المشور" قد تقصر مدتها وقد تطول. راجع: مصطفى الشابي، النخبة المخزنية في مغرب القرن التاسع عشر، الرباط، 1995، ص41.

رويان إن ظهر لسيدي أن يجعل في ذلك بناء كدار وصيف سيدنا محمود الصريم، التي بنيت في وسط الوسعة بقصبة سيدنا بأولاد عبد الحليم. وكذا بناء قبة بنبحها كالتي في الوسعة في القصبة الحلومية للملاقة مع الشرفاء أصلحهم الله وغير ذلك، وإن ظهر لسيدي أن تبقى براحا فنظر سيدي أوسع، وترى سيدي تقويم ما احتاجت خطارة سيدنا الجديدة التي بنا ذالك موضعا موضعا كما هو مبين في الزمام وعلى خدمة سيدي والسلام في 8 شوال عام 1228هـ. عن إذن وصيف سيدنا مسعود الشباني وفقه الله.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

رسالة مؤرخة في 18 شوال عام 1228هـ، من مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد في شأن البناء الذي أقامه أبناء السلطان بقصر أولاد عبد الحليم والترميمات المزمع إنجازها به

الوثيقة رقم: 2

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

إنسان عين السيادة ومنبع العلم والفضل والإفادة أبو الخيرات سيدنا الخليفة سيدي محمد نجل مولاي المنصور بالله، وبعد الإهداء لشريف ذلك المقام وما يناسب جلال قدره من التحيات والإكرام ولثم حاشيات البساط الشريف وأثر الإقدام. فلينهي لكريم علم سيدنا أن سيدي مولاي رشيد وسيدي مولاي العباس وسيدي مولاي أحمد أصلح الله الجميع قد بنوا روايات ثلاثة لربط خيولهم وبنوا ذلك في الوسعة التي أحدث سيدنا أمام القصبة، وكل واحد منهم أصلحهم الله بنا ذلك من عند نفسه، بل كانوا يبيعون زرعهم ويصيرون على ذلك. وقد تكلما مع أخيهما سيدي مولاي أحمد حين البناء على الصاير وقال لهما: الآن لم يكن صاير وحين يقدم الصاير نعلم سيدي وندفع لكم ما صيرت على بنيانها. وحيث سافر سيدي مولاي أحمد حفظه الله طلب من ساداتنا أصلحهما أن يقف على ذلك العدول والمعلمون ويقومون بناء ذلك ويجعل ذلك في زمام بشهادة العدول ونوجه ذلك إلى حضرة سيدنا لينفذ لهما سيدي ما صيرا على بناء ذلك، وهاني سيدي أجبتهم لذلك ترى سيدي زمام ذلك صحبة كتابي هذا. متعنا الله بحياتك ورضاك أمين، وأما سيدي مولاي أحمد فزمام ما صير على متاعه تحت يدي وأنه اعلم، ثم اعلم سيدي أن المصرية المحدثة الآن بقصبة سيدي بأولاد عبد الحليم لم تجبص ولم تظفر أرضها في مدخلها بالجير والحجارة ولابد لها سيدي من ذلك، وكذلك تمليس المشور المحدث معها وكذا زليج أنباح الدويرية البرانية التي يقرؤون فيها الشرفاء قد قام جله واحتاج ذلك سيدي إعادته، وكذا بناء قنوات بالجير والحجارة بامغيوز ليحصرون الماء عند السقي للجمامين[856]، وكذا بناء الجمامين فبناؤهم سيدي فيه منفعة لبقاء الخدمة صالحة وليحصل الري للنخيل، وكذا بناء قنا[857] أيضا بما ذكر لجنان سيدنا المسمى "بحم غانم" وبناء مدخل الماء له في مواضيع ثلاثة، وجعل قناطير عليهم بالحجارة لأنهم في وسط الطريق وكانت للناس فيهم مشقة عند سلاين[858] الماء، وكذا بناء عرصة في سكر المشترات عند سيدي حسان لأن الذي يخدم فيها ألح علينا في ذلك واحتاج كل ما ذكر إذن سيدي، ونظر سيدي أوسع. وقد ركبنا نحن والفقيه سيدي

---

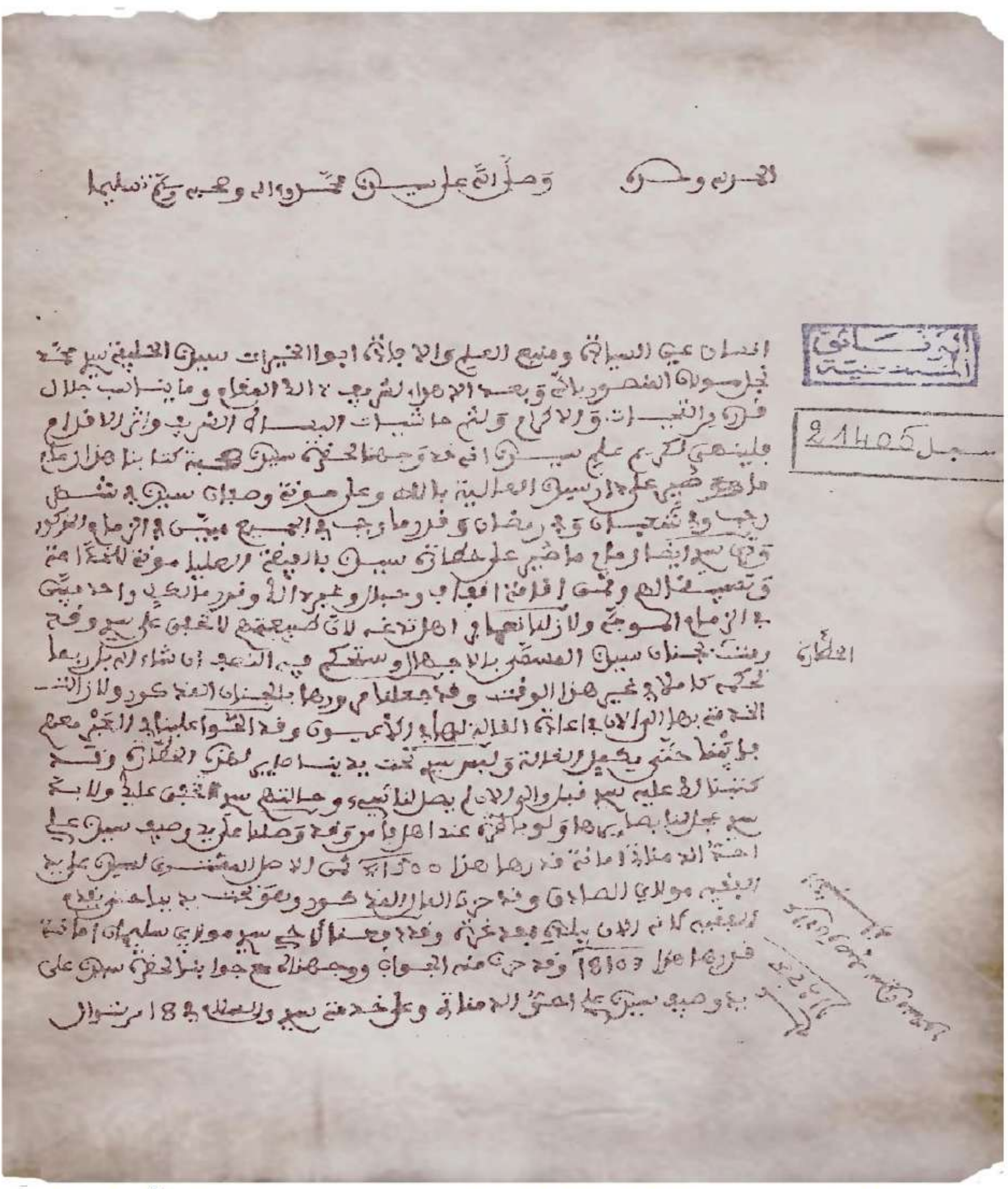
[856] - اصطلاح محلي يفيد الفدان أو الحقل.

[857] - سد ترابي أو من الحجر يقام على السواقي لتجميع الماء وري الحقول.

[858] - الأصح سيلان أي تسرب.

مولاي الصادق والقائد الحنافي وطفنا على الأصل الذي بقصبة مولاي أحمد الذهبي بتنيجيوت متاع بني امحمد. فوجدناه مفرقا ورذيل وفيه الشركة في بعض المواضع مع مولانا نصره الله ولا يناسب أصلا، ولابد سيدي وجه لنا صطلة[859] لجامع سيدنا بأولاد عبد الحليم لأن التي فيه قد رقعناها مرارا ولم يعد لها شيء، وعلى خدمة سيدي والسلام في 18من شوال عام 1228هـ. عن إذن وصيف سيدنا مسعود الشباني.

[859] - إناء حديدي كبير يستعمل لتسخين ماء الوضوء بالمساجد.



رسالة من الوصيف مسعود الشباني إلى الخليفة السلطاني سيدي محمد بن عبد الرحمن في شأن بعض النفقات المتعلقة بقصر الفيضة وخطارة جنان الاجهال خلال شهري شعبان ورمضان من عام 1228هـ.

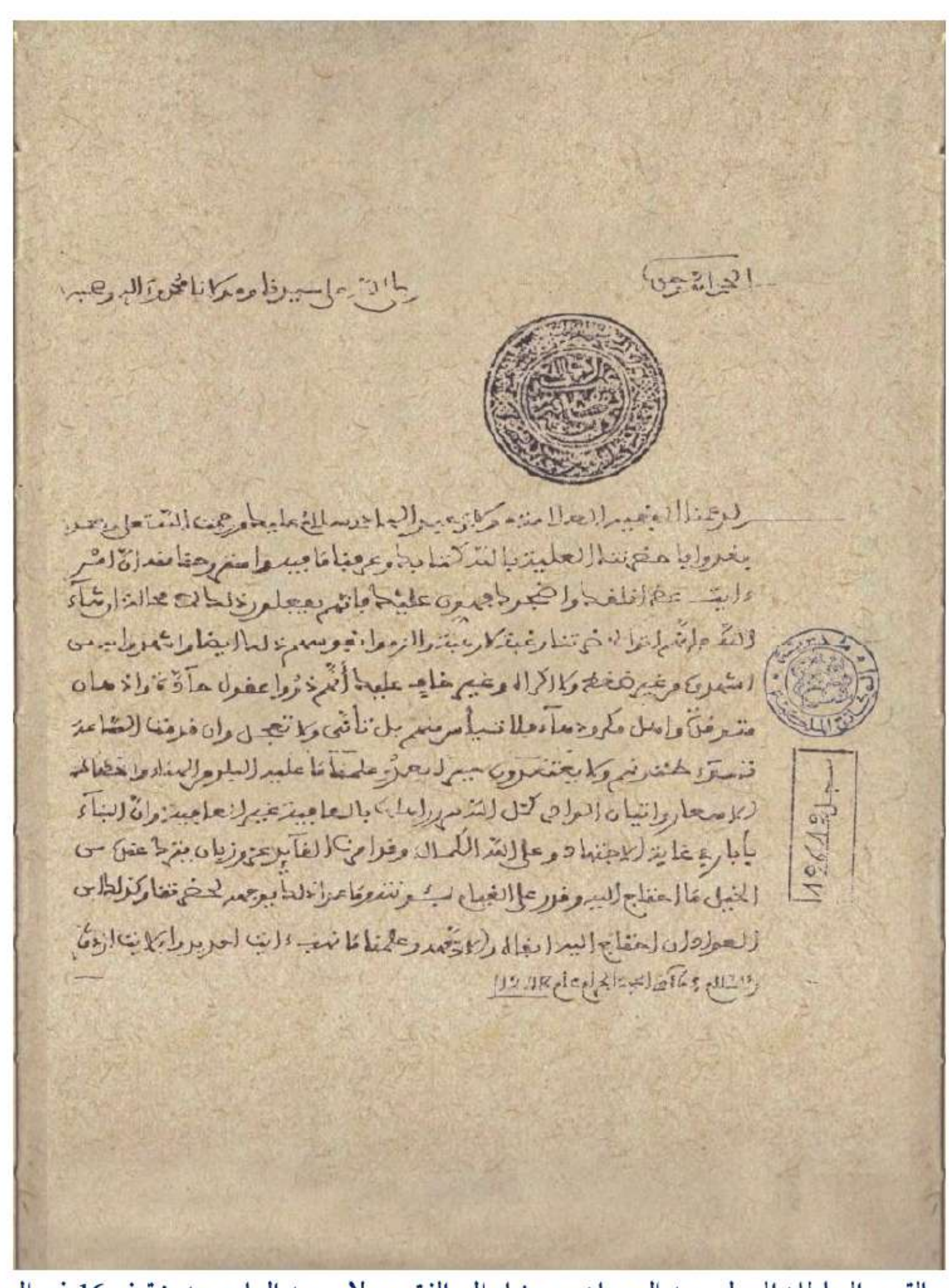
الوثيقة رقم: 3

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما

إنسان عين السيادة ومنبع العلم والإفادة أبو الخيرات سيدنا الخليفة سيدي محمد نجل مولانا المنصور بالله وبعد الإهداء الشريف ذلك المقام وما يناسب جلال قدره من التحيات والإكرام ولثم حاشيات البساط الشريف وأثر الإقدام. فلينهي لكريم علم سيدنا أنه قد وجهنا لحضرة سيدنا صحبة كاتبنا هذا زمام ما صير على دار سيدنا العالية بالله[860]، وعلى مونة وصفان سيدنا في شهر رجب وشعبان وفي رمضان، وقدر ما وجب في الجميع مبين في الزمام المذكور. وترى سيدي أيضا زمام ما صير على خطارة سيدنا بالفيضة العليا مونة للخدامة وتسبيقا لهم وثمن إقامة اقفاف وحبال وغير ذلك، وقدر ما لكل واحد مبين في الزمام الموجه. ولا زلنا (كلمة غير مقروءة) أهل تدغة لان طبيعتهم لا تخفى على سدي وقد رمت بجنان سيدنا المسمى بالاجهال وستحكم فيه النصف إن شاء الله بل ربما تحكمه كاملا في غير هذا الوقت. وقد جعلنا مرورها بالجنان المذكور ولازلت الخدمة بها إلى الآن في عادة القالة لها في الاعيون وقد الحوا علينا في العبر معهم فأبينا حتى يكمل القالة وليس سيدي تحت يدنا صاير لهذه الخطارة، وقد كتبنا لك عليه سيدي قبل، والى الآن لم يصل شيء، وحالتهم سيدي تخفى عليك ولابد سيدي عجل لنا بصايرها ولو بإطرة عند أهل فاس، وقد وصلنا على يدي وصيف سيدنا علي أحمد الدمناتي أمانة قدرها هذا **41500** ثمن الأصل المشترى لسيدنا على يد الفقيه مولاي الصادق وقد خزن المال المذكور وهو تحت يدنا حتى يقدم الفقيه لأنه الآن ببلده بمدغره، وقد دفعنا لأخي سيدي مولاي سليمان أمانة قدرها هذا **18103** وقد حزنا منه الجواب ووجهناه مع جوابنا لحضرة سيدنا على يد وصيف سيدنا أحمد الدمناتي. وعلى خدمة سيدي والسلام في **18** من شوال عام **1228**هـ. عن إذن وصيف سيدنا مسعود الشباني.

[860] - يقصد هنا قصر ابار وهو من القصور المخزنية بمنطقة تافيلالت، يقع على الضفة اليسرى لوادي زيز بمقاطعة واد يفلي، يحده شمالا ضريح مولاي علي الشريف وقصر حمو داود، وجنوبا قصر منوكة، شيد هذا القصر من طرف السلطان مولاي عبد الرحمان لأولاده المولى عبد الله وللارقية والمولى الحسين. راجع: ابن زيدان، أتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج5، م س، ص.562.



رسالة من السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام إلى الفقيه مولاي عبد الهادي مؤرخة في 16 ذي الحجة عام 1248هـ، تبرز العلاقة[861] التي كانت تجمع بين المخزن وآيت عطا وبعض الأحوال الاقتصادية والعمرانية بالمنطقة.

الوثيقة رقم: 4

[861] - كانت العلاقة التي تجمع بين المخزن وايت عطا متميزة، إذ قدموا عند السلطان بمدينة فاس فاستحسن وفادتهم وأقرهم على عملهم وتوجيهاتهم داخل قبائلهم، الأمر الذي جعل السلطان يوجه خليفته ألا يسيء بهم الظن، مخاطبا إياه"... فلا تيأس منهم بل تأنى ولا تعجل وإن قدمت الساعة تسوء ظنونهم ولا يعتقدون خيرا بعد".

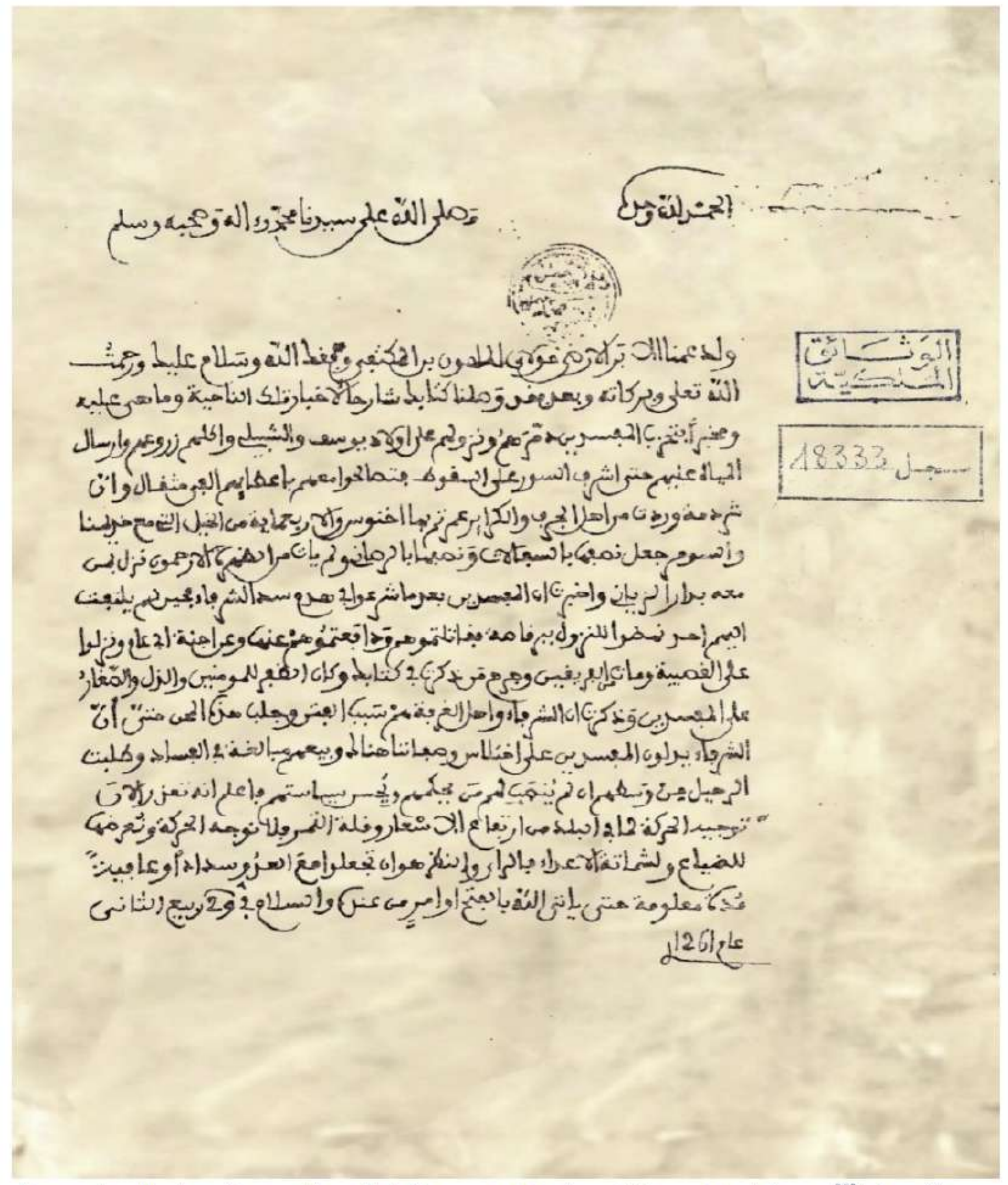
تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع الكبير وبداخله عبد الرحمان بن هشام الله وليه

ولدعمنا الفقيه العلامة مولاي عبد الهادي سلام عليك ورحمت الله تعالى وبعد، فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وعرفنا ما فيه واستروحنا منه أن أمر آيت عطا[862] أقلقك وأضجرك، فهون عليك فإنهم يفعلون ذلك لا محالة إنشاء الله، فإنهم أتوا لحضرتنا رغبة لا رهبة وألزموا أنفسهم ذلك أيضا واشهدوا به من أشهدوه من غير ضغط ولا إكراه، وغير خاف عليك أنهم ذووا عقول حادة وأذهان متوقدة وأهل مكر ودهاء، فلا تيأس منهم بل تأنى ولا تعجل وإن قدمت الساعة تسوء ظنونهم ولا يعتقدون خيرا بعد، وعلمنا ما عليه البلد من الهناء وانحطاط الأسعار وإتيان الوادي كمل الله سرور أهلها بالعافية غير العافية، وأن البناء بأبار في غاية الاجتهاد وعلى الله الكمالة، وقد أمرنا القائد عزوز بأن يترك عنده من الخيل ما احتاج إليه وقدر على القيام بمؤونته، وماعدا ذلك يوجهه لحضرتنا، وكذلك ابن العواد إن احتاج إليه أبقاه وإلا وجهه وعلمن ما نهب آيت حديدوا لآيت ازدك والسلام في 12 ذي الحجة الحرام عام 1248هـ .

[862] - من قبائل البربر الصنهاجيين الصحراويين يسكنون الجنوب المغربي بالأطلس الصغير فما دونه، وكانت قبائل آيت عطا تكون الأغلبية الطلقة للثائرين في هذه المنطقة (تافيلالت-صاغرو) وقد ظلوا يسيطرون على المناطق الممتدة بين (دادس، تدغة، غريس، الدورة جنوب تافيلالت إلى شرق وادي درعة).
- القادري، التقاط الدرر، ج2، ص.212 هامش1.



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الوثائق الملكية

سجل 18333

ولد عمنا الأبر الأرضى مولاي المامون بن المكتفي حفظك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

عام 1261

رسالة جوابية[863] مؤرخة في 29 ربيع الثاني عام 1261هـ، من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ولد عمه المولى المأمون بن المكتفي، في شأن بعض أوضاع تافيلالت السياسية والاقتصادية.

الوثيقة رقم: 5

[863] - رسالة جوابية على تلك التي بعث بها مولاي المأمون إلى السلطان بتاريخ 24 ربيع النبوي 1261هـ، تشرح ما كان يقوم به آيت عطا من تهديد لقصور تافيلالت ومزارعهم خصوصا قصور أولاد يوسف والشبيلي وكحايك وهارون وتخريبهم للفيضا العليا، وعلى الابتزاز الذي كانوا يمارسونه على ساكنة بعض القصور وأن كل ذلك كان يتم بدعم من الشرفاء وأهل الغرفة. مديرية الوثائق الملكية، الرباط، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 23035.

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الطابع الصغير وبداخله عبد الرحمان بن هشام وليه الله

ولد عمنا توب ها أرضى مولاي المامون بن المكتفي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فقد وصلنا كتابك شارحا لأخبار تلك الناحية وما هي عليه ومخبرا بتخريب المفسدين دمرهم ونزولهم على أولاد يوسف[864]، والشبيلي، وأكلهم زروعهم وإرسال المياه عليهم حتى أشرف السور على السقوط فتصالحوا معهم بإعطائهم ألفي مثقال، وإن شردمة وردت من أهل الجرف[865]، والكراير[866]، عمرتم بها اخنوس[867]. والأربعمائة من الخيل التي مع خديمنا والسومر جعل نصفها بالسفالات[868] ونصفها بالرصاني ولم يأتي من الزمرة إلا رحمون فنزل بمن معه بدار الزياني. وأخبرنا أن المفسدين بعدما شرعوا في هدم سد الشرفاء فحين لم يلتفت إليهم أحد نهضوا للنزول ببرقاصة[869] فقاتلتموهم ودافعتموهم عنها وعن أجنة أبي عام[870]، ونزلوا على القصيبة ومات من الفريقين وجرح من ذكر في كتابك، وكان الظفر للمؤمنين والذل والصغار على المفسدين. وذكرت أن الشرفاء وأهل الغرفة[871] هم سبب الفتن وجلب هذه المحن حتى أن الشرفاء يدلون المفسدين على اختلاس وصفاننا هناك وبيعهم مبالغة في الفساد، وطلبت الرحيل من وسطهم إن لم ينصب لهم من

---

864 - من القصور القصبات بمنطقة تافيلالت، يقع بمشيخة تانيجيوت على بعد ثلاث كلمترات شرق الريصاني.

865 - إحدى واحات تافيلالت تبعد عن مدينة ارفود بحوالي 19 كلم، تحدها من الشمال جماعة "مدغرة" و"الخنك"ومن جهة الجنوب جماعة "سجلماسة" وشرقا جماعتي "عرب الصباح زيز" و"السيفا" وغربا جماعة "املعب". وتنقسم الواحة إداريا إلى جماعة حضرية بالجرف المركز، وجماعتين قرويتين: جماعة "عرب الصباح اغريس"(حنابو) شرقا وجماعة "فزنا" غربا.

866 - قصر ينتمي لجماعة عرب الصباح اغريس، يبعد بحوالي 10 كلم غربا عن مدينة أرفود.

867 - من قصور مقاطعة واديفلي، يقع غرب ضريح مولاي علي الشريف على بعد 150 متر. سمي بهذا الاسم نسبة لمملوك المولى علي الشريف والمسمى خنوس بالامازيغية، ومعناه الغلام أو الخادم. ينظر: أحمد بن عبد العزيز العلوي المدغري، الأنوار السنية، م س، ص59.

868 - تقع في الركن الجنوبي الغربي لواحة تافيلالت، وتتميز بشساعة مساحتها وكثافة سكانها الموزعين على 42 قصرا، يسكنها الأحرار والمرابطين.

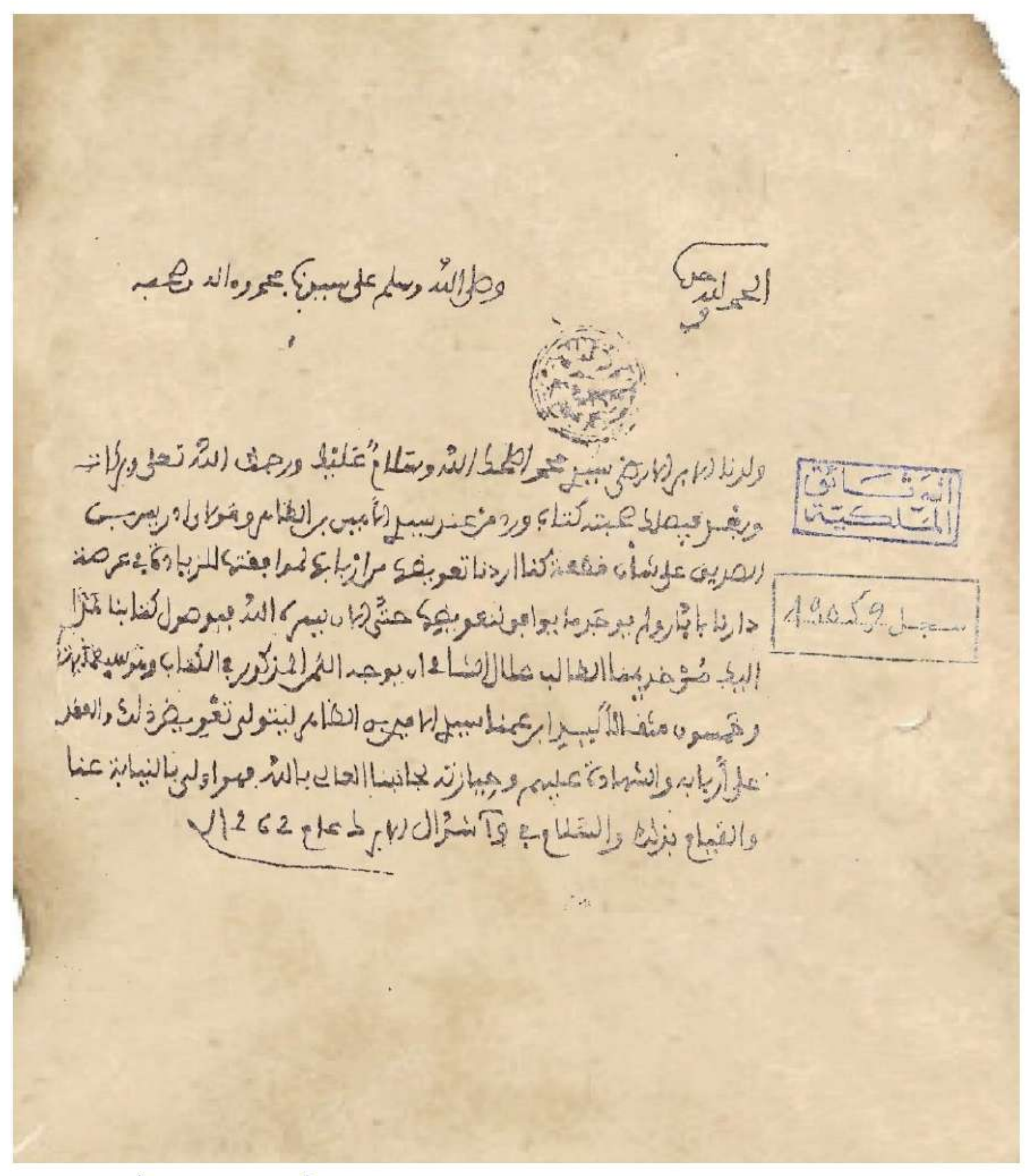
869 - من القصبات الإسماعيلية الواقعة بمقاطعة واد يفلي، تعرضت للتخريب. أنظر: المنزع اللطيف، م س، ص.337

870- من قصور منطقة تافيلالت بناه مولاي علي الشريف الملقب بأبي المغازي عند رجوعه من جهاده بالأندلس وعودته من القيام بمناسك الحج، بعد أن اشترى أصولا من عند بني مدراس، فسكن فيه عاما واحدا فلقب بأبي عام، وقد شهد هذا القصر رواجا تجاريا كبيرا فيما بعد، حتى عد أهم مركز تجاري في إقليم سجلماسة، راجع: حافظي، سجلماسة وإقليمها، م س، ص128.

871 - اسم مشيخة تقع في الجنوب الشرقي لواحة تافيلالت تضم العديد من القصور التاريخية كقصر الجديد.

يحكمهم ويحسن سياستهم. فأعلم أنه تعذر الآن توجيه الحركة[872] لما في البلد من ارتفاع الأسعار وقلة التمر فلا نوجه الحركة ونعرضها للضياع ولشماتة الأعداء، فالرأي والنظر هو أن تجعلوا مع العدو سدادا وعافية مدة معلومة حتى يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده والسلام. في 29 ربيع الثاني عام 1261هـ.

[872]- يقصد بالحركة تنقل جهاز الدولة وعلى رأسه الملك داخل البلاد، حول تعريف الحركة ينظر: احمد علمي، حركات السلطان الحسن الأول، م س، ص10-35.



الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ولدنا الأبر الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فيصلك طيه كتاب ورد من عند سيدي الأمين بن القائم [illegible]

[illegible] على شأن قطعة كنا أردنا تعويضها من أربابها [illegible] للزيادة في عرصة

دارنا [illegible] حتى [illegible] الله وبوصول كتابنا هذا

[illegible] الثمن المذكور [illegible]

[illegible] القائم [illegible]

على أربابه والشهادة عليهم [illegible] بالله [illegible] بالنيابة عنا

والقيام بذلك والسلام في 9 شوال الأبرك عام 1262

رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد مؤرخة في 9 شوال الأبرك عام 1262هـ، يأمره بشراء قطعة أرضية من ملاكها لزيادتها إلى قصر ابار.

الوثيقة رقم: 6

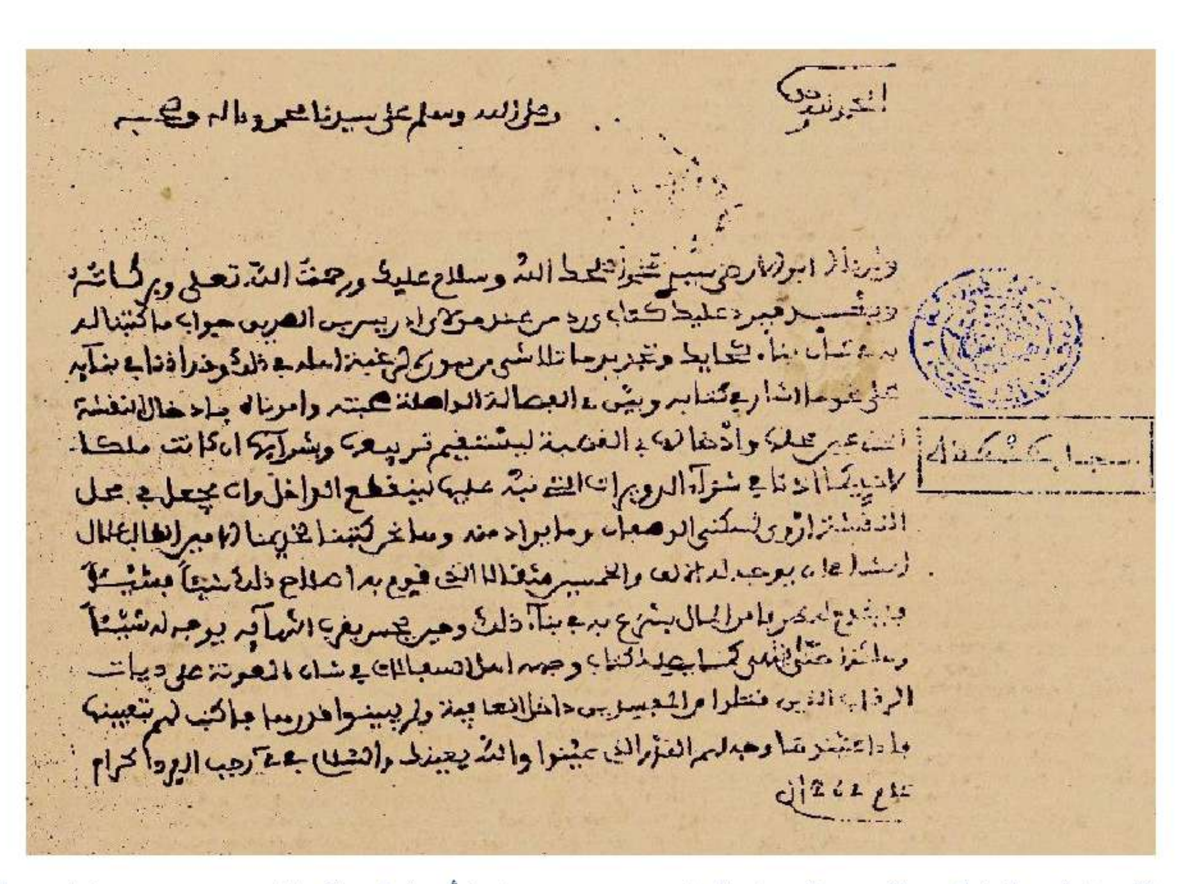
تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه

الطابع الصغير وبداخله عبد الرحمان بن هشام وليه الله

ولدنا توب ها أرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، فيصلك صحبته كتاب ورد من عند سيدي الأمين بن الطاهر ومولاي إدريس بن الصديق على شأن قطعة كنا أردنا تعويضها من أربابها لموافقتها للزيادة في عرصة[873] دارنا بأبار، ولم يوجد ما يوافق لتعويضها حتى الآن يسره الله، فبوصول كتابنا هذا إليك، مر خديمنا الطالب علال الشامي أن يوجه الثمن المذكور في الكتاب وهو سبعمائة وخمسون مثقالا ليد ابن عمنا سيدي الأمين بن الطاهر، ليتولى تعويض ذلك والعقد على أربابه والشهادة عليهم وحيازته لجانبنا العالي بالله[874]، فهو أولى بالنيابة عنا والقيام بذلك والسلام في 19 شوال الأبرك عام 1262هـ.

[873] - يقصد بها أحد أمرين، ساحة الدار، أوالبقعة الواسعة بين الدور لأبناء فيها، ودلالتها في الوثيقة بالمعنى الثاني.
[874] - بالإضافة لهذه الزيادة، تشير وثيقة مؤرخة في 28 جمادى الثانية 1263هـ، إلى دعوة السلطان مولاي عبد الرحمان ابنه لتقويم ما وراء عرصة ابار لفائدة مسجدي حمو داود ومنوكة، فكان مقدار التقويم 190مثقال، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 20055/ وثيقة رقم 9 بالملحق.



وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

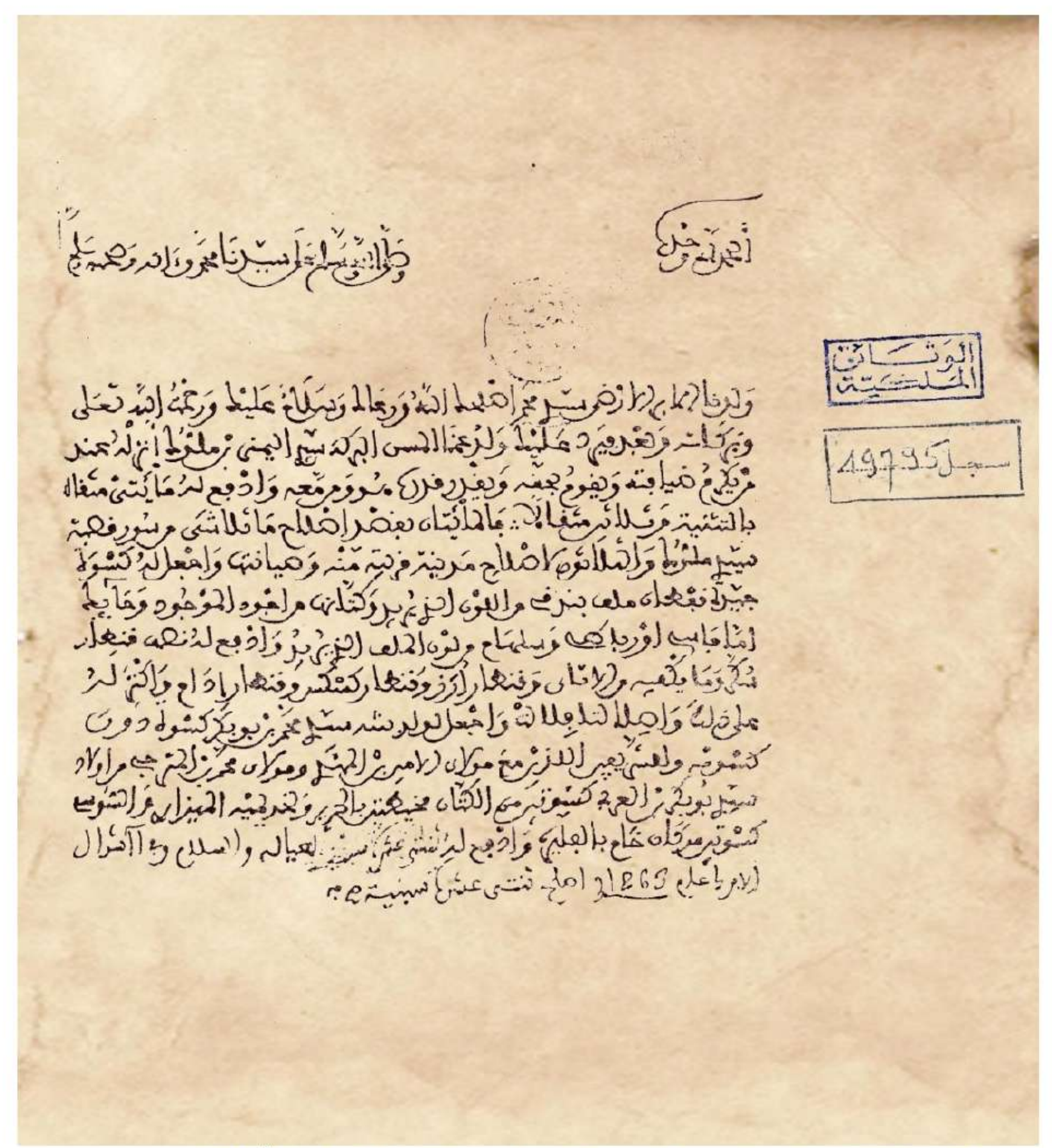
رسالة جوابية من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد، في شأن بناء قصر كحايك وتجديد سوره وشراء دور للخدم

الوثيقة رقم:7

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

ولدنا الابر الارضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فيرد عليك كتاب ورد من عند مولاي إدريس بن الصديق جواب ما كتبنا له به في شأن بناء كحايك وتجديد ما تلاشى من سوره لرغبة أهله في ذلك وقد أذنا في بنائه على نحو ما أشار في كتابه وبين في الفصالة الواصلة صحبته، وأمرنا بإدخال النقشة التي غير محلها وإدخالها في القصبة ليستقيم تربيعها وبشرائها إن كانت ملكا لأحد كما أذنا في شراء الدويرات التي نبه عليها لينقطع الداخل وأن يجعل في محل النقشة اروى لسكنى الوصفان وما يراد منه وها نحن كتبنا لخديمنا الأمين الطالب علال الشامي أن يوجد له الألف والخمسين مثقالا الذي قوم بها إصلاح ذلك شيا فشيا فليدفع له طرفا من المال يشرع به في بناء ذلك وحين يحس بقرب النهاية يوجد له شيئا، وهكذا حتى ينتهي، كما يصلك كتاب وجهه آهل السفالات بخصوص المعونة على ديات الرقاب الذين قتلوا من المفسدين داخل العافية ولم يبينوا قدرها فاكتب لهم بتعيينها، فإذا عينوها وجد لهم القدر الذي عينوا والله يعينك والسلام. في 2 رجب الفرد الحرام عام 1262هـ.



رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام، مؤرخة بتاريخ 2 رجب الفرد 1263هـ، تحمل أمرا إلى ابنه سيدي محمد بصرف مبلغ مالي[875] للبركة سيدي اليمني بن ملوك، لإنجاز بعض الترميمات بقصبة سيدي ملوك.

الوثيقة رقم: 8

875 - قدر هذا المبلغ مأتين وثلاثون مثقالا.

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الطابع الصغير وبداخله عبد الرحمان بن هشام وليه الله

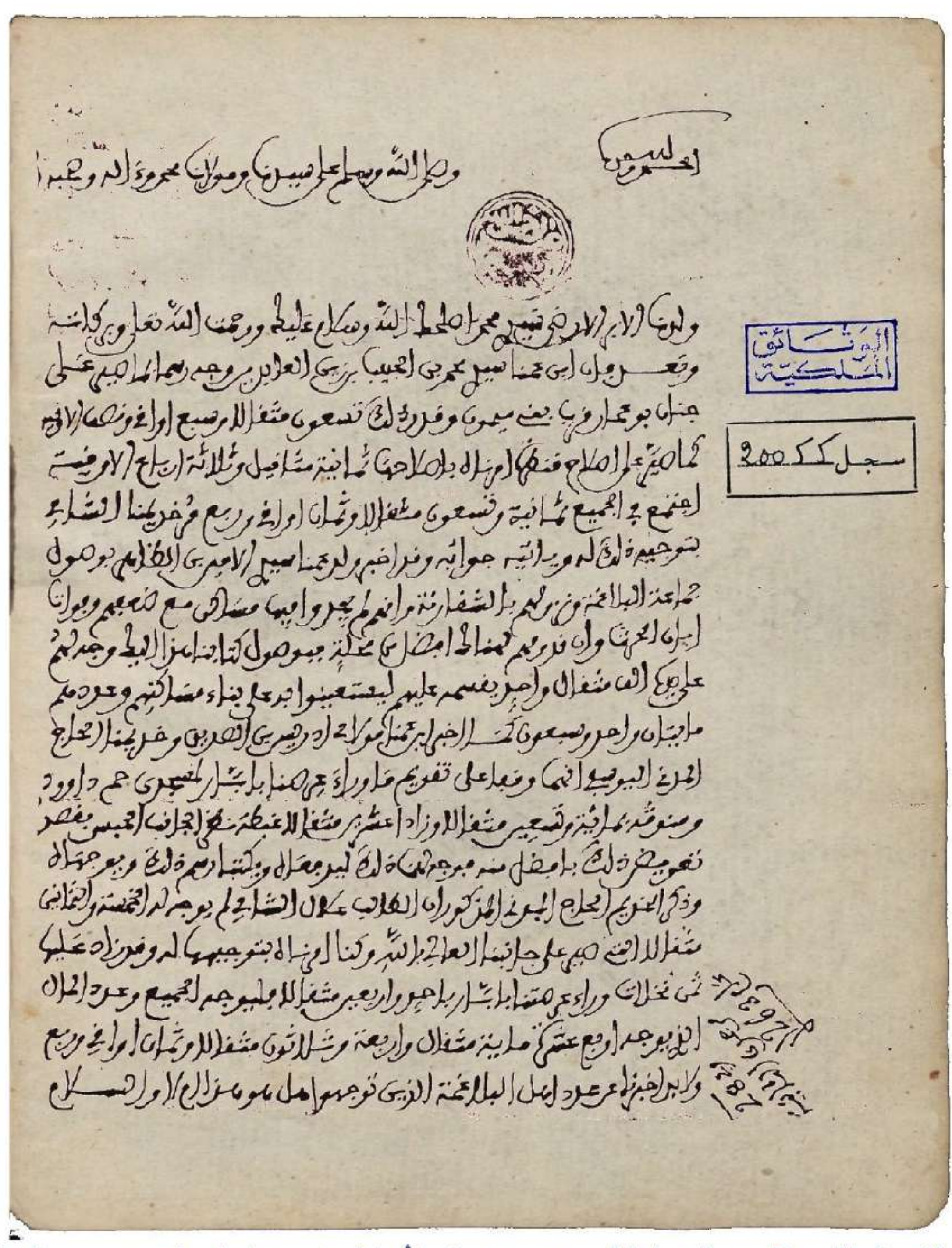
ولدنا توب ها أرضى سيدي محمد أصلحك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد فيرد عليك ولد عمنا المسمى البركة سيدي اليمني بن ملوك أنزله عند من يكرم ضيافته ويقوم بحقه ويقدر قدره هو ومن معه، وادفع له مائتا مثقال بالتثنية وثلاثين مثقالا، فالمائتان بقصد إصلاح ما تلاشى من قصبة سيدي ملوك[876] والثلاثون لإصلاح مدينة[877] قريتة منه وصيانتها واجعل له كسوة جيدة قفطان ملف بندقي من اللون الذي يريد وكتانها من أجود الموجود، وحايك إما فاسي أو رباطي وسلهام من لون الملف الذي يريد وادفع له نصف قنطار من السكر وما يكفيه من الأتاي وقنطار أرز وقنطار كسكس وقنطار إدام، واكتر له على ذلك واصلا لتافيلالت[878] واجعل لولد سيدي محمد بن بوبكر كسوة دون كسوته وللشريفين اللذين مع مولاي الأمين بن المهدي ومولاي محمد بن المترجي من أولاد سيدي بوبكر بن العربي كسوتين من الكتان مخيطن بالحرير، ولخديميه الميزاري والسوسي كسوتين مركان خام بالفلير(كذا) وادفع له ستة عشر سبنية[879] لعياله والسلام. في 11 شوال الأبرك عام 1263هـ. أصلح اثنتى عشرة سبنية.

[876] - من القصور القصبات بمنطقة تافيلالت، تقع على بعد كلمتر ونصف شرق موقع سجلماسة.

[877] - يقصد بها المقبرة.

[878] - كانت لهه القصبة وسكانها مكانة كبيرة لدى السلطان عبد الرحمان بن هشام حيث سبق لهم أن تقدموا بطلب النظر إليهم فأجابهم بما يلي " أبناء عمنا الشرفاء أهل قصبة سيدي ملوك...فكيف لا ننظر إليكم وأنتم دمنا ولحمنا ومنا وإلينا"، ينظر: الرسالة المؤرخة بتاريخ 16 ربيع الأول عام 1262هـ، مديرية الوثائق الملكية، الرباط، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 18416.

[879] - الغطاء الذي تضعه المرأة على رأسها.



الحمد لله وحده — وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان لولده سيدي محمد، في شأن نفقة جنان بوعمار قرب قصر بني ميمون الشرفاء وإصلاح قنطرة وبناء 271 منزل بالشقارنة وتقويم ما وراء عرصة قصر ابار لفائدة مسجدي حمو داود ومنوكة.

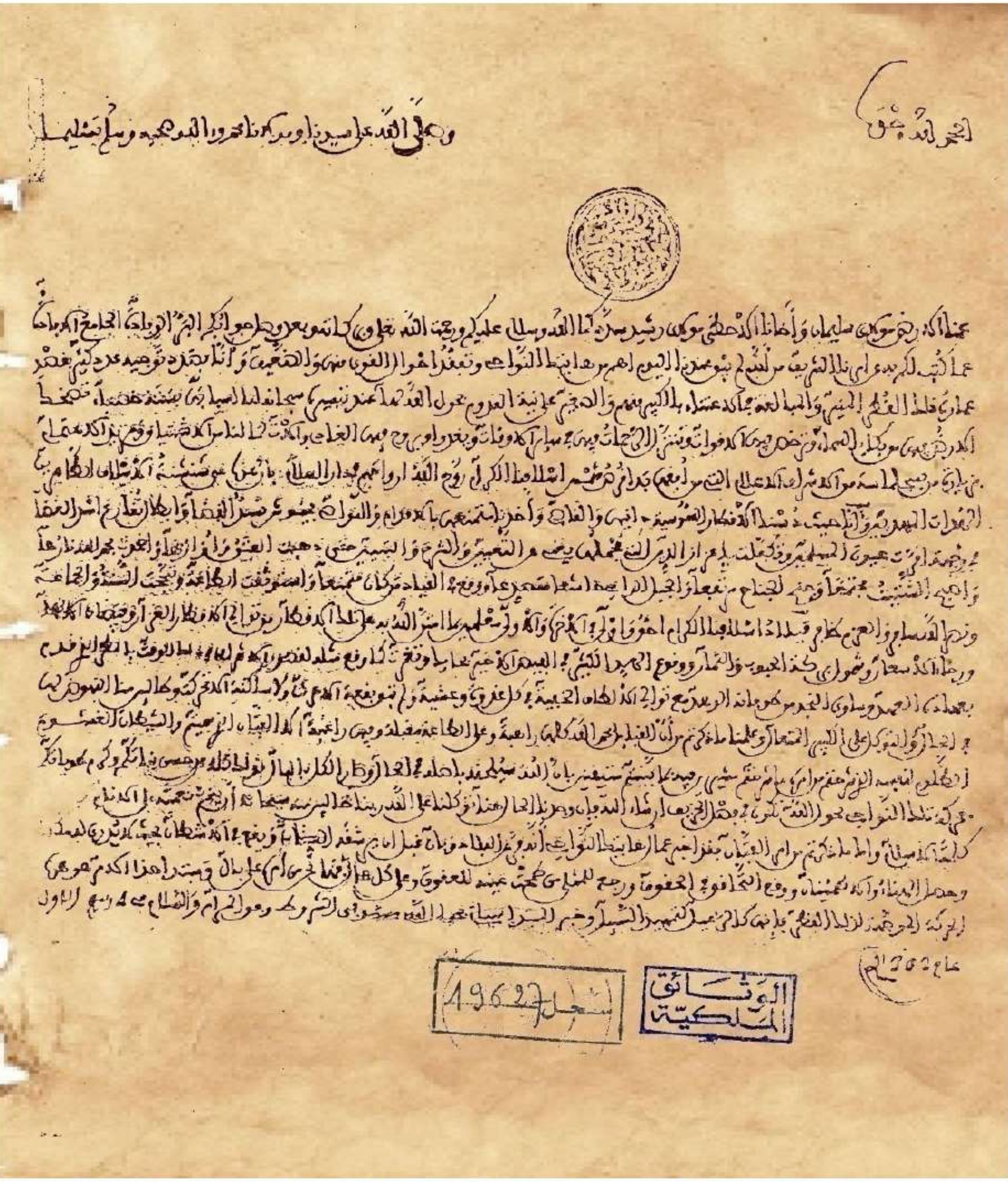
الوثيقة رقم: 9

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه

ولدنا الأبر الارضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فإن ابن عمنا سيدي محمد بن الحبيب بن زين العابدين وجه رسما بما صير على جنان بوعمار قرب سيدي ميمون وقدر ذلك تسعون مثقالا وسبع أواقي ونصف الأوقية، كما صير على إصلاح قنطرة أمرناه بإصلاحها ثمانية مثاقيل وثلاثة أرباع الأوقية اجتمع في الجميع ثمانية وتسعون مثقالا وثمان أواقي وربع، مر خديمنا الشامي بتوجيه ذلك له ويأتيه جوابه وقد اخبر ولد عمنا سيدي الأمين بن الطاهر بوصول جماعة البلاغمة ونزولهم بالشقارنة وأنهم لم يجدوا فيها مساكن مع ضعفهم وفوات إبان الحرث وان قدومهم لهناك أفضل من محلة فبوصول كتابنا هذا وجد لهم على يدك ألف مثقال واحد يقسمه عليهم ليستعينوا به على بناء مساكنهم وعددهم مائتان وواحد وسبعون كما اخبر ابن عمنا مولاي إدريس بن الصديق وخديمنا الحاج المدني اليوسفي أنهما وافقا على تقويم ما وراء عرصتنا ببابار لمسجد حموداود ومنوكة بمائة وتسعين مثقال وزاد عشرون مثقالا غبطة نظرا لجانب الحبس بقصد تعويض ذلك بأفضل منه فوجد لهما ذلك ليرفعاه ويكتبا رسم ذلك ويوجهاه، وذكر الخديم الحاج المدني المذكور أن الطالب علال الشامي لم يوجه له الخمسة والثمانين مثقالا التي صير على جنابنا العالي بالله وكنا أمرناه بتوجيهها له وقد زاد عليها ثمن نخلات وراء عرصتنا ببابار بإحدى وأربعين مثقالا فليوجه الجميع وعدد المال الذي يوجهه أربع عشرة مائة مثقال وثلاثون مثقالا وثمان أواقي وربع ولابد أخبرنا عن عدد أهل البلاغمة الذين توجهوا هل هو هذا أم لا والسلام.

في 28 جمادى الثانية عام 1263هـ



الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

رسالة تحمل تاريخ 4 ربيع الأول 1302هـ من الخليفة السلطاني مولاي رشيد إلى السلطان مولاي الحسن، حول الفيضان الذي ضرب منطقة تافيلالت والأضرار الناتجة عنه على المستوى العمراني.

الوثيقة رقم: 10

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد واله وصحبه وسلم تسليما

الطابع الصغير وبداخله الحسن بن محمد وليه الله ومولاه

عمنا الأرضى مولاي سليمان وأخانا الأحظى مولاي رشيد سددكما الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، وصل جوابك البر الوفادة الجامع الإفادة كما كتب لكم به عن أمرنا الشريف من أنه لم يبقى عندنا اليوم أهم من هاتيك النواحي وتفقد أحوال القوي منها والضعيف وأنا بصدد توجيه عدد كبير بقصد عمارة ذلك القطر المنير والمبالغة في الإعتناء بالكبير منهم والصغير على نية القدوم بحول الله لها عند تيسيره سبحانه لنا أسبابها. يسقط خصبا تضحك الأرض فيها من بكاء السماء وترخص فيها الأوقات وتنزل الرحمات فيها في سائر الأوقات ويغدو ويروح فيها الغادي والآت، لما لنا من الاشتياق ومزيد الاهتمام بزيارة من بسجلماسة من الأشراف الأعلام التي من افقها بدا قرص شمس أسلافنا الكرام روح الله أرواحهم في دار السلام بأن هذه في سلسلة الأسلاف الطاهرين الهداة المهديين. وأنا حيث دسنا الأقطار السوسية دانيها والقاصي وأخذنا بتمنعها بالأقدام والنواصي فجيوش تسد الفضا وأبطال تقارع أسد القضا في وجهة أقرت عيون المسلمين وتكفلت بإعزاز الدين التي مجملها يغني من التعيين والشرح والتبيين حتى ذهبت الفتن وأوارها وأخمدت بحمد الله نارها، وأصبح الشتيت مجتمعا وجنح الجناح مرتفعا والجبل الداني خاشعا متصدعا ووقع في القياد من كان متمنعا واستوثقت الطاعة وتبجحت السنة والجماعة، ونصر السافر والعزم ظافر ميلاد أسلافنا الكرام أحق وأول في الآخرة والأولى معلمين بما امتن الله به على تلك الأقطار من توالي الأمطار الغزار وفيضان الأنهار ورخاء الأسعار وشمول بركة الحبوب والثمار ووقوع الهدم الكثير في الفيض الأخير بحايك[880] وتغمرت[881]، كما وقع مثله بقصور الأشراف في ذلك الوقت بالمطر الذي قدم بعهادة العهد وساوى النجد من طوفانه الوهد، مع توالي الألطاف الخفية في كل غدوة وعشية، ولم تبق بقعة إلا غرقت ولا ساكنة إلا تحركت وطالبين منا النهوض لها في الحال والتوكل على الكبير

[880] - اسم قصر يقع على بعد كلمترين شرق الريصاني.

[881]- إحدى زوايا منطقة تافيلالت تعرض للإندراس بسبب فيضانات واد زيز مرات عدة، نذكر منها 1302هـ، كما ورد في الوثيقة أعلاه، وأيضا عام 1305هـ. ينظر: بوعصب، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت م س، ص: 365. وقد قام السلطان مولاي الحسن بتشييد هذا القصر أثناء زيارته للمنطقة عام 1311هـ وهي الحركة الثامنة عشرة من مجموع حركاته التي بلغت تسعة عشرة.

المتعال[882]. وعلمنا ما ذكرتم من أن القبائل بحمد الله كلها راهبة وعلى الطاعة مقبلة وهي راغبة إلا الفتان الرجيم والشيطان الغشوم الظلوم لنفسه الذي شرحتم من أمره ما شرحتم مشيرين فيه بما بينتم متيقنين بأن الله سيلحقه بأصله في الحال، وصار الكل بالبال فذلك من حسن نياتكم وكرم طوياتكم. فحركة[883] تلك النواحي بحول الله تكون في فصل الخريف إن شاء الله، فإن وجدنا الحال هنا توكلنا على الله ربنا طالبين منه سبحانه أن يتم نعمته على الأنام كل الأسقام، وأما ما ذكرتم من أمر الفتان فقد أخبر عمال[884] هاتيك النواحي أنه فزع البلاد وبان قبل أن يرشقه السنان ويقع في الأشطان، بحيث لا يدري وحصل الهناء والاطمئنان ووقع التحاقق في الحقوق ورجع للمثلى من طمحت عينه للعقوق، وعلى كل حال فها نحن من أمره على بال ومبتدا هذا الأمر هو هذه الحركة الموجهة لذلك القطر فإنها كالزميل لتمهيد السبيل وخبر المبتدأ الله يستوفي الشروط وفق المرام والسلام في 4 ربيع الأول عام1302هـ .

---

[882] - نتيجة هذه الفيضانات وما خلفته من أضرار، أمر السلطان مولاي الحسن باشا فاس عبد الله البخاري بإرسال الأمناء والمعلمين لتقويم ما تهدم جراء فيضان الوادي، هذا ما نستشفه من الرسالة الجوابية التي بعث بها الباشا المذكور للسلطان" انه ورد علي كتابك الشريف بتعيين ما يتوجه من أرباب البصر لتقويم ما تهدم من أماكن المخزن بتافيلالت بالسيل صحبة المذكورين طرته، ينظر: الوثيقة رقم: 1958 تحمل تاريخ 6 شوال الأبرك 1303هـ، الوثائق ع 16، 2011، ص 225 -226.

[883] - تعني تنقل وتحرك الجيش المخزني تحت قيادة السلطان وإشرافه المباشر.

[884] - كان المخزن المركزي يعمل على تعيين جملة من العمال إلى جانب الخليفة السلطاني في المناطق النائية، كما هو الحال بالنسبة لدرعة والواحات الواقعة غرب تافيلالت التي كانت السلطة المخزنية فيها تابعة لعمالة تافيلالت في الكثير من الفترات التاريخية.

- ينظر: البوزيدي(احمد)، درعة بين التنظيمات القبلية والحضور المخزني، دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية.1894-1935، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس،2003-2004، ج1، ص241.


الحمد لله وحده [illegible] وصلى الله على سيدنا محمد وآله [illegible]

خديمنا الأجل الأرضى [illegible] سلام عليك ورحمة الله [illegible]
وصل كتابك معلما بأن صاحبنا مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك [illegible]
[illegible] من سور بلده [illegible] بالوادي ثم [illegible] البعض من داره [illegible]
[illegible] من بنائه [illegible] وأنه يشتكي لجنابنا الشريف [illegible]
[illegible]
[illegible]
والسلام في [illegible] رجب [illegible]

رسالة يطلب من خلالها مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك مساعدة من السلطان

لبناء ما تهدم من سور بلدته وداره.

الوثيقة رقم: 11

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله سيدنا محمد واله وصحبه

عمنا الأعز الارضى مولاي سليمان سددك الله وسلام عليك ورحمته الله وبعد فقد وصل كتابك معلما بان صاحبك مولاي المامون بن الهاشمي بن ملوك أسقط له ما قابل داره من سور بلدتهم بالوادي كما سقط به البعض من دراه وبقي باديا للصادر والوارد ولابد له من بناء ذلك سترا لعرضه وأنه تشوف لجنابنا الشريف بما يستعين به على ذلك أما الدافع فقد دفع الله به ما كان أعظم وقد أنعمنا عليه بمائة مثقال ونفذناها له على يد الأمين عبد القادر التازي وفق ما طلب والسلام في 13 وجب عام 1303.

رسالة حول ترميم وإصلاح القصور التي هدمها الوادي وصائر ذلك.

الوثيقة رقم: 12

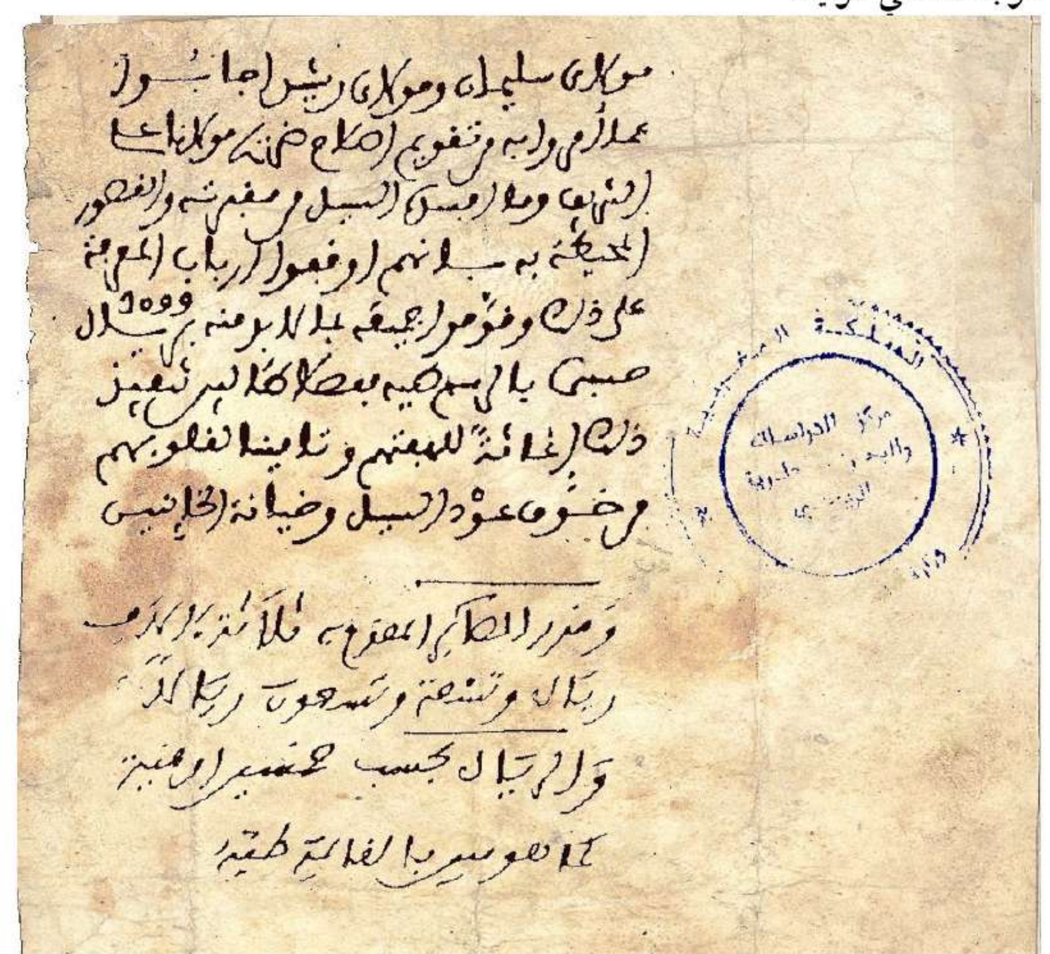
تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه أمين

سيدنا ومولانا أدام الله لنا مجدك وأمد لنا في عمرك وأبقاك لنا نورا ساطعا وحساما لرقاب العتات قاطعا ولكشف ما الم بنا من نوايب الدهر روضا يانعا بفضله وكرمه وجوده وإحسانه أمين يا رب العالمين هذا وقد وصلنا جواب سيدنا أيد الله أمره ورفع قدره وأدام لنا عزه وعلاه عن اكناط العناية(كذا)العلم الشريف سابق من ترميم ما كان أفسده الوادي المتقدم ذكره من مقبرة جدنا الأكبر سيدنا ومولانا علي الشريف أفاض الله على سيدنا من بركاته التي هي محل دفن جميع حفدته، وعن قصوره التي كانت خربت بما ذكر لسيدنا سابقا رجاء أن يتعاهد سيدنا ذلك ويأذن مولانا في ترميمه بما اقتضاه نظره السديد الموفق بالله الرشيد الخ فورد علينا الملا المطاع صحبة حامله الرقاص بأن المقبرة المذكورة يقوم ما تصلح به وينفذه سيدنا لدى الأمناء أولاد التازي تقبل الله لسيدنا أجره وجعله لمولانا من صالح عمله، كما أمرنا سيدنا أيده الله بان نقوم أيضا ما أفسده الوادي من قصوره ونطلع بع علمه الشريف وحينئذ ينظر فيه مولانا بما ظهر لسيادته العالية إلخ فليعلم سيدنا أمد الله لنا في عمره وأبقاه لجميعنا ضوءا يستضاء به أنا كنا قدمنا لسيدنا الكلام في ذلك غير ما مرة من أننا لما رأينا عظمة سطوة الله وجلالة قهره وما تجلى به على عبيده من تسخير الماء من سمائه لأرضه بما لم يعهد مثله في وقت من الأوقات ولا في عصر من الإعصار وحمانا الله بفضله بعد اليأس من الحياة وبعد الهدم الكثير والتضعضع وانفلات الجدران، وبعد جفاف ما ذكر لم يسعنا إلا المبادرة والإسراع لترميم مالا يؤمن حذرا من عود فيضانه بمثل ذك أو أكثر منه فنقع فيما هو أعظم من فضيحة الأهل والأولاد فقمنا على ساق الجد وأصلحنا ما فسده وما نخشى الضرر وصيرنا على ذلك مالا كنا طالعنا به العلم الشريف سابقا وأجابنا سيدنا بأننا أحسنا في الإسراع بذلك وأصبنا كما أن ولد ختنا مولاي الرشيد حفظه الله بادرا مسرعا كذلك لترميم ما ضعضعه النبع وغزير المطر وفساد سرب الدار من أولاد عبد الحليم وصان جوانبها الأربع بالردم الكبير وبعد زوال الماء عن سورها وأصلح ما سقط من سور تعرمت وخص جنانها من المحيط بها هذا من فساد السوق المجاور لها كما أن ولد اختنا مولاي الصديق بادر لترميم ما سقط من بني ميمون خوفا من الشريفة وذلك كله مستحسن وواجب وحيث أمرنا سيدنا بوقوف أرباب المعرفة والبصر على ما أفسده الوادي من قصوره الشريفة وما قدروه لإصلاحها، ينهي لعلمه الشريف ففي الحين بادرنا لما أمرنا به سيدي وأوقفناهم على جميعها وأريناهم ما وقع فيه الإصلاح.كأولاد عبد الحليم وتعرمت وبني ميمون والباقي على حاله كتغمرت

والدار البيضاء ومقبرة مولاي علي الشريف وقوموا ما يصلح به الجميع كل على حدة كما يقف عليه سيدنا مقيدا ثابتا بالقاضي داخل كتابك هذا بعدما اقرنا ..بأن يقوموا ذلك تقويم وفق ومصلحة لا تقويم رفاهية ويقتصرون على ما تدعوا إليه الحاجة لا غير ...فان تفضل سيدنا علينا بذلك فيه ونعم ونحن في الحاجة إليه كما نحن منه وإليه ولا لدينا في الوجود فراعة (كذا) لغيره وان أعان مولانا فيه بما ظهر له ..والمنة والفضل في ذلك من سيدنا واليه وإلا فالشيء كله لنا والدار دار سيدنا أولى بنا من أنفسنا وما دمنا بخير ما دامت لنا في الوجود متعنا الله بطول حياة سيدنا وأمد لنا في عمره ونحن في انتظار جواب سيدنا عن ذلك بما هو له أهل أبقا الله لنا مولانا منصورا مؤيدا بمنه أمين والسلام 8 محرم الحرام فاتح 1305.

الوجه الخلفي للوثيقة

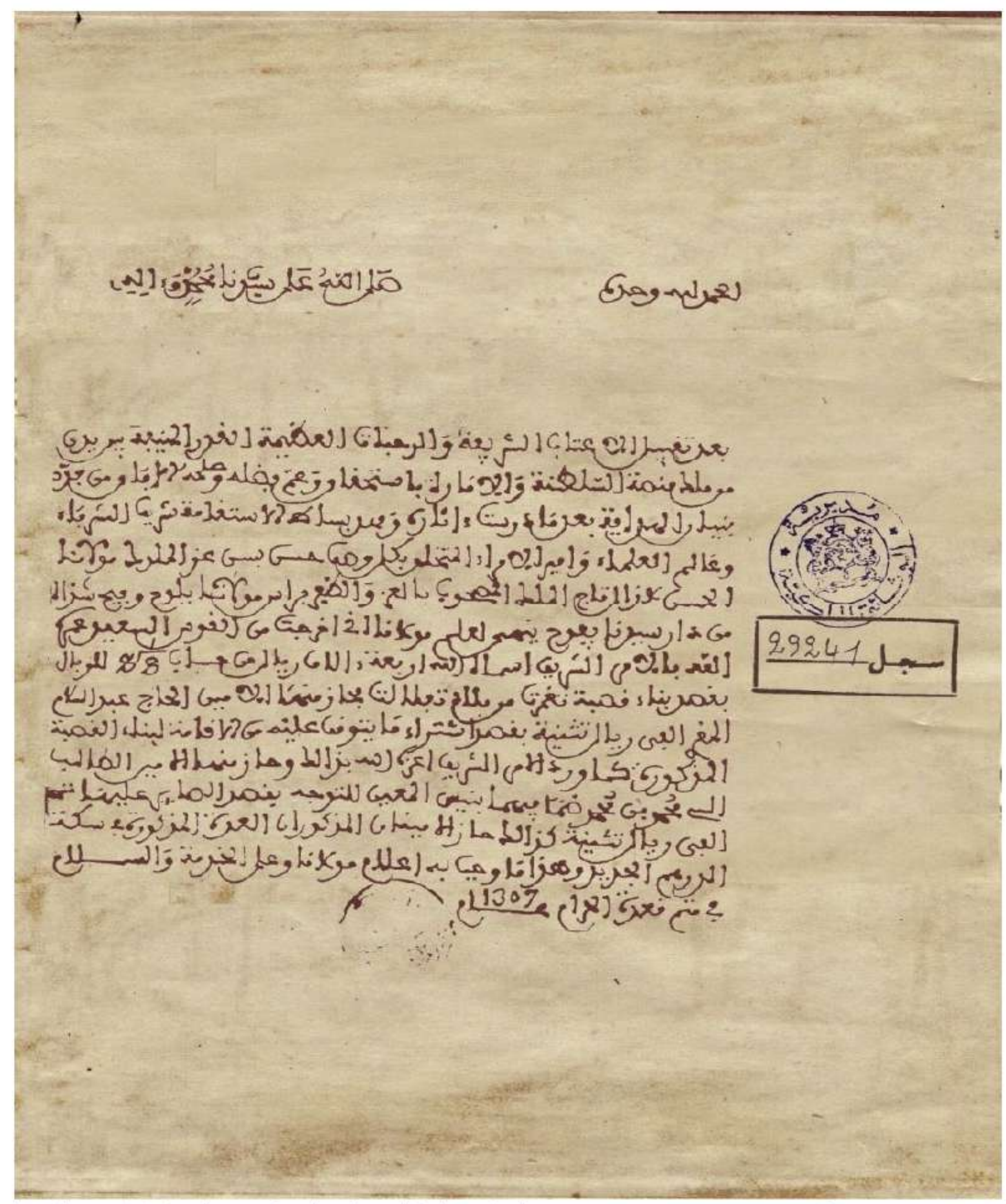


مولاي سليمان ومولاي رشيد اجابوا
بما لزم واليه من تقويم الصلاح [illegible] مولانا على
الشريف وما امسك السبيل [illegible] والقصور
المحيطة به [illegible] الارباب [illegible]
على ذلك وقوموا الجميع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السبيل [illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

تفريغ الوجه الخلفي للوثيقة بالخط الإداري:

مولاي سليمان ومولاي رشيد أجابوا عما أمروا به من تقويم وإصلاح ضريح مولانا الشريف وما أفسده السيل من مقبرته والقصور المحيطة به بأنهم أوقفوا أرباب المعرفة على ذلك وقوموا جميعه بما لابد منه **3099** ريال حسني بالرسم طيه مفصلا طالبين تنفيذ ذلك إغاثة للمجتمع وتأمينا لقلوبهم من خوف عود السيل وخيانة الخائنين، وقدر الصائر المقترح ثلاثة ألاف ريال وتسعة وتسعون ريالا والريال بحسب خمسين أوقية كما هو مبين بالقائمة طيه



الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله

بعد تقبيل الأعتاب الشريفة والبساط العظيمة [illegible] المنيفة بمزيد
[illegible]
[illegible]
وعالم العلماء وامير الامراء المتحلي بكل وصف حسن سيدي عز الملوك مولانا
الحسن [illegible]
[illegible]
[illegible]
بقصد بناء قصبة تغمرت [illegible] الحاج عبد السلام
[illegible] الاقامة لبناء القصبة
المذكورة [illegible]
[illegible]
[illegible] المذكور [illegible]
الرحيم [illegible] وهذا ما وجب به اعلام مولانا وعلى الخدمة والسلام
في متم قعدة الحرام عام 1307

سجل 29241

رسالة بتاريخ متم قعدة الحرام عام 1307هـ، موجهة من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول حول مصاريف وسير أعمال بناء قصبة تغمرت.

الوثيقة رقم: 13

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد واله

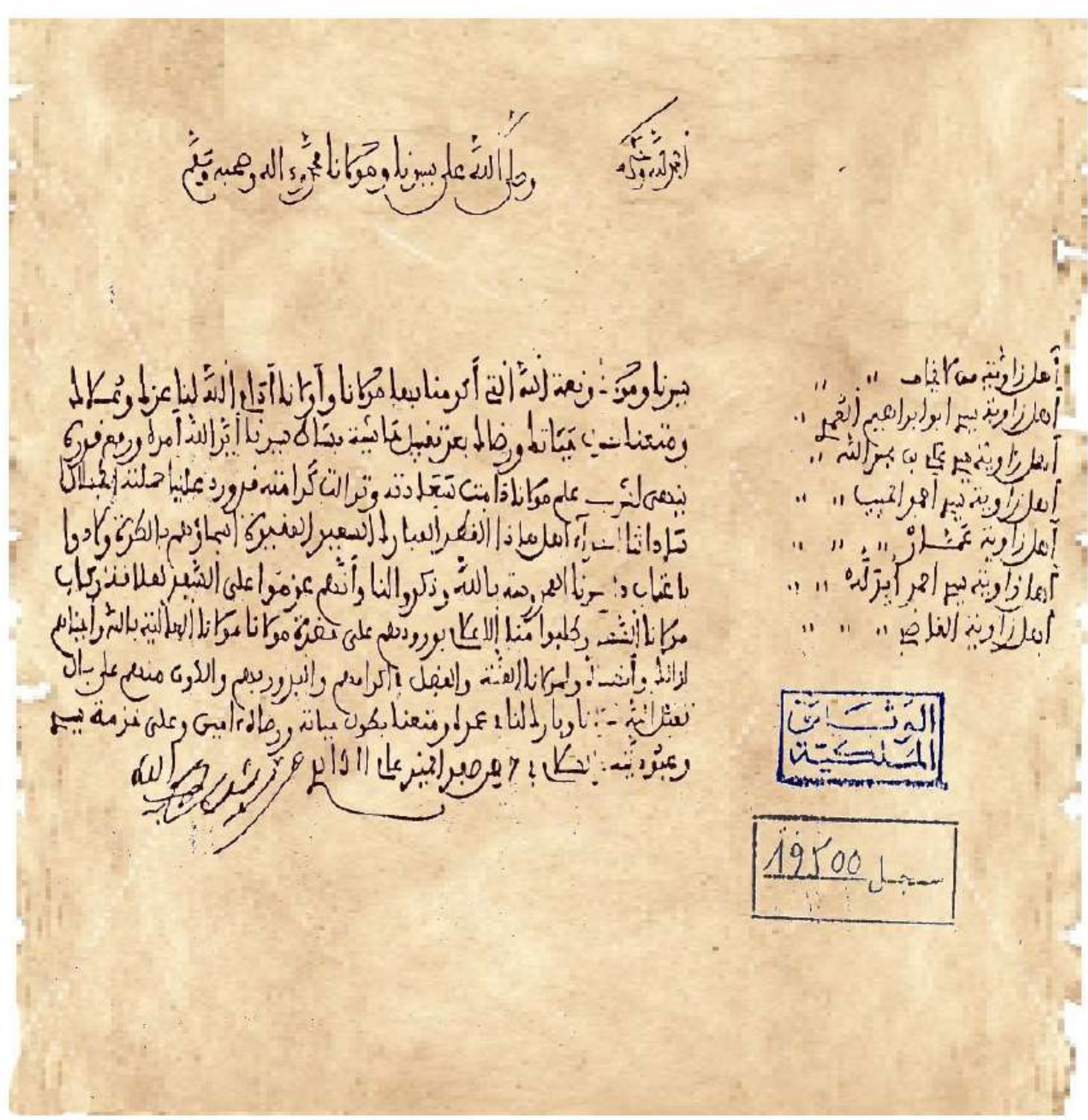
بعد تقبيل الأعتاب الشريفة والرحبات العظيمة القدر المنيفة بين يدي من ملك منصة السلطنة والإمارة باستحقاق وعم فضله وصلحه الأفاق من جدد بنيان الهداية بعدما درست أثاره ومهد بساط الاستقامة شريف الشرفاء وعالم العلماء وأمير الأمراء المتحلي بكل وصف حسن بسن عز الملوك مولانا الحسن لازال تاج الملك المصحوب بالعز والظفر برأس مولانا يلوح وفيح شذاه من دار سيدنا يفوح، ينهي لعلم مولانا أني أخرجت من القوس السعيدة عمره الله بالأمر الشريف اسماه الله أربعة آلاف ريال من حساب 88 ريال بقصد بناء قصبة تغمرت[885] من بلاد تافيلالت، فحاز منها الأمين الحاج عبد السلام المقري[886] ألفي ريال تثنية بقصد شراء ما يتوقف عليه من الإقامة لبناء القصبة المذكورة، كما ورد الأمر الشريف أعزه الله بذلك، وحاز منها الأمين الطالب السي محمد بن محمد ضما فيهما بنيس المعين للتوجه بقصد الصاير عليها ثم ألفي ريال تثنية كذلك حاز الأمينان المذكوران العدة المذكورة في سكة الدرهم الجديد وهذا ما وجب به أعلام مولانا وعلى الخدمة والسلام في متم قعدة الحرام عام 1307هـ.

الطابع الصغير وبداخله

الحسن بن أمير المؤمنين وفقه الله

885 - تعرض هذا القصر للهدم بسبب الفيضان الذي ضرب المنطقة سنة 1302هـ " ووقوع الهدم الكثير في الفيض الأخير بحايك وتغمرت كما وقع مثله بقصور الأشراف في ذلك الوقت بالمطر، راجع الوثيقة 18 بالملحق. وأيضا سنة 1305هـ، ينظر، بوعصب: م س، وثيقة: 10، ص365.

886 - ولد بفاس من أسرة تلمسانية الأصل، ونشأ بها وتعلم بجامع القرويين الذي كان والد محمد الملقب بالزمخشري من شيوخه المبرزين، وكان عبد السلام المترجم ذكيا ضابطا حازما ملما بالقضايا عارفا بالأمور، ذا مروءة وأخلاق ذكية، جعله السلطان مولاي الحسن أمينا مكلفا بمبانيه ومحلا لثقته، ومنحه ظهائر توقير عديدة، توفي بفاس يوم الأحد 12 رجب عام 1321هـ. الوثائق، العدد 13، 2008، ص 39.



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

أهل زاويتي مولاي الحاج ..
أهل زاوية سيدي أبي إبراهيم [illegible] ..
أهل زاوية سيدي يحيى بن عبد الله ..
أهل زاوية سيدي أحمد الحبيب ..
أهل زاوية [illegible] .. ..
أهل زاوية سيدي أحمد [illegible] .. ..
أهل زاوية [illegible] .. ..

سيدنا ومولانا، ونعمة الله التي أكرمنا بها مولانا وأرانا إياها أدام الله لنا عزه وتمكينه
ومتعنا بحياته ورضاه بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أيد الله أمره ورفع قدره
ينهي لشريف علم مولانا دامت سعادته وتوالت كرامته فقد ورد علينا [illegible]
[illegible] أهل [illegible] الفقراء [illegible] السعيد [illegible] بالكرم [illegible]
[illegible] سيدنا [illegible] بالله وذكروا لنا أنهم عزموا على [illegible]
مولانا [illegible] وطلبوا منا الإعلام بورودهم على حضرة مولانا [illegible]
[illegible] والفضل [illegible] وإكرامهم والسرور بهم [illegible]
[illegible] وعلى عزمه [illegible]
[illegible] 7 صفر الخير عام 1311 [illegible]

رسالة مؤرخة بتاريخ7 صفر الخير عام **1311**هـ، من الخليفة السلطاني المولى الرشيد إلى السلطان مولاي الحسن الأول يخبره فيها بالطلب الذي تقدم به أشياخ زوايا تافيلالت في شأن عزمهم الذهاب لملاقاة السلطان وقصدهم حضرته الشريفة من أجل الإنعام عليهم.

الوثيقة رقم: 14

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

سيدنا ومولانا ونعمة الله التي أكرمنا بها مولانا وأولانا أدام الله لنا عزك وعلاك ومتعنا بطول حياتك ورضاك، بعد تقبيل حاشية بساط سيدنا أيد الله أمره ورفع قدره، ينهي لكريم علم مولانا دامت سعادته وتوالت كرامته قد ورد علينا حملته إجلالا ساداتنا أمراء أهل هذا القطر المبارك السعيد المنيرة أسماؤهم بالطرة، ولادوا بأعتاب دار سيدنا المحروسة بالله وذكروا لنا أنهم عزموا على السير لملاقة ركاب مولانا الشريف وطلبوا منا الإعلام بورودهم على حضرة مولانا مولانا العالية بالله وأجبناهم لذلك."كلمة غير مقروءة" ولمولانا المنة الفضل في إكرامهم والبرور بهم والكون منهم على بال[887] تقبل الله لمولانا وبارك الله لنا في عمره ومتعنا بطول حياته ورضاه أمين. وعلى خدمة سيدي وعبوديته والسلام في 7 من صفر الخيرعام 1311هـ.

أهل زاوية من لايخاف

أهل زاوية سيدي أبو إبراهيم العمري

أهل زاوية سيدي علي بن عبد الله

887- لعل هذه الزيارة وهذا الاعتناء السلطاني تأتيان في إطار الاهتمام الذي أولاه السلاطين العلويين لزوايا منطقة تافيلالت لما كان يقوم به أشياخها من ادوار دينية واجتماعية...، جعلت هذه الزوايا تكتسب شهرة أكبر ويزداد روادها.

فقد كانت عادة الاهتمام بالشرفاء وأصحاب الزوايا بمنطقة تافيلالت وتسليمهم ظهائر التوقير والاحترام سائدة منذ العهد المريني. ولم يتخل سلاطين الدولة العلوية عن هذا التقليد اعترافا منهم بالفضل لأصحاب الزوايا لما كانوا يقومون به من نشر للتعلم الديني ولدورهم التصالحي بين القبائل وفي التخفيف من حدة الأزمات الاجتماعية والسياسية التي كانت تعرفها المنطقة. فقد كانوا يكلفون من السلطان بالتوسط بين القبائل والقصور في النزاعات ومساعدة المخزن على حث الناس على طاعة الأوامر المخزنية.

قد تأتي هذه الزيارة في إطار الرغبة في الإنفلات من الوظائف المخزنية والتكاليف السلطانية، وقد تأتي في إطار ما كان يقوم بها أصحاب الزوايا من اطلاع السلطان على بعض أخبار المنطقة وبفضل هذه الأخبار كان المخزن يراقب القواد وتحركات القبائل الخارجة عن القانون ليتم التدخل في الوقت المناسب، كما كان من عادة الشرفاء وأصحاب الزوايا تقديم طلب زيارة السلطان وملاقاته. ينظر الرسالة التي بعثها شرفاء واد يفلي إلى السلطان مولاي الحسن، والمؤرخة في 27 محرم 1311هـ، مديرية الوثائق المكلية، مديرية الوثائق الملكية، الوثيقة رقم 15684.

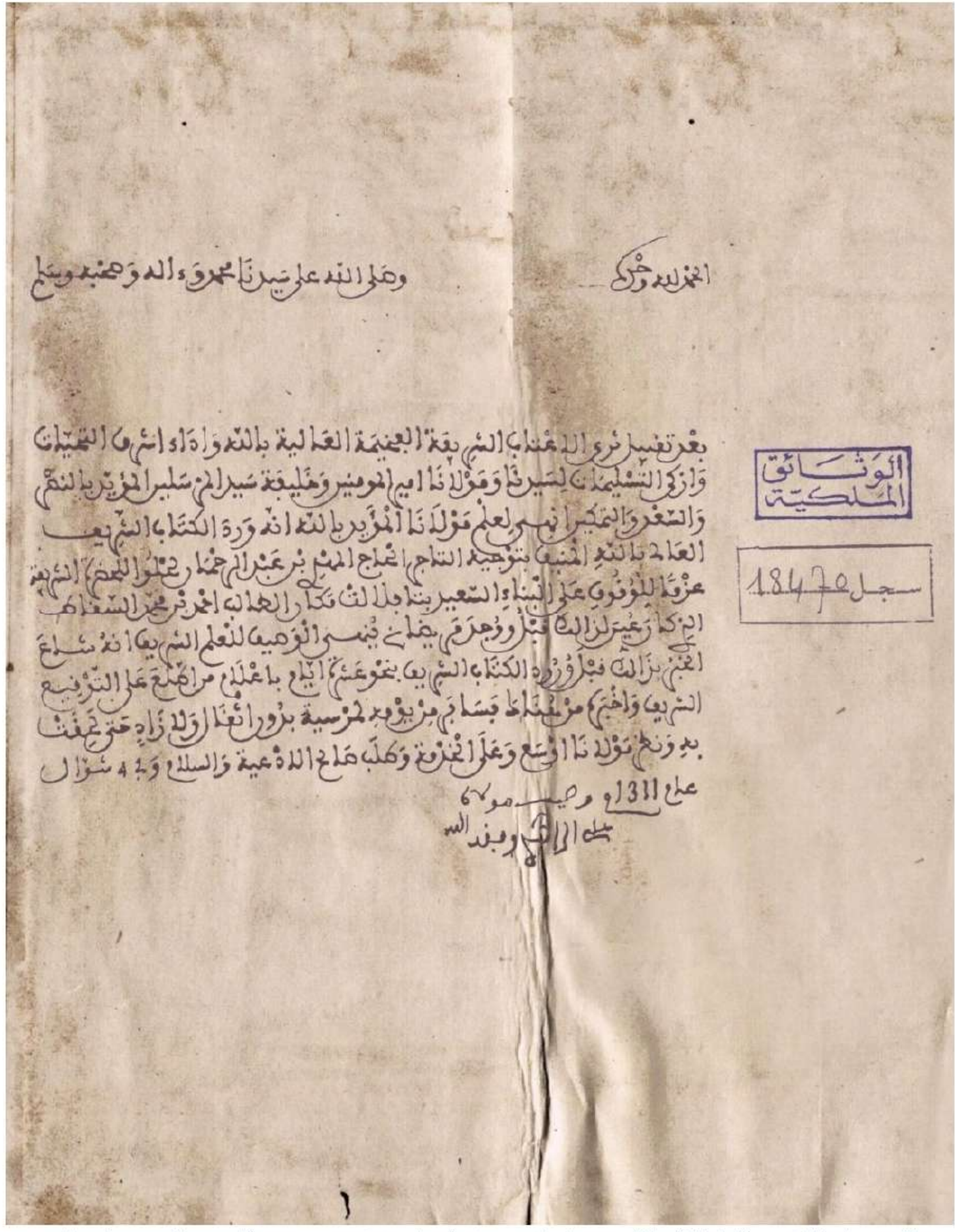
وكان السلطان يستغل مناسبة مجيء وفود وأعيان القبائل والقصور والزوايا إلى العاصمة لمشافهتهم حول ما يجري بالمنطقة ولأخذ العهود منهم بالتزام السكينة وحسن المعاملة، ولم يكن أشياخ زوايا تافيلالت تتقاعس عن تنظيم وفودها والسفر للاتصال بالسلطان، سواء بدعوته لها أو بمبادرة خاصة منها، لأجل ما اصطلح عليه في الرسائل المخزنية ب"المشافهة"المباشرة، ينظر: احمد مزيان، المجتمع والسلطة المخزنية في الجنوب الشرقي المغربي خلال القرن التاسع عشر 1845-1912، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،2007، ج2، ص131.

أهل زاوية سيدي أحمد بن الحبيب

أهل زاوية سيدي عمار

أهل زاوية سيدي أحمد ابدلة

أهل زاوية القاضي



الحمد لله وحده ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بعد تقبيل ثرى الاعتاب الشريفة العظيمة العالية بالله وأداء أشرف التحيات
وأزكى التسليمات لسيدنا ومولانا أمير المومنين وخليفة سيد المرسلين المؤيد بالنصر
والسعد والتمكين ينهي لعلم مولانا المؤيد بالله أنه ورد الكتاب الشريف
العالي بالله المنيف بتوجيه الناجح الحاج المهدي بن عبد الرحمان رفقة الطلبة الذين بعث
[illegible] للوقوف على البناء التعمير بتافلالت فكان الحال أنه أحمد بن محمد السقاط
الذي كان رئيسا لذلك قبل ووجدناه يطالب بمسمى الوصية للعلم الشريف بأنه [illegible]
الغنم بذلك قبل ورود الكتاب الشريف بنحو عشرة أيام بما علمنا من اطلع على الترتيب
الشريف وأخبرنا من [illegible] بسائر من يقوم [illegible] بدور [illegible] ولا زاد حتى [illegible]
به ونظر مولانا أوسع وعلى الحزم وطلب صالح الادعية والسلام وفي 4 شوال
عام 1311 [illegible]
علي الراشدي وفقه الله

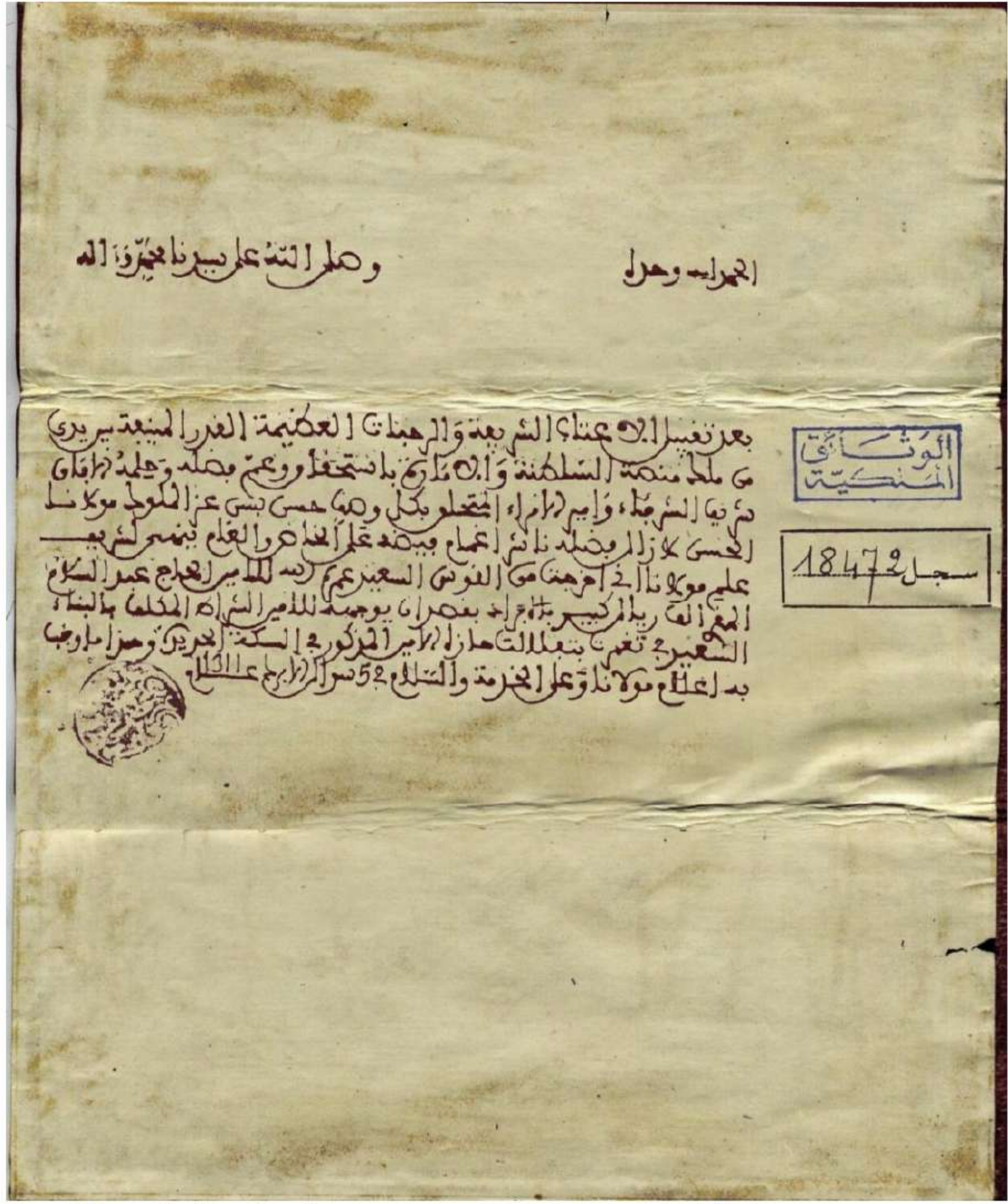
رسالة من علي الراشدي الخليفة السلطاني تحمل تاريخ 4 شوال عام 1311هـ، تتضمن طلب رسال من يقف على سير أعمال البناء بتافيلالت

الوثيقة رقم. 15

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم

بعد تقبيل ثرى الأعتاب الشريفة الفخيمة العالية بالله وأداء أشرف التحيات وازكي التسليمات لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين المؤيد بالنصر والسعد والتمكين، أنهي لعلم مولانا المؤيد بالله، أنه ورد الكتاب الشريف العالي بالله المنيف بتوجيه التاجر الحاج المهدي بن عبد الرحمان لحلو للحضرة الشريفة عزما للوقوف على البناء السعيد بتافيلالت فكان الطالب أحمد بن محمد السقاط الذي كان عين لذلك قبل ووجد مريضا. ينهي الوصيف للعلم الشريف أنه شاع الخبر بذلك قبل ورود الكتاب الشريف بنحو عشره أيام بإعلام من اطلع على التوقيع الشريف، وأخبره من هناك فسافر من يومه لمرسية بدون أثقال ولا زاد، حتى لحقت به ونظر مولانا أوسع وعلى الخدمة. وطلب صالح الأدعية والسلام وفي 4 شوال عام 1311هـ وصيف مولاه علي الراشدي وفقه الله.



الحمد لله وحده — وصلى الله على سيدنا محمد وآله

بعد تقبيل الأرض عتبات الشريفة والرحبات العظيمة الغراء المنيعة بين يدي
من ملك منصة السلطنة والأرض مالكها باستحقاق وعم بفضله وحلمه الأباعد
[illegible] العلماء والأمراء المتحلي بكل وصف حسن [illegible] الملوك مولانا
الحسن لا زال بفضله [illegible] أعماله [illegible] على الخاص والعام [illegible]
علم مولانا أن أمرهتا من المولى الشريف السعيد [illegible] للأمين الحاج عبد السلام
المقري ألف ريال كبير [illegible] يوجهه للأمين الشراط المكلف بالبناء
[illegible] تغمرت [illegible] للأمين المذكور في [illegible] وجب
به أعلام مولانا وعلى الخدمة والسلام في 5 شوال الأبرك عام 1311

الوثيقة مؤرخة بتاريخ 5 شوال الأبرك بتاريخ 1311هـ، وهي نسخة من كتاب وجه للسلطان مولاي الحسن الأول من خليفته في موضوع دفعه لمبلغ مالي قدر بألف ريال كبير للأمين الحاج عبد السلام المقري الذي سيوجهه بدوره للأمين الشراط بقصد بناء قصر تيغمرت

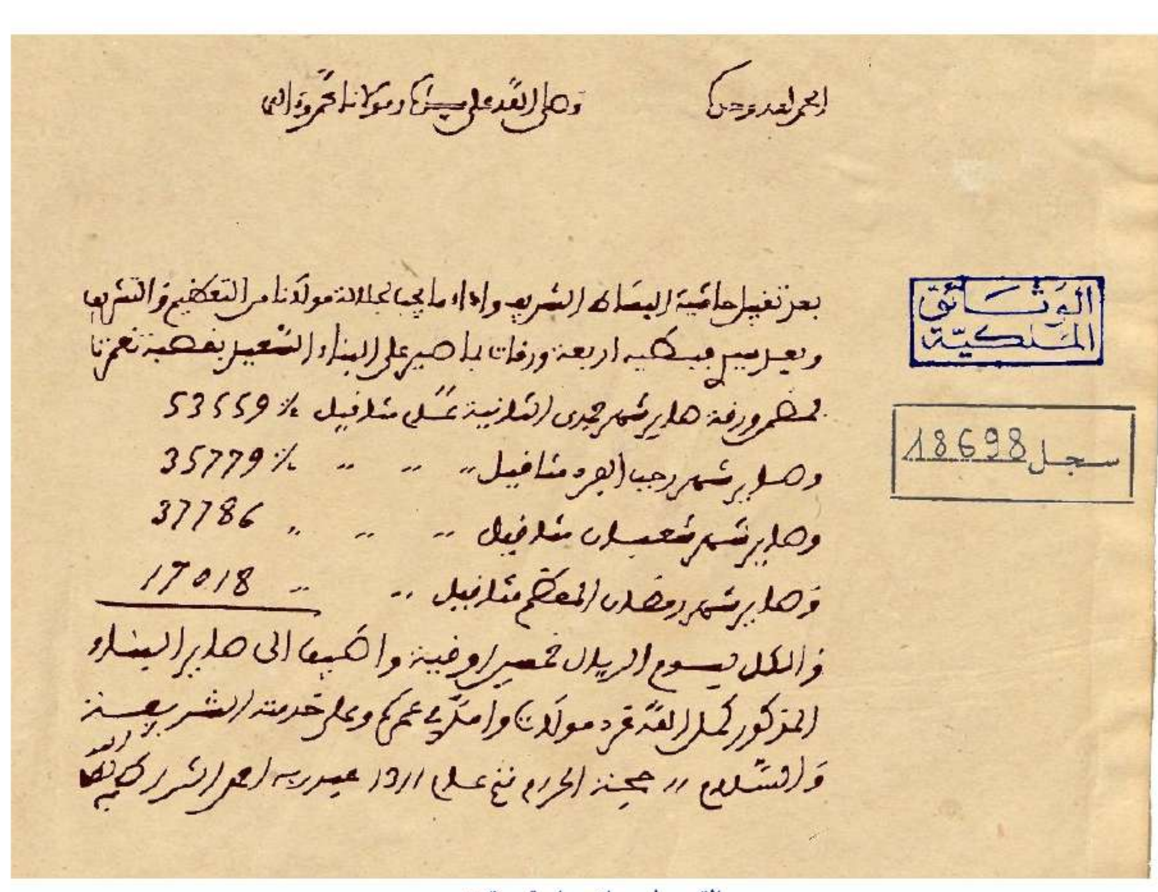
الوثيقة رقم: 16

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

بعد تقبيل الأعتاب الشريفة والرحبات العظيمة القدر المنيفة بين يدي من ملك منصة السلطنة والإمارة باستحقاق وعم فضله وحلمه الآفاق، شريف الشرفاء وأمير الأمراء المتجلى بكل وصف حسن بسن عز الملوك مولانا الحسن لازال فضله ناشر إعمام فيضه، علم الخاص والعام. ينهى لشريف علم مولانا اني أخرجت من القوس السعيد عمره الله للأمين الحاج عبد السلام المقري ألف ريال كبير بالإفراد، بقصد أن يوجهه الأمين الشراط المكلف بالبناء السعيد في تغمرت بتافيلالت[888] حازه الأمين المذكور في السكة الجديدة وهذا ما وجب به إعلام مولانا وعلى الخدمة والسلام في 5 شوال الأبرك عام 1311هـ.

[888] - تطلعنا وثيقة مؤرخة ب 11 ذي الحجة 1311هـ، على صائر البناء خلال أربعة أشهر"والذي بلغ 144142 ريال "الريال بخمسين أوقية" مقسمة على أربعة أشهر جمادى الثانية، ورجب وشعبان ورمضان. مديرية الوثائق الملكية -الرباط، سجل رقم:18698.



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف وأداء ما يجب لجلالة مولانا من التعظيم والتشريف
ونعرض [illegible] في طيه اربعة ورقات بما صير على البناء والتعمير بقصبة تغمرت
صحبة ورقة صائر شهر جمادى الثانية على مثاقيل % 53559
وصائر شهر رجب الفرد مثاقيل .. .. .. % 35779
وصائر شهر شعبان مثاقيل 37786
وصائر شهر رمضان المعظم مثاقيل 17018
والكل مجموع الريال [illegible] وأكملنا الى صائر البناء
المذكور بحمد الله [illegible] مولانا وأمر [illegible] وعلى خدمته الشريفة
والسلام في محرم الحرام فاتح عام 1311 [illegible]

رسالة حول صائر بناء قصبة تغمرت

الوثيقة رقم: 17

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف وأداء ما يجب لجلالة مولانا من التعظيم والتشريف وبعد سيدي فبطيه أربعة ورقات بما صير على البناء السعيد بقصبة تغمرت بمضمن ورقة صاير شهر جمادى الثانية على مثاقيل 53559

وصاير شهر رجب الفرد مثاقيل 35779

وصاير شهر شعبان مثاقيل 37786

وصاير شهر رمضان المعظم مثاقيل 17018

والكل بسوم الريال خمسين أوقية وأضيف إلى صاير البناء المذكور كمل الله غرد مولانا وأمد في عمره وعلى خدمته الشريفة والسلام 11 حجة الحرام عام 1311عبد ربه أحمد الشراط.



رسالة حول الصراع الذي دار بين الفرق(الأضداد) المكونة لقصر اخنوس خصوصا أولاد سيدي بلغيت وأولاد سيدي محرز وأولاد سيدي أحمد وأولاد سيدي علي حيث تحالف الكل على أولاد سيدي بلغيت.

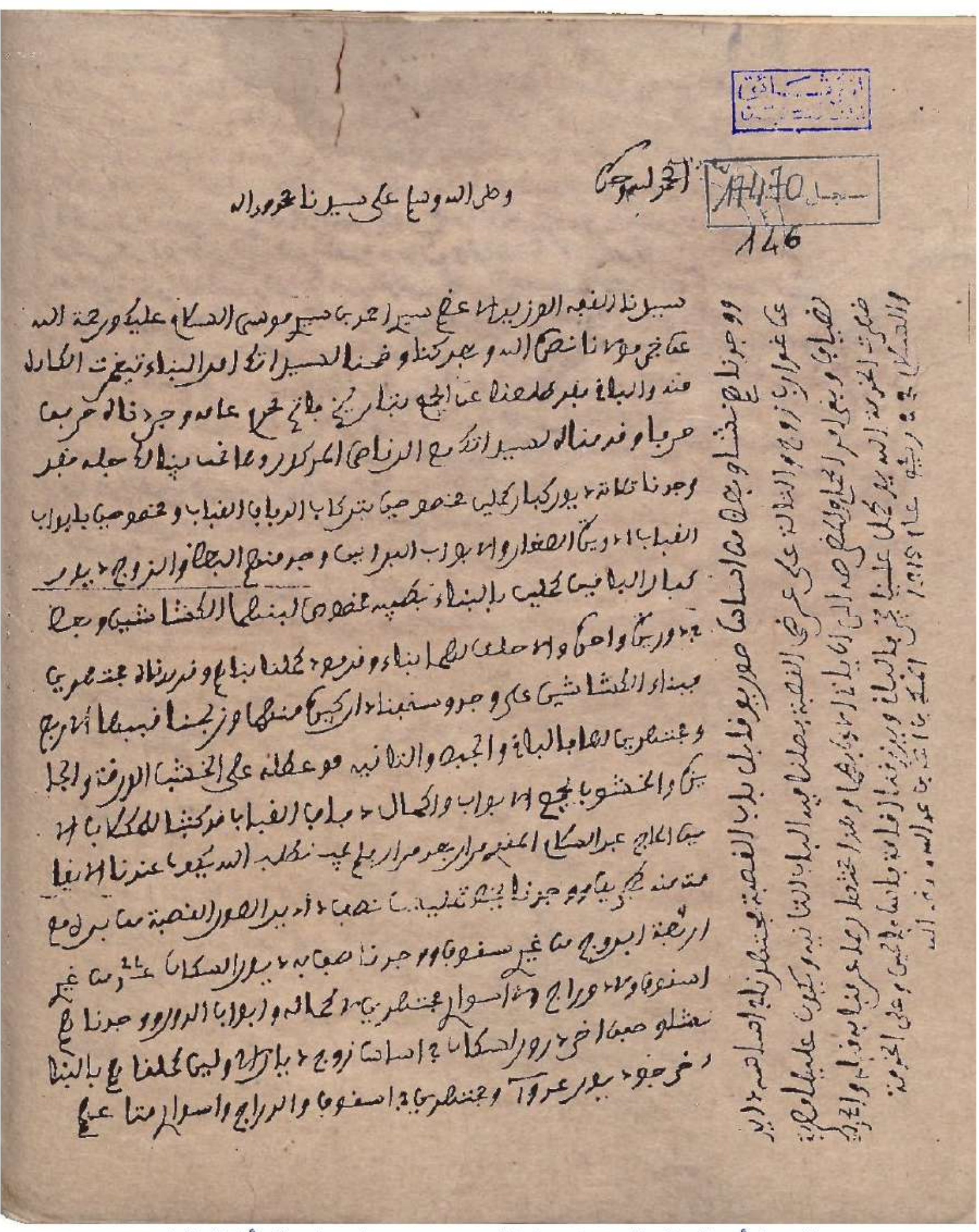
الوثيقة رقم: 18

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

سيدنا ومولانا الإمام كهف الأرامل والضعفاء والأيتام وظل الله في أرضه على ساير الأنام أبقا الله راية عدلك مأمنا للمستضعفين وسيف قطرك قامعا للمفسدين آمين. هذا وليكن في شريف علم سيدنا أيده الله أننا جعدة سيدي أبي الغيث الذين تخلفوا بواد يفلي بالصحراء ضعفاء غرباء مساكين لا قدرة لنا على شيء، وعدد الباقين منا بالصحراء نحو أربعين رجلا وأصحابنا وفصيلتنا والتي تؤوينا انتقلت من قديم لتوات ودرعة وغيرهما والباقي منهم هنا بقي تحت ظل أسلافنا الطاهرين في نعمة شاملة وتوقير عظيم من لدن سيدنا ومولانا إسماعيل ... وأسلافنا مع أسلاف سيدنا إليهم معدودين من جيشهم يخدمن جانبهم العالي بالله بالصدق و الوفاء واحدا بعد واحد حسبما نظر ذاك سيدنا في مخاطبة أسلافه ومكاتبتهم وكانوا بسبب ذلك مع عامة الأشراف وخاصتهم به في عز ومنعة بحيث لا يقدر واحد أن ينال منهم ما يكرهونه حذرا من علو جاهكم وسطوتكم ثم بعد ذلك في وقتنا هذا حيث كثرت الأهواء وفشا الفساد واختلفت الآراء وانتشر الظلم في الشرفاء وقل حياء أولادهم وظهرت الوقاحة في الصغير والكبير، من كان ذا فضيلة اعتز بها وتعصب من جورهم ومن كان ضعيفا مثلنا متعلقا بأستاركم رجع طعمة لذوي الجور منهم والفساد ولم تغني مكاتب أسلاف سيدنا ولا مكاتبه ولا ظواهركم الشريفة عنا شيا وأبدينا ذلك لعامل سيدنا وإخوانه فلم يمتثل أمر سيدنا في ذلك وما ازداد الناس علينا إلا قسوة وشدة وتمالؤا، ورفعنا الشكايات لسيدنا وللعمال والشرفاء وقبائل البلاد بالوسائط وبغريها وغير ما مرة إلى أن بلغ الأمر ما بلغ ووصلت أيدي الظلم رقابنا ومحارمنا ورمانا أهل الحاج هرون واكحايك وزاوية سيدي بوزكري وقصبة مولاي علي وأولاد سيدي محوز وسيدي علي وقصبة مولاي عبد الكريم عن قوس واحدة في يوم واحد من قدام ويمين وشمال واشتعلت نيران الحرب وكادت عقول نسائنا وصبياننا وضعفائنا تطيش من شدة الهول وصواعق البارود ولا حول ولا قوة إلا بالله عند الله تجتمع الخصوم وألان بالفضل من سيدنا وبحرمة أسلافه الطاهرين وجاه جده مولانا علي الشريف وعلم في سبيل الله أن ينظر مولانا فينا وجه الله والرحم وخدمة أسلافنا ويأمر بتقديم ما لنا بوسط الشرفاء من بلاد ...ويأمر مولانا بانتقالنا من الصحراء للغرب أو للحوز أو لما اقتضاه نظر سيدنا ولو وراء البحر لأن بلادنا في غاية جورة البقعة وأصولها محيطة بها وقد كرهناها لتحزب الشرفاء وتحزبهم فقد اغرو علينا العامل ويتمونا وأمروا أهل الغرفة

بجميع قصورهم وأهل واد ايفلي وأهل قصور المخزن يصبحون ويهتكون محارمنا ويفضحون نساءنا ويروعون صبياننا وضعفائنا وأغلقنا أبواب قصورنا وطلبنا الشرع وجعلنا ألمت على النساء والذرية وأكد القربات ولولا أن الله قد ببركات سيدنا ولطفه لبلغه من القتلى وهتك الحرمات ما تبقى غضاضته الرحم والدهر مع أن سيدنا أمر بالتلطف وما دعانا أحد وعصينا وما قرء علينا أحد كتاب سيدنا وأرانا إياه وامتنعنا وما عصينا شرعا وما دافعنا حتى طلبنا الشرع واستدعينا عند القابض والقايد والأعمام والإخوان ولم يبال بنا أحد ومن يتوكل على الله فهو حسبه ولازال الشرفاء مصممين على الفساد والخرق الذي لا ...وما قلنا في رسمين بالبينة السماعية والقطعية بالعدول والقاضي هي كتابنا هذا لأننا بحول الله لا نخاطب سيدا إلا بالصدق وقد تصدى الشرفاء لاذيتنا ببذل الرشى والطمع والإكره للمكلف على قول الكذب والبهتان والكتابة به لسيدنا ليضحضوا الحق بالباطل والبهتان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولو أمر سيدنا قاضيه بأن نخبره بالحقيقة أو يحكم بيننا ويشهد المكلفون لاتضح الحال وزال الإشكال ويد سيدنا طويلة والحمد لله أدار الله الحق معه حيث دار وجعل فيه الرحمة والصلاح وإذا انقطع الرجاء من كل حي ففي الله الكفاية والرجاء، وحاصله فليغتنم سيدنا أمرنا بانتقالنا جملة فورا حتى إذا كنا عند سيدنا يصنع بنا ما بدا له وأكل السباع ولا حقارة الذياب دان عز سيدنا وعلاه لكشف الكربات وغل العبودية والسلام وجواب سيدنا في 10 قعدة عام 1309 عبيد سيدنا وإسراء عفوه أولاد سيدي أبي الغيث بالصحراء أمن الله روعهم بمنه.



رسالة حول أهم المرافق التي يتوفر عليها قصر تغمرت، وما وصلت إليه أشغال البناء به.

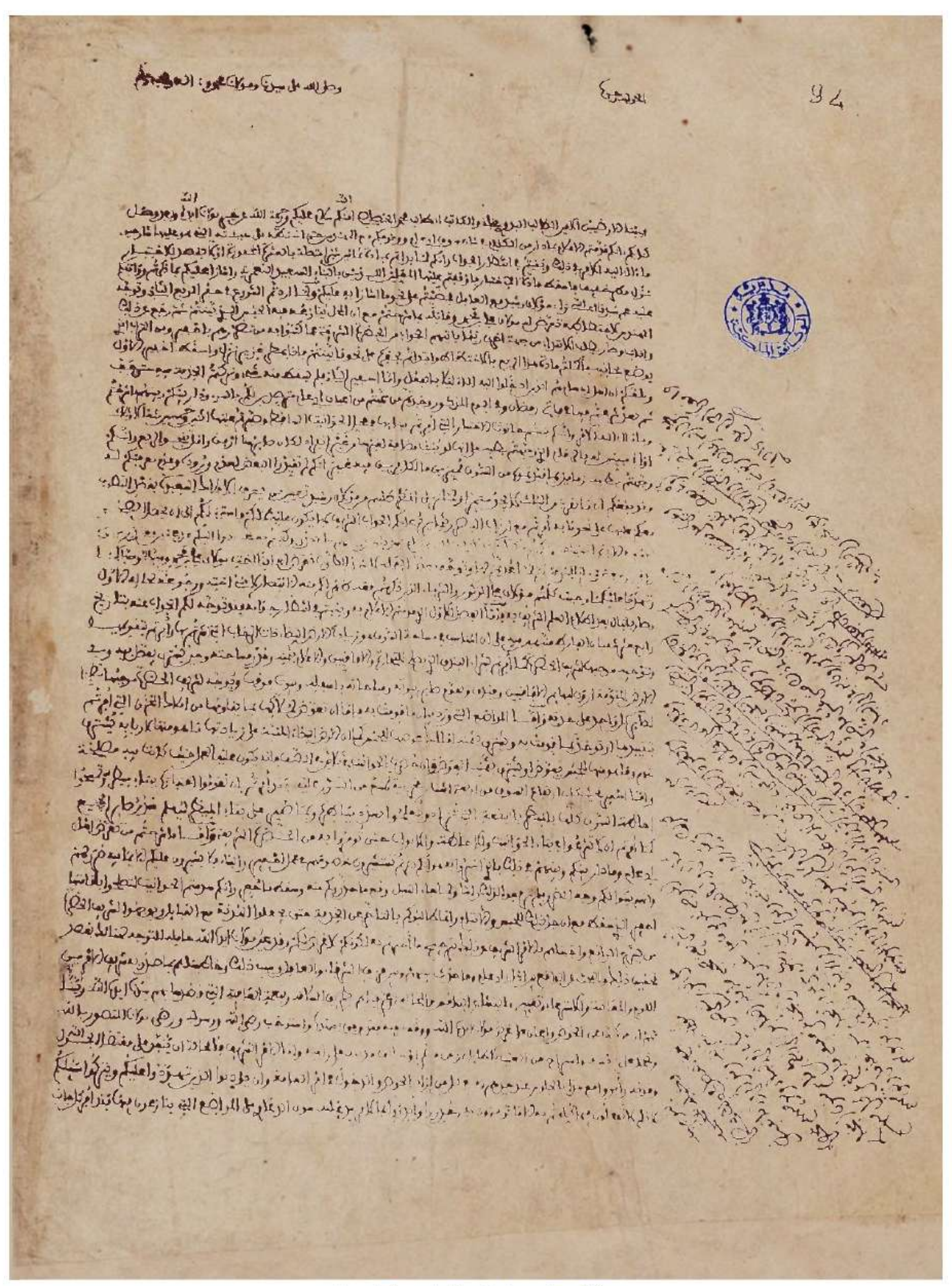
الوثيقة رقم: 19

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وءاله

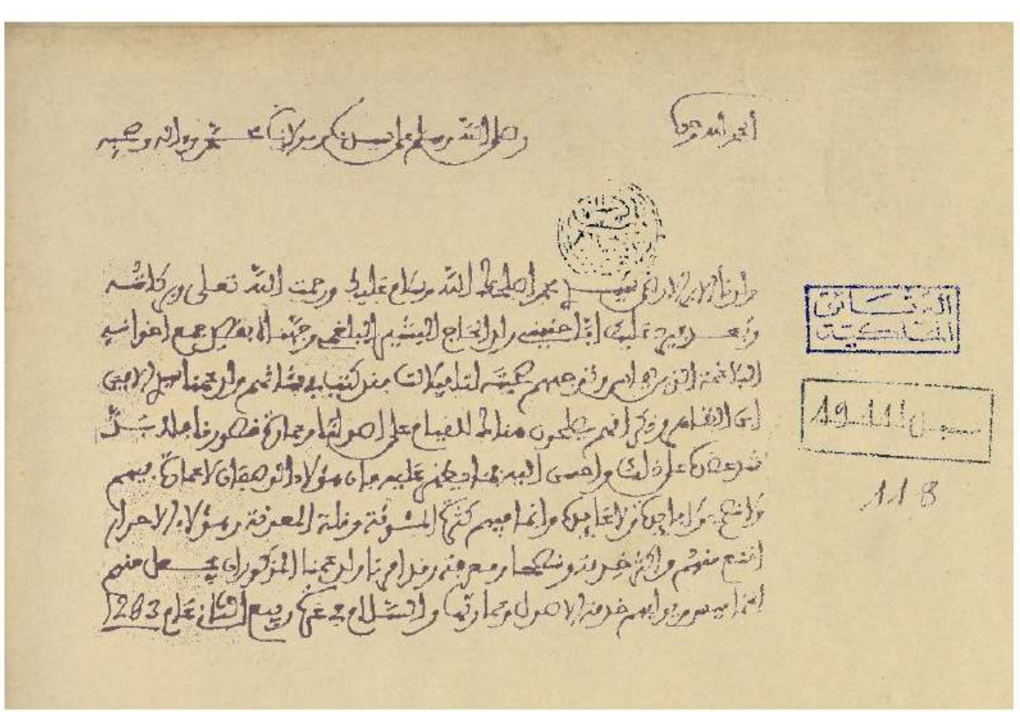
سيدنا الفقيه الوزير الأعظم سيدي أحمد بن سيدي موسى، السلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد كنا وضحنا لسيداتك (الأصح: لسيادتك) أمرا لبناء تيغمرت الكامل منه والباقي فقد [ا]طلعنا عن الجميع بتاريخ فاتح محرم عامه وجردناه حرفة حرف وقدمناه لسيداتك (الأصح: لسيادتك) مع الرقاص المذكور وهانحن بينا لك جله فقد وجدنا ثلاثة ديور كبار كملين مخصوصين بتركاب الدفاف القباب ومخصوصين بأبواب القباب الدويرات الصغار والأبواب البرانيين وجد منهم البعض والزوج ديور كبار والباقيين كاملين بالبناء بطيه مخصوص لبنهما الكشاشين وبعض في دويرة واحدة والاحلف(كذا) لهما بناء وقرمود كملنا بناهم وقرمدناه مجتهدين ببناء الكشاشين على وجدو ست بنا دار كبيرة منهما وزلجنا قببها الأربع ومجتهدين لها بالباقي والجبص والثانية معطلة على الخشب الورقة والكايزة والخشب لجميع الأبواب وإكمال دفاف القباب قد كتبنا للمكلف الأمين الحاج عبد السلام المقدم مرارا بعد مرار فلم يجب نطلب الله تكون عندنا الإقامة منه بطريق ووجدنا يخص تمليس نصف داير الصور القصبة من بره مع أربعة 4 بروج من غير سقوف ووجدنا صف به 22 ديور السكان من غير سقوف ولا دروج ولا سواري مجتهدين لإكماله، وأبواب الدار وجدناهم نشلوحبة(كذا) أخرى ديور لسكان في أساس زوج ديار الأولين كملناهم بالبناء خرجوا ديور عدوا(كذا) ومجتهدين في أسقوف الدروج وأسواري متاعهم.

أوجدناهم نشاو بعض من أساس صور يوقابل باب القصبة فاجتهدنا في أساسه داير عن غوارب زوج والتالة (أي الثالثة) على عرض القصبة فصلنا فيه الباب الثانية ويكون عليها مصرية لضياف وباقي أمر الحمام المضرسة (الأصح المدرسة) التي أن يأتي الإذن بهما وهذا مختصار (الأصح: مختصر) مما عرفنا به قبله والحمد لله. ظهرت الخدمة الله يكمل علينا بخير فلباقي ويرزقنا إقامة فاس في الحين وعلى الخدمة والسلام في 2 ربيع الثاني عام 1315 المكي بن أحمد بن عبد الله وفقه الله.



رسالة حول حول اختطاط سوق ابوعام

الوثيقة رقم: 20



رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان إلى ابنه سيدي محمد في شأن ترحيل بعض البلاغمة بفاس إلى تافيلالت لخدمة الأصول وعمارة القصور،

الوثيقة رقم:21

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ولدنا الابر الارضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فيرد عليك أبا حنيني ولد الحاج البشير البلغمي وجهناه بقصد جمع إخوانه البلاغمة الذين بفاس وتوجيههم صحبته لتافيلالت فقد كتب في شأنهم ولد عمنا سيدي الأمين ابن الطاهر وذكر أنهم يصلحون هناك للقيام على أصولنا وعمارة قصورنا، فلا بد شد عضده على ذلك وأحسن إليه بما يظهر عليه فإن هؤلاء الوصفان لا عمارة فيهم ولا نصح ولا فائدة ولا عائدة وإنما فيهم كثرة المؤونة وقلة المعرفة وهؤلاء الأحرار أنفع منهم وأكثر خدمة ونصحا ومعرفة وقد أمرنا ولد عمنا المذكور أن يجعل منهم الخماسين ويوليهم خدمة الأصول وعمارتها والسلام في غرة ربيع الثاني عام 1263هـ



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

رسالة حول سير أعمال البناء بقصر أولاد عبد الحليم

الوثيقة رقم: 22

تفريغ الوثيقة بالخط الإداري:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

كفيل الأمة وراعيها ووارث الخلافة وإليها ناصر حزب الله في السر والإعلان نجل سيدنا سيدي محمد أمير المؤمنين مولانا عبد الرحمان لازالت الألسن بالثناء عليهم ناطقة والقلوب على محبتكم متطابقة اخص مولانا من السلام بأوفر الأقسام وأعلا السهام ومن التحيات والإعلام ما يفوق العد ولا يقف على حد وبعد تقبيل الأرض أمام مولانا لأداء الواجب والفرض قدمت إلى قصبة سيدنا بأولاد عبد الحليم ووجدت دار سيدنا بها قد ناهزت التمام على أكمل مرام متع الله سيدنا بها ...محمد بن الحبيب ومولانا ادريس وسيدي لمين والذميين مجتمعين على القطعة التي أمر سيدنا وقد قاطعهم حتى على تركيب الدفوف وجل الخدمة الباقية إنما هو تبييض وتجصيص وتجليج الدار الكبيرة مع الدويرية الداخلية فزليج البلد وكايزة البلد التي أمر بها سيدنا موجودة منشورة ، إنما خرجوها من أجل أن تيبس كثيرا وأما الكايزة التي توب ها أولاد سيدي أبي موسى فهي قبيحة جدا حتى إن الفرد منها لا يساوي اثنا عشر أوقية بل يحمله حتى الصبي المراهق فقد غشوا فيها غاية وأما المسجد فقد إنتهى على أحسن حال وإتقان يتمنى الناظر إن دخلها ألا يخرج منها لحسنه وينبغي لسيدنا أن يأمر بإحياء ليلة القدر به وأن يواصل الطلبة يبيتون به، وأما نخيل سيدنا الكائن بالقصبة فقد شافهت ووجدت فيه من التمر ما شاء فإن كان غرض سيدنا بيعها فوق رؤوس النخيل فليعجل بالبيع وبمن يقف على تخريصها وبيعها ولا تتوكل على من هو في البلد وأما نخيل الفيضة فلم نصل إليه وسألت عنه من أثق به فأخبروني أن الأصل الموالي غرس فيه ما شاء الله فيه من التمر، واما أصل الغالبة الكحلةمع ما قربه يابس وقد نزلوا بها خيام لدوي منيع وغيرهم وحملو وصفان سيدنا سلاحهم مع من معه من الاحمال وارادوا ازعاجهم بها فمنعهم سيد لمين بن الطاهر ولاتسترخا سيدي في الارسال للتمر فإنهاقد ظهرت في البلدحتى فالفقوس، والجزاء يكون إن شاء الله شوال في أوله وأما الجنان اعلم إشترى سيدنا تصره الله اولاد سيديحيث ابي الفضيل ...والسلام في رمضان عام 1263هـ محمد بن المدني أمنه الله آمين

الفهـــارس

1- فهرس الخرائط

2- فهرس الجداول

3- فهرس الصور

4- فهرس الأشكال والتصاميم

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات والوثائق

المخطوطـات:

- ابن أبي محلي (أحمد)، اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم 100.

- ابن أبي محلي (أحمد)، تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم:12163.

- ابن السكاك، نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق آل البيت الكرام: مخ خ ع، رقم ت 383.

- ابن زيدان (عبد الرحمان)، تقييد في تاريخ سجلماسة، مخ-خ-ح، الرباط، رقم 12224.

- الحضيكي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، رحلة الحضيكي، مخ، خ، ح، الرباط، رقم: 405.

- الدرعي (أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري)، الرحلة الحجازية الكبرى، مخ-خ-ع، الرباط، رقم 5658.

- السلمي الفاسي (ابن الحاج أحمد بن حمدون)، الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن، مخ-خ-ح، الرباط، رقم:12184، ج.5102.

- العلوي (محمد الزكي بن هاشم)، مطالع الزهراء في ذرية بني الزهراء في ذرية بني الزهراء، مخ ،خ ،ع، الرباط، رقم 1433د.

- الفاسي (محمد المهدي بن أحمد)، تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية، مخطوط المكتبة الوطنية، الرباط، رقم: 2990 ك.

- الفاسي (محمد المهدي بن أحمد)، تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطائفة الجزولية الزروقية، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: 2990 ك.

- الفضيلي (مولاي إدريس بن أحمد العلوي)، الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية، ط ح فاس،1314، ج1.

- الفيلالي (العربي بن عبد السلام بن أحمد)، سلسلة لجين صيغ من معدن الوفا والصفا وجوهر شفاف في ذكر نسب الشرفاء، مخ، خ، ح، الرباط، رقم 11768 (ضمن مجموع)

- مجموع مؤلف من ظهائر شريفة وعقود أنكحه متعلقة بالشرفاء السجلماسيين وغيرهم، مخطوطة خ ع رقم د 723.

الوثائـــــق:

مديرية الوثائق الملكية: مجوعة من الوثائق الخاصة بمنطقة تافيلالت، وذات الإرتباط بموضوع عمارة القصور، وعددها 19، مؤرخة ما بين 1228هـ إلى 1315هـ.

المصادر والمراجع:

المصـــــــــادر:

القرآن الكريم:

- ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن عبد الله السليماني)، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار، مطبعة فضالة المحمدية، 1976.

- ابن الربيع (سليمان الحوات)، الروضة المقصودة والحلل الممدودة في مآثر بني سودة، تحقيق عبد العزيز بن عبد القادر التيلاني، مؤسسة أحمد بن سودة، 1994، ج 1.

- ابن الزيات (يوسف بن يحيى التادلي)، التشوف إلى رجال التصوف تحقيق احمد التوفيق، الرباط، 1984.

- ابن القاضي المكناسي (أحمد)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1974، ج1.

- ابن حوقل أبو القاسم (محمد النصيبي)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، الطبعة الثانية،1992.

- ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر من تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981ج6 -7.

- ابن زيدان (عبد الرحمان)، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس.مطابع إديال. الدار البيضاء، الطبعة الثانية، 1990، الجزء ج5.

- ابن زيدان (عبد الرحمان)، المنزع اللطيف في مفاخر المولى إسماعيل ابن الشريف، تحقيق عبد الهادي التازي، الدار البيضاء، مطبعة اديال، ط1، 1993.

- أبو سالم (العياشي)، الرحلة العياشية ماء الموائد، تحقيق محمد حجي، 1977، ج1.

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن ادرسي الحسني السبتي)، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957.

-الإدريسي (الشريف)، نزهة المشتاق، روما -نابولي،1971.

- الإدريسي (الشريف)، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، الجزائر، 1957

- الأندلسي (أبو خير)، كتاب الفلاحة. فاس 1358. ج، 1.

- البكري (أبو عبيد)، المسالك والممالك. تحقيق أدريان فان ليوفن واندري فيري. المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، 1992، جزآن.

- التادلي (أبو يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف. تحقيق أحمد التوفيق.ط.1.مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، 1984.

- التلمساني (محمد بن مرزوق)، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق مريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمد بوعياد، إصدارات المكتبة الوطنية، النصوص والدراسات التاريخية 5، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1401هـ/1981م.

- الجوهري (الصحاح)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ، ج1.

- الحميري (ابن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس بيروت، دار القلم، 1984.

- الزياني (أبو القاسم)، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف، القسم الأول من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، منشورات مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، بدون تاريخ الطبع.

- الزياني (أبو القاسم)، الترجمانة الكبرى في إخبار المعمور برا وبحرا. تحقيق عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط،1991.

- السملالي (العباس ابن إبراهيم)، الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الأعلام، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط، 1974، الأجزاء 2-7-8-10.

- السوسي (محمد المختار)، المعسول، مطبعة فضالة، المحمدية، الجزء، 16 و20.

- السوسي (محمد المختار)، إليغ قديما وحديثا، هيأه للطبع وعلق عليه محمد بن عبد الله الروداني، المطبعة الملكية، الرباط، 1966.

- الشاطبي (أبو اسحاق)، الموافقات في أصول الشريعة، المطبعة العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2000.

- الصغير (الافراني)، نزهة الحادي بأخبار ملوك الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1998.

- الضعيف الرباطي (امحمد بن عبد السلام بن أحمد)، تاريخ الضعيف الرباطي تاريخ الدولة السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي سليمان (1043/1633-1238/1822، تحقيق احمد العماري، الرباط، 1986، ط1. جزءان.

- العلوي المدغري (أحمد بن عبد العزيز)، الأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1972.

- العياشي (أبو سالم)، الرحلة العياشية ماء الموائد، تحقيق محمد حجي، 1977، ج.1

- الفاسي (الوزان)، وصف إفريقيا، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، الشركة المغربية للناشرين المتحدين-الرباط، دار الغرب الإسلامي-بيروت، 1983، ج 2.

-الفرسطاني (أبو العباس احمد)، القسمة وأصول الأراضي، كتاب في فقه العمارة الإسلامية، تحقيق وتعليق بكير بن محمد ومحمد صالح ناصر، نشر جمعية التراث، القرارة، ، 1997.

- الفرسطائي (أبو العباس احمد بن محمد النفوسي) ، القسمة وأصول الارضين، تحقيق وتعليق وتقديم، الشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج، ومحمد صالح ناصر، جمعية التراث، القورارة، الجزائر، ط3، 1997.

- القادري (محمد بن الطيب)، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، دراسة وتحقيق هاشم العلوي القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، 1981، ج2.

- القادري (محمد بن الطيب)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشرن، سلسلة التراجم،1977، أربعة أجزاء.

- القلقشندي (أبو العباس احمد بن علي)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد قنديل البقلي، القاهرة، المؤسسة المصرية، 1972، ج،5.

- الكتاني (محمد بن جعفر)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس. طبعة حجرية، فاس.1316هـ، 3 أجزاء.

- الكنسوسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، تقديم وتحقيق احمد بن يوسف الكنسوسي، ج1.

- الناصري (أبو العباس احمد خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدار البيضاء دار الكتاب، 1956، الأجزاء، 4 -6-7-8.

- الوزان (محمد بن الحسن الفاسي)، وصف إفريقيا، تحقيق وترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الرباط الشركة المغربية لدور النشر المتحدة، 1982، جزءان.

- كاربخال (مارمول)، إفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، احمد التوفيق، احمد بن جلون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار نشر المعرفة للنشر والتوزيع، مطابع المعرفة الجديدة، الرباط، 1988-1989، ج3.

- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

- مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مطبعة دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، الطبعة الأولى 1994.

المراجع والدراسات العامة:

❖ بالعربية

- الكتب:

- احدى (احمد)، دراسة سوسيو اقتصادية لأعراف الجنوب، نموذج عرف تيدرين ايت شاكر بمنطقة الرتب، الطبعة الأولى، 2007.

- اعفيف (محمد)، توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 70، الطبعة الأولى، 2014.

- أفا (عمر)، مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19، سوس 1822- 1906، منشورات القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، أطروحات ورسائل، 1988.

- أفا (عمر)، «النقود المغربية في القرن الثامن عشر. أنظمتها وأوزانها في منطقة سوس مع تحقيق رسالتين في النقود والأوزان لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.1993.

- اكنينح (العربي)، آثار التدخل الأجنبي على علاقة المخزن بالقبائل في القرن التاسع عشر نموذج قبيلة بني مطير.ط1 فاس، 2004.

- الإدريسي الحسني الفاسي (يوسف بن عابد)، ملتقط الرحلة من المغرب إلى حضرموت، حقق المخطوط وقدم له وعلق عليه الدكتور أمين توفيق الطيبي، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، شركة النشر والتوزيع، البيضاء، 1988.

- البزاز (أمين)، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم 18، 1992.

- البوزيدي(احمد)، التاريخ الاجتماعي لدرعة مطلع القرن17، مطلع القرن20 دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، أفاق متوسطية، 1994.

- التوفيق (احمد)، إينولتان، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط.2، 1983.

- الشباني الإدريسي (احمد)، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987.

- العلوي (محمد أمين)، "زيارة تافيلالت للمؤرخ ابن زيدان"، تقديم وتخريج، الرحلات المغربية الداخلية 1912-1956، منشورات النادي الجراري، رقم 31، ط1 الرباط، 2005.

- العلوي المدغري (أحمد بن عبد العزيز)، الأنوار السنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط، 1972.

- الفضيلي (مولاي إدريس بن أحمد العلوي)، الدرر البهية والجواهر النبوية، مراجعة ومقابلة احمد بن المهدي العلوي ومصطفى بن احمد العلوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1999، جزءان.

- الفيلالي (العربي بن عبد السلام بن احمد)، المعروف بابن دفين طيبة، الدرة المكنونة في أخبار الدولة الميمونة، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني.

- القدوري (عبد المجيد)، أبو محلي نموذج الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريت، منشورات عكاظ، 1991م.

- الهراس (المختار)، القبيلة والسلطة، تطورات البنيات الاجتماعية في شمال المغرب، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988.

- الهروي (الهادي)، القبيلة الإقطاع والمخزن، مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2005.

- بالعربي (الصديق)، المغرب، مطبعة الأمنية، ط 2، الرباط 1956.

- بن منصور (عبد الوهاب) أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية، الرباط، ج:1، 1978

- بوشرب (احمد)، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء اسفي وازمور، دار الثقافة، البيضاء، الطبعة الأولى، 1984.

- بوكبوط (محمد)، مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار (1880-1938) صفحات مجهولة من صمود قبائل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.2005.

- حافظي علوي (حسن)، سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1997.

-حجي (محمد)، الحركة الفكرية في عهد الدولة السعدية، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التراجم رقم2، الرباط، 1976.

- حجي (محمد)، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، مطبعة النجاح الجديدة، 1988.

- حسن (محمد)، المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، الجزء الأول، منشورات جامعة تونس الأولى، 1999.

- حمام (محمد)، جوانب من تاريخ واد دادس وحضارته، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم12، 2002.

- خليل القبلي (فاطمة)، رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1981.

- دي طريس (ديكو)، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، مطابع سلا، 1988م.

- روس (ادان)، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي المواجهة المغربية للامبريالية الفرنسية، 1881-1912، ترجمة احمد بوحسن، مراجعة عبد الأحد السبتي، منشورات زاوية، 2006.

- عبد اللوي علوي (احمد)، مدغرة وادي زيز إسهام في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال العصر الحديث، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1996، جزءان.

الفاسي (محمد)، تراجم شعراء الملحون مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث 1992.

- ماجد (عبد المنعم)، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة،1963.

- محمود إسماعيل (عبد الرزاق)، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 1985.

- مزيان (احمد)، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، 1988.

- مزين (العربي)، "تافيلالت مهد الدولة العلوية" ضمن مذكرات من التراث مجموعة يشرف عليها العربي الصقلي.

- مويط (جرمان)، رحلة الأسير مويط، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار المناهل للطباعة والنشر، الرباط، 1990.

- واحيحي (سعيد)، مهدوية ابن أبي محلي الفيلالي ومخطوطه "تقييد في التعريف بمدينة سجلماسة"، الطبعة الأولى، 2009.

- المقـــــــالات:

- البوزيدي (احمد)، "دور الاتفاقيات التنظيمية في تنظيم العلاقات داخل القصور بدرعة"، ضمن حوض واد درعة ملتقى حضاري وفضاء للثقافة والإبداع، جامعة ابن زهر منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، اكادير سلسلة الندوات والأيام الدراسية، 1992.

- العلوي (مولاي التقي)، "أصول المغاربة القسم البربري"، مجلة البحث العلمي، ع 33، سنة 1982 (ص69-125).

- العلوي (مولاي التقي)، اتحادية آيت عطا، مجلة البحث العلمي، ع 23، 1974 (ص 115-129).

- القاسمي (مولاي هاشم العلوي)، "مولاي علي الشريف وجهوده التأسيسية 762-1360/847-1443"، مجلة عصور الجديدة، العدد 10، 2013(ص 117-147).

- القبلي (محمد)، "مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين"، ضمن مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع 3-4، 1978.

- باسكون (بول)، "الفترات الكبرى للقيادية"، ترجمة زبيدة برحيل، المجلة المغربية للاقتصاد والاجتماع، عدد 5، 1981.

- تاوشيخت (لحسن)، "واحة تافيلالت بين الأمس واليوم"، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم:6، 1993. (ص7-34).

- تليوا (مصطفى)، "مقاربة انثربولوجية لساكنة تافيلالت خلال فترة ما قبل التاريخ"، مجلة واحة تافيلالت، ع2. (ص22-37).

- حمام (محمد)، "قراءة في كتاب السفر إلى تافيلالت معية صاحب الجلالة مولاي الحسن سنة 1893"، لمؤلفه الدكتور فرنا ند لينار يس، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، دجنبر 1997(ص141-151).

- فاتحي (محمد)، "أضواء جديدة على بداية السعديين"، ضمن مجلة تاريخ المغرب، العدد4، السنة 4، غشت 1984. (ص21-41).

- لمراني علوي محمد، "التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر اخنوس من خللا وثيقة جديدة تنشر لأول مرة"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة7، مارس، 1998. (ص55-67).

- المالكي (عبد الرحمان)، "البنيات الاجتماعية والهجرة القروية بتافيلالت"، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم:6، 1993، (ص63-75).

الدراسات حول العمارة:

- الكتب المطبوعة:

- ابن الرامي، الإعلان بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار عثمان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1988.

- السنوسي (محمد)، أضواء على قضايا التعمير والسكنى بالمغرب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1988.

- الوكيل (شفيق العوضي)، محمد عبد الله سراج، المناخ وعمارة المناطق الحارة، مطابع الطوبجي، القاهرة، 1985.

- أيوب (عبد الرحمان)، من قصور الجنوب التونسي، القصر القديم، النقائش والكتابات القديمة في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988

- بركات (محمد علي)، مواد البناء واختباراتها القياسية، دار الراتب، بيروت، 1990.

- بن عبد الله (نور الدين)، العمارة التقليدية لمنطقتي توات والقورارة، ط1.القاهرة، 2013.

- بهنسي (عفيف)، العمارة العربية الجمالية والوحدة والتنوع. منشورات المجلس القومي للثقافة العربية.د.ت.

- بوعصب (امبارك)، التراث المعماري بمنطقة تافيلالت الحالة الراهنة آليات الحفاظ وآفاق التنمية ورد الاعتبار، منشورات المركز المغربي للدراسات التاريخية، 2017.

- تاوشيخت (لحسن)، عمران سجلماسة دراسة تاريخية وأثرية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2008، جزءان.

- حملاوي (علي)، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.

- حيدر (كمال)، العمارة العربية الإسلامية خصائص التخطيط للمقرنصات، دار الفكر اللبناني، بيروتذ، الطبعة،1،1994

- شهوان (عزيز)، محمد احمد عبد الله، الهندسة المدنية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1982، ط 4.

- عبد الستار(عثمان)، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ع168.

- عبد الستارعثمان، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي، دراسة أثرية معمارية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1989.

- عزب (خالد محمد مصطفى)، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، كتاب الأمة، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد 58، 1997.

- عقاب (محمد الطيب)، مساكن قصر القنادسة الأثرية-دراسة معمارية أثرية، دار الحكمة، طبع في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

- فجال (خالد سليم)، العمارة والبيئة في المناطق الصحراوية الحارة، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى،2002.

- مولود ولد ايدة الهلال (احمد)، مدن موريتانيا العتيقة، قصور ولاته ودان وتيشيت وشنقيط، منشورات مركز الدراسات الصحراوية،2014.

- وزيري (بحبى)، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الجزء الثاني، ط.1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

- وزيري (يحيى حسن)، العمران والبنيان في منظور الإسلام، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط1، 2008.

- المقـــــــالات:

- التخي (بلقاسم)، "الجانب الجمالي والرمزي في عمارة قصور منطقة الاغواط"، ضمن مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، الجزائر، العدد الثاني، ماي 2016 (ص287-308).

- الدخيسي (إدريس)، "الفن المعماري الإسلامي الأصيل في قصبات الجنوب المغربي"، مجلة فنون العدد2، السنة 8 شتنبر 1981 (ص53-58).

- الرباط (ناصر)، "مفهوم العمارة في الكتابات الإسلامية في القرون الوسطى" عالم الفكر، المجلد 34 ابريل، يونيو، 2006 (ص7-35).

- العوهلي (عبد العزيز)، "الخواص الحرارية للطوب النيئ"، مجلة عالم البناء، س8، ج44، الرياض، 1988 (ص57-88).

- الفقيه الإدريسي" القصبات الإسماعيلية واستراتيجيات احتواء المجال "، منشورات كلية الآداب، بني ملال ع 5 س، 2002(ص91-114).

- الناجي (سليمة)، "تراث مقدس مهدد بالضياع المصليات الصغيرة والمساجد والزوايا في جنوب المغرب مقترح طريقة للتدخل"، ضمن اعمال ندوة الخصوصيات المعمارية المساجد بالمملكة المغربية، 2006 (ص23-56).

- أوموس (احمد)، "في الأصول التاريخية والخصائص المعمارية للمخازن الجماعية (إكودار) بمناطق الأطلس"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم 37، 2013 (ص75-100).

- بن صغير حاضري (يمينة)، "القصور الصحراوية بالجزائر صورة للإبداع الهندسي"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، غرداية، الجزائر، 2011 (ص136-156).

- بن نعمان إسماعيل،"البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية البناء بالطابية"، مجلة كان التاريخية، السنة الثالثة، العدد10، دجنبر 2010. (ص16-26).

- بنعبد الله عبد العزيز، "القصبات والقلاع الإسماعيلية"، دعوة الحق عدد خاص، مارس، 198 ص(108-113).

- بوعصب (امبارك)، "إشكالية البحث في التراث العمراني لواحات بلاد المغرب دراسة نموذجية للقصور والقصبات بمنطقة تافيلالت" ضمن مجلة سجلماسة العالمة، العدد الأول، 2017، ص.363-398.

- تاوشيخت (لحسن)، "الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية القرنين 18و19م"، ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م، تكريما لروح السلطان المولى محمد الأول، سلسلة ندوات رقم3 كلية الآداب وجدة، مطبعة النجاح الجديدة، 1995. (ص:22-53).

- تاوشيخت (لحسن)، "القصور والقصبات الإسماعيلية بتافيلالت"، ندوة السلطان مولاي إسماعيل، جامعة مولاي إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، مارس 1995، مطبعة فضالة المحمدية (ص 109-141).

- تاوشيخت (لحسن)، "المنجزات العمرانية للسلطان المولى عبد الرحمان ابن هشام بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الخامسة، دجنبر 1993، الرباط، دار المناهل للطباعة والنشر،1996، (ص 200-224).

- تاوشيخت (لحسن)، "المنجزات العمرانية للسلطان سيدي محمد بن عبد الله بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة الثالثة، دجنبر 1991، الرباط مطابع الأمنية (ص 393-419).

- تاوشيخت (لحسن)، "المنجزات العمرانية للسلطان مولاي إسماعيل بتافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الثانية، مركز الدراسات والبحوث العلوية الريصاني، دجنبر 1990، دار المناهل للطباعة والنشر، 1991 (ص187-190).

- تاوشيخت (لحسن)، "تافيلالت في عهد السلطان مولاي الحسن الأول من خلال رسائل مخزنية ووثائق فرنسية"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة السابعة، الشطر الأول.

- تاوشيخت (لحسن)، "سجلماسة، من المدينة الى القصور"، مجلة عصور الجديدة، العدد 14-15، اكتوبر 2014 (ص 142-162).

- تاوشيخت (لحسن)،" "خزف تافيلالت خلال نهاية القرن 18 وبداية القرن 19"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، الدورة 4 دجنبر،1992، الرباط، مطبعة الأمنية 1994(ص264-290).

- جرير (محمد)، "بعض المظاهر من تحولات العالم القروي بواحات تافيلالت الكبرى"، ضمن المجال والمجتمع بالواحات المغربية، منشورات جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، سلسلة الندوات رقم:6، 1993 (ص51-62).

- جرير (محمد)، "بعض مظاهر تطور السكن القروي التقليدي في واد زيز الأوسط والأسفل"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، العدد:1، 1986 (ص73-90).

- حافظي علوي (حسن)، "مواد البناء ببلاد المغرب من خلال كتاب الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي"، المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80، 1999(ص51-90).

- حملاوي (علي)، "البيئة الصحراوية وأثرها على العمران والعمارة وادي ريغ نموذجا"، ضمن مجلة آثار، العدد7، عدد خاص بالملتقى الدولي للآثار والبيئة، الجزائر، 2008 (ص57-69).

- سيد عباس (علي)، "أثر البعد البيئي على تخطيط المدن والعمارة الإسلامية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، القاهرة، مصر، 12-14 أبريل، 2007 (ص23-35).

- شحادة (حسني)، "العمارة في العالم الإسلامي"، مجلة الدوحة، نونبر، الدوحة، 1985.

- صادقي(ابا) "إشكالية التدبير التقني والقانوني للتراث المعماري بمنطقة محمية المحيط الحيوي لواحات الجنوب المغربي (نموذج القصور)"، ضمن التراث المعماري بالمغرب، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة دراسات وأبحاث، رقم 37، 2013 (ص 195-228).

- عبور (عمر)، ابراهيم وباهو، "نظام الجماعة أو تسيير القصور قديما، ضمن البيئة المحلية والتنمية بواحة فكيك"، منشورات جمعية النهضة، فكيك، غشت 1997(ص34-48).

- فضلي (آمنة)، "الفن المعماري بالطين بين الأصالة والمعاصرة" ضمن البيئة المحلية والتنمية بواحة فكيك، منشورات جمعية النهضة، فجيج، 1937 (ص67-89).

- لمراني علوي (محمد)، "التنظيم الاجتماعي لقصور تافيلالت في عهد السلطان المولى الحسن الأول، نموذج قصر اخنوس من خلال وثيقة جديدة تنشر لأول مرة"، ضمن جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة 7، مارس، 1998.

- لمراني علوي (محمد)، "المعمار المبني بالتراب في منطقة تافيلالت، قصور مدينة الريصاني من خلال وثيقتين محليتين تنشران لأول مرة"، ضمن المعمار المبني بالتراب في حوض البحر المتوسط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80. (ص99-116).
- مقداد (عبد السلام)، "تاريخ ومصدر البيانات المدفنية بمنطقة تافيلالت"، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية الدورة الأولى، دجنبر، 1989. (ص335-342).
- وزيري (يحيى حسن)،"العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة، عدد 304، مطابع السياسة الكويت، 2004.
- وزيري (يحيى حسن)،"جمالية المفردات المعمارية في المجتمعات العربية الإسلامية سلطنة عمان أنموذجا"، ضمن عالم الفكر، العمارة، المجلد 34، سنة 2006 (ص37-85).
- وزيري (يحيى حسن)،"العمارة الإسلامية الحربية وتأثيرها على العمارة المعاصرة"، مجلة عالم البناء، جمعية إحياء التراث التخطيطي والمعماري، العدد 62، أكتوبر 1985. (ص34-67).

- المعاجم والموسوعات:

- ابن منظور جمال الدين محمد، لسان العرب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج 6.
- المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق بيروت، ط،21، 1986.
- انيس (إبراهيم)، المعجم الوسيط، دار الدعوة للنشر والتوزيع، اسطنبول، تركيا، 1985.
- أيت حمزة (محمد)، مادة القصر، معلمة المغرب، الجزء 19، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 2000.
- بنعبد الله (عبد العزيز)، الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة الصحراء، (مادة الفن الصحراوي)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة فضالة 1976.
- جمعة (أحمد قحة)، موسوعة العمارة الإسلامية، دار الملتقى، 1989.
- عاصم (محمد رزق)، معجم المصطلحات، العمارة والفنون الإسلامية، ط،1، مكتبة المدبولي، القاهرة،2000.
- غالب (عبد الرحيم)، موسوعة العمارة الإسلامية، مطبعة جرسبرس بيروت، الطبعة الأولى، 1988.
- مادة "باب" ضمن معلمة المغرب، ج 3، الجمعية المغربية للتأليف والنشر والترجمة، مطابع سلا، 1991م.
- وجدي (محمد فريد)، القصر، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة بيروت لبنان، المجلد 7، الطبعة الثانية،1971.

البحوث والرسائل والأطروحات الجامعية:

- استيتو (محمد)، الكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب القرن 16، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الحديث، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، فاس،1987-1988.

- استيتيتو (عبد الله)، دور تافيلالت في تنظيم العلاقات بين المجتمع القبلي والمخزن والمستعمر، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، 2013.

- البلعشي (عبد الرحمان)، إبراهيم آيت حساين، عبد اللطيف النحلي، القصور والقصبات دراسة تفصيلية لمصطلحات عمرانية، بحث لنيل دبلوم مهندس معماري، المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية، الرباط، 1992.

- الرباطي (سميرة)، معجم البناء والعمران في كتاب العبر لا بن خلدون، بحث لنيل دبلوم السلك الثاني من المعهد الوطني لعلوم الآثار والتراث، السنة الجامعية 1993-1994.

-بوخنوف (أرزقي)، تشخيص الطوب المشكل لهياكل قصري النزلة وتماسين ولاية ورقلة، اطروحة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012.

- بوراس (يحيى)، العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب، نموذج قصر بني يزقن، من القرن 10هـ /16م إلى 13هـ/19م، دراسة وصفية، تحليلية مقارنة، بحث لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر،2001-2002.

- بوعصب (امبارك)، مساهمة في دراسة قصور تافيلالت من سقوط سجلماسة إلى نهاية القرن العشرين، التاريخ والمعمار والإنقاذ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس-فاس،2011.

- بومزكو (احمد)، تحقيق وتقديم طبقات الحضيكي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994، الرباط، ج1.

- جودي (محمد)، المسكن الإسلامي في القصور الصحراوية بالجزائر دراسة تحليلية مقارنة لقصور مزاب وورقلة، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تخصص علم الآثار والمحيط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2013-2014.

- حافظي علوي (حسن)، واحات بلاد المغرب من ق 10/4م إلى القرن 8هـ/ 14م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 2005.

- علمي (احمد)، حركات السلطان الحسن الأول، 1873-1894، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، 1986-1987.

- نوازل ابن هلال (ابراهيم)، المطبعة الحجرية، فاس، 1318هـ، تم تحقيقه من طرف ابريش سلام، تحت عنوان دراسة وتحقيق نوازل ابن هلال السجلماسي المتوفي، 903هـ/1497م، بحث لنيل دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز فاس 2001-2002.

- واحيحي (سعيد)، سجلماسة/ تافيلالت من اندراس المدينة إلى واحة القصور 796هـ-1393م إلى أواخر القرن 11هـ-17م) دراسة تاريخية، اجتماعية، ثقافية)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراز، فاس 2005-2006.

المراجع الأجنبية:

❖ بالفرنسيـــــة:

- الكتـــــــب:

-Brignon (Jean) et autre, Histoire du Maroc, Hatier, 1968.

-De Foucauld (Charles), Reconnaissance au Maroc 1883, 1884, Challemel, 1888.

-Drague (G), Esquisse d'histoire religieuse du Maroc, Paris, 1951.

-Faure (Roger), Le Tafilalet, étude d'un secteur traditionnel d'irrigation, Paris, 1969

-Gautier (Ernest F) , Le passé de l'Afrique du Nord, édition payot, Paris, 1964.

-Jacques-Meunié (Djinn), Le Maroc saharien des origines à 1970, Paris, édition, c. klincksieck, 1982.

-Joly (Fernand), Etudes sur le relief du Sud –Est Marocain, Travaux de l'Institut Scientifique Chérifien. Rabat, 1962.

-Laroui (Abd ellah), Les origines sociales et cultureles du nationalisme Marocain1830-1912, Edition Maspero, Paris, 1977

-Martin (A.G), Précis de géologie Nord Africain, Les oasis saharien, 2ème partie, 1908.

-Martin (A.G.P), A la frontière du Maroc, les oasis sahariennes (Gourara, Touat, Tidikelt), vol. 1, Alger, Imprimerie algérienne, 1908.

-Mezzine (labri), le Tafilalet, contribution à l'histoire du Maroc aux XVII et XVIII siècles, publication de la facultés des lettres et des sciences Humaines, Rabat, série thèse N, 13, 1987.

-Montagne, (Robert), Les Berbères et le Makhzen dans le Sud du Maroc, Paris, 1930.

-Spillman (Capitaine Georges), les Ait Atta du Sahara et la pacification du Haut Draa, Rabat, 1936.

-Toutain (G.F), Développement Hydrologique Agricole au Sahara, Rabat, 1979.

- المقـــــــالات:

- Roger (leTourneau), « les débuts de la dynastie Saadienne jusqu' à la mort du sultan M'hamed Ech-cheikh(1557) 3Institut d'etudes supérieures islamique d'alger,1956» (pp 36-48)

-Anonyme, La pacification du sud marocain « le tafilalet» ,Renseignement coloniaux et Document, N3,1933 (pp 49-58)

-Dastugue (Henri), «Quelques notes au sujet du Tafilet et Sidjilmassa», Bulletin de la Société de Géographie, Paris,Tome XII,avril, 1867(pp 337-380)

-Delbrel (Gabriel), «Notes sur le Tafilalt», Bulletin de la Société de Géographie, Paris,Tome XV, 7eme série,3eme trimestre,1895 (pp 199-227)

-Gendre(P .F), «Tafilalet», RGM , 3-4eme trim- Mai-août, 1942 (pp 45-57)

-Lewiki (Tadensz), «Sur le titre libyco-berbère» Etude maghrébines et soudanaises, édition scientifique de Pologne, Publication de l'Académie Polonise des Sciences, Comité des Etudes Orientales, 1976. (93pages)

-Linares (Ferrnand) , «Voyage au Tafilalet avec SM le sultan Moulay Hassan en 1893», Bulletin de l'institut d'Hygiène du Maroc, Rabat, publication de la direction de la santé et de l'Hygiène publiques. Juillet- Septembre 1932. Tome III (pp 93-116)

-Margat (Jean), « Note sur la morphologie du site de Sijilmassa »; Hespéris. Tome:XLVII, 3 et 4 ème trimestre, 1959, (pp 49-53)

-Maurice (Bernard), «le Tafilalet, renseignement Coloniaux» , Afrique Française , Octobre 1927, n 10 (pp 386-400)

-Meunié.(DJ), «Hiérarchie sociale au Maroc présaharien», Hespéris, 1-2 trimestre, 1958 (pp 239-266)

-Miller(James), «la viabilité de l'environnement dans les oasis du Tafilalet de l'ancienne Sijilmassa au Tafilalet d'aujourd'hui », l'Afrique du Nord face aux menaces écologiques, Casablanca, publication Faculté des lettres et sciences Humaines Université Mohamed 5 Rabat, V50,1995 (pp 3-19)

-Odinot(Paul), L'importance politique de la confrérie Drqaoua, Résidence générale, n°.5, Mai, 1929.

-Rohlfs(Gerhard), « LeTafilelt », in renseignement coloniaux et documents, n° 8,1910 (pp 243-257)

-Sloush (Name), «Etudes sur l' histoire des juifs au Maroc», Archives Marocaines Volume, N4, 1906 (pp 1-167)

العمـــــارة والآثـــــــار :

- الكتـــــــــب:

-Jacques-Meunié (Djinn), Architectures et Habitats du Dadès, Maroc Présaharien, Paris, librairie C, KlincKsiecK 1962.

-Marcais (Georges), L'architecture musulmane d'Occident:Tunisie, Alger, Maroc , Espagne, Sicile, édition Arts et Métiers Graphiques, Paris ,1954

-Terrasse (Henri), Kasbas berbères de l'Atlas et des oasis. Les grandes architectures du sud marocain, Paris, édition. Horizons de France, 1938.

-Terrasse.(Henri) : L'Art hispano-mauresque des origines au XIII eme siècle- .Tome.III : Nouvelle éd Brille .Paris 1971.

- المقــــــــالات:

-Bazzana (André), «L'Architecture de terre au moyen-âge considérations générales et exemples andalous» Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée :Histoire et perspectives , Publication Faculté des Lettres et Sciences

Humaines /Université Mohamed V, n 80 imprimerie Najah EL Jadida, 1999. Casablanca (pp169-202)

-Belouin (Colonel), « Notes sur la Grotte de Tazougert» Bulletin du comité des travaux historiques et scientifiques, 1925, p.CCXLIII-CCXLIV.

-Delbrel (Gabriel), « Notes sur le Tafilalt», B.S.G, 1894.

-El-Mghari (Mina), «Reflexion sur les matériaux de construction des Monuments Almohades de Rabat», Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée : Histoire et perspectives, Publication Faculté des Letters et Sciences Humaines, Université Mohamed V ; n 80, imprimerie Najah EL Jadida Casablanca, 1999 (pp 155-167)

-Dastugue (Henri): «Quelques mots au sujet du Tafilalet et Sijilmassa» , Bulletin de la Société de Géographie. Paris, Tome XIII, avril 1867. (pp 337-380)

-Erbati (Larbi), «La terre dans la construction maghrébine au moyen âge, le cas des murs in tabiya» dans le jardin de Hespéris, N 2, Rabat . Juillet 2005.

-Hensens (Jean) , «Habitat rural traditionnel des oasis présahariennes. Le qsar : problèmes de rénovation », Bulletin Economique et Sociale du Maroc, N 114, Juillet-septembre, 1969 (pp 83-104)

-Jacques-Meunié (Djinn), « sur l'architecture du Tafilalet et Sijilmassa (Maroc saharien)», Comptes Rendues de l'Académie des Inscriptions des Belles Lettres, Avril-Décembre 1962, Paris, Librairie c. Klincksieck, Décembre 1963. (pp 132-146)

-Jacques-Meunié (Djinn). et Meunié (Jacques). « Abbar cité royale du Tafilalt (Maroc présaharien)» , Hespéris, n° XLVI - 1-2e. ttre 1959 (pp 7-72)

-Jacques-Meunie Dj, «Les greniers collectifs au Maroc », éd, Arts et Métiers Graphiques », 2 Volumes, 1952

-Laoust (Ernest), " L'habitation chez les transhumants du Maroc central : la tente et le douar ", Hespéris .Tome X .fascicule II .1930 (pp 151-253)

-Margat (Jean) , « Données sur l'habitat au Tafilalet», Notes Marocaines, N 11-12/1959 (pp 49-55)

-Menesson (E), « Ksour de Tafilalet», Revue de Géographie du Maroc, n°8, Rabat, 1965 (pp 87-92)

-Mercier(Marcel) , "Note sur une architecture berbere saharienne", Hesperis, 1928, Tome VII,p.(413-429)
-Meunié(Jacques)et Allain (Charles), « Quelques gravures et monuments funéraires de l'extrême sud-est marocain », Hespéris,Tome XLIII, 1956 (pp 51-86)
-Pascon (Paul) , « Types d'habitat et problèmes d'aménagement du territoire au Maroc », in Revue de géographié du Maroc, n° 13, 1968 (pp 85-101)
-Touri (Abd el Aziz) , "Le patrimoine architecturale au Maroc", Colloque International sur l'architecture de terre en Méditerranée. Histoire et perspectives, Publication Faculté des Lettres et Sciences Humaines /Université Mohamed V; n 80, imprimerie Najah EL Jadida 1999, Casablanca (pp 483-469)

الرسائل والأطروحات باللغة الأجنبية:

-Aba (Sadki), Urbanisme et conservation du patrimoine culturel présaharien cas des ksours du Tafilalet, mémoire de troisième cycle, Institut National d'Aménagement et d'urbanisme, Rabat, 2003.
-Chalkhoun (Abdelkader), Épigraphie monumentale des oratoires et palais de sud Est Marocain XV – XVIII siècles, Thèse de doctorat en Histoire de L'art, III Tomes, Toulouse, 1995.
-Belhassane (A), Evolution de l'habitat ksourien dans le tafilalet, le cas du ksar el Bouiya, Mémoire pour l'obtention du diplôme d'architecte, ISACF,1990-1991.

الدراسات والمخططات:

-El Assal (Khalid), El Basri(Jawad), Malti(Hicham), Les Qsours et Qasbah du Tafilalet, Etude architecturale et plan de sauvegarde Direction de l'Architecture. Juin ,1998.
-PATTEET (Claire), Etude de la resturation du ksar Targa à Errachidia, Délégation régionale de l'habitat Errachidia 1996.

-Plan quinquennal 1960-1964. Royaume du Maroc, Ministère de l'économie nationale division de la coordination économique du plan.

-Plan quinquennal,1968-1972. vol 1. Royaume du Maroc, Ministère de l'économie nationale division de la coordination économique du plan.

-Plan quinquennal,1973-1977 .vol 2. Royaume du Maroc, Ministère de l'économie nationale division de la coordination économique du plan.

-Royaume du Maroc direction de la statistique, L'exode rural trait d'évolution profils et rapports avec les milieux d'origines, Imprimerie el Maarif el Jadida, Rabat.

-VERITE (J), Inventaire protection et mise en valeurs des architecture traditionnelles du Sud de Marocain, étude menée pour le compte de l'Unesco, Mars, 1977.

فهرس المحتويات



د. امبارك بوعصب

المؤلف: أستاذ التعليم العالي مؤهل
بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
لجهة الرباط سلا القنيطرة

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب موضوع التراث المعماري بمنطقة تافيلالت، فيقدم دراسة وصفية تحليلية موثقة توثيقا دقيقا لقصورها وقصباتها، وتبرز ملامحها المعمارية المتميزة وأسس تخطيطها ومواد بنائها وأساليب زخرفتها، وتحصي كل مكوناتها العمرانية ووحداتها المعمارية.

كما يحاول هذا الكتاب أن يعطي صورة متكاملة عن هذه العمارة؛ بدءا بدراستها في محيطها الجغرافي وسياقها التاريخي لمعرفة ظروف نشأتها وتطورها، مرورا بفهم ما تحتويه من حلول تعكس ظروف هذه البيئة المحلية والواقع الحضاري، وانتهاء بما تحتويه من حلول تصميمية تتوافق مع احتياجات المجتمع الفيلالي الروحية والمادية ومع عاداته وتقاليده، وذلك لوضع القصور في سياقها الحضاري والإحاطة بمختلف أبعادها الاجتماعية والاقتصادية والمعمارية والثقافية. ليتمكن القارئ من تصور ما كانت تزخر به القصور والقصبات الفيلالية من حياة اجتماعية ومن وظائف اقتصادية وأدوار ثقافية. كما يقدم عرضا لمختلف الحرف والصنائع التي كانت تحتضنها.

ويكشف الكتاب عن كثير من المضامين التي يعكسها التصنيف الوظيفي للعمارة الطينية بمنطقة تافيلالت (العسكرية أو الدينية أو السكنية)، ويعطي وصفا لأهم أشكالها واستخداماتها الوظيفية وعناصرها الإنشائية والمعمارية، ويحدد مواد بنائها ووحداتها الزخرفية وما يرتبط بها من قيم جمالية وفنية، كما يقارنها بنظيراتها بواحات بلاد المغرب. ويخلص إلى الدراسة التنميطية للقصور والقصبات انطلاقا من المعايير التي تم تحديدها في الدراسة العمرانية والمعمارية، مع تقديم جرد للقصور المنتمية لكل صنف وإبراز خصائصها المعمارية من خلال دراسة أنموذج معين.

ولأن هذا الكتاب قد اهتم بدراسة التراث المعماري بمنطقة تافيلالت فإننا نأمل أن يشجع الباحثين والمتخصصين لإنجاز الدراسات والبحوث التي تهتم بالتراث المعماري الواحي؛ للاستفادة من نتائجها في تفعيل البرامج والخطط التي من شأنها توثيق وتسجيل هذا التراث واتخاذ التدابير الكفيلة بحمايته والمحافظة عليه وتثمينه.


9 789954 971444